صفحاتٌ من تاريخ الجنوب العربي الحديث

ذِكريَات "عِمْرَان" ..الفدائي والإنسان



المناضل صالح فاضل حسين الصَّلاحي

دَوَّنها وصاغها: د.محمد صالح فاضل الصلاحي

مراجعة وتقديم وإخراج:د.علي صالح الخلاقي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذِكرَيَات "عِمْرَان"..الفدائي والإنسان

المناضل صالح فاضل حسين الصَّلاحي

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

مطابع وحدين للأوفست- المكلا

الإهـــــداء

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } **صدق الله العظيم.**

إلى رفاق سنوات الجمر والكفاح ممن رفعوا مشاعل الحرية، وأناروا الطريق، وحملوا السلاح بأيادٍ غير مرتعشة، ووضَعوا حياتَهم على أكُفِّهم، وبقوة إيمانهم بعدالة قضيتهم وقداستها صَلبوا الحديد، وسَقَوا الفولاذ، وغرَّبوا شمس الامبراطورية العظمى، واستعادوا كبرياء الجنوب العربي وحريته واستقلاله، فانتصروا للحق والحياة....

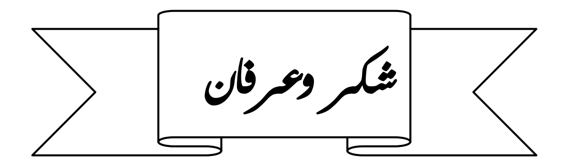
إلى شهداء الحرية والكرامة.. وإلى كل الأرواح التي أُزهقت بدون ذنب، في مراحل ما بعد الاستقلال، بسبب شطحات البشر، وفي مجرى الصراع على السلطة والجاه.

إلى من يُعقِبنا من أجيال الغد الراغبين في أخذ العبر والدروس من تاريخنا المعاصر حتى لا تتكرر أخطاء الماضي في مستقبلهم الواعد إن شاء الله...

وإلى الشعب والوطن الجريح..الجنوب العربي.. وإلى كل من يحرص على الأمانة التاريخية.

وأخيراً إلى أبنائي وأحفادي أُقَدِّم كتاب تجربتي مع الحياة والكفاح والبناء.

صالح فاضل الصلاحي (عمران)



في البدء أشكر الله تعالى في أن مَدَّ في عُمُري ومنحني الصحة الجيدة والذاكرة النقية والثقة التي تغمرني بسَكِيْنة النفس حينما أنبش في تجربة الأحداث المنصرمة ،وخاصة الحزينة والمؤسفة منها. لكنه الثمن الذي يجب أن أُقدمه لقاء استعادة تفاصيلها حتى أتمكن من توثيق تجربتي مع الحياة والرفاق .وكأيّ عمل مدروس وهادف، لم يتحقق هذا الإصدار بجهود فردية، ولكن بجهود جماعية.
وعملاً بقول رسولنا الكريم ﷺ "لا يَشْكُرُ اللهَ من لا يَشْكُرُ النَّاسَ"، يلزمني الوفاء أن أتقدم بأندى عبارات التقدير والشكر والعرفان لكل من أسهم ودعم وحفز توثيقي للأحداث التاريخية التي شاركت فيها أو كنت شاهداً عليها، ولولا جهودهم واخلاصهم وصبرهم لما رأى كتابي هذا النور بطبعته الأولى الصادرة عام ٢٠١٥م، ثم هذه الطبعة الثانية المنقحة والمزيَّدة بإضافات هامة ومفيدة استحضرتها ذاكرتي الخَئُون بشق النفس بعد أن كاد مصيرها النسيان، وأخص بالشكر:
أولاً : نجلي الدكتور محمد صالح فاضل، الابن البار والوفي ، الذي اغتنم في زحمة عمله المضني كطبيب كل فرصة سانحة من الوقت، فضلاً عن إجازاته الأسبوعية والسنوية لما يزيد على ثمانية أعوام في التدوين المستمر لما تجود به ذاكرتي، والعمل بصبر ومثابرة على تنقيحها وإعادة صياغتها وكتابتها وتقديمها بأسلوب أدبي سلس، يُسهِّل لكل راغب قراءتها بيُسرٍ، بغض النظر عن درجة تعليمه أو مستواه الثقافي، وتمكن المهتمين من فهم أسرار النجاحات وأسباب الإخفاقات في تاريخ الجنوبي العربي المعاصر، وتقديم الأحداث بسلبياتها وايجابياتها، مع استخلاص الدروس والعبر التي تعمدت إبرازها وتقديمها في كتابي هذا، الذي وثقه الدكتور محمد بأسلوب أدبي أدخل السرور الى قلبي .
ثانياً : الكاتب والباحث الدكتور علي صالح الخلاقي، الذي أبدى كل الترحيب الصادق والسعادة في المساهمة في انجاح هذا العمل لأهميته في توثيق مرحلة يعتز هو بأنه ترعرع في كنفها واستلهم مثلها ومبادئها، وفي مدارسها كان الأساس الذي شيد عليه صرح ابداعاته المتنوعة ولمع نجمه، فانبرى لتكريمي بمراجعته وتقديمه وإخراجه للكتاب في طبعتيه الأولى والثانية .

ثالثاً : الأخ حمزة صالح مقبل، الذي قدَّم خبرته التاريخية والسياسية في مرحلة كان هو شاهداً ومساهماً فيها، وكان - كما قال لي - يعرف عنِّي من رفاقي الذين جمعته بهم علاقات مميزة، مثل علي عنتر وعلي شائع وصالح مصلح وكثير من رفاقي من أبناء الضالع والشعيب، وقد سخَّر وقته وخبرته في مساعدة الدكتور محمد في تدوين وصياغة ذكريات مرحلة الكفاح المسلح.

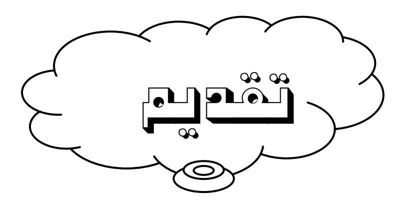
رابعاً : أبنائي (حسين، د.عادل، عبدالفتاح، سالمين، خلدون)، وبناتي (منيرة، حنان، أفراح، انجيلا)، وأحفادي الذين عملوا على التوثيق الآني والسريع في كتابة ما تستحضره ذاكرتي التي استهلكت حيويتها العقود الثمانية المنطوية من العمر وانهكتها زحمة الأحداث بتعقيداتها وتداخلها مع بعضها، وبسبب ذلك خذلتني في نسيان كثير من الأحداث أثناء تأليف الكتاب بطبعته الأولى، فاستدركت ما أمكن منها في أوقات متفاوتة، وتدوينها من قبل الأبناء والأحفاد لحظة تذكرها، ثم إرسالها مباشرة للدكتور محمد لإعادة صياغتها وإضافتها في مواقعها ووضعها في سياقها التاريخي ليكتمل النص السابق ، كما في الطبعة المنقحة التي بين أيديكم .

خامساً : الشكر والوفاء والحب لكل رفاق النضال في مرحلتي الكفاح والبناء والدفاع عن أمن الوطن، ممن عملنا سوياً وآزرنا بعضنا البعض وتجرعنا علقم المواقف والمنعطفات الصعبة، وقد وجدت من كثيرين منهم التشجيع علي تدوين مذكراتي التي شملت سيرة الكثير من رفاق الدرب من الرعيل الأول من المناضلين، ممن كانت لهم إسهاماتهم الكبيرة تجاه الوطن والشعب، وخاصة اولئك الذين غادروا دنيانا قبل أن يمنحهم القدر فرصة توثيق مساهماتهم التاريخية سواء في مراحل الكفاح المسلح أو ما بعدها من مراحل بناء الدولة الوطنية الديمقراطية الفريدة .ويشمل الشكر الرفاق الذين ما زالوا على قيد الحياة ممن ساهموا في إزالة ظاهرة التردد التي لازمتني لعقود من الزمن في الكتابة بأمانة لإنصاف المرحلة بسبب صعوبة الحديث بحيادية عن صراع رفاق هم جميعاً رفاقي، فأبعدوا من رأسي هواجس التردد حينما أكدوا لي بانهم سيتقبلون أمانة توثيقها ونشرها كما حصلت وليس كما أريد أو يريدون لها أن تكون .

محبكم

صالح فاضل حسين الصلاحي(عمران)

عدن - فبراير٢٠٢١م



عِمْرَان..الفدائي والإنسان

د.علي صالح الخلاقي

الإنسان موقف، يجسده في سلوكياته وأفكاره، ولكل إنسان دوره وقدراته في صنع الأحداث الوطنية الهامة. لكن انتصارات الشعوب لا يصنعها فرد لوحده، مهما بلغ شأنه وقدراته، بل الجموع في تعاضدها وتلاحمها واتفاقها على الأهداف العامة والمصيرية. ومع ذلك فهناك أفراد تميزوا عن غيرهم وتفردوا بمواقف وبطولات معينة، ويحفل تاريخنا الوطني بالكثير من تلك الأسماء المتميزة، لكننا للأسف لا نعرف عن كثيرين منهم شيئا، وقلة هم من استأثروا بشيء من العناية في الكتابة عنهم وإبراز مواقفهم وسيرتهم النضالية، وما أكثر الأبطال، سواء الذين مضوا وغادروا دنيانا بهدوء دون أن يُكتب عنهم شيء، أو أولئك الذين ما زالوا بين ظَهْرَانينا أحياءً يرزقون، ممن لم تُدَوَّن أسماؤهم أو تُوثَّق بطولاتهم ومواقفهم في سفر تاريخنا الوطني.

والفدائي "عِمْرَان"، واحدٌ من هؤلاء الثوار الشجعان، وبطلٌ من أبطال هذا الزمان، الذين نسجوا ببسالتهم وإقدامهم خيوط فجر الاستقلال، وأسهموا بقسطهم في جميع المراحل اللاحقة واحتفظوا بشموخهم وقاماتهم الإنسانية في وجه العواصف والمحن التي واجهت الثورة والوطن في الكثير من المنعطفات الخطيرة.

عِمْرَان، هو الاسم الحركي للفدائي والقائد الميداني المقدام والجسور صالح فاضل حسين الصلاحي، عُرف به بين رفاقه خلال العمل الفدائي، الذي تطلب السِّرية المطلقة، طيلة سنوات الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني منذ انطلاقة الثورة في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م وحتى عشية الاستقلال الوطني ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، وهو

كما عُرف عنه فدائي من الطراز الأول، مقدام حد التهور والاندفاع، غير هياب، لا يعرف التردد والجبن.

في الحقيقة، أن الفدائي "عِمْرَان" يعد أنموذجاً لعددٍ غير قليل من الأبطال الأفذاذ الذين تمردوا على القيم القديمة بمثالبها وشرورها وكانوا مع أبناء جيلهم جسر الانتقال إلى قيم العصر، فقد بدأت نشأته وتكوينه في بيئة قبلية، عانى، تعب، تألم، جاع، منذ الصرخة الأولى لولادته، مروراً بسنوات الطفولة والشباب، مصطدما بقيم قَبَيلة غاية ما يحلم فيه الفتى أن يكون له بندقية وجنبية.. ثم تمرد على تلك القيم في وقت لاحق حينما اتسعت مداركه ورؤاه حول العالم المحيط.

عدن المدينة الرائدة التي سبقت محيطها العربي بكل شيء، مثَّلت مرحلة فاصلة في حياته، مثلما كانت كذلك لكثيرين من أمثاله. هنا تعمقت صلته بعالم أوسع من عالم القرية الضيق. وهنا تفتح وعيه وتشكلت معالم حبه لوطنه ولحريته منذ طفولته.. عدن، القلب النابض للوطن، والمدرسة التي تشرب فيها معاني الوطنية والحرية وتفتحت فيها عيناه ورؤاه، منذ أن وجد نفسه فيها غريبا لا يحق له فيها أن يتعلم أو يعمل بحرية، في ظل المستعمر، ولعل هذا أحد الأسباب التي دفعته لاحقاً إلى اختيار طريق النضال والتغيير، طريق العمل الثوري، الذي اقتنع به بعد معاناة ومخاض صعب جرّب خلاله الغربة، التي كانت هي الأخرى تجربة هامة في حياته بمتاعبها ونجاحاتها وإخفاقاتها، وتركها عن اقتناع رغم نجاحه المنقطع النظير فيها وحصوله على التابعية السعودية التي هي حلم كثيرين، كما غادر العمل الخاص في مهنة البناء التي يشتهر بها أهله "آل بن صلاح" وتعلمها برفقة عمه منذ صغره، وكان له أن يكسب في هذه الحرفة المحترمة في يافع، خاصة وأن أجرة البنائين مغرية، لكنه لم يكن يتردد في العودة إليها متى ما دعت الحاجة لذلك، وغالبا للحصول على المال في سبيل مواجهة متطلبات المعيشة وخدمة هدفه الثوري.

لم تكن الثورة عنده، مجرد فعل ثوري مساير لها، وإنما هو توجيه وتأجيج لها، ولهذا كافح بهوادة ضد المستعمر وكان الفعل عنده التزام صارم ومشاركة فعاله لا تخلو من الإقدام والمغامرة. وفي هذه المذكرات نعيش معه أجواء هذا الفعل الثوري والعمل الفدائي، لحظة بلحظة وهو يسطر تلك الملاحم والبطولات مع رفاق دربه، كتفا لكتف، ونحس بمعاناته واندفاعه ومغامراته التي عرضته للموت المحقق أكثر من مرة.

عندما نتذكر فدائيا أو مناضلاً، نذكره في الأغلب بأعماله ومواقفه التي سجلها وسطرها في سفر الثورة ومراحلها اللاحقة. قد نقرأها مكتوبة عنه أو

نسمعها مما تتناقله الألسن. وصالح فاضل الصلاحي "عِمْرَان"، متعه اللهُ بكامل الصِّحّة والعافية، يتميز بالبساطة والتلقائية والتواضع الجم، وهو صالحٌ وفاضلٌ حقا –لم يخيب ظن والده حين اختار له مسبقاً ذلك الاسم – وقد عُرف من قبل المواطنين في مختلف المراحل والمناصب التي تسنمها بعدم التَّكبُّر أو الاستعلاء، كما أبعد الذَّات عن الأضواء.

شخصياً سمعت عنه كثيراً منذ وقت مبكر. فمنذ سنوات دراستي الابتدائية مطلع السبعينات من القرن الماضي كان اسمه في منطقة الحد –يافع، ذائع الصِّيت، مِلْء السمع والبصر، ومحل الإكبار والاحترام المقرون بالإعجاب والتقدير.

لم تؤهلني سنّي حينها للتعرف عليه، لكنني سمعت كثيراً عن بطولاته ومواقفه وتواضعه وارتباطه الحميم بقضايا وهموم الناس، وارتسمت صورة البطل عنه في مخيلتي، وترسخت منذ أن تشرفت بالتعرف عليه لاحقاً لأول مرة بقامته الرَّبعة، وشموخ هامته، وملامحه التي تَنِمّ عن اعتداد وحزم، وتواضع جم يجمع بين الوقار والحيوية.

ومؤخراً، حين أسَرَّ إليَّ صديقي الدكتور الطبيب الألمعي محمد صالح الصلاحي بفكرة تدوين وكتابة ذكريات والده، وإعدادها للنشر، سررت جداً لذلك الخبر السار والمفرح، واعتبرت ذلك خير وفاء وأفضل تكريم لهذا المناضل الفذ والجسور من ابنه البار، وهي بادرة طيبة ستترك أثرها الطيب في نفسية والده، وتكسر القاعدة الرتيبة التي درج عليها معظم الناس في تدوين سيرة الأبطال والتغنّي بمآثرهم بعد رحيلهم. ثم أن في هذا الصنيع الحسن فائدة توثيقة هامة تخدم تاريخنا الحديث وتضيف إليه صفحات ناصعة من سِفر تاريخنا الوطني كاد أن يطويها النسيان.

وكما علمت من الدكتور محمد، لم يكن والده يرغب في كتابة مذكراته، لولا إلحاح ورجاء أبنائه وأحفاده وأصدقائه، حتى أقنعوه بعد لأي وتمنّع، بأن يدلي بشهاداته شفويا، وجرى ذلك في جلسات متقطعة كان يتم تسجيلها على أشرطة تسجيل أو يتولى نجله محمد تدوينها كتابيا مثلما سمعها من والده في أكثر من جلسة وفي أكثر من مكان، كان يروي فيها ذكرياته دون رتوش أو تصنع وعلى سجيته، وقد اعترف أن ذاكرته لم تسعفه في استحضار كثير من الأمور بسبب كبره، ومعروف لنا أن الذاكرة خَئُونٌ، وقليل ما تُسعف صاحبها، خاصة في مثل هذا السن التي طوي فيها ٨٣ عاما من عمره المديد إن شاء الله، ومع ذلك فقد أظهر

لنا من خلال ما جادت به ذاكرته أنه يتمتع بذاكرة نقية، لم تغادرها الكثير من الأحداث والأشخاص وبعض التفاصيل، ربما لأنه كان من صُنّاع تلك الأحداث فلصقت بذاكرته جيداً ولم تبارحها.

خلال روايته لذكرياته أطلق النفسَ على سجيَّتها، وحَسْبَهُ أنه كان صادقاً في سردها، كما في كل مواقفه. كان يعيد أحياناً ما سبق أن قاله أو يكرر بعضه مع الكشف عن معلومات جديدة لم يقلها من قبل، وهو ما تنبه له نجله د.محمد الذي كان المتحمس الأكبر لهذا العمل، فغربل وعدل ورابط هذه الأحاديث، بل وكان يطرح على والده أسئلة إضافية لينتزع منه معلومات مكمّلة لموضوع كان قد بدأه أو حادثة معينة نسيها أو يقوده إلى موضوع جديد آخر لم يكن في الحسبان. ثم تولى د.محمد، بعد ذلك، تفريغ أشرطة التسجيل "الكاسيت" وتدوين وجمع محتوياتها ثم إعادة ترتيبها وصياغتها، دون تدخل في الأفكار والوقائع التاريخية، سوى بإلباسها لغة فصيحة، أظهرت مقدرة الطبيب المتميز الناجح في تخصصه، وأنه مثلما يجيد الإمساك بالمشرط والمنظار الطبي كطبيب ماهر ومشهور على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية، فأنه متمكن أيضاً من الإمساك باليراع، وإجادة فن الكتابة بإبداع، وهذا ما تجلى للعيان، في سحر البيان، الذي أعاد صياغته بإتقان، وبرع بشكل خاص في إجادة الوصف، بما له صلة بتخصصه كطبيب، وهو ما لا يخفى على القارئ اللبيب، وعلى سبيل المثال قوله في وصفه لحادثة إصابة الخضر مسودي، وحالة إحدى عينيه:" شاهدته في مقعده وجسمه مُنحنٍ إلى الأمام دون حراك. كان رأسه مستنداً على مقود السيارة ووجهه مخضباً بالدماء، وإحدى عينيه قد خرجت من محجرها وأخذت تتدلّى في الهواء، تربطها فقط أوتادٌ خفيفة إلى قاع محجرها. أحزنني وآلمني ذلك المنظر، وظننت أن رفيقي قد فارق الحياة"، وهكذا فمن محاسن الصدف أن تكون هذه بداية الإعلان عن موهبة الكاتب الكامنة لدى د.محمد، والتي هي هبة من الله يعطيها من يشاء.

إن هذا الكتاب لا يستمد أهميته من كونه مجرد ذكريات عابرة، أو شخصية تهم صاحبها فقط، بل من قيمته التاريخية والثقافية والاجتماعية، فالكتاب ليس فقط ترجمة ذاتية، وإن بدا في ظاهرة كذلك، من خلال تحليله لمراحل حياته منذ طفولته، لكنه زاخر بالتاريخ الوطني العام، لمراحل هامة تمتد منذ العهد القبلي مروراً بالثورة والاستقلال وبناء الدولة، ونجده لا يقتصر على ذكر سيرته ومواقفه وإنما يحلل تلك المراحل بمستوى من الوعي، فيضفي على هذا الماضي قدراً من رؤية الحاضر.

ونجد أن حضور الأحداث والأشخاص القريبين منه في العمليات الفدائية قوياً في ذاكرته، لكنه للأسف لا يتذكر التواريخ، في معظم الأحداث والعمليات الفدائية التي أوردها، لأنه لم يدونها أثناء حدوثها، لأكثر من سبب، منها أنه أُميٌّ لا يجيد القراءة والكتابة، ثم أنه وهو يناضل كان يواجه خطر الموت في أية لحظة ولم يَدُر بخَلَده حتى مجرد التفكير بمثل هذا الأمر في معمعة الثورة، ولا حتى في سنوات لاحقه، بل ولم يكن يحلم في يوم من الأيام أن يأتي من سيهتم بأمره ويطلب منه نبش ما بقي مطبوعاً في ذاكرته لحفظه من الضَّياع. ويُشفع له أي تقصير أو نسيان أنه في هذه السِّن المتقدمة – أطال الله بعمره ومتعه بالصحة والعافِية - ما زال يحتفظ بفيض من هذه الذكريات. ومع ذلك تظل مهمة التَّحَقُّق من تلك التواريخ قائمة، فربما وُجِدَ من يتذكرها من المعنيين أو الاستدلال عليها من مصادر مكتوبة، لم يكن بوسعنا الآن الحصول عليها.

إن المناضل والفدائي والإنسان "عِمْرَان" يقدم لنا سيرة كَدّ وكفاح، مقرونة بالعمل والفلاح والنجاح، فيها الكثير من الأفراح ولا تخلو من الأتراح. وذكرياته هنا لا تخصه هو فقط، ولا يرسم صورة زاهية لبطولات فردية خاصة به منفصلة عن بيئتها ومحيطها الاجتماعي ولا يتنكر أو يتغاضى عن ذكر مساهمات رفاقه وزملائه الآخرين، بل يوردها حسبما كانت عليه في مجرى الأحداث، وفي سياقها التاريخي، ويذكر دوره ومساهمته فيها كما كانت، سواء كان صاحب الدور الرئيسي "البطل" أو المساعد أو الحارس الذي يحمي ظهر زملائه من المناضلين الأبطال، أو المناضلات "حالة نجوى مكاوي". بل أنه يعطي كل ذي حق حقه، ولهذا يذكر بكل تقدير، وبدافع الوفاء، كل من عمل معه صنيعاً جميلاً أو قَدَّم له مساعدةً أو أسدى إليه معروفاً، عملا بقول الرسول الكريم :" مَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ". ومن أولئك نذكر على سبيل المثال: المناضل المصلي الذي أفصح عن تأثره به وبأفكاره في البدء، أو السائق ابن علوان الذي أخفى مسدسه بدافع وطني، أو القائد بن عليو الذي هَرَّبه وزميله المِسْوَدِي من المستشفى ونجَّاهما من السجن المُحَقَّق أو الإعدام المُحتَمل، أو الدكتور سالم أحمد الوالي الذي فتح له قلبه ومسكنه في الظرف الصعب. وهو بهذا الصَّنيع يؤكد أيضاً على أن نجاحه لم يكن بمعزل عن تعاون الجميع، وكأن لسان حاله قول الشاعر:

فقد أنسى الإساءة من حسود ولا أنسى الصَّنيعة والفِعالا

ويعرف الكثيرون العلاقة النضالية والشخصية المميزة والحميمة التي ربطته بسالمين منذ سنوات الكفاح المسلح، قبل أن يتسنَّم رئاسة الدولة، حينما كان كل منهما يواجه مخاطر الموت المحتمل في أي لحظة مع كل عملية فدائية يتم تنفيذها، وحتى اللحظة الأخيرة المؤلمة من حياة سالمين.. نتعرف هنا أكثر على صفات سالمين الإنسانية وبساطته التي عُرف بها، وشوقه الذي لم ينقطع إلى كوخه البسيط وحنينه إلى خبز أمه في بيتها البسيط الذي لم تفارقه في أطراف زنجبار -أبين، وكل ما طلبته من ابنها الذي صار رئيساً أن يبني لها حماما فيه فقط، فبناه على نفقته الخاصة وسدد تكاليفه من راتبه.. أنها البساطة..النقاء..التي لم تلوثها إغراءات السلطة.

من النادر أن يكتب المرء ذكرياته بصراحة وبقلبٍ مفتوح ودُون تحفُّظ، فقد أعتدنا في كثير من المذكرات أن نقرأ جانباً من رؤية أصحابها للأحداث، دون أن يلامسون الصفات الخاصة بهم أو إبداء الرأي الصريح بمعارضيهم، حيث تطغى لدى بعضهم روح نفي الآخر وشطبه من التاريخ، وهو ما كنا نقرأه في موقف كثيرينٍ السلبية من جبهة التحرير، التي أنصفها عِمْرَان هنا وأعتبرها فصيلاً كفاحياً أسوةً بالجبهة القومية. كما نجد في هذه الذكريات مواقف كثيرة تستحق أن تدوَّن، لأنها تنبض بالوطنية الحقة وبالمشاعر الإنسانية الجيَّاشة، ونلمس في محتوياتها صدق وأمانة صاحبها وشجاعته المعهودة، وصراحته وشفافيته في الطرح، دون تحفظ، بل أنه لتواضعه لم يأنف أن يلوم نفسه، أو يعترف ببعض أخطائه، بل ولا يتعإلى أن يقول عن نفسه كلاما قد يتحرج آخرون من إيراده عن أنفسهم، وربما تغاضوا عنه وتناسوه، لا سيما تلك العبارات التي سبق أن وُصِف بها وأثارت حفيظته وأججت غضبه حينها. كما في حادثة الشيخ العسيري الذي سمع عن بطولاته خلال مؤازرته لأبناء جلدته ثم قوله عنه حين رأى جسمه القصير والهزيل "صيتك ولا صورتك"، أو لقب "الأدوع" الذي أطلقه عليه سالمين، كرديف للمغامر المقدام والمندفع بتهوِّر في مواقفه وأفعاله التي تصدر عن العاطفة بدل العقل، كما يعترف بذلك، أو تشبيهه بـ"مقرمة بنت الجيران" حين كان يخالف قاعدة العمل الفدائي فيشارك في عمليات لم يكن مكلفا بها من قبل قيادته.. بل لم يخفِ تذمره من قصر قامته وهزاله في شبابه، مع أن المثل الشعبي يقول "ما ينفع القصر والطول، الآدمي من فؤاده".

وبالمثل لم يتحَرَّج من الاعتراف صراحة بمواقف حاسمة انقلب فيها ١٨٠ درجة ضد رغباته.. وتجلى ذلك أولاً في موقفه من فتنة الأهل "آل بن صلاح" الذي سعى

لوقفها في مهدها، فقَدَّم سراً المال للوسطاء بغية إطفاء جذوتها، وأراد أن يكون مسعاه ذلك لخدمة الرحمن، وحين عجز عن ذلك اشترى السلاح "رشاش البرن" لخدمة شيطان الفتنة، لكنه سخره مرة أخرى لينتفع به الوطن في توجيهه ضد المستعمر. ثم الموقف الثاني، وهو الأصعب وتمثل في خيار الوقوف الصَّعب ضد سالمين في اللحظات الأخيرة، بدافع استفزاز اللحظة الذي فرضه عليه جاعم صالح. ولولا عناية الله، وحسن طالعه، لكان لقي حتفه في تلك الأحداث إلى جانب رفيق دربه سالمين، كما كان قد عزم أمره واتّخذ قرارهَ بصورة جازمة.

لقد كتب الله له السلامة من موت محقق أكثر من مرة، سواء أثناء حرب التحرير، حينما كان يصول ويجول بمغامراته الفدائية وميله إلى إلقاء نفسه في المخاطر والشدائد وهو يخوض غمَرَات العلميات البطولية ويقتحم أهوالها، دون أن يحسب للعواقب حسابا، أو أثناء الصراعات والأحداث الدامية التي جرت بين رفاق الأمس ممن تحولوا إلى "الأخوة الأعداء" وكان وقود تلك الأحداث أعز وأقرب رفاق دربه، خاصة سالمين ومطيع، اللذان ارتبط بكل منهما بعلاقة مميزة...بالإضافة إلى قوافل أيضا من بقية المناضلين ممن التهمتهم تلك الصراعات في أُتُونها.

ويكفيه فخراً أنه آمن بالثورة وبقدرة الشعب على التغيير، ومن أجل هذا رفع صوته ضد الاستعمار وضد الظلم والتسلط، قبل وبعد الاستقلال، وجعل من حياته ومواقفه قلعة باسلة شريفة تدافع عن الناس من ظلم الناس، كما في قصة تحرير العبد أثناء عمله في السعودية، أو مساعدته للمرأة المكافحة في اطلاق سراح ابنها من حجزه البعيد في جزيرة سقطرى، ومع كل ذلك فلم يسلم من تآمر رفاق النضال عليه، ممن ركبوا موجة الثورة في الساعات الأخيرة وتطرَّفوا في الأفكار والممارسات الخاطئة التي لا صلة لها بالقوانين، ولعل أسوأها تلك التي تفقد الناس حياتهم لمجرد الشك بتآمرهم، لكن محاولاتهم انفضحت وفشلت.

نعم، ما أروع أن تصدر مذكرات مناضل جسور وفدائي بارز في حياته، بعد رحلة عمر زاخرة بالنضال والمواقف، يسجل فيها كل ما يتذكره عن سنوات الجمر والنضال بأمانة وإخلاص، موضحاً توجهاته ومشاربه الفكرية والثورية التي آمن بها وانجذب إليها منذ شبابه، وأدواره ومواقفه اللاحقة دون أن يستجدي من أحد مدحاً ولا مجداً، ويشرح المواقف والأحداث، بما فيها مغامراته التي ذكرها، دون أن يجَمِّل أدواره الشخصية أو يضفي عليها هالة من البطولة الزائفة.

لقد أخضع ذكرياته لموقفه الاجتماعي وثقافته وقيمه المكتسبة، وقدم لنا فيها مادة دسمة تجمع بين الخاص والعام، بين المتعة والفائدة، وعرفنا منه كيف كانت وجبة غذاء بسيطة وفي مطعم شعبي "مكافأة مغرية" للفدائي حينها على عملية جريئة ينفذها. ولا شك أن القارئ أو الباحث سيجد ضالتّه في العديد من التجارب والمواقف التي وردت بلغة سلسلة، بسيطة، أحسن قيادها وحولها إلى لغة أدبية نجله د.محمد، فجاءت المتعة مضاعفة.

أعتقد أن الفدائي عِمْرَان وهو يسترجع ذكرياته الآن، بعد عُمْر حَفَلَ بالأحداث والمواقف، يقف متأملا أمام جردٍ لما تحقق وما لم يتحقق من أحلامه، ورغم كل الانكسارات التي آلت إليها الثورة بعد الاستقلال بفعل الصراع على السلطة بين رفاق النضال، فأنني أخَالَهُ اليوم راضياً عن دوره ومواقفه الوطنية والاجتماعية وأفعاله الحسنة وسيرته المحمودة، وسعيداً جداً في كونه نجح حيث أخفق والده عندما لم يتيسر له تحقيق حلمه في أن يلتحق بالمدرسة ليواصل تعليمه لأسباب أوضحها، لكنه تعلّم وبلغ النجاح تلو النجاح في مدرسة الحياة والكفاح.. وأحيا حلم والده مجدداً وحققه من خلال حرصه على تعليم أبنائه وأحفاده. ومنهم اليوم هامات في تخصصاتهم، الدكتور محمد من أشهر أطباء أمريكا في الأمراض الباطنية وأمراض الجهاز الهضمي. والدكتور عادل من الاختصاصيين المعروفين في الأذن والأنف والحنجرة في عدن وصاحب مستوصف باسمه في خورمكسر، وعدد من أحفاده يواصلون تعليمهم الجامعي.

ختاماً أقول يحق لنا بمثل هذا البطل الجسور والمقدام أن نعتز.. وبمثل مواقفه أن نفتخر.. و ما أحوجنا إلى دراسة تراث وذكريات الفدائي الرائد والمِقدَام "عِمْرَان" لاستخلاص الدروس والعِبَر النافعة وما أكثرها.. ولهذا نقدم هذا العمل للأجيال ليكون زاداً لهم، يقتبسون منه ما يكون عوناً لهم في رحلة الحياة، خاصة من قد تضعهم الأقدار في ظروف مماثلة أو قريبة لتلك الظروف، فيكون بطلنا "عِمْرَان" مثلاً لهم يستلهمون منه روح التحدي والإقدام في تحقيق طموحاتهم ومواجهة ما قد يعترضهم من مشاكل أو صعوبات.

كيف جاءت فكرة هذا الكتاب

د. محمد صالح فاضل الصلاحي

فكرة الكتابة عن تجربة الوالد صالح فاضل مع الحياة وتوثيق الأحداث والوقائع التاريخية التي كان مشاركاً فيها أو شاهداً عليها، ظلت هاجساً يراودني منذ بداية التسعينات، وهي الفترة التي أكملت فيها دراسة الطب البشري. وكان يُثنيني عن تنفيذ وتحقيق هذه الفكرة تردده وعدم رغبته في إعادة شريط الذكريات، لأنه يرى فيها نَكْئًا للجراحِ وتقليباً للمواجع. أو كما يبرر ذلك أحياناً بقوله: إن البشر يستمتعون عادة بقراءة القصص الذاتية، الكتب والروايات الإنسانية التي تسليهم وتنسيهم هموم الحياة وأحزانها، بل ويرغبون في أن يعكس أبطال تلك الروايات وظروف حياتهم ونجاحاتهم تطلعات القراء وطموحاتهم في حياة مشبعة بالنجاحات وفيها شيء من السكينة والأمن والطمأنينة، أما قصتي فهي من ألفها إلى يائها صراع ومعاناة. كان يسألني، تارة: عن ماذا تريدني أن أكتب؟ هل عن طفولة بائسة اتحدت فيها صعوبات الحياة مع قوانين الاستعمار التي زادتها مشقة وقساوة، وحُرمت بسببها من الدراسة ومن التمتع بطفولة هادئة وناعمة، بل ودفعتني تلك الظروف لأن أُفكِّر وأتصرف كالكبار، ومع هذا لم اتوفق في الحصول على فرص عمل آمنة. أم هل سأكتب عن الهجرة إلى السعودية في رحلة أغلبها كان سيراً على الأقدام، حفلت بالخوف من المجهول ومما تخبئه الأيام؟. أم عن مشاركتي في فتنة الأهل التي أباح فيها الأخ سفك دم أخيه؟.

قلت له: دعنا نبدأ الكتابة عن دورك في مرحلة الكفاح المسلح ومرحلة ما بعد الاستقلال، فهما حسب وجهة نظري أقل مراحل حياتك تعقيداً ومعاناة، فالعمل في هاتين المرحلتين كان منظماً وهادفاً لتحقيق استراتيجية واضحة المعالم.

تنهَّد بعمق، وقال: يا بُني لقد خسرت خلال هاتين المرحلتين رجالاً حقيقيين، من أشرف وأنبل من أنجبتهم أمهات الوطن. فلقد سَمَا صُنَّاع ملحمة الاستقلال الوطني على المصالح الدنيوية الضيقة واتحدوا بإخلاص وتسابقوا للموت على محراب الحرية ومن أجل السيادة الوطنية. بعض من هؤلاء اُستشهدوا قبل ان

يمتعوا أنظارهم بارتفاع علم الاستقلال خفاقاً وعاليا في سماء الوطن، والبعض الآخر استشهدوا في مرحلة تثبيت الاستقلال الوطني. وآخرون، وهذا ما يحزنني أبداً ويجعل الكتابة صعبة ومؤلمة، كانوا شُهداء تآمر الرفاق على الرفاق.

فهل أكتب عن تفاصيل لقائي الأخير برفيق النضال سالمين، وهي أصعب المواقف وأكثرها إيلاماً للنفس. وأنه ليحزنني جداً ويحز في نفسي حتى يومنا هذا أن يكون هذا الإنسان قد ودَّع الحياة وهو يشعر بخذلان أقرب الرفاق وأخلصهم له. كنت لا أؤمن بأن ذاك اللقاء هو الوداع الأخير، لأنني لم أتخيل بأن رفاق الدرب الطويل قد سأموا تلك العلاقة فقرروا تقصيرها بجريمة التآمر على أخلص وأعظم الرفاق وأنزههم. أم عن ما أعقب ذلك من نسج خيوط التآمر نفسها على رفيق الدرب الأخ محمد صالح مطيع؟. أم عن كيف طحن الرفاق بعضهم بعضاً في مؤامرة ١٣ يناير؟. وكان يختتم كلامه بالقول: إنك تَدعُوني لأعيش أحزان الحياة وتجاربها المريرة مرتين.

في كل مرة نعيد الحديث حول التوثيق كنت أحس بأن نوبة من الغضب ممتزجة بالحزن تنتابه عندما يتحدث عن تلك المنعطفات التي عصفت بصرح فريد من تجارب بناء سلطة النظام والقانون. قال لي يوماً: لقد كنت أؤمن بحقيقة أن رفاق الخندق الواحد والمترس الواحد والقضية العادلة الواحدة لن يغُدروا ببعضهم، مهما كانت الأسباب والظروف، لأن من حمى ظهرك يوماً واستعد لتلقي رصاص جنود الاستعمار بصدره، حتى تنجح في تنفيذ عملية فدائية، لن يأتي يوماً ما ليغرس خنجره في ذات الظهر.. وأن الفدائي الذي وقع يوماً في الأسر وتعرَّض لما لا تستطيع قدرة الإنسان على تحمله من صنوف التعذيب، وفضل الموت بصمت على أن يفشي أسماء أعضاء خليته السرية.. هذا النموذج الإنساني الرفيع كان على الكل أن يصونه ويحميه، فلا الديانات السماوية، ولا قوانين وأعراف البشر تسمح بأن يأتي الرفاق يوماً للتآمر عليه، ولا أن يتآمر هو على الرفاق.

حتى يومنا هذا وأنا ما زلت أبحث عن أي حجة تبرر حلقات التآمر في تاريخنا الحديث، لكني لم أجد سبباً حقيقاً واحداً. لا أعرف هل كان تبني ايدلوجية دخيلة وزائلة لم يباركها الله هو السبب في كل تلك الكوارث أو في جزء منها. أم إننا سمحنا لأوباش صالونات التآمر في التغلغل في أوساطنا فنخروا كالسوس جسور العلاقات النضالية المتينة. إن ما حدث من تآمر لم أصدقه ولم أستوعب أسبابه، ولم أقتنع بأن قتل الأخ أو الرفيق أمرٌ مشروع أو مباح في أي عرف أو شرع أو دين،

وسأظل انظر إلى كل من حاك خيوط التآمر ونفذه بأنه قد خسر شرفه وشوَّه جمال ما سبق من تاريخه.

إن محنتي كبيرة، والكتابة عن تلك المحنة صعبة ومؤلمة، فالمنتصر والمهزوم، والمُتآمِر والمُتآمَر عليه، هم جميعاً رفاقي، تارةً حموني، وتارةً حميتهم، في عمليات عسكرية جريئة عجّلت برحيل الاستعمار.. هل سأروي صفحات كلها رثاء لشهداء تآمر الرفاق على الرفاق؟.. أم أصُبّ سيل اللعنات على كل من سَلّم أمره لأوباش الليل وحائكي التآمر ممن أنكروا وشككوا برفاق دربهم من صُناع الثورة، فمنهم من رسم وخطط لحلقات التآمر، وهناك من شارك ونفذ، وآخرون آثروا التفرج بصمت على مسارح التآمر، لقد تناسوا في غفلة من الزمن إننا بوحدتنا فقط صنعنا قوة الجنوب وأبرزنا كبرياءه وجسدنا هويته الوطنية وبنينا دولته، دولة النظام والقانون، فأصبحت تجربة الجنوب مميزة وفريدة في الوطن العربي.

أما بالتآمر فأضعفنا الجنوب ومزقناه، وجاءت الوحدة اليمنية لتحقق حلم الإنسان الجنوبي والشمالي في العيش في دولة موحدة تأخذ وتتبنى كل إيجابي من التجربتين وتنبذ كل جوانب السلب والفساد من النظامين السابقين، لكن للأسف دخلنا الوحدة ونحن متفرقين ومتناحرين وضعيفين لأننا نحمل تاريخاً مُخجلاً من التآمر على بعضنا البعض، وهذا ما أغرى الطامعين وقياصرة الفساد ليتمادوا في أطماعهم، بل وليستبيحوا الأرض والكرامة والهوية والتاريخ الجنوبي.

رغم كل المبررات التي سردها الوالد آنفاً، فإن ما كان يدفعني لإعادة محاولة إقناعه ورفض الاستسلام لما وصفها بمحنة التوثيق، هو ذلك الضغط الذي تعرضت له من قبل كثير من محبيه ورفاقه أو ممن عايشه أو عرفه وإلحاحهم على أهمية وضرورة تدوين ونشر مذكراته، ومعاتبتهم لي، بل وحتى اتهامهم لي صراحة بالتقصير، لكنهم جميعاً كانوا يجهلون أسباب ذلك التعثر والتأخير.

شاركت في إحدى الندوات العلمية العالمية التي عقدت في العاصمة الامريكية واشنطن، واستمرت خمسة أيام تم خلالها عرض ونقاش آخر الأبحاث والاكتشافات في مجال تشخيص وعلاج امراض الجهاز الهضمي والكبد. وعندما علم السفير محمد عبد الرحمن العبادي بحضوري، استضافني وخصص جزءاً من لقائنا لحديث امتزجت فيه لغة العتاب والنقد وأحياناً اللوم لعدم شروعي بالكتابة، ولقد حرص أن يعاملني ضيفاً، ورغم شدة الانتقادات، الاّ أنه طرحها بأسلوب الدبلوماسي المحترف، فكان يتعمد اظهار الابتسامات بينما يكيل الاتهام لي

بالتقصير. قال لي:" هناك قليلون من الرعيل الأول من المناضلين الذين ما زالوا على قيد الحياة ممن يحملون موروثاً نضالياً كبيراً ومتنوعاً كتاريخ والدك، الذي ارتبط اسمه في عقلي منذ عرفته بالشجاعة والاخلاص للوطن وأبناء الوطن، وسيظل يُذكر عند كل من تعامل معه بأنه النموذج الذي حافظ على نقاء معدنه الأصيل، وسيفخر تاريخنا الحديث بأن يقدمه كواحد من المناضلين المتميزين بشجاعة مواقفه وصدق نوايا أعماله ونظافة تاريخه، في زمن قلّما تجتمع كل تلك الصفات في شخص واحد". وختم كلامه بقوله:" إن قناعتي لا حدود لها في أنه اذا ما كتب تاريخه النضالي فسيكون صادقاً، كما عهدناه، في توثيق الأحداث والوقائع، ووفياً ومنصفاً لرفاقه من هامات التاريخ الجنوبي الحديث، خاصة أولئك الذين استشهدوا أو ماتوا فدفن معهم تاريخهم أو جزءاً منه".

بعد انتهاء الندوة العلمية أَصَرَّ السفير العبادي على أن يترك مهام عمله ويودّعني إلى المطار، واستغرقنا طوال الطريق في الحديث عن القضية الجنوبية وكيف ينبغي على أبناء الجنوب ان يتساموا فوق جراحات الماضي وخلافات الحاضر ويتحدوا لنصرة قضيتهم العادلة. وصلنا المطار وقبل أن يودعني قال:" لقد أخبرني ابني الدكتور صلاح بأنك حاصل على أعلى شهادة علمية في مجال تخصصك، البورد الأمريكي في الأمراض الباطنية وأمراض الجهاز الهضمي، إنني بحق فخورٌ بك، لكن هل أدلك على شهادة جديدة توازي في أهميتها، بل وقد تفوق شهادات البورد الأمريكي؟ ". صَمَتَ بعدها في انتظار ردة فعلي، ويبدو أن صمته قد أشعل في داخلي رغبة كبيرة في معرفة أي شهادة يعنيها. فسألته: أي شهادة تقصد؟. قال:" كتابة تاريخ المناضل صالح فاضل، ففي ذلك التوثيق خدمة للإنسان وللتاريخ الجنوبي، سنتعلم من ذلك التاريخ كيف استطاع مناضلو الجبهة القومية تحرير أرض الجنوب العربي من أعتى وأقوى امبراطوريات القرن التاسع عشرة (بالقنبلة والمسدس) وبوحدتهم وإخلاصهم وإيمانهم بقضيتهم وبولائهم لقياداتهم. فالتوفيق الحقيقي للعوامل التي كانت أساس تحرير الجنوب ستجعل شرفاء الجنوب يستلهمون منها عوامل وأسرار النجاح. أتدري ماذا سنسمي تلك الشهادة؟. إنها شهادة المشاركة في إنصاف تاريخ تحرير الجنوب العربي من الاستعمار البريطاني".

ودعته وانا أكن له كل التقدير لأنه يمثل في واشنطن قضية وطن وهموم شعب ويتصرف بوازع من الغيرة على هوية الجنوب وتاريخه وكرامته. عُدت من هذه

الزيارة وكلي تصميم على إقناع الوالد في الكتابة مهما كانت الحجج، لعلنا بذلك نخدم الوطن، هويته وتاريخه.

قوة الحفيد في التأثير

في عطلة نهاية كل أسبوع جرت العادة أن يجتمع كل أفراد عائلتي في منزلي، في ضواحي مدينة روتشستر نيويورك، ففي ذلك التجمع نشعر وكأننا نلتقط الأنفاس بعد أيام من العمل المضني أو الدراسة.. وفيه تسود الفرحة أكثر بوجود الوالد صالح والوالدة بيننا، فنتجاذب أطراف الحديث والذكريات، التي لا تخلو عادةً من الشوق والحنين للأرض والتاريخ والإنسان.. نستمتع جميعاً بقصص وذكريات الوالد الكثيرة، المفيدة واللطيفة، سواء التي جرت له أو كان شاهداً عليها. لكنه كان يتجنب في لقاءاتنا تلك الخوض في الأحداث المأساوية والمؤلمة التي عاش أحداثها ونتائجها.

بيد أن ما ميز عطلة الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر ٢٠١٠م هو التساقط الكثيف للثلوج فاكتست الأرض وسطوح المنازل والأشجار بحلة بيضاء لها جمالها ورونقها الخاص والمميز، لكن ما يعكر صفو التمتع بجمال طبيعة شتاء ولاية نيويورك هو بردها القارس، فيلجأ البشر للاستمتاع بدفء البيوت، وما يزيد ذلك دفئاً ومُتعةً هو تجمع كل أفراد العائلة. اكتمل اللقاء العائلي بعودة ولَدَاي عِمْرَان وعمار من كلياتهما، وبشائر الفرح تشع في وجوههما. كان أول ما قاما به هو تقبيلهما رأس جَدّهما صالح.. قدّما له بعدها قهوة البُن "المخا" التي تتميز في تحضيرها مقاهي "الاستاربوكس" الامريكية مع قطع من البسكويت الذي يحب أن يتناوله مع القهوة.

سألتهما ممازحاً: لماذا هذا التمييز بين الجَدّ والأب؟ أليس من الواجب عليكما أن تحضرا لي القهوة فأنا الآخر أحبها لأنها يمنية الأصل، لكن بالنكهة الامريكية؟!. قالا لي بذات الأسلوب: عندما تكون سبباً في أن نحصل على الدرجة الكاملة في أي من المواد الدراسية، عندها سنحتفي بك هكذا. لم أفهم قصدهما، فسألتهما: عن أي درجة كاملة تتحدثان، وكيف استطاع الجد أن يساعدكما؟.

انبرى عِمْرَان متحدثا باسمه واسم أخيه قائلا: أنت تعرف أنه إلى جانب دراسة المواد العلمية التي تكون الأساس لشروط دخول كلية الطب البشري أن علينا، لشمولية المنهج، أن نختار بعض مواد علوم السياسية والاقتصاد والتاريخ واللغة وتقديم امتحانات دورية بعد كل فصل تتوج بامتحان نهائي. لكن ما يزيد بعضها

تعقيداً أن عليك ان تلقي محاضرة في قاعة جُهّزت لهذا الغرض تقدم خلالها نتائج بحث تتوخى فيه الدقة في اختيار المراجع الموثوق فيها، ولقد اخترنا ان يكون بحثنا في مادة التاريخ عن دور الجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي. عاد عِمْرَان بعدها ليخاطب الوالد صالح بقوله: أتدري لقد حصل كل منا على الدرجة الكاملة لأنك كنت قد أثريت البحث بتفاصيل دقيقة لم تشر إليها المراجع التاريخية التي كُتبت بالإنجليزية أو تُرجمت إليها، مثل طقوس تأدية قسم الانضمام إلى صفوف الجبهة القومية، والسِّر من وراء تكوين خلايا سرية مصغرة لا تعرف أي خلية عن الأخرى شيئاً، وكيفية تنفيذ العمليات الفدائية بتخطيط بالغ الدقة لتحقيق الهدف بأقل الخسائر. لقد انبهر الجميع عندما حدثتهم عن أساليب التكريم الشكلي لمن ينجح في تنفيذ العملية الفدائية، وكيف كان الفدائي يُكرّم بوجبة طعام في مطعم البحر الاحمر في عدن أو على كوب من شراب الليمون البارد في أحدى مشارب الشيخ عثمان، بل ويتم تحديد التكريم بناءً على درجة خطورة وأهمية العملية المنفذة.

لقد أدهشت تلك التفاصيل الطلاب وعلى الأخص البروفيسور المشرف على المادة، الذي سألني عن كيفية حصولي على المصادر التي اعتمدت عليها في محاضرتي. وكان من أظرف الأسئلة سؤال أحد الطلاب قال فيه: إن الفضول يكاد يقتلني حتى أعرف سر اختيارك لبحث عن تجربة تحررية لا تمت لتاريخنا التحرري الأمريكي بأي صلة، بل جرت أحداثها في أرض تفصلها عنا المحيطات وآلاف الأميال؟. فجأة صمت عِمْرَان هنيّة كأنما يحاول ان يختبر رغبة وحماسة جده في سماع بقية النقاش. وبحماس وبشيء من التلقائية كسر الأب صالح صمت عِمْرَان متسائلاً: قل لي أيش كان ردك عليه؟. غمر السرور عِمْرَان لرغبة الوالد في ان يسمع منه المزيد، وفرحت أنا كثيراً لأن في ذلك تهيئة للوالد في ان يفكر جدياً في تدوين تاريخه.

قال عِمْرَان أن ردّه كان على النحو التالي:" صحيح جداً بأن محيطات وبحار وأرض يابسه تفصلنا عن تلك البقعة من الأرض، لكن على الرغم من ذلك ومن الفارق الزمني بين الحركتين، إلاّ أن هناك ثمة تشابه بين التجربتين، فالمستعمر للبلدين كان واحداً، وكِلا الحركتين اتفقتا في الأهداف التحريرية الواحدة وتحقيق السيادة على الارض. أما اختياري لتلك التجربة دون غيرها فلسبب خاص لا يعرفُه الكثيرون منكم، فرغم أنني أحمل الجنسية الامريكية، الاّ ان مسقط رأسي هو "عدن"، تلك المدينة التي كانت تمثل المستعمرة البريطانية الأهم في الشرق

الأوسط، و كانت مسرحاً لملاحم بطولية سطرها أبناء الجنوب العربي بدمائهم بقيادة الجبهة القومية وجبهة التحرير. لكن هناك ما هو أشد خصوصية من كل هذا، هو أن واحداً من العناصر الفدائية البارزة هو الجدّ صالح الذي أعتز، ما حييت، بأنني أحمل اسمه الحركي "عِمْرَان"، ولهذا فأن يكون في عائلتك أحد من صنعوا هذا التاريخ الذي يشرفك ويشرف وطنك ولم تفتخر به فهذا عَيبٌ مشين، يدل على أنك لست في مستوى ذلك الشرف".

كان عِمْرَان يسرد لنا تفاصيل محاضرته بحماس منقطع النظير، فيما الأب صالح يحتسي قهوته وعيناه مسمرتان على الابن عِمْرَان، يصيخ له السمع ويتابع حديثه بشغف واضح. ثم واصل عِمْرَان حديثه بالقول: لقد حاولت أن أختم محاضرتي عن تأثير زيارتي الأخيرة للوطن الأُم في تعميق مشاعر الفخر بالانتماء لأرض آبائي وأجدادي، والحب إلى درجة الولع في البحث عن التاريخ والهوية، وهذا السبب الأخير كان الأهم في اختياري لموضوع تلك المحاضرة. لكن الأستاذ المشرف اعتذر لي بأدب عن الاسترسال في محاضرتي التي وصفها بالممتعة، لكونني قد تجاوزت الزمن المحدد لي بعشر دقائق، وطلب مني أن أقابلة في مكتبه.

وفي مكتبه اخبرني بأهمية توثيق مثل تلك الأحداث بتفاصيلها الدقيقة، ثم سألني هل ألّف جدك أي كتاب عن تاريخ الجبهة القومية؟. كان سؤاله محرجاً لي. لكنني أجبته بأن جَدّي يفكر الآن في كتابة مذكرات حياته ووعدته بأنني سأقوم بترجمتها إلى الانجليزية. ثم قال لي: أتدري أنك محظوظ في أن يكون المصدر الذي تعتمد علية في التفاصيل الدقيقة مشاركاً وشاهداً على ذلك التاريخ، لكن من الناحية الأكاديمية لا تعتمد الاّ المصادر الموثقة، بيد أن أدائك واعتزازك بأصلك وتاريخك وتقديمك لبحثٍ جديد، كل ذلك قد مكنك من الحصول على الدرجة الكاملة. وسألني أيضاً عن زيارتي للوطن وما علاقتها بموضوع المحاضرة. أخبرته عن كيف أذهلني تزاحم الناس في استقبالنا، والترحيب بنا وإكرام ضيافتنا في مدن عديدة، بل في مناطق لم نعرف نحن أهلها من قبل، وكيف حرصوا على استقبالنا في المناطق الريفية التي عمل فيها الجد صالح بإطلاق الألعاب النارية وأحياناً بالرصاص الحي، حيث تسمح قوانين المنطقة بذلك. كنت أتساءل لماذا كل هذا؟ لكن سرعان ما قرأت الإجابة في عيون الناس، وفي تصرفاتهم. فقد كانوا يتحدثون بشيء من الفخر والاعتزاز بعلاقتهم بالجد صالح. كنت أسمع منهم في غيابه عن مواقفه الإنسانية، وشجاعته وثبات مواقفه،

وكان من أجمل وأبلغ ما سمعته من وصف لجدي، ما تحدث به أحد المسئولين أمام تجمع من الناس في المحافظة التي كان يعمل فيها حينما قال:" لقد سقطت أنظمة وسقطت رموزها، وعلى أنقاضها نشأت أخرى ثم أخرى، وبقي هذا الإنسان والرمز واقفاً رافع الرأس شامخا بأعماله الفاضلة وصدق تعامله وثبات مبادئه، لقد حمى رفاقه ووظف سلطته وتأثيره لحماية الناس من التطرف المفرط في تنفيذ القانون، واعترف له العدو بأنه رجل المواجهة، لا الغدر، عشق الأرض فحمى حدودها من عبث أعداء الحياة والحضارة وصان كبرياء ساكنيها فاحتضنته الوديان والآكام واطمأن له جبل"العُرّ" وأهله، وسمى على كل أشكال التآمر، وزهد بالمال وبالسلطة ودافع عن وطنه وأهله، وبسبب كل هذا احترمه العدو والصديق فباركه الله وجنبه شرور البشر، وهذا هو سر بقاء هذا الإنسان حياً معززاً ومكرماً. وعندما سمعت ذلك الوصف تذكرت كلاماً سمعته في صغري ولم أفهمه حينها عندما كان جدي يقول لوالدي: أعترف بأنني لم أورِّث لكم المال، لكن السمعة الطيبة والتاريخ المشرف وستجدونهما يوماً أفضل من المال.

اختتمت حديثي مع أستاذي بالقول: إن بلداً كأمريكا ذات حضارة ورقي وتمتلك كل وسائل التكنولوجيا العصرية يكون التوثيق فيها أسهل ويشمل كل شيء، ولهذا تجد كتب التاريخ تتزاحم بمآثر وأخبار المساهمين في صناعة التاريخ، أمّا هناك في الشرق حيث يسود الجهل والأمية وتنعدم أبسط قواعد الديمقراطية، وحيث التآمر يجعل من المنتصر الصانع الوحيد للتاريخ، وينفرد بكتابة تاريخه المزيف، وليس تاريخ الأبطال الحقيقين صُناع الحياة والتاريخ، ولهذا إذا أردت أن تفتش هناك عن رجال التاريخ الحقيقين عليك ان تبحث عنهم في قلوب وعقول البشر فهي بحق أصدق المراجع وأنظفها. ولا شك أن زيارتي لمسقط رأسي كشفت لي الكثير من خفايا وأسرار تاريخ جدي الذي افتخر به وأحب أن أقرأه واستوعبه وأتمثله. ودعني أستاذي قائلاً :لا تنسَ ما وعدتني به فأنا الآخر أريد أن أقرأ عن هذا الإنسان.

انتهى حديث الابن عِمْرَان فجأة التفت الأب صالح باتجاهي وخاطبني بلهجة فيها نبرة الأمر قائلاً: احضر أوراقك وقلمك، فإن قدري أن أعيش انتصارات الحياة وانكساراتها، أفراحها وأحزانها مرتين. لقد حفزني كل ما سمعت أن أروي الوقائع والأحداث التاريخية التي عشتها وشاركت فيها خدمة للأجيال ووفاء للشهداء وانتصارا للأمانة التاريخية، وكل ما أرجوه أن يعذرني البشر إذا لم

تسعفني الذاكرة في توثيق جميع أسماء من شاركني محطات حياتي الكثيرة والمتنوعة.

قد ينظر البعض إلى أن الكتابة عن مرحلة الطفولة والشباب ليست بالمهمة، لكنني أرى العكس من ذلك، فمن الأهمية بمكان الكتابة عن الواقع الذي عاشهُ أطفال وشباب جيل كامل من أبناء أرياف الجنوب العربي عامة ويافع خاصة، ومن المهم التطرق لظروف حياة ومحن ذاك الزمن والمواقف التي تعرض لها الوالد في العقدين الأول والثاني من حياته والتي أسهمت في صهر وتشكيل شخصيته وسلوكياته في الحياة، لأن الكتابة عن حياته بدون ذلك ستكون ناقصة ومجزأة وركيكة، كما أن إغفال الحديث عن تلك المرحلة أو المرور عليها مرور الكرام يعني اختزال حِقْبَة مهمة من تاريخنا.

إن البيئة التي نعيش فيها والناس الذي نتعامل معهم ونتأثر بهم والظروف التي تواجهنا جميعا تشكل الجزء الأكبر من إيماننا وقناعاتنا وبالتالي تبلور سلوكياتنا ونهجنا في الحياة. ففي الفصل الأول من هذا الكتاب يقف القارئ أمام الظروف القاسية التي واجهها الوالد في العقدين والنصف من بداية حياته، وهي التي صهرت شخصيته وشكلت سلوكياته وقناعاته في الحياة، فطريق حياته لم يكن معبداً أو مفروشاً بالورود، بل كان على الدوام وعراً وشاقاً، فنجد أنه كلما تجاوز عقبة انتصبت أمامه أخرى. لكن ذلك لم يثنه من الصعود، لأنه يمثل ذلك النمط من الناس الذي لن يوقفه شيء حتى يصل إلى القمة لأنه يمقت العيش بين الحفر. لقد عاش وكذا أبناء جيله في صراع شبه مستمر وشبه دائم مع ظروف الحياة وتقلباتها، وتلقى ضربات الحياة المتتالية والظروف القاسية بصبر وجَلَد واقفاً على قدمية بثبات، شاخصاً بأبصاره إلى القمة، مصراً على الاستمرار في المواجهة والصمود، ومع كل صدمة واجهها أو ضربة تلقاها كان يتعلم الدروس وأسرار التحمل والصمود لتحقيق النجاح، فتصلب بسبب ذلك عوده وواجه ما هو أصعب وأشد، فأدرك واقتنع بأن الضربة التي لا تكسر الظهر تقويه.

لقد تعلم ومارس فن الأخذ والعطاء، فأخذ من بن علي عامر وأحس بجمال أثر ذلك الصنيع والكرم في نفسه وعقله، فمارس واتقن لاحقاً في حياته فن العطاء فأصبح الكرم عادة يمارسها ويتصف بها، مدركاً أن الأخذ والعطاء من أهم فنون الحياة، وإذا كان العطاء كرماً إنسانياً يميز مواقف الناس، وشهامتهم وصفاتهم، فإن الأخذ فن بشري تتعمق فيه الصفة المشرقة والجميلة للنفس، فتعلمك حب

العطاء عند المقدرة ومحاكاة الكرام فتترك ذات الأثر في نفوس من اضطرتهم الحاجة للأخذ.

إن حياة الوالد مكتظة بالأحداث،متزاحمة بالمفاجآت، تفاصيلها دقيقة وكثيرة،لم نكتب منها الاّ القدر اليسير، ومنها نستخلص العبر الفريدة والغنية، تجعلنا بحق نعيش تجربة إنسانية مميزة لإنسان حقيقي تعكس معاناته وهمومه معاناة وهموم جيل لم يكتب عنه الاّ النزر اليسير.

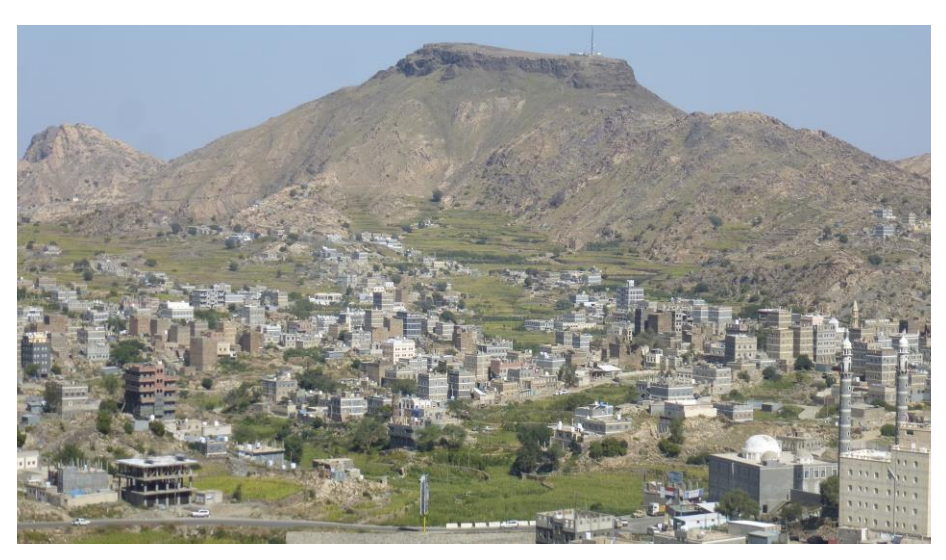
لقد حاولت أن أقدم ذكرياته عن الطفولة والشباب بأسلوب سهل وبسيط، فهنا وهناك بين سطورها تكتمل عناصر الحياة ومكوناتها، فقد حرص الأب صالح على وصف ذلك الواقع الحقيقي لتلك الفترة الزمنية بدقة، متحدثاً عن الناس من الرجال، النساء والأطفال، وعن الأرض والطبيعة والحيوانات، وعن موروث الناس من العادات والتقاليد، وعن شحة الموارد الأساسية للحياة وتأثير ذلك في انتشار الامراض الوبائية التي حصدت أرواح الكثير من البشر.

أرجو أن أكون بهذا العمل المتواضع قد قدمت اجتهاداً أولياً في صنع البداية لكتاب فيه أكثر التفاصيل والأحداث التي لم يستوعبها بعد هذا التوثيق السريع.

في هذه السيرة سنقرأ شيئاً من بؤس الحياة وقسوتها وكفاح الإنسان الدائم من أجل البقاء. ونحمد الله على نعم القرن الحادي والعشرين، ونحني الرؤوس لقوة وجسارة الآباء والأجداد، ونظل نترحم على من حصدت أرواحهم آفات الموت الثلاثة، الجوع والفقر والمرض، في زمن شحة فيه الموارد والإمكانيات. ونرفع أيدينا بالدعاء لله في أن يسكن موتى المسلمين وموتانا وكل من وافته المنية وذُكر اسمه في هذا الكتاب في فسيح جناته.

الفصل الأول

مرحلة الطفولة والشباب



بعض مساكن آل بن صلاح، في الأعلى: البعلسية والمبعل والمعزوب
وفي الأسفل: الخلوة ورساب وجزء من القندول، ويبدو في الأفق جبل ثمر



مرحلة الطفولة والشباب

في مرتفعات يافع، وفي إحدى القرى اليافعية الجميلة والمتناثرة في السهول والهضاب والمرتفعات، وتحديداً في قرية "البُعْلِسِيّة" من قرى أهل بن صلاح - يافع المعانقة أبدياً لجبل ثمر ترددت أصوات المحاجر "زغاريد الفرح" كاسرة الصمت الرهيب لإحدى ليالي شتاء ١٩٣٢م، وتبعتها طلقات نارية حية في الهواء، كان مصدرها أحد البيوت الحجرية المتواضعة. وعلت بعدها أصوات البشائر والفرحة يتناقلها الناس، نساءً ورجالاً، من نافذة بيت إلى آخر ومن سطح بيت إلى آخر مبشرين إن الله قد رزق فاضل حسين بولد أسماه صالحاً. وكان الأب قد اختار الاسم سلفاً قائلاً:" إذا أتاني ولد سأسميه صالح ليكون ولداً صالحاً".

كان كل من حول المولود صالح يطير فرحاً، في زمن قلّت فيه الأفراح، وكان الأب والأم أكثرهم فرحاً، كان الطفل يبكي كثيراً كلما أحس بالبرد أو الجوع أو بالاثنين معاً. فقد شاءت الأقدار، أن ترى عيناه النور في بيت سبقه إليه الجوع والفقر، وبسبب العوز وضيق حال الأسرة، لم تجد أمه فاطمة ما تلف به جسده الطري، عَدَا بِجَاد خشن وعتيق، عبارة عن لحاف من صوف الغنم، أخذت تلفه حوله ليقيه شدة البرد.

كانت أمي تروي لي في طفولتي المبكرة كل التفاصيل الدقيقة لميلادي، وكيف لطفت العناية الإلهية، وشاءت قدرة الله ورحمته أن تضعني أنا مولودها البكر، في بيتها وليس في أحد الفجاج الجبلية البعيدة، التي كانت يومها تجلب منها حطب الوقود المنزلي، الذي كان الحصول عليه أمر شاق، بسبب ظروف الحياة القاسية التي فرضت على البشر الصراع الدائم من أجل الحياة فالحمل حينها لم يكن يعفي المرأة من القيام بواجباتها داخل البيت وخارجه. لذا كانت الأيام التي سبقت الولادة هي أكثر إنتاجاً وعملاً، فقد كان عليها أن تستكمل العناية الموسمية بالأرض، وتجلب الماء وتجهيز الحطب الكافي للطهي والتدفئة حتى تتمكن من إقامة الوليمة فيما إذا رزقها الله بمولود ذكر.

إن ظروف الحياة الصعبة والشاقة قد خلقت حالة تمييز ومفاضلة كبيرة بين الذكور والإناث، فكان إنجاب الذكور مصحوبا بالزغاريد وبإطلاق العيارات النارية في الهواء وإقامة الولائم، لأن المولود الذكر يضيف رقماً جديداً ودماً جديداً للقرية والقبيلة، وقبل ذلك للأسرة فهو يحمل اسم الأب والعائلة ويورثه ويعتبر بحق من أعظم النعم التي يهبها الرب لعبده. بينما كان الارتزاق بالبنات، في ذلك الوقت، مصحوباً بالهموم ومشاعر الانكسار وعدم الترحيب، ربما لأن الأسرة تشعر بمسئولية إضافية تجاه البنتٍ، ولهذا لا تصاحب ولادتها الزغاريد ولا أية مظاهر للفرحة.

كنت مثل أقراني من الأولاد موفور الحظ من جهة، لأني ولدت في زمن يُعطى فيه كل الحب والاهتمام للذكور، وسيّئ الحظ من جهة أخرى، لأن ذلك الزمن اتسم بالفقر، والعوز، والجوع. وقد التَسَع جسدي الغض الطري الناعم بوخز وخشونة البجاد، وهو لحاف مصنوع من صوف الغنم، كان قد أكرمني فيه العوز والفقر. وأُرهقت بآلام الجوع مُنذ رضاعتي من أُمّ لم تجد الوقت الكافي لإرضاعي، وإن وجدت الوقت فإن ثديها لا يدِرّ اللّبن الكافي، بسبب سوء التغذية، لهذا كان الشبع من حليب الأم ضَرْبٌ من الأحلام والتمني.

لقد أخبرتني أمي كيف كان تصريف وجَدولة العمل داخل وخارج البيت، بعد الولادة يسير بكل يسر وسهولة، إذ إن إرادة الله قد شاءت أن عَمّت الفرحة أيضاً في الأسرة، قبل ذلك بشهور معدودة، لميلاد الابن البكر للعم عاطف حسين، والعَمّة حُسن. كان هناك تناوب وتفاهم بينهن في تقسيم وأداء الأعمال بحيث تتولى إحداهن العناية بالأرض وجلب الماء وأحياناً السفر للجبال والشعاب البعيدة "مثل شَرقذة" لجمع وإحضار الحطب محمولاً على الظهر، وهذا يتطلب أحياناً الغياب لأيام، وكان على الأخرى القيام ببقية الأمور المنزلية والعناية بإرضاع الطفلين. كانت أمي تمتدح صلابتها وقوتها عندما كانت تقول لي:"كنت امرأة قوية يضرب بي المثل بحجم حملة الحطب الكبيرة التي كنت أحملها على ظهري هذا - مشيرةً إلى ظهرها - وأسير لساعات وأيام بخفة ورشاقة في الطرق والمسالك الجبلية الملتوية الوعرة والخطرة"، وكانت تنهي أحاديثها عن ذلك الزمن بقولها:"لا رَدّ الله ذاك الزمن وذاك الحال".

كان اعتماد الأسرة الكلي على مردود أرض زراعية محدودة المساحة تتوزع قطعها الصغيرة "الجِرَب - مفردها جِربة" في مدرجات سهلية وجبلية تعتمد في أغلبها على مياه الأمطار. لذا كانت تعيش الأسرة في خوف دائم من تقلبات

الطقس غير المتوقعة وشبح المجاعة بسبب شحة الأمطار أو الجفاف، وكذا من انتشار الآفات الزراعية، وكان أي نقص في المحصول معناه الجوع. لذا وخوفاً مما تخبئُه الأيّام قرر والدي فاضل حسين السفر إلى بندر عدن "مدينة عدن" حتى يؤمن للأسرة دخلاً إضافياً يساعد في تخفيف وطأة الفقر ويحمي أسرته من الجوع.

قصة تَعلُّمي مهنة البِنَاء

في عام ١٩٤٠ تقريباً طلب مني والدي أن التحق في الكُتّاب "المعلامة" لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، لكن ظروف الحياة الصعبة والفقر المدقع جعل الناس ينظرون إلى الدراسة في تلك الظروف، وكأنها نوع من الترف لا يطولها إلاّ أبناء ميسوري الحال، ولهذا اتجه معظمهم إلى التفكير بتعليم أولادهم الحِرَف العَملية كوسيلة وحيدة للنجاة من الفقر، وكانت تلك هي المحاكاة السائدة. فالسمة التي كان يتصف بها أبناء الأرياف في الأربعينيات من القرن الماضي هي الأمية بجميع أصنافها. إذاً ماذا ينقصك ان تكون أمياً في مجتمع أصبحت صفته الأمية.

هذه هي القناعة التي آمن بها كثير من الناس، وكذا العم عاطف حسين الذي كان يفخر في أنه يتقن مهنة البناء. لقد كان يشجعني وابنه حسن عاطف على تعلم هذه المهنة، الذي يشكل من يمارسونها شريحة مميزة في المجتمع. وكان العم عاطف، من جانبه، يدين بالوفاء لمعلمه في هذه المهنة "حسين ناصر -قرية السُحُلَّة". كان يذهب إليه في كل عيد، وكان علينا أن نرافق العم عاطف، نحمل الهدايا من اللحم والحلوى.. الخ، ونطلق العيارات النارية أمام منزله لتذكيره بأن جميله لم ولن يُنسى.

في ذلك الزمن لم يكن الإسمنت والحديد قد وصلا إلى الأرياف، لهذا عمد الناس للاستفادة من المواد المحلية المتوفرة في الطبيعة، مثل الصخور والتراب والماء وأخشاب أشجار العِلب "السدر" وغيرها، وهي المواد الأساسية التي كانت تستخدم في بناء البيوت. كانت الصخور تُنحت بوسائل بدائية وتُنقَّش وتشكل حجارة البناء بأشكال وأحجام مختلفة حسب الغرض المطلوب. وكانت أشجار السدر"العلب" والتولق تقطع بالفؤوس وتُشَكَّل بالمناشير اليدوية. وكانت الأحجار والأخشاب والتراب تنقل على الدواب وعلى ظهور البشر. فالبيوت الحجرية الصرفة هي السمة

التي تميز بها الفن المعماري اليافعي. كانت مهنة البناء شبه محتكرة وشبه متوارثة لآل بن صلاح، الذي أنتمي إليهم، فالآباء يعلمون الأبناء هندسة وتنفيذ البناء، وهذا يتطلب وقتاً طويلاً يتعلم خلاله أولاً أبجديات قواعد البناء، بدءاً من سد الفتحات الصغيرة وإنتهاءً ببناء الأركان والعقود. فالحصول على لقب الباني في هذه المهنة معناه أن من أشرفوا على تعليمك قد رأوا فيك وخبروا عنك القدرة على الهندسة والتنفيذ معاً.

كان العم عاطف يصطحبنا أنا وحَسَن ابنه للعمل معه وأعمارنا لم تتجاوز الثامنة. كان في البدء يوكل إلينا مهمة سد الفتحات بين الأحجار غير المتجانسة حتى تظهر واجهة البناء الخارجية متساوية، وأيضاً كان يعلمنا القواعد العامة للهندسة المعمارية ولكن بالمفهوم البسيط والبدائي.

كنت أقرأ في وجه أمي تباشير السعادة والسرور، عندما كان يبلغها العم عاطف، بأن صاحب العمل قد اقتنع وقبل أن أرافقه بالإضافة إلى حسن إبنه. كانت حالة الفقر والجوع تجعل الناس يدققون في أصغر تفاصيل نفقات البناء، لذا كانوا لا يقبلون إلاّ من رأوا أن وجوده ضروري لتنفيذ العمل. وإحضار الأطفال الصغار كان مفهوماً بأنه فقط من أجل أن يأكلوا حتى الشبع، وهذا ما سيترتب عنه زياده في النفقات. لقد كان هذا صحيحاً فأنا أيضاً كنت أسمع عبارات التشجيع من والدتي عندما كانت تقول:" هناك ستتعلم جلسات وتصَرُّف الرجال وتتعلم في صغرك قواعد البناء، حتماً سيتصلب عودك وستكون ماهراً في عملك عندما تكبر، والأهم يا بني إنهم سيوفرون لك مالم أستطع توفيره، ستأكل حتى تشبع من وجبات الخبز الساخن وستأكل اللحم في يوم بناء حجر الساس وعند وضع أول أخشاب سقف كل طابق ويوم إكمال العمل "الختيمة"، وإذا كانوا أكثر كرماً فستأكل اللحم بأيام أخرى".

كان البنّاءون قليلي العدد، لكنهم يمثلون شريحة متميزة وراقية في المجتمع، فبسبب فنيّة عملهم كانت أجورهم عالية، وما غيرها من تكاليف البناء كان أمراً ميسوراً على صاحب البناء. فمثلاً لا تحتاج الأعمال العضلية الأخرى إلى أية تقنية هندسية، ويتم أغلبها بتعاون مجاني يقدمه أبناء القرية في جداول يومية منظمة يتم خلالها نقل الأخشاب والأحجار والتراب والماء.

ذلك العمل التعاوني الراقي، الذي يعمق المعاني الحقيقية للتكافل والمودة والوفاء بين الناس، كان يشكل دعامة إضافية لأوتاد مفاصل العلاقات بين البشر. وجعل الناس حينها يشعرون بالأمان والحماية والانتماء للفخيذة والقرية

والقبيلة. هذا النمط من المؤازرة والتعاون بين الناس تلاشى أو يكاد في العقود الثلاثة الماضية. قد يكون سبب تلاشي تلك الظاهرة الايجابية هو تحسن الأحوال المعيشية لأغلب الناس التي جعلت التخطيط والقيام بالبناء مسألة شخصية لا تعني ولا تهم الآخرين. لذا لجأ الناس لابرام اتفاقيات مع المنفذين للمقاولة. تلك التغيرات أحبطت عزائم الناس وقناعاتهم في تقديم العمل التعاوني والمجاني فجعلت فقراء القوم في القرى يعيشون في زمننا الحاضر في البيوت العتيقة والمهترئة. أنني أرى بحق أن إعادة إحياء تلك العادة الإنسانية الجميلة هو أحياء لموروث بشري أصيل يظل الهدف منه تقوية جسور المحبة والألفة بين الناس والتعاون مع الفقراء منهم.

كان بناء البيوت يقتصر على ميسوري الحال حيث كان عدد الطوابق المشيدة يحكي ويعبر عن ثراء الناس وقوتهم ومكانتهم الاجتماعية، لذا تجد إن أحد الأسباب الأساسية لهجرة الناس هو الرغبة في تحقيق حلم الأسرة في بناء البيوت الحجرية التي تحميهم من ظروف وتقلبات الطبيعة. كان الناس يقدرون البنائين ومهنة البناء. فهي مهنة جمعت القدرة العضلية والهندسية، وبسواعدهم القوية تنحت وتمثل الصخور الجرانيتية الصلبة التي تتميز بها جبال يافع لتتشكل بقوالب شبه متساوية وتُرص وتكوّن بُنياناً عالياً مقاساته وأوزانه متناهية الدقة الهندسية. فالحصون والبيوت المشيدة تظل شاهدة على من شيدوها، تحمل أسماءهم وبصماتهم، فهي الشهادة التي تقوم الطبيعة بعرضها دون أي حذف أو تغيير، تحكي عن لمساتهم الفنية والهندسية وكذلك قوتهم. لهذا كان كل فرد منهم يسعى إلى إضفاء لمسات فنية دقيقه تميز عمله عن غيره، فبهذا يترك أثراً جميلاً ومميزاً تفخر الطبيعة ان تعرضه ويفتخر هو وابناؤه بعمل كهذا يشد انتباه البشر إليه، ويزداد في حياته من يقصدونه ليقوم بتشييد بناء مثل تلك الحصون الجميلة.

تعلمي لقواعد البناء في سنوات طفولتي كانت في الحقيقة على حساب تعلمي القراءة والكتابة وحفظ القرآن حيث أن كل فرصة عمل يحصل عليها العم عاطف تعني انقطاعي بالكامل عن دراستي في المعلامة "الكُتاب". ومع ذلك فلم تفدني فرص تعلم البناء في سنوات الطفولة المبكرة كثيراً، لكنها كانت أساساً لنجاحاتي في سنوات تغربي في المملكة العربية السعودية وفي فترة إقامتي في منطقة أبين قبل وأثناء مرحلة الكفاح المسلح.

مرحلة انتقالي إلى مدينة عدن

كان والدي يعمل في بلدية المُعَلاّ، تحت إشراف مدير البلدية، الذي كان اسمه البابو سعيد "هندي الجنسية"، وكانت وظيفته هي المساعدة في الإشراف والعمل في شق طريق عقبة عدن - خور مكسر وتوفير لوازم العمل التي كانت حينها بدائية. فالطرق كانت تشق بالاعتماد أساساً على سواعد العمال واستخدام المعاول والمجارف. وبسبب ما عاناه والدي من ظروف عمله الصعبة في شق الطرقات، التي تستدعي حفر الأرض وردمها وشق الجبال وتكسير الصخور، وتحت أشعة شمس عدن الحارقة ورطوبة جوها العالية، كل هذا العمل الشاق جعل والدي يدرك ويقتنع بأن فرص العمل تكون أسهل وأفضل لأولئك الذين حصلوا على قسط من التعليم، وكان نموذجه في ذلك الموظفين في مكاتب البلدية.

كان أبي يلعن دائماً الأمية التي فَرَضَت عليه وعلى أمثاله أن يعملوا في تلك الأعمال الشاقة والصعبة والخطرة في نفس الوقت، هذا إن توفرت أيضاً. هذه المعاناة حفزته ليعمل كل ما بمقدوره لإلحاقي بالمدرسة وتعليمي حتى لا أعاني في حياتي المستقبلية ما عاناه ويعانيه. وهكذا فما أن علم بتعثر دوامي في تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في يافع، حتى قرر نقلي إلى عدن لتحقيق رغبته في أن أحصل على قدر من التعليم ينوّر حياتي ويسهل ويؤمن مستقبلي ومستقبل الأسرة.

كانت عدن قبلة الكثيرين من الأهل والأقرباء ممن يسافرون إليها طلبا للعلم أو العمل أو الاستقرار. ومنذ رحلتي إليها في طفولتي المبكرة ارتبطت بعدن وهمت بها شغفا وحبا من اللحظة الأولى، وأصبحت أعز المدن وأقربها إلى قلبي، وعشت فيها معظم سنوات عمري.

كانت بيوت الله هي المسكن والملاذ الآمن للفقراء والمسحوقين الذين لا يملكون المال، ولهذا سكنت مع والدي في مسجد الهندي، الذي كان من القائمين عليه علي عبد الله بن عميران. وصالح أحمد البصيري، وكنا أحياناً نسكن في مسجد إسماعيل خدابخش "مسلم هندي" حيث كان أحد المقيمين عليه هو صالح ناصر سعيد، من قرية "المَبْعَل" المجاورة لقريتنا. كانت تلك هي فترة الحرب العالمية الثانية التي لم يسلم أي قطر في العالم من آثارها السلبية. لقد كان الغذاء والملابس يوزعان ببطاقة الإقامة. وكان على أي وافد جديد يريد ان يستقر طويلاً في عدن أن يقدم استمارة طلب للحصول على تلك البطاقة. كان عليّ أن انتظر

ثلاثة أسابيع كي أحصل عليها. وخلال تلك الأسابيع كنت أتقاسم مع والدي حصته من الغذاء.

خلال بقائي في عدن أخذ والدي يغرس في ذهني أفكار حب الدراسة ويشرح ويوضح لي منافعها البعيدة. يقارن ويروي لي كيف يعيش المتعلمون وحملة الشهادات وكيف نعيش نحن. أخذني إلى المدارس وأدخلني إليها بصحبته نستطلع مبانيها وفصولها. لقد أبهرتني ملابس الأطفال وأحذيتهم بتناسقها ونظافتها. فالمدرسة التي سبق لي أن عرفتها كانت تتمثل بالمعلامة "الكُتّاب" التي كنا فيها نفترش الأرض في العراء بملابسنا الرثة والمرقعة، كل هذا جعلني أحلم وانتظر بفارغ الصبر لحظة دخولي إلى تلك المدرسة لأكون واحداً من تلاميذها المحظوظين، ألبس تلك الملابس الأنيقة مثلهم وأقعد على كرسي وأكتب على الطاولة في فصول سقفها الإسمنتي يحمينا من تقلبات الجو وحر عدن الشديد، وبهذا سأحقق أحلام والدي في أن أكون واحداً من أولئك الذين يعملون في الإدارات الضخمة ويسكنون البيوت بدلاً من المساجد.

تلك الأحلام الجميلة التي أسرت عقلي وسيطرة على كياني في أن أكون يوماً أحد تلاميذ تلك المدارس الأنيقة والحضارية والتطلع إلى مستقبل واعد، لم تستمر إلا لأسابيع فقط، سبقت حصولي على بطاقة الإقامة، التي كان والدي يظن أنها كافية لإثبات إقامتي في عدن وبالتالي يكون من حقي أن انتظم مع طلاب الابتدائية. لكن فوجئنا إن من الشروط الأساسية للقبول في مدارس عدن هو ان أكون من مواليد تلك المدينة، وأحمل شهادة الميلاد (المَخلَقَة) التي تؤكد ذلك، أو أن يكون والدي موظفاً رسمياً مع الاستعمار البريطاني، وهذا يتطلب وثائق رسمية تؤكد ذلك. لقد عاش والدي أياماً من النكد والتخبط قَلّت فيها حيلته. استعان بكل من يعرفهم على أمل مساعدته في إيجاد الوسيلة لإلحاقي في المدرسة الابتدائية، وكان يشعر بالذنب لعجزه في أن يلحقني بالمدرسة وهو الذي طالما غرس بعقلي وعواطفي حب الدراسة كوسيلة وحيدة لنجاحي في الحياة. لكن كل محاولاته باءت بالفشل، مصطدمة بحقيقة أن الدراسة حينها حكرٌ على مواليد عدن وأعوان الاستعمار وموظفيه. وهذا ما أحزن والدي كثيراً وبكيت أنا حظي التعيس في كوني لم أكن من مواليد عدن وأن أبي لم يكن موظفاً مع الاستعمار.

لفت بكائي وحزني هذا انتباه وتعاطف إحدى السيدات ذوات الأصول الهندية تُدعى "عائشة"، كانت تسكن في أحد المباني المجاورة للمسجد، وكانت تستعين بي

من وقت لآخر في إحضار حاجياتها من السوق، أثناء غياب زوجها الذي كان يعمل بحاراً. سألتني: ماذا يبكيك؟. أخبرتها بكل التفاصيل وبحاجتي إلى (مخلقة) لأحقق رغباتي وحلم أبي. قالت لي: أريد أن أقابل والدك لأخبره كيف سأساعدك في الحصول عليها لأدخلك المدرسة. شعرت حينها وكأن أبواب السماء قد انفتحت لدعواتي الحزينة. ركضت بخفة فتيان الجبال لأحضر والدي وهناك في المسجد التقيت به وأخبرته، وأنا أكاد أطير من الفرح، أن تلك الإنسانة الطيبة ستساعدنا. أتى إليها والدي فأخبرته بأنها وحيدة لم تنجب أطفالاً بعد، وأنها بحاجة لطفل لتتبناه معها، يؤنس وحدتها، وستطعمه وجبات الغذاء الساخنة والنظيفة وتلبسه الملابس اللائقة وتعلمه في المدارس، وأردفت مخاطبة والدي: أنه من خلال الفترة القليلة الماضية التي ساعدني فيها ابنك قد جعلتني أحبه وكأنه ابني وإذا أنت تحبه وتحب له السعادة والنجاح في حياته فسعادته ونجاحه أن يكون معي بظروفي الميسورة وليس معك بظروفك الصعبة. أحرجت والدي بحديثها المباشر أمامي وشعر بصحة ما قالته، وإن صدقت فهو لا يريد إلاّ أن أكون مسروراً في حياتي وموفقاً. لذا لم يكن أمامه إلاّ أن يوافق على طلبها بشرط أن تخرج لي شهادة الميلاد باعتبارها أحد سكان عدن وعلى ضوئها تسجلني في المدرسة.

عادت الأحلام الوردية تراودني في أن أعيش حياة طفولة ناعمة أسكن البيوت وألبس الملابس الجميلة وآكل حتى الشِّبع، والأهم أن أبكّر صباح كل يوم أحمل حقيبتي المدرسية مثل بقية أبناء المدينة. وهكذا بموافقة والدي انتقلت للعيش معها، وهناك قضيت عاماً كاملاً أجلب لها حاجياتها من السوق وأساعدها ببعض الأعمال المنزلية، بينما كانت هي تسعى لمتابعة استكمال الإجراءات اللازمة واستخراج الوثائق التي ستساعدني في الحصول على (مخلقة) حتى تتمكن من الإيفاء بوعدها في إدخالي إلى المدرسة، كانت تقتضي بعض المراجعات أن تصحبني معها، وكانت تدّعي أمام كل من نقابله من الموظفين بأنني ابنها وإنها كانت تجهل أن عليها إخراج (مخلقة) عندما انجبتني، لكنها لم تكتشف أهميتها إلاّ الآن عندما رفضت المدرسة تسجيلي إلا بإحضار مخلقتي. كان أغلب الموظفين والقضاة هم من ذوي الأصول الهندية والصومالية.

في الجلسة الأخيرة للمحكمة لم تكن الأم عائشة موفقة في تبرير ذلك الادعاء لأن تقاسيم وجهها وصفاتها التي لا يختلف اثنان على أصولها الهندية تختلف بالكامل عن سحنتي وملامحي الريفية، كما أن لهجتي اليافعية تكشف وتفضح عدم صحة ادعاء الأمومة. لذا أخبروها بأن طلبها مرفوضٌ لأنه ظهر لهم جلياً

بأنني من أبناء الأرياف، وأعلموها في جلسة المحكمة الأخيرة بأن تحريات سرية واستجوابات للساكنين بجوارها دعمت قرار المحكمة.

خلال فترة سكني مع الأم عائشة، كان والدي يلتقي معها من وقتٍ إلى آخر يذكرها بشروط التبني التي لم تفِ بها، إلاّ أنها كانت تطمئنه دائماً بأنها ما زالت تتابع الجهات الرسمية وأن عليه الصبر ومنها الوفاء. لكن بعد أن اتخذت المحكمة قرارها بالرفض وجدت أن الواجب عليها أن تبلغه بالنتيجة بنفسها، حتى تسمعٍ ما سيقول، فهي تدرك بأنها إذا لم تبلغه فسأكون من يبلغه لأنني كنت شاهداً على قرار الرفض.

رأى والدي أن عدم إلحاقي بالمدرسة نقضٌ صريح لاتفاق التبنِّي، ولهذا طلب منها أن تعيدني إليه، لكنها رفضت طلبه بحزم، مدعية بأنها تعبت بتربيتي والعناية بي خلال عام كامل، فعاد والدي ليخبرها بأنها لم تقدم لي إلاّ ما أستحقه مقابل خدمتي لها في البيت وخارج البيت.

وعندما اشتد الخلاف بينهما هددته بأنها ستطلب له الشرطة إذا عاد لمطالبتها بعودتي اليه. لذا رأيت بأن أسهل حل وأقربه إلى العقل وإلى الواقع، هو أن أهرب من البيت وأترك عدن وأعود إلى القرية. وبعد شهر من وصولي إلى يافع، استلمت رسالة من والدي، يخبرني بأنها قد طلبته إلى الشرطة حتى تضغط عليه ليحضرني، ونصحني أن أبقى في الريف، وهكذا وجدت نفسي مضطراً مرة أخرى في العودة لأتعلم مهنة البناء، ومارست عملي في البناء، لكن بشكل متقطع، أي كلما وجدت فرصة عمل مع العم عاطف.

سر تَحَمُّلي مسئولية الأسرة في سِنٍّ مُبَكِّرة

كان حديث آبائنا وأجدادنا عن ما يسموه بأيام الجوع القاتل الذي فتك بالبشر، قد جعل الناس تتعلم الحيطة والحذر من تقلبات الطبيعة وما تخبئه لهم من مفاجآت وكوارث. فالناس قد خبروا واتقنوا بالفطرة أسرار الاقتصاد وفن التقنين. ففي السنوات التي تجود فيها السماء بالمطر، تُروى الأرض ويحل الخير والمحاصيل الوفيرة، وعندها يشرع الناس في خزن الحبوب في المدافن التي كانت تنحت عادة بسواعد الرجال في قلب بقعة الأرض الصخرية التي عادة ما تبنى عليها البيوت. ويمنع تماسك وصلابة الصخور التي تُكّون قُطر المدفن تسرب الرطوبة إلى

المخزون، كما أن شحة الاكسجين التي توفره ظروف عمق تلك المدافن وإحكام إغلاقها تحمي الحبوب من أي نوع من التسوس وتحفظ لها نضارتها وصلاحيتها لأعوام طوال.

كانت أرض والدي الزراعية محدودة المساحة شحيحة المنتوج، وتبعا لذلك كان عليه في سنوات شبابه وقوته أن يعمل في مختلف الأعمال الشاقة والصعبة في عدن، لكنه أصبح الآن طاعناً في السن، ولم يعد قادراً على تأدية تلك الأعمال الشاقة، ولهذا عاد ليستقر في القرية يساعد بما استطاع في حرث الأرض وزرعها. كان أخي من الأب "حسن فاضل" يكبرني بحوالي ١٢ عاماً، لكنه كان على خلاف شديد مع والدي ووالدتي. كان حينها متزوجاً ويعمل بناءً، وكان ماهراً في مهنته، إلاّ أنه آثر أن يعيش حياته منفصلاً ومستقلاً عنا وعن والدي ووالدتي. وعندما لم يوافق والدي على تقسيم البيت والأراضي الزراعية تعمّق شرخ الخلاف بينهما. كانت حجة والدي في الرفض حينها، هي إن أمي ما زالت تنجب، فكيف عليه شرعاً أو عرفاً ان يقسم ما يملكه على أبنائه، وأخبره بأنه بعد ما يموت يمكنكم إتمام القسمة، وحتى يحين الأجل الذي لا يعلمه إلا الله، أقنعه بأن ينتفع بجزء من أرض الوالد، يزرعها لنفسه ويحصد منتوجها له ولأسرته. في البدء قبل ذلك الحل، ولكن بعد ثلاث سنوات لم ترق تلك الحلول لأخي حسن، وبعد أخذ ورد وتدخل من الأهل تمت القسمة وأُعطي له قسم إضافي باعتباره أكبر الأولاد وتسمّى باللهجة الشعبية "الكُبّارة" وكانت عبارة عن قطعة أرض، وكذا العِلّية والديمة التي في بيت الجد القديم.

كل هذه الظروف مجتمعة جعلتني أتحمل مسئولية الأسرة: الوالد والوالدة وأخي الأصغر قاسم وأختي حليمة، كان هذا وأنا ما زلت فتى صغيراً، ولهذا السبب قررت العودة إلى عدن، متحمساً لأعمل ليل نهار حتى أحمي أسرتي من الجوع، إذ أن منتوج الأرض بالكاد يسد حاجة الأسرة من الحبوب، ولا يزيد منه شيء يمكن خزنه لمواجهة الأيام الصعبة. ولقد تألمت كثيراً عندما أخبرتني والدتي بأن أخي قاسم كان يسكّن آلام جوعه بانعطافه على الحجر الواقع في قاع بوابة البيت التي تسمّى "المردم". كل هذه العوامل والظروف والأحداث جعلت الإصرار والطموح الشديد يتملكني فازداد تصميمي في ان أعمل بكل طاقتي حتى امتلك المال الكافي الذي يمكنني من شراء حبوب لأخزنها في المدفن أسوة بمن يملكون الأرض الكثيرة ويخزنون الفائض في المدافن التي كنا نملكها أيضاً، لكنها كانت فارغة، وأحقق

أيضاً حلم أمي في أن تملك بقرة تكون عونا للأسرة، وبهذا أحمي أسرتي من الجوع وآلامه.

غادرت منطقتي متوجهاً إلى عدن، وفيها التقيت بالأخ عبد الله أحمد بن الزير "من قرية المغرأ -لبعوس" كان يعمل في منزل تاجر فارسي اسمه "ادلجي دنشا" وكان منزله في حافة الفرس، ووكالته التجارية في الزعفران، وأخبرني الأخ عبدالله بحاجة هذا التاجر لعامل إضافي يساعده في أعمال البيت وخارج البيت. وتم توظيفي براتب عشرين روبية. وعملت حوالي ستة أشهر، بعدها انتقلت للعمل في أحد متاجر البينيان براتب قدره خمسة وعشرين روبية، ويعود الفضل في حصولي على هذا العمل للأخ حسين عوض البعالي "من قرية بعالة - القعيطي"، وكنت أعمل في المتجر خلال النهار، وأعمل في المنزل وجلب طلبات الأسرة بعد استكمال نوبة عملي. ومقابل هذا العمل الإضافي كنت أحصل على مكافآت إضافية. وعملت هناك لمدة ثمانية أشهر. وفي إجازة العيد سافرت إلى القرية وكنت قد وفرت مائة ريال فرنصة، سلّمت والدي أربعين ريالاً، وبقية المبلغ أردت أن أشتري به حبوب الذرة كمفاجأة لأبي ولأمي، ولهذا أوهمتهم بأن من ساعدني في العمل في عدن "حسين عوض" قد سلمني ستين ريالاً لأشتري له بعض الحبوب كي نخزنها له حتى يطلبها منا، وطلبت من والدتي ان ترافقني إلى سوق الصيرة في الموسطة - يافع حتى تساعدني في اختيار الحبوب اللازمة، وأخبرتها بأن ظروف أسرة هذا الإنسان لا تختلف عن ظروفنا فقامت هي باختيار الحبوب التي رأتها ضرورية لأسرة مثل أسرتنا بمبلغ ستين ريال.

في تلك الفترة غطت السماء سحب سوداء وكانت تهطل أمطار خفيفة ثم تجف مخلفة وراءها طبقة خفيفة من غبار رمادي يغطي سطح الأرض، وقّل بسبب شحة الأمطار المحصول الزراعي. وساد الاعتقاد حينها بأن هذا الغبار نتاج لما خلفه سقوط وانفجار القنبلة الذرية على مدينتي "هيروشيما" و"نجازاكي" اليابانيتين، وأعقبها انتشار الأوبئة الفتاكة مثل الطاعون والجدري، ولقد شاهدت بأم عيني حينها كيف تضور الناس جوعاً وأصابهم الوهن وسوء التغذية وجاء بعدها المرض الوبائي ليفتك بما لم يستطع الجوع أن يلتهمه.

كان المصابون بمرض الجدري يُعزلون في بيوت حجريه صغيرة منفردة تسمّى "الديام -مفردها دَيمة" تقع في الوادي المسمّى "وادي الغريب"، وكانوا يبقون معزولين هناك حتى شفائهم أو موتهم، وكانت زيارتهم ومعاينتهم أو دفن من مات

منهم أمر يتولاه من أصيب وتعافى من هذا المرض من قبل، لأن من أصابهم المرض وكتب الله لهم الشفاء يكتسبون المناعة والحصانة أيضاً من هذا الوباء الفتاك في حالة تعرضهم له مرة أخرى. لقد فقدت قريتنا بسبب هذا الوباء حوالي ٢٧ نسمة أي أكثر من نصف سكان القرية حينها. لم تحصد الأوبئة البشر فقط ولكن لم تسلم منها أيضاً الحيوانات والدواجن، وحتى الأرض امتنعت عن إعطاء المنتوج المعتاد والمرجو منها. وهكذا استوطن شبح المرض مقروناً بالجفاف وما نتج عنه من الفقر والجوع في مناطقنا، مما جعل الكثيرين من الفتيان والرجال يهجرون أوطانهم باحثين عن مصادر رزق جديدة في أي قطر من أقطار الدنيا، بحثا عن لقمة العيش لتأمين الحياة المستورة لأهاليهم، وأولئك الذين لم تمكنهم الظروف المادية من السفر إلى الأقطار البعيدة مثل الهند وبعض بلدان أفريقيا اكتفوا بالسفر إلى مدينة عدن.

إن كل هذه المآسي قد عزّزت في نفسي الإرادة والعزيمة والصبر لتحمل المشاق والكد والاجتهاد من أجل توفير لقمة العيش النظيفة والكافية لأسرتي، وهكذا فبعد عودتي من يافع إلى عدن التقيت بالإخوة حسين عبد أحمد السِّحُلّة وقاسم عوض السحّلة وأحمد عبد الله "من قريتنا" وتعلمت منهم طريقة التجارة بقماش الكار الابيض الذي كان حينها يعتبر من الأقمشة النادر تواجدها في الأرياف والمطلوبة لتكفين الموتى، فضلا عن استخدامها أكياساً للنوم "المثني". لقد شاهدت بأم عيني كيف كُفِّن بعض الناس بغصون قصب الذرة والقضب "البرسيم" نظرا لانعدام قماش الكفن. وكان قماش الكار الابيض آنذاك من ضمن المواد الممنوع خروجها من عدن إلى الريف إلاّ بتراخيص تجارية. فكان علينا أن نهربه أولا إلى مدينة الشيخ عثمان ملفوفاً على أجسادنا تحت ملابسنا الخارجية، وهناك كنا نبيعه بربح يتجاوز الأربعين في المائة. ولأن هذا العمل محفوف بالمخاطر فقد وقع بعض من زملائي في قبضة الشرطة وقدموا للمحاكمة، وحُكم عليهم بالسجن لمدة ستة أشهر، وحذروا من تكرار ذلك. عندها قررت العزوف عن ممارسة هذا النوع من التجارة، واتجهت للبحث عن عمل يتلاءم وسني الصغير، فخطرت في رأسي فكرة بيع الماء البارد التي وجدت أنها فكرة ناجحة، لاسيّما وأن عدن مدينة حارة حيث لاحظت انه رغم وجود العديد من باعة الماء البارد إلاّ أن الطلب يظل مستمرا، ولهذا قررت شراء عِدّة العمل من إبريق وكؤوس، وبدأت البيع متجولاً من شارع إلى آخر، ولكن حتى هذا العمل هو الآخر لم يسلم من الملاحقة فقد ألقت الشرطة القبض عليّ بحجة أنه لا يوجد لدي ترخيص، وقد اتضح لي أن التراخيص كانت حكراً على

أبناء عدن. وفي الشرطة طلب مني إحضار والدي للتعهد كتابيا بعدم ممارستي بيع الماء وصادروا الإبريق والكؤوس.

في كل يوم كنت أعيش، مثلي مثل بقية أخواني من أبناء الريف، في خوف ورعب ومعاناة من ملاحقة رجال الشرطة وعمال البلدية، وكان يكبر في رأسي السؤال لماذا نحن الهدف في هذه الملاحقات؟. ولماذا نحرم من الالتحاق بالمدارس أسوة بمواليد عدن؟ رغم أننا جميعنا ننتمي للجنوب العربي. كل هذه المعاناة في طفولتي التي خلقتها صناعياً مؤسسات الاستعمار البريطاني ونظام التمييز الذي أَحرَم أبناء الريف من الدراسة وفرص العمل. وكان هذا الوضع من العوامل الأساسية التي بلورت قناعاتي المبكرة في الانخراط في الخلايا الأولى المناهضة للاستعمار البريطاني وتبني الكفاح المسلح كخيار حتمي.

الهجرة إلى بلاد الحَرمَين الشريفين

مرة أخرى بسبب شظف العيش وانسداد أبواب فرص العمل أمامنا قررت أنا والأخ حسين قاسم أن نحصل على الخضار من كبار باعة الخضار لنعيد بيعها في سوق عدن. لكن حتى هذه المهنة جعلتنا أيضاً عرضة لملاحقة الشرطة والبلدية. وبعد هذا كله وجدت أن الأبواب أمامي جميعها مؤصدة.. فالدراسة حلمي وحلم والدي لم أُقبل فيها... تاجرت بالقماش فمنعت... تاجرت ببيع الماء فقُبض عليّ وصُودرت أدواتي... تاجرت بالخضار ومنعت أيضاً. بعد ذلك فكرت بالبحث عن عمل خارج مدينة عدن. وبينما أنا أترقب وأبحث عن أي فرصة عمل جاءني شخص اسمه صالح ناصر "من قرية المبعل"، وكنت حينها في الثالثة عشرة من عمري تقريبا، وقال لي: هل ترغب بالسفر إلى السعودية، فقلت له: نعم، ولكن السفر إلى السعودية يتطلب مالاً وانا لا أملك شيئاً منه. فقال لي أن هناك رجلاً ضرير البصر من أصل حضرمي، اسمه سالم باسلمان بادرباس الشميسي، طلب مني أن أبحث له عن شاب موثوق يرافقه إلى السعودية في رحلة قد تستغرق مدة شهر إلى شهرين، لأن هذا الرجل الضرير سيتاجر أثناء الرحلة بالعطور والإكسسوارات وبالتالي ستكون الرحلة طويلة لأنه سيتوقف في عدد من القرى والمدن المختلفة على طول الطريق من أجل بيع البضاعة، ولذلك يريد من يقوده ويساعده في حمل هذه البضائع، فإذا رغبت فسيكون مسئولاً عن إدخالك إلى السعودية.. وعندها

عليك ان تدفع له ١٠٠ ريال سعودي عند ما تتوفر لديك من أجرة عملك في السعودية، وأوضح انه قد عرض هذه الفكرة على الأخ صادق بن صادق المبعل ووافق في البدء ثم اعتذر فيما بعد. قلت له: من يضمن أن هذا الرجل سيوصلني فعلاً إلى السعودية؟. قال: أنا أضمن هذا لأنني أعرفه جيداً وانا أيضاً سأضمن بأنك لن تتخلى عنه في الرحلة وأيضاً ستدفع المائة الريال السعودي عندما تتوفر معك. وافقت على ذلك كون الهجرة إلى السعودية كانت حلم الكثيرين، وكان على من يريد الهجرة إليها أن يوفر المال الكافي للرحلة، وكثيرون رهنوا جزءاً من أراضيهم الزراعية لتوفير المال اللازم لتحقيق هذا الحلم.

خمس سنوات من الحياة الصعبة في عدن... التهريب... ملاحقات الشرطة والبلدية.. تجارب وظروف مريرة كانت قد صلبت عودي وعلمتني الحذر والصبر والجلد والحيلة معاً، وخلال هذه السنوات الخمس قطعت ما يقارب أربعة عشر رحلة سيراً على الأقدام بين عدن ويافع، وبين عدن وأبين. ومما زاد حياة عدن تعقيداً هو ترويج الناس لإشاعات مفادها ان الجُبُرت "عمال البلدية" يختطفون الشباب مقابل المال ثم يرسلونهم لمساعدة جبهات القتال ضمن القوات البريطانية في حربها ضد النازية الألمانية والفاشية الإيطالية، وبعضهم يتم إرساله للعمل في السفن، يساعدون في مد مخازن الاحتراق بالفحم الحجري لتشغيل محركاتها. كانت الشائعات تقول بأنهم يختطفوهم أولاً إلى عمارة كان الناس يطلقون عليها "بنقلة الشيطان" وتقع في موقع فرع وزارة التجارة حالياً في المُعَلاّ، ومنها يرسلون من يمتلك القدرة والمواصفات للعمل في السفن الحربية أو إلى جبهات القتال، أما الذين لا يمتلكون تلك الصفات فيأخذون كميات من دمهم ويرسلونها لإنقاذ جرحى الحرب العالمية الثانية. وقد زاد خوفنا كثيراً عندما اختفى ابن عمتي "علي بن علي العبادي" من قرية الرباط المجاورة لقريتنا، دون ان نجد له أثراً حتى يومنا هذا، كان عمره حينها لا يتجاوز السادسة عشرة فقط، ولهذا كانت عملية الدخول في مغامرة السفر في رحلة طويلة إلى السعودية واتعابها مقبولة وواقعية. لأنها حركت في داخلي الأمل بحياة كريمة وسعيدة أنتشل فيها أسرتي من الفقر المدقع الذي كنا نعانيه. وبينما كنت أجهز نفسي للسفر كمرافق للضرير استلمت رسالة من والدي يخبرني بأن محصول الأرض لم يعطِ المنتوج المرجو منه، وأنهم وعلى الرغم من التقنين في كل شيء في انتظار أيام عصيبة تلوح بكآبتها عليهم. كتبت لهم في الرّد بأن الحبوب المخزونة هي لهم وأخبرتهم بأنني سأرحل إلى السعودية طالباً منهم الدعاء لي بالتوفيق. وقد ظل الوالد والوالدة

يتذكرون تلك الرسالة التي حملت خبر المفاجأة السارة وغير المتوقعة، بأنها كانت أجمل ما قرأوه، لأن مخزون الحبوب كان قد أمّنهم من الجوع وأبعد عنهم شبح الخوف من أيام القحط القادمة.

التقيت بضرير البصر سالم الشميسي واتفقنا على موعد الرحيل... استكملت معه شراء ما يحتاجه للبيع من عطور: اكسسوارات.. أساور.. وزق... الخ. اشتراهم من سوق البهرة في كريتر. حَمّلني إحدى الجُعب وحمل هو الأخرى.. استقلينا سيارة من عدن إلى الشيخ عثمان، وهناك بقينا يومين ننام في أحد المقاهي المكشوفة بمحاذاة مكان الدّواب والجمال، وفي اليوم الثالث رافقنا قافلة جمال متجهة إلى الراهدة.. هناك بقينا ثلاثة أيام نبيع فيها بعض من العطور والاكسسوارات.. بعدها رحلنا راكبين على ظهر الدواب من الراهدة إلى تعز، ومنها إلى المخا والخوخة، وبعدها انتقلنا إلى مدينة بيت الفقيه، ثم إلى الحديدة ومنها إلى مدينة ميدي.

الرحلة إلى ميدي كانت من أصعب ما عانيته.. لأنني أُصبت بإسهال حاد وقَيْء وخسرت بسبب تلك النوبة المَرَضية سوائل كثيرة، حتى شعرت بالوهن والفتور. كانت الرحلة مشياً على الأقدام نقتفي أثر القوافل المتجهة إلى ميدي.. لكن بسبب ضعفي وهزالي الشديدين لم أستطع متابعة القافلة إلى درجة أنني كنت أسير نصف نائماً فأخطأت الطريق ولم ندرك أنفسنا الاّ ونحن على مقربة من شاطئ البحر.. هذا الأمر أزعج الشميسي فضربني بالعصا التي كان يتوكأ عليها.. كان الليل قد أدركنا، فقررنا المبيت في العراء، وعند بزوغ الشمس عاودنا المسير نقتفي آثار القوافل، ونسأل المسافرين أو بعض الساكنين، وهم نادرون هنا، حتى توصلنا إلى مدينة ميدي. أحس الشميسي بأنه لا طاقة لدي لمرافقته في مدينة ميدي والقرى المحيطة بها كي يواصل بيع بضائعه، لهذا السبب بحث عن مرافق له، فوجد ولداً يصغرني سناً لمرافقته، وتركني في أحد المقاهي بعد أن استأجر لي سريراً، وأوصى صاحب المطعم بإعطائي ثلاث وجبات يومياً. وأخبرني بأنه سيغيب عني مدة أسبوع إلى أسبوعين.

بعد أسبوع من انتظار عودة الشميسي.. فوجئت بقدوم سيارة كانت قد وقفت أمام المطعم وفيها الأخوين علوي علي وعبد ربه بن قاسم "من قريتنا". وبعد السلام وتبادل الأخبار، طلبت منهما مساعدتي بمبلغ من المال سلفة، لدفع أجرة السيارة حتى أرافقهما في الرحلة إلى جدة، لكنهما عادا ليخبراني بأن صاحب السيارة رفض

ذلك، لأنني لست ضمن قائمة المسافرين المرخص لهم. وفي اليوم التالي جاءت سيارة أخرى ووقفت أمام المطعم وكان ضمن ركابها الأخوين محمد صالح المصلي وحيدرة صالح المصلي فكررت لهما نفس الطلب، لكن سائق السيارة أيضاً رفض لنفس السبب، وبعد خمسة أيام وصلت إلى مدينة ميدي ساعية قادمة في إبحارها من حضرموت ووجهتها الأساسية ميناء جدة.. لكن الرياح غيرت اتجاه سيرها إلى ميدي.. كان على متنها الأخ حسين محمد بن علي عامر من "ضِبه" في يافع، وكان أناس من أهل ميدي قد أخبروه بوجود ولد يافعي طريح الفراش لأكثر من أسبوعين.. كنت حينها قد أُصبت بحالة من اليأس، والمرض العضوي الذي كاد ان يفتك بي قد أدّى إلى إصابتي بأزمة نفسية، قلّت فيها القوة والحِيلة فكان الدعاء لله هو الأمل الوحيد للشفاء واجتياز هذه المعاناة الصعبة وحيداً وبعيداً عن الأهل والأصحاب.. كنت مستلقياً على السرير ووجهي مغطى بأحد الأغطية العتيقة، ففوجئت بهذا الرجل وهو يسحب الغطاء من على وجهي ويسألني قائلاً: يقول أهل ميدي بأنك من يافع.. من أي منطقة أنت؟. قلت له: أنا من أهل بن صلاح. كانت لهجته حضرمية، فرد عليّ: انا بن علي عامر من ضِبه - يافع أتيت في رحلة بالساعية من حضرموت إلى جدة، لكن الرياح وهيجان الأمواج غير اتجاه الساعية.. واستطرد قائلاً :قلّ لي كيف أستطيع ان أساعدك؟.

قلت له أريد أن تأخذني معك بالساعية "السفينة الشراعية" أو تدفع عني إيجار الرحلة إلى جدة بالسيارة وأنا سأعطيك استلام بالمبلغ، وإذا كُتبت لي العافية سأرد لك دينك.. وإذا أهلكني المرض فأهلي سيتولون دفع هذا الدَّين.

صمت قليلاً، فعرفت فيما بعد بأنّه لم يكن يملك نقوداً، لكن لديه صوارين وهي صنف من القماش "الفوط" فانصرف لبيعها ثم عاد وسلّمني النقود، قائلاً: هذا كل ما أملكه.. أما فكرة أن آخذك بالساعية وأنت في هذا الوضع الصحي السيّئ فهذه مخاطرة كبيرة لأننا نستقل ساعية تحدد وجهتها الرياح في وسط البحر ولن نستطيع تقديم أي عناية لك.

كان المبلغ الذي أعطاني إيَّاه لا يكفي لدفع الأجرة. لكن ان يبيع الإنسان كلما يملك لمساعدة شخص لا يعرفه فتلك قمة الشهامة والرجولة والوفاء. مرّت عدة أيام كان وضعي الصحي يتحسن ولكن ببطء شديد، بسبب محدوديّة ونوعية الغذاء الذي أتناوله. بعد خمسة أيام من لقائي بابن علي عامر، عاد الشميسي فحزمت أمري، وواصلنا رحلتنا إلى جيزان ثم إلى منطقة صبيا، ثم بوعريش، ثم القنفذة. كانت الرحلة كلها عبارة عن محطات للبيع، وأحياناً لشراء بعض

الاكسسوارات.. في كل منطقة كنا نقضي من ثلاثة إلى خمسه أيام من أجل البيع وفيما ندر للشراء. واصلنا الرحلة من القنقذة إلى جدة.. حاملين رخصة دخول كان قد حصل عليها الشميسي في جيزان بعد أن أقنع جهات التصريح بأنني ابنه. انتهت بنا الرحلة في رباط حضارم يافع في جدة، كان لديهم محل "سَبِيْل" يسكنه الوافدون من أبناء يافع.. تركني الشميسي هناك.. وترك عنوانه وأخبرني بأنه قد أوصلني إلى جدة حسب الاتفاق، وأضاف عليك أن تتذكر بأنه عندما يتوفر معك المال عليك أن تبحث عني لتُبرئ ذمتك.

وهناك في رباط الحضارم التقيت بالأخوة: علي عبد الله أحمد –الخلوة؛ صالح عبد أحمد – حباط؛ ناجي أحمد –حباط؛ القرنفلي -القعيطي ؛ فاضل محسن -القعيطي؛ محمد صالح المصلي؛ حيدرة صالح المصلي؛ عاطف حسين بن عاطف جابر ؛ عمر سالم القعشمي – قرية الهجر؛ عوض بن عوض -حباط.

ولأنني وافد جديد لا أملك شيئاً، بالإضافة إلى أن رحلة السفر الطويلة والشاقة هذه قد أنهكت قواي وزاد المرض من تعمق حالة الضعف والوهن. كان الحصول على عمل قد يتطلب أسابيع أو أشهر، لهذا طلب الأخ عمر سالم القعشمي من كل الساكنين في "رباط الحضارم" أن يساعدوني حتى أحصل على عمل.. لكن الكل شكى حالته وعدم قدرته على مساعدتي، إلاّ أن هذا الرجل لم يتخل عني ولن أنسى موقفه وكرمه فقد كان عند تواجده في المساء يطبخ الأكل لي وله، وفي الصباح يترك لي حصتي من الأكل داخل وعاء قبل أن يذهب إلى العمل.

الحصول على أول عمل في المملكة

بعد حوالي ستة أشهر من البقاء ضيفاً على الأخ عمر سالم القعشمي، طال خلالها البحث عن أي فرصة عمل. كان أغلب الساكنين في مربط حضارم -يافع يحسون بدرجة معاناتي النفسية بعد ان طال بحثي وبحثهم عن أي عمل يتناسب مع سني الصغير وجسمي النحيل. حتى ان الأخ محسن الحديدة الذي كان حينها مقدم على بعض عمال المراكب حاول ادخالي للعمل في المراكب، لكن اعترض مسئول التوظيف وهو سعودي يُسمى العُرّي، بحجة أن لا سني ولا جسمي يساعداني على تحمل العمل الشاق في المراكب، فعاد ليترجاه الأخ محسن ويؤكد له أنه إذا قصرت في العمل الموكل إليّ فإنه سيكون هو المسئول عن استكماله

شخصيا إذا لم أستطع أنا إنجازه. وتحت إلحاح الأخ محسن سمح لي العري بالعمل يوماً واحداً فقط. ثم بقيت بدون عمل حتى موسم الحج. حينها أتاني الأخ صالح بن الجرة، ليخبرني بأنه يوجد في جدة ومكة طلب لتوظيف عمال مهمتهم مساعدة الحجيج في تأدية مناسك الحج وتقديم الماء والأكل لهم. وبمساعدة هذا الإنسان بدأت العمل تحت إشراف مطوف سعودي اسمه عبد الله بنقش. خلال ذلك الموسم عملت بكل إخلاص وتفانٍ ولساعات طويلة. كل هذا كان محط تقدير واعجاب المطوف بنقش ومساعديه.

كان السيد بنقش يسألني، بين الفينه والأخرى، عن سر هذه الطاقة الكبيرة التى أبذلها في العمل. فكنت أحكي له القصص ببراءة وصدق عن تاريخ معاناتي من أجل العمل والحصول عليه، حدثته عن سنوات الطفولة المبكرة، وكيفية حرماني من الدراسة وعن ظروف الأسرة الصعبة التي جعلتني أبحث عن عمل يتناسب مع سني وكيف كنت عرضة لملاحقات الشرطة والبلدية في عدن، وعن قصة الرحلة الطويلة من عدن حتى جدة، التي كانت في أغلبها سيراً على الأقدام، أقود فيها شيخاً ضريراً، أعمى البصر، ندخل خلالها في مدن وبلدات وجبال وهضاب ووهاد ونودع أخرى. كان أملي كبيراً في الوصول إلى تلك الأرض الطيبة، بلد الحرمين الشريفين، وكنت على ثقة أنني سأحصل فيها على العمل في وقت قصير وسأكون في مأمن من ملاحقات الشرطة والبلدية. حدثته بأن أحلامي كانت بسيطة وواقعية، وهي ما أن تطأ قدماي أرض تلك المملكة ستنفتح أمامي كل فرص العمل وبهذا سأعمل بجد، لأنني أطمح أن أنقل حالة أسرتي المعيشية الصعبة إلى حاله أفضل، لكن هذه الأحلام والآمال اصطدمت بحقيقة وواقع يتمثل في ستة أشهر من العناء النفسي انسدت خلالها كل فرص العمل.. بعد سردي للوقائع السابقة أخبرته أن كل تلك الظروف والمعاناة كانت قد صقلت هذه الطاقة العالية والهيام بالعمل والتمسك فيه.

أحسست أنه كان يحب ان يسمع إعادة مثل تلك الوقائع والقصص ويسألني أحياناً عن أدق تفاصيلها، وعرفت فيما بعد بأنه كان يروي قصصي أو كما يسمونها بـ "السوالف" لأخوته وزوجته وأولاده الذين كانوا دائماً يسألونه عن تفاصيل أخرى لم يسألني عنها هو شخصياً، فكان يعود في اليوم التالي ويسألني عن تلك التفاصيل. أخبروه بأنهم شعروا بالعطف عليّ وان لديهم رغبة في مساعدتي. وهكذا فبعد انتهاء موسم الحج عرض عليّ السيد بنقش العمل في خدمة الأسرة والسكن معهم في بيته الكبير مع أخوته وأبنائه.

كان عملي يقتصر على توريد الماء للأسرة ومساعدة السيد بنقش في توفير محتاجات الأسرة. إن الأشهر الطوال التي قضيتها في بداية حياتي في المملكة في جدة دون عمل قد حطمتني نفسياً، وكان يؤرقني ويخيفني حتى مجرد التفكير بأن يأتي يوم أعيش فيه ذات الظروف. فالإنسان الذي يهجر وطنه وأهله وأحبابه ويبحث عن العمل في الأوطان البعيدة حتى يؤمن الحياة الكريمة لأهله ولم يكتب له التوفيق يشعر حينها بالفشل والانسحاق، فيستوطنه الاكتئاب، ويقل لديه الشعور بالكرامة والاعتزاز بالنفس وهذا يؤدي إلى انحسار الأمل أو الاستبشار بمستقبل أفضل، وعندها تصبح الحياة بمعناها الجميل والخلاق بشعة وقاتمة وهكذا يتمكن منه اليأس والاكتئاب الفظيع عندها تتساوى الحياة مع الفناء.

قصة حصولي على "التابعية السعودية"

كانت شبكة المياه في مكة بدائية جداً. مكوناتها عبارة عن قنوات مياه تأتي من خارج مكة تصب في خزانات بُنيت في بطون الجبال. وفي أسفل الخزانات صنابير مياه. وكانت بيوت أهل مكة تعتمد على ما يُسَمَّى بالورَّادين "ناقلي المياه" في الحصول على المياه بشكل يومي، وكان ذلك يتم باتفاقيات تُبرم بين راعي الأسرة والشخص الوراد "وراد الماء" يُحدد فيها كميات الماء المطلوب إحضارها يوميا وتدفع له الأجور نهاية كل شهر.

في مواسم الصيف وكذلك مواسم الحج تزداد حاجة الأسر والحجيج للماء، لهذا يزداد تزاحم الورادين أمام صنابير المياه. وهذا أحياناً يخلق حالة من الفوضى وعدم انتظار الدور. يقود ذلك إلى شجار أحياناً يقتصر على كيل الشتائم وأخرى تشابك بالأذرع بين الأفراد فإذا تطور هذا يؤدي إلى اصطفاف قبلي للمواجهة.

كان أغلب عمال توريد الماء هم من قبائل غامد وزهران وعسير، وفي أحد الأيام، وبينما كنت منتظراً دوري للحصول على الماء، نشب عراك بين أبناء قبيلة غامد وأبناء قبيلة عسير. كان ذلك بسبب محاولة بعض أبناء غامد الحصول على الماء دون انتظار دورهم وفجأة اشترك أبناء زهران في العراك لمؤازرة أبناء غامد. كان عددالعسيريين قليلاً، وأحسست حينها بأن هذا العراك كان مخططاً له مسبقاً. غضبت كثيراً عندما وقف الآخرون موقف المتفرج. صحت بهم أليس عليكم بأن تشاركوا مع الحق، لكن أحداً لم يحرك ساكناً. حينها شعرت أن من واجبي أن

أشارك مع أبناء عسير لقلة عددهم، ولأنهم كانوا على حق في هذا العراك غير المتكافئ، هذا الموقف عمق العلاقة بيني وبين أبناء عسير فاعتبروني واحداً منهم، يقفون معي في أزماتي وأقف معهم في أزماتهم ومشاكلهم وقد كانت كثيرة. وتعمقت العلاقة أكثر فأخذوا يصطحبوني معهم في أعيادهم وفي أعراسهم. وكلما التقوا بشيخهم يحدثونه عن مشاكل وظروف عملهم، وأحياناً يحدثونه عن مناصرتي الدائمة لهم. وفي إحدى عطل العيد أخذوني لقضاء إجازة العيد معهم. وهناك تعرفّت على شيخهم واسمه محمد بن عائض وقد رحب بي قائلاً:"هل انت الفتى اليافعي الذي حدثوني عنه؟ ". أجبته معتزاً: نعم. علق علي مازحاً:"والله صيتك ولا صورتك". ابتسمت بأدب ولكن في حقيقة الأمر لم أحبذ ما قاله عني، وأحسست وكأنما لدغني عقرب. بعدها أدركت بأن أصدقائي العسيريين، كما يبدو، قد بالغوا في وصف مشاركاتي معهم في العراكات المختلفة، وفي مواقف أخرى، فكون عني في مخيلته تصوراً آخر لم يتفق مع واقع جسمي النحيل.

عدت إلى مكة قبل ان أكمل إجازة العيد في عسير وفي داخلي امتعاض شديد وأسئلة كثيرة تحيرني. لماذا يؤمن البشر بالمظاهر الخارجية؟ أليس الأفعال هي من تحدد معدن الرجال وأصالتهم؟ هل كان عليّ ان أكون مكتنز الشحم واللحم حتى أنال اعجابهم ويقدمون لي آيات الإطراء؟

لم تستمر هذه التهيُّؤات الخاطئة والأسئلة الكثيرة لوقت طويل. فقد جاءني أصدقائي من أهل عسير بعد ان أكملوا اجازتهم ليزفوا لي خبراً ساراً، وهو أن هذا الشيخ قد اعتمدني واحداً من أبناء عسير، وإنه قد أضاف إسمي إلى قائمة أبناء قبيلته للحصول على التابعية السعودية، وان إسمي الجديد سيكون "صالح فاضل حسين العسيري" وقال عليكم ان تخبروه انني عند ترحيبي به قد اعتبرته أحد أبنائي "يقصد أبناء عسير".

أفرحني كثيراً هذا الخبر السار المتمثل بحصولي على التابعية السعودية، وتأثرت لفهمي الخاطئ واستيائي من كلمات الترحيب، وأدركت أنه كان فعلاً يقصد بأن حاجز التكلّف بيننا قد ارتفع، لأنني أصبحت في نظره واحداً منهم. وعرفت أنه سأل عني ليزف لي هذا الخبر شخصيا، فأبلغوه بأنني قطعت الزيارة هذه المرة لأسباب غير مفهومة. لكن فراسته ألهمته إنه قد يكون أحرجني عندما عبر ببراءة في مجلسه وأمام الحاضرين عن دهشته برؤية فتى نحيل الجسم مخالفاً لتوقعاته.

ان هـذه الواقعـة علمـتني الـتروي في الحكـم علـى كـل مـا أراه أو أسمعـه، وأن أتحاشي القفز إلى استنتاجات سريعة أو سطحية ستكون في أغلبها خاطئة. خاصة عندما يكون المتحدث رجل كريم وأصيل، وهذا الشيخ حينما قال: صيتك..، كان عليّ ان اكتفي بهذه الشهادة من رجل مُعتبر وأن أقلل من أهمية ما بعدها. لكن عُذري في حساسيتي الزائدة حينها هو أنني كنت في سن أحب أن يكون مظهري جميلاً وقامتي طويلة وعضلاتي مفتولة. لكن انعدام بعض أو كل تلك الصفات هي في عقول الشباب محنة نفسية لا يحبذوا أن يشير إليها أحد أو حتى يذكرهم بها. فالتلويح بها معناه الضغط على مفاصل الألم. لقد غير هذا الرجل الكريم حياتي وآفاق تطلعاتي فحصولي على التابعية السعودية قد ميزني عن كل المهاجرين من أبناء المنطقة وسهل نجاحاتي، وأعطاني الفرصة والقدرة في أن أساعد المهاجرين من أبناء يافع.

بعد ما يقارب العامين من العمل في خدمة المطوع بنقش وبعد حصولي على التابعية السعودية قررت البحث عن فرصة عمل أفضل. وكانت كل آمالي أن أمارس مهنة البناء التي كانت مصدراً لثراء الكثيرين من العرب المهاجرين وأبناء البلد، وكنت قد تعلمت أسسها في بناء البيوت الحجرية الصعبة ذات النمط الفريد في يافع. لقد كانت فكرة بناء البردين تروق لي أكثر، ربما لأن هذا النوع من البناء أسهل بكثير مما كنت قد تعلمته في سنوات طفولتي، فهنا لن أحتاج الاّ إلى استخدام الزاوية وميزان الخيط.

وهكذا انتقلت مرة أخرى إلى جدة، وهناك بدأت العمل كمقاول في بناء أحواش المنازل، لم ينافسني في تلك المقاولات إلاّ بعض من أبناء منطقتي، الذين كسبوا أجرة مناسبة في هذا المجال مثل: عوض صالح بن شيخ. وناجي صالح بن شيخ وعبيد حسين سالم. كان أول عمل أقوم به عند انتقالي إلى جدة هو الذهاب للبحث عن السيد الضرير سالم الشميسي، لأنني حينها كنت قد وفرت المال الكافي لأدفع له ما اتفقنا عليه. استغرق بحثي عنه حوالي ثلاثة أيام، وكان كما عهدته يمارس البيع متجولاً في ضواحي جدة. وعندما التقيته سلمته المائة ريال. وكان أول ما قام به هو أنه قبلني على رأسي، وقال لي: بارك الله فيك لقد راودني شك في أنك لن تأتي للبحث عني خاصة بعد ان ضربتك بالعصا عندما ضللت بنا الطريق. وقبل أن أودعه طلب مني أن أسامحه على ضربه لي، فشكرته على أنه قد

أوصلني إلى المملكة وسامحته على ضربي. كان هذا اللقاء هو آخر صلتي بهذا الشيخ الطيب.

كانت العمل في بناء الأحواش بداية موفقه، وكان ما يميزني عن المنافسين الآخرين هو أنني أحمل التابعية السعودية. كما أن المكاتب البدائية للمقاولات وأيضاً السعوديين يستأنسون أكثر في مقاولة أبناء البلد. وخلال عام ونصف من العمل في جدة في بناء الأحواش كنت قد وفرت المال الكافي لزيارة الأهل في البلد والبحث عن شريكة الحياة.

قصة زواجي

في عام ١٩٥٢ تقريباً وبعد ما يقرب من ستة أعوام من الغربة في المملكة العربية السعودية عدت إلى الوطن لزيارة الأهل، وكانت تتملكني أيضاً رومانسية الشباب وأحلامهم في البحث عن شريكة الحياة التي تتناسب مع أحلامي وخيالاتي. لكن متعة البحث تبخرت عندما أخبرني والدي ووالدتي بأن الخطوبة قد تمت على ابنة خالي، ولكي اقتنع بهذا الاختيار قيل لي: إذا تريد الرضا والبركة عليك أن تتزوج ممن اخترناها لك.

كانت نواميس وعادات وتقاليد المجتمع وظروف الحياة قد غرست الطاعة المطلقة للأب والأم حتى في الأمور الشخصية، فاختيار شريكة الحياة يجب أن يباركه أولاً وأخيراً الوالدان، وليس الابن والبنت. قد يكون السبب ان الزوجة ستعيش مع الأب والأم أكثر مما تعيش مع الزوج، لأن حالة الفقر قد فرضت حالة من عدم الاستقرار العائلي، واضطر الرجال بسببها أن يهجروا قراهم وأوطانهم إلى مدن أخرى أو إلى البلدان القريبة والبعيدة يفنون فيها أجمل سنوات العمر لتوفير لقمة العيش، لهذا يسعى الوالدان للبحث عن البنت الطائعة والصبورة التي ستشاركهم البيت الواحد والظروف الواحدة، أي تلك القادرة على الانسجام المطلق مع كل أفراد العائلة، والتي لن تتواني عن تقديم كل المساعدة لأهل الزوج في كل أمور الحياة.

وهكذا فأي اعتراض أو تمرد يبديه أو يمارسه الشباب خارج عن قاعدة الطاعة المطلقة للأبوين ينظر إليه كتصرف أهوج وغير سوي، لن يباركه الله ولا حتى البشر. فالأسرة حينها يجب أن تكون موحدة وقوية لمواجهة ظروف الحياة القاسية. لذا فإضافة أي فرد للعائلة تتم وفق قواعد وحسابات دقيقة، وبسبب تلك الظروف والقناعات كان عليّ ان أضحي بكل رغباتي وتطلعاتي، مُقَدِّماً الطاعة المطلقة

للوالـدين والموافقـة علـى الـزواج مـن امـرأة لم أعرفهـا بعـد، لأن "رِضَـا اللّٰهِ مِـنْ رِضَـا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللّٰهِ مِنْ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ " كما جاء في الحديث الشريف.

علـى الـرغم مـن فقـر النـاس وعـوزهم إلاّ أن مظـاهر البهرجـة والتكلـف والظهـور اللائـق في الـزواج كانـت قـد فرضتها تقاليـد المجتمـع. فعليـك ان تظهـر أمـام أهـل عروستك وأبناء القرى المحيطة بأنك مقتدر ومكتمل. فالمظاهر الخارجية كانت مهمة ولها وزنها في تقديرات الناس، أي أن عليك أن تَحمل الهدايا، اللحم والحلوى والتمـر والملابس.. الخ. ومثـل هـذا كـان بالنسـبة لـي ميسـراً بعـد سـنوات غـربتي في المملكة. إلاّ أن ظروفي لم تصل بعد إلى القـدرة على شـراء السلاح. لذا كان عليّ أن أطلب ممن يملكون السلاح حينها إعارتي بندقية.

كـان امـتلاك السـلاح في الخمسـينيات مـن القـرن الماضـي حكـراً علـى ميسـوري الحـال. فالبندقيـة كانـت أثمـن المقتنيـات لأي أسـرة. وحمـل السـلاح يزيـد الشـاب شـعوراً بالشـموخ والكبريـاء والثقـة العاليـة بـالنفس. ويمنحـه حالـة مـن الوقـار والنضوج في عيون أقرانه. كان المحظوظون قلة ممن يملكون السلاح في منطقتنا "أهل بن صلاح". على سبيل المثال ففي قريتنا كان يملك السلاح محمد فاضل عبـد الله وعلـوي سـالم، ولـدى كـل منهمـا بندقيـة نـوع خشـبي. وكـان علـي صـالح وأخـوه عبـد الله صـالح يملكـان بندقيـة واحـدة نـوع قفشـي، وكـذا سـالم عبـدالرب بندقية من نفس النوع "قفشي".

في صلاة إحدى الجمع أخبرتهم بموعد الدّخلـة، وهـو اليـوم الـذي يسـمح لـي فيـه رسمياً بمقابلـة مـن سـتكون شـريكة حيـاتي.. أنهـا اللحظـة الـتي تـتم فيهـا الخطوبـة رسمياً وتُحـدد فيهـا التفاصـيل الكاملـة لإتمـام الـزواج. أبـديت رغـبتي في أن اسـتعير البندقيـة اللائقـة بهـذه المناسـبة. تجـاوب الجميـع وأبـدوا اسـتعدادهم لتلبيـة ذلـك الطلـب، وطمـأنوني بـأن علـيّ فقـط تجهيـز أمـوري الأخـرى. بعـد أسـبوعين مـن تلـك التطمينـات وفي الصبـاح البـاكر ومـع أولى خيـوط الفجـر اسـتيقظت بنشـاط وهمـة لاستكمال التجهيزات الكاملة للرحيل إلى قرية "الحصن" وتسيطر عليّ الفرحة في كـوني سـأقابل ولأول مـرة الإنسـانة الـتي اختـارتها أمـي ورضـي عنهـا وباركهـا أبـي لتكـون شـريكة حيـاتي. ومـا زاد فـرحتي أنـني في هـذا اليـوم سـأظهر في أحلـى زينـة الشـباب، بـل وأتميـز عـن الكل في أنـني سـأحمل البندقيـة الحديثـة والجنبيـة والحـزام المملـوء بالـذخيرة "الشّكة"، وحتمـاً سـأكون محـط إعجـاب الكـل. كانـت كـل هـذه الأفكار والخيـالات الجميلـة تتـزاحم في رأسـي مهرولـة أكثـر مـن هـرولتي بحثـاً عمّـن

وعدوني بالسلاح. لكن سرعان ما انحسرت وانكسرت تلك الخيالات عندما وصلت إلى منزل الأخ محمد فاضل لاصطدم بخبر عدم وجوده في المنزل وإنه قد غادر إلى قرية المحَجَبَة، وبالمثل اعتذر الأخ علي صالح بحجة أن إعارتي البندقية قد تخلق له مشكلة مع أخيه عبد الله. اتجهت إلى العم سالم عبد الرب، لكن هو الآخر كان غير موجود وأخبروني بأنه اتجه إلى قرية حباط. وفي تلك اللحظات بقي الأمل الأخير في الأخ علوي سالم، وبقيت مرتبكاً ومتحيراً. لقد تملكني اليأس والصدمة لموقف من وعدوني بالأمس القريب. المهم بحثت عنه فالتقيته بالمسجد، لكن ما كنت أخشاه قد حصل أيضاً من قبله، فقد اعتذر هو الآخر بحجة أنه قد أقسم ألا يعطي سلاحه لأحد.

شعرت بحزن عميق وخيبة أمل كبيرة، فعدت إلى البيت وأنا متكدر الخاطر أشعر بقلة حظي وقيمتي وثقة الناس بي. لعنت الفقر والغنى معاً.. الفقر لأنه أوصلني إلى التودد إلى من يملكون السلاح.. والغناء لأنه يجعل الناس يترفعون عن إخوانهم من البشر بالأشياء التي يمتلكونها. لقد تبدل حالي وأحلامي من حال إلى حال. تساءلت كيف لي أن أذهب بدون سلاح أو أذهب بسلاح عتيق (عربي أو فرنساوي أو هرتي) يفضح فقري ويكون حديث الناس. طلبت من والدي ووالدتي أن يساعداني في أيجاد وسيلة أو حجة مقنعة نؤجل فيها مراسيم الدخلة والخطوبة. تدخلت والدتي وتذكرت أن الأخت حليمة بنت إسماعيل، قد وعدتها بأن تدبر لي بندقية زوجها علوي سالم، وهي تعرف إنها إذا وعدت لن تخلف وعدها. لم تمضِ سوى ساعة واحدة حتى عادت والدتي حاملة البندقية والشكة والجنبية مع الأميال. فهذه الإنسانة الفاضلة اقنعت زوجها بأنه إن كان قد أقسم أن لا يعطي هو البندقية لأحد، فإنه لم يحلف عليها هي، وذكرته بأنه قد وعد بذلك وهي أيضاً وعدت وإنه لا بد من الوفاء بالوعد. إن موقف هذه الإنسانة ووفاءها وحسن تدبيرها قد جعلني أكن لها كل الاحترام والتقدير لأنها جعلتني أذهب لأقابل شريكة حياتي وأخوالي مرفوع الرأس.

لقد غرست ظروف الحياة وطقوس المجتمع ونواميسه أن على المرأة حينها مساعدة بعلها في حرث الأرض والاعتناء بها وتحقيق رغباته والامتثال المطلق والانصياع لأوامره وإنجاب وتربية الأبناء. لكن مرؤة هذه الإنسانة وكرمها قد هزت بعض هذه القناعات، ومن حينها أدركت إن هناك نساءً تشرفك مواقفهن وحسن تصرفهن.

باستلامي البندقية وتوابعها انزاحت غيمة سوداء خيمت طويلاً على أفكاري وهواجسي وبدأت استمتع مرة أخرى بإكمال التجهيزات اللازمة والإحتزام بالشكة والأميال والجنبية، وعلى كتفي حملت بندقية، أحلم يوماً ما أن أملك مثلها. كان يرافقني أخي في الرضاعة سالم عبد الرب صالح من قرية" الحصن"، وأخبرني بأن عمي ومن سيستقبلنا معه قد جهزوا أهدافاً للرماية "نَصَع"حتى لا تُطلق رصاص الترحيب في الهواء. وكان عليّ في منتصف الطريق أن اختبر السلاح الذي أحمله لأتمكن من إصابة الأهداف حتى يكون انطباعهم الأول عني بأنني متمرس وماهر في التصويب من السلاح، لكن ما حصل هو أنني قبضت على مؤخرة الخزانة فنزلت درجة، بعدها صعب عليّ التعامل معها وإعادتها إلى وضعها الطبيعي.

كانت أقرب القرى إلينا هي قرية "المَصَلَّة" لهذا قررت بعد تردد كبير أن أذهب للعم صالح أحمد غرامة المصلي الذي كان واحداً من الرموز القبلية المعروفة، ويملك الأسلحة والخبرة الفائقة في التعامل معها. كانت الخبرة والتمرس على استخدام السلاح آنذاك واحدة من المعايير والصفات الأساسية التي تحدد الدرجة التي يتبوأها المرء في هرم القبيلة ويثبت بذلك أنه أحد حماة القبيلة ورجالها المعتمدين. من هذا المفهوم كان عليّ أن لا أظهر نقاط ضعفي وقلة خبرتي في السلاح لأن كشف هذه الحقيقة قد تقلل قيمتي عند إنسان ينظر له نموذجاً قبلياً رفيع المكانة، لذا لم يكن أمامي إلاّ أن أخبره بأنني أفكر في شراء هذه البندقية فأردت أولاً أن استأنس بخبرته ونصيحته. أخذ يتفقد البندقية وأول ما عمله هو أنه أعاد الخزانة إلى موقعها بطريقة محترفة، ثم أخبرني بأن هذه البندقية من النوع الممتاز، وارد فيصل عراقي، نسبة لملك العراق، محددا قيمتها بحوالي ستمائة إلى سبعمائة قرش فرنسي. بعد خروجي من المنزل أطلقت ثلاثة أعيرة نارية على أهداف بعيدة فوفقت في إصابة هدفين منها، هذا أسعدني كثيراً في أن البندقية دقيقة التصويب وأنني قادر على التعامل مع خزانة البندقية بالطريقة السهلة التي لمحتها في حركة يد العم صالح المصلي.

كان استقبال أهل عروستي مشرفاً، تعرفت على عمي وعمتي والعروسة وبقية الأهل اللذين اكرموا ضيافتي لمدة أسبوع، حددنا خلاله موعد العرس بعد شهر واحد، وبالفعل تم الزواج في الموعد المحدد. وهنا أستطيع القول اليوم وبعد ٦٠عاماً من عمر زواجنا، بأنني لم أرَ من هذه الإنسانة إلاّ كل الوفاء والإخلاص والحب. لقد مات والدي ولحقته أمي وهما راضيان عنها. انجبت منها ستة أبناء وأربع بنات،

وتبنت أربعة من الأيتام(ولد وبنت لأخي من الأب حسن فاضل، وولد وبنت لأخي الأصغر قاسم فاضل).

العودة إلى الغربة بعد الزواج

بعد الزواج بقيت ما يقارب العام استنفذت خلاله كل ما كسبته من المال في فترة اغترابي في المملكة. أصبح والدي طاعناً في السن وحبيس البيت بسبب فقدانه البصر، وكنت المعيل والمدبر الوحيد لشؤون الأسرة تساعدني في ذلك والدتي. كان أخي قاسم وأختي ما يزالان صغيري السن، ولهذا كان عليَّ قبل عودتي إلى السعودية أن استدين مائة ريال فرنسي لشراء بقرة كانت حلم أبي وأمي لكي تؤمن للأسرة اللبن والسمن واللحم.

توارث الناس وتعلموا أن تأمين المسكن وامتلاك الأرض وعدم التفريط بها وشراء الحيوانات الأليفة وأهمها "بقرة البيت" هي الأسباب والضمانات الواقعية لحياة كريمة يحل فيها الأمان والاطمئنان على تلك الأسر ويندحر شبح الجوع. لكن فقر الناس وشحة مصادر العيش جعلت تحقيق ذلك صعب المنال. لم يكن تسمية البقرة التي تملكها العائلة ببقرة البيت جزافاً، إذ تنشأ بين البقرة وبين من يتولون العناية بها من أفراد العائلة علاقة حميمة فيها عطف وحنان من نوع خاص. فهؤلاء الذين خبروا هذه العلاقة ومارسوها اقتنعوا بحقيقتها، بل ويؤكدون بأن تعمق تلك العلاقة تجعل هذا الحيوان يدر اللبن بوفرة. وهكذا فمثل ما يسمى الزوج بسيد البيت والزوجة بسيدة البيت لأهمية دورهما في العائلة فالبقرة لأهميتها تسمى أيضاً بقرة البيت.

قمت باستدانة مائة ريال فرنسي على أن أسددها بعد عام وعليَّ أيضا حسب الاتفاق مع المُدين أن أدفع ارباحها مبلغ عشرة ريال تسمّى في المنطقة "قهوة الفلوس" وفي حالة عدم الوفاء بدفع مبلغ الدّين كاملاً خلال عام واحد فان قطعة الأرض الزراعية التابعة لأسرتي المسماة "القصرة" تعتبر مرهونة، وعندها سيكون على أهلي لزاماً تقديم نصف محصول الثمر والعلف والقصب سنوياً. وهكذا كنت قد نفذت طلب أمي فاشتريت لها البقرة، وعندها شعرت براحة البال، لكنني لم أتخلص من الهم، لأنني لم اعد أملك تكاليف السفر للعودة إلى السعودية فاضطررت لرهن الجنبية "السلاح الأبيض" التي كنت أملكها بمبلغ خمسين ريالاً، وهكذا عدت إلى السعودية مثقلاً بديون جديدة ينبغي أن أسددها في وقتها،

وتملكتني رغبة في شراء سلاح شخصي افتخر في امتلاكه وأن أعيره لأي شاب يطلبه في عرسه حتى لا يعيش مثل لحظات تأزمي.

عدت من يافع لمواصلة عملي في جدة لكن بقائي فيها لم يستمر لأكثر من عام، إذ أنني أصبحت عرضة لملاحقات الشرطة بسبب اخلال بعض من ضمنتهم من أبناء يافع بشروط الاتفاقيات التي كنت ضميناً لهم فيها. كان المهاجرون من أبناء يافع قد عرفوا بحصولي على التابعية السعودية "الجنسية السعودية". وبما ان عقود العمل تستدعي إحضار ضمين سعودي الأصل أو رجل أعمال معروف، لهذا كان الكثير يقصدونني لتوقيع تلك الضمانات حتى تسهل أمور حياتهم وأعمالهم. لم تقتصر تلك الضمانات على عقود العمل بل تعدتها إلى ضمانات وقعتها في مراكز الشرطة على أناس من أبناء يافع لإخلاء سبيلهم وأكون مسئولاً عن إحضارهم إلى المحكمة في الموعد المقرر. منها قضايا جنائية وأخرى متعلقة بالإقامات.

كثرت الضمانات وتنوعت فمنهم من أوفى في تلك الاتفاقيات، وهناك من لم ينفذ بنود الاتفاقيات، أو لم يحضر إلى المحكمة أو الجهات المعنية بسبب ادراكهم بأن عقوبات كبيرة ستلحقهم، بسبب خرق صريح لبنود الاتفاقيات، وأخرى بسبب التمييز الذي يمارسه موظفو الشرطة والمحاكم عند الفصل في القضايا العالقة بين أبناء البلد والأجانب.

كنت أُقدّر أن وصول الناس إلى السعودية يعني تحملهم ديوناً كبيرة وطائلة وبالتالي فأن تسليمهم إلى الشرطة أو التبليغ عن أماكن تواجدهم، خاصة أن بعضهم اختار الهروب إلى مدن المملكة الأخرى، سيساعد الشرطة في القاء القبض عليهم، ومثل هذا الأمر كفيل بأن يخفف عني ملاحقات الشرطة، لكنني لم أكن استحسنه، لأنه سيكون على حساب ترحيل البعض وتغريم وسجن أو تعذيب البعض الآخر، ووجدت بأن أفضل خيار وأسلمه هو أن أترك جدة.

قرار مغادرتي مدينة جدة جاء بعد أن طُلبت ذات يوم إلى مركز الشرطة، وهناك فاجأني ضابط الشرطة بسؤال قال فيه: كيف تفسر لي السر من وراء أن تكون عسيرياً وضماناتك اختصرت فقط على أبناء يافع؟!. وأوضح أنه قد أمضى وقتاً طويلاً يقلب ملفات الشكاوي ضدي لعل وعسى ان يحصل على ضمانه واحدة يكون فيها من ضمنته من عسير حتى يشبع فضوله لكنه لم يجد ضمانة واحدة كما قال. تصنعت الهدوء والثقة بالنفس فأخبرته بشكل تلقائي بأنها تربطني بأبناء يافع علاقات حميمة بعد أن خبرت عن هؤلاء الناس الأمانة والثقة وعشرتي

الطويلة معهم. لم يقنعه جوابي فرد وفي نبرته وعيداً قائلاً: أوعدك بأنني سأبحث عن هذا السر. هذا التلميح جعلني أشك بأن هناك وشاةً قد بلغوا الشرطة عن أصولي اليافعية. ولهذا السبب قررت الرحيل إلى الطائف لأكون بعيداً عن الملاحقات وبقيت هناك حوالي ثمانية أشهر، ومنها انتقلت إلى الرياض. كان تنقلي من مدينة إلى أخرى معناه أن أبدأ علاقات مجدداً تأسيس علاقات الثقة مع الناس وإثبات جدارتي وإتقاني لمهنتي، وقد ساعدتني خبرتي الكبيرة التي اكتسبتها في جدة على بناء جسور الثقة مع كثير من رجال الأعمال بالإضافة إلى مساعدة أبناء يافع لي في إشهار سمعتي وإتقاني لمهنة البناء عند كل من يعرفونهم من أبناء السعودية سواء عند مكوثي في الطائف أو عند انتقالي إلى الرياض، مقدرين لي مواقفي السابقة مع كثير من أبناء المنطقة في جدة وهروبي من الشرطة بسبب عدم قناعتي في تسليم المتخلفين عن الحضور أمام القانون وخياري بأن أعيش أنا ملاحقاً بدلاً عنهم.

كانت الرياض المحطة التي قررت الاستقرار والعمل فيها، وبدأت مرة أخرى بالمقاولات وكانت بدايتها ببناء الأحواش ومع مرور الزمن تطورت إلى مقاولات بناء البيوت. كنت أعمل ليل نهار لاستكمل المقاولات قبل موعد تسليمها لكي أحصل على مقاولات أخرى. عندها استطعت إرسال المبلغ الكافي إلى والدي لسداد كل الديون قبل أن تمر فترة العام على رهن الأرض، وبعدها جمعت أموالاً كافية لأحقق رغبتي في شراء السلاح. تلك الرغبة التي عمقها امتناع بعض أبناء القرية في إعارتي السلاح في أهم أيام حياتي. إن شعوري حينها بالخذلان حفزني لأن أملك السلاح وان أعيره لأيٍ من شباب القرية، حتى لا يعيشون ذات التجربة المرة التي عشتها، وكنت أحب أيضاً أن أدخل السرور إلى قلب أخي قاسم الذي كان هو الآخر يحب حمل السلاح والتمرس عليه، رغم انه لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره. إن تجارب الحياة بسلبياتها وإيجابياتها تعلمك كيف تتعامل مع الحياة والناس فالشيء الذي لا تحبه لنفسك، عليك ان لا تحبه للآخرين وعليك ان تسعى دائماً في ان لا يعيش ابناؤك واخوانك المحن التي عشتها أنت اذا تستطيع أن تجنبهم إيّاها.

قصة شراء الرسابي لأول محل مجوهرات

ربطتني بالأخ محمد سالم الرسابي صداقة كلها مودة واحترام. كان مثل غيره ممن فرضت عليهم ظروف الحياة ان يهجروا أوطانهم وفي داخلهم يكبر الحلم في تحقيق الحياة الكريمة لهم ولأهاليهم. هذا الرجل لم يكن موفقاً مثلي في السنوات الأولى من الغربة. فبالإضافة إلى الصداقة التي تجمعني فيه جمعتنا أيضاً العزبة الواحدة "السكن المشترك" في الرياض، كان يشاركنا تلك العزبة عبيد عبد الله أحمد، حسن عبد الرحمن، عبد الرب علي بن عميران، البراشي، عبد الرب الحاج، قاسم الجعار، وعبد الرحمن عبد الرب.

اشتغل الأخ محمد الرسابي تحت إشراف السلطان بن الشيخ علي الذي كان مرافقاً للأمير محمد بن عبد العزيز الملقب "أبو الشرين" واقتصرت وظيفته على إعداد العجين للخباز حتى يخبزه ويقدمه إلى بنائي قصر الملك عبد العزيز في الملز. في أحد الأيام ونحن جالسون في المنزل فإذا بالأخ محمد سالم يخلع ملابسه ويريني كيف أن الديدان تخرج من ثنايا ملابسه القديمة بسبب ما لصق بها من قطع العجين التي لعدم وجود الوقت الكافي لغسلها بسبب ضغط العمل، كان حاله هذا قد أحزنني كثيراً. أخبرني بأن المهنة التي يتقنها ويجيدها هي صياغة الذهب والمجوهرات، التي كان قد تعلمها في الماضي في عدن، لكن حياة الغربة كانت قد فرضت عليه ان يعمل في مهنة ليست مهنته، بل في عمل كان يمقته والأسوأ من ذلك كان الأجر الضئيل الذي يتقاضاه لا يعينه على إعالة أسرته في اليمن ولا يحقق طموحاته البعيدة.

حلم في أن يأتي اليوم الذي يعمل فيه في محل لصياغة الذهب يكون هو مالكه وسيد الموقف فيه. عندها طلب مساعدتي المالية له بدين حتى ينتقل من ظروف عمله الصعبة إلى ظروف أفضل. أخبرني بأنه قد طلب من أبناء قريته وأصدقائه الآخرين أن يقرضوه المال، لكنهم تخوفوا من أنه قد لا يستطيع إعادته لهم، لهذا أحجموا عن تقديم أي مبالغ له، لأن فكرة التجارة في الذهب جديدة ولم تكن في بال أو خاطر أحد من أبناء يافع، وكانت تعد من وجهة نظرهم مغامرة غير محمودة العواقب.

ذكّرني طموحه الواقعي بطموحاتي، كما أن معاناته تعكس معاناتي، ففي سنوات تغربي الأولى، كنت مثله أحلم بالحصول على دَيْن أستطيع أن أبدأ به

حياتي في مقاولات قوية، تلك المهنة التي أجيدها وأحبها. فتشابه ظروف تجاربنا وصداقتنا المميزة. وهذه الخلفيات سهلت مهمة الأخ محمد سالم في إقناعي بدعمي له بكل ما أملك من المال، بل واستعدادي في ان أدعمه أيضاً في المستقبل إذا استمرت نجاحاتي في المقاولات ونجاحاته في عمله الجديد بتجارة الذهب.

كان المال الذي أقرضته إياه كافياً ليفتح به محلاً صغيراً وشراء المعدات اللازمة لتلحيم وصناعة الذهب مثل الكير والقوالب وغيرها، فضلا عن ذلك كنت أنا وعبيد عبد الله وعبد الرب الحاج نقوم بمساعدته في نفخ الكير وصهر الذهب وصبه وسحب الذهب المصبوب في مكائن السحب حتى يسهل عليه فيما بعد تشكيل وصياغة الذهب في الصيغ المطلوب منه تجهيزها.

إن سر النجاح في أي مهنة يكمن في حبها وإتقانها، والتجارة تستدعي إجادة فن التعامل مع الناس وكل هذه الصفات كان يتفوق بها الأخ محمد. لم يستكمل العام حتى استطاع أن يكسب حب وثقة الزبائن، عندها أخبرني مرة أخرى بحاجته أيضاً للمال، لكن في هذه المرة لشراء سبائك الذهب ليفتح محل مجوهرات متكامل. سلمته كل رصيدي في البنك المقدر بمبلغ ثمانية عشر ألف ريال سعودي، إلى جانب ما كان يملكه هو من المال، وكان ذلك كافياً لفتح أول محل مجوهرات يمتلكه يافعي باسم الكفيل السعودي "البطاطي". هذه النقلة النوعية لظروف الأخ محمد جعلت البعض من أهل قريته "رُسَاب" ينظرون إلى مساعدتي له وكأنها نوع من الاحتيال عليه، وهذا ما تفاجأت به عندما طلبني الشيخ عبدالحافظ بن علي الحاج "من قرية ريد - الموسطة" في أحد الأيام لحضور لقاء في مجلس ضم ما يقارب أربعين شخصاً. في حقيقة الأمر أن الوالد عبد الرب عوض هو من طلب هذا اللقاء، وكان هو من بدأ الحديث موضحاً أن أي عاقل سيدرك بأن صالح فاضل قد أغرق محمد سالم بديون كثيرة لن يستطيع تسديدها وهذا أمرٌ مُدَبّر للاستيلاء على أملاك والده في قرية رُسَاب من الأرض الزراعية، وقال: إن عيال عاطف صلاح قد عرفنا عنهم بأن أولهم "حناب" وتاليتهم "تناب" وأنهم فتنيين (أهل فتنة)، فهم لم يتركوا أي حق لهم يضيع.

اتضح لي بأن الأخ محمد سالم لم يكن ضمن المجتمعين. وعرفت فيما بعد أنه رفض حضور هذا الاجتماع. كان هذا اللقاء وأسلوب الترتيب له مفاجئاً، وأكبر مفاجأة كانت بالنسبة لي تلك الثقة العالية التي تكلّم بها الوالد عبد الرب والشكوك التي خامرته وأفصح عنها حول القصد من تسليفي المال، وهي شكوك خاطئة بالفعل ولا أساس لها. تركته حتى أكمل حديثه ثم طلبت من الحاضرين

جميعهم أن يكونوا شاهدين على ما أقوله لهم، وأكدت في حديثي أمامهم بأن مساعدتي للأخ محمد سالم هي مساعدة أخ لأخيه وصديق لصديقة، وهي دَيْنٌ شخصي بدون أية شروط، وعليه أن يقضيه في حالة أن يفتح الله عليه، أما إذا خسر تجارته فهو مسامح دنيا وآخرة. وفي الواقع تعجب واندهش الجميع مما قلته لهم وكيف وصلت إلى هذه القناعة في أن أُقدِّم كل ما أملك وأوافق على ان يرد لي الدّين في حالة نجاحه فقط.

في حقيقة الأمر كان الكثيرون منهم يشكُّون في أن يحالف النجاح الأخ محمد سالم في تجارة جديدة لم يفهم قواعدها أحد منهم، فضلا عن خبرته البسيطة فيها. كانت تتملكني قناعة حقيقية في أن حماسة هذا الإنسان للنجاح لا تختلف عن حماستي في بداية عملي في مقاولة الأحواش وأن خبرته في الذهب السابقة والمتواضعة هي أيضاً لا تختلف عن خبرتي البسيطة في أعمال البناء، فمادام حالفني النجاح لماذا إذا لا ينجح هو الآخر؟. مع ثقتي بأن علينا أن نعمل ما بمقدورنا عليه والنتيجة في نهاية الأمر ما يكتبه الله ويقدره لنا وليس رغبات البشر.

اليوم أشعر بسعادة كبيرة جداً في مساعدتي لهذا الإنسان في بناء أول متجر للذهب والمجوهرات، وقد علّم من جانبه وساعد الكثيرين من أبناء رُسَاب وأبناء يافع عامة. كان النجاح الذي حققه الأخ محمد في أول محل وأول تجربة في تجارة الذهب قد دفعت العديد من أبناء رُساب خاصة ويافع عامه لاقتفاء أثر ذلك النجاح وتعَلُّم أسرار تلك المهنة، وتلمع الآن أسماء كثيرين ممن يعملون في تجارة الذهب والمجوهرات، ومن ضمنهم عبد الله ابن عبد الرب عوض، الذي أصبح من تجار الذهب المعروفين.

قصة تهريب العبد

في ضواحي مدينة الرياض جرت العادة بعد تخطيط المدينة وترسيم الأراضي، التي أغلبها صحراوية، أن يعمل الملاك الجدد على تسوير حدود تلك البقع المخططة، حتى لا تطمس الرياح الرملية معالم حدودها، وهكذا تتزاحم الأسوار الخالية من أي مباني في تلك المساحات الشاسعة، ونادراً ما تجد داخل تلك الأسوار الفلل أو المنتزهات العائلية، لأن الأرض كانت تُشترى من أجل تأمين سكن

مستقبلي، وهناك قلة ممن كان يشتري الأرض لتلبية حاجة آنية للسكن، وهؤلاء هم من بدأوا في بناء الفلل ثم التسوير.

آخر مقاولاتي في الرياض كانت في منطقة الشميسي بالقرب من وادي حنيفة، وشملت ثلاث فلل يجمعها سور واحد، وكان مقاول أعمال السباكة في تلك الفلل شخصا من قرية أهل أحمد منطقة لبعوس -يافع، لا أذكر اسمه الآن. كانت منطقة الشميسي في الرياض منطقة شبه خالية إلاّ من بعض الأحواش، ونادراً الفلل. أتذكر أن من البنايات الشهيرة حينها مستشفى الشميسي في الرياض الذي يقع على بعد كيلو متر واحد من مكان المقاولة. كنا في الأيام الأخيرة لاستكمال تلك المقاولة وتسليمها كان الجو الصحراوي حينها حاراً وجافاً وكان العطش يتعبنا أكثر من الجوع.

في أحد الأيام وبينما نقضي استراحة العصر ونتناول الطعام، سمعنا من خلف الأسوار المجاورة صوتاً يصرخ بمرارة ألم ومعاناة، كان يفصلنا عن مصدر الصوت سوران لبقع مخططة لبناء فلل، لم تُبْنَ بعد. كان هدوء الصحراء وقلة تواجد البشر في ساعات هجير الشمس وتوقفنا عن العمل قد جعل ذلك الصوت مسموعاً بوضوح، كانت صيحات الألم يافعية بحته "واعوه وابَه حَيْدي".

سارعنا للبحث عن مصدر الصوت..اقتربنا منه و كان يفصلنا عنه جدار سور عالٍ بُني بقوالب اللّبِن يحيط بأرض تظللها فروع سعف النخيل العالية والمتشابكة. كان علينا احضار أحد السلالم من موقع عملنا فصعد زميلي السلم، وساعدته في تثبت قاعدة السلم.. اختلس نظرة سريعة فرأى كما قال شاباً "حاني السّمار" أي أسمر اللون إلى سواد، مقيداً بالسلاسل ويجلده شخصان سعوديان بعصي من سعف النخيل. راقبنا بوابة السور حتى خرج من كانا يعذبانه بعد اغلاقهما البوابة بقفل كبير.. عُدنا مرة أخرى إلى جانب السور، وفي هذه المرة صعدت أنا إلى أعلى السلم، وسألت ذلك الشخص عن اسمه ومن أين هو وما قصته؟ فأوضح لي أن اسمه مبروك بخيت، وأصله من يافع من أهل سعد باعه أسياده إلى سيد من أهل بيحان ثم باعه في سوق نجران لأحد تجار العبيد فباعه الأخير في سوق مكة لشخص من الرياض، وعمل سائقاً معه، ويسوق أيضاً إحدى القاطرات المحملة بصهريج المياه لسقي أشجار النخيل هنا، ويوصل الماء إلى المنزل، ويقوم بالعناية بأشجار هذه الاستراحة العائلية، ويخدم الأسرة في توفير محتاجاتهم المنزلية. سألته عن سبب تقييده بالسلاسل وجلده، بعد تطمينه بأننا أيضاً من أبناء يافع ونريد أن يكون صادقاً معنا لعلنا نستطيع أن نساعده. فقال: لقد أمر المالك بتقييدي وتعذيبي

حتى أعترف بذنب لم أقترفه. كان يبكي بحرقه شديدة وهو يروي قصته ويقسم بأغلظ الأيمان إنه برئ كل البراءة من كل التهم الموجهة إليه. وقال: عليكم أن تصدقوني ان من أسهل الأمور أن يتهم أي فرد في العائلة المالكة عبداً يمتلكه حتى في أخطاء يكون هو من ارتكبها، ونتحملها نحن لمجرد أننا عبيد فقط وهذه هي الحياة التي كتبها الله لنا. توقف قليلاً ثم عاد ليقول: لكن أن تصل التهمه إلى درجة ارتكاب فاحشة فلا ديني ولا أصلي اليافعي يسمح لي حتى بالتحدث عنها، ولهذا السبب قُيّدت وأعذب حتى اعترف بها، وهذا أمر لا يرضي الله ولا أرضى به مهما كانت العواقب. لقد أحزننا كلامه وقصة معاناته واقتنعنا ببراءته وأصبحنا شاهدين على واقعة ظلم.

إنه من غير الصحيح أن تَبني قناعاتك على أساس أخذ الأقوال من طرف واحد دون أن تتحقق من حجج الطرف الآخر، لأنها ستكون محل شك ولن تكون مقنعة، لكن بأي صفه يمكننا أن نقدم أنفسنا نحن حتى نتمكن من مُساءلة المالك "، وندخل في تفاصيل تهمة العبد التي يخجل عن الإفصاح عنها، لذا أخبرناه بأننا سنساعده على الهروب بعد أن أقسم بالله بأن برئ وأن كل ما قاله صحيح. فطلبنا منه التحلي بالصبر وسنعمل على ترتيبات دقيقة وسرية حتى نتمكن من النجاح في تهريبه وإعادته إلى أهله في يافع. وقبل أن نودعه سألته عن مدى قناعته بهذا الخيار المطروح من قبلنا لحل مشكلته، وهل هو مستعد لمواجهة أية مشاكل قد تعترضنا جميعاً، وأوضحت له بأننا نملك السلاح وقد نضطر لاستخدامه للدفاع عن أنفسنا، فقال: أنا سأقدم رأسي معكم.

عدنا بعدها لاستكمال اللمسات الأخيرة للبناء والتجهيز للسفر بشكل عاجل. وكنت قد اشتريت سبع قطع سلاح، كان تهريبها هماً كبيراً يشغلني، إلا أن الهم الأكبر الآن هو أنني وصاحب أهل أحمد مسئولان أيضاً عن تهريب هذا العبد، الذي لا يملك أية وثائق.

تحركنا أنا وزميلي نبحث عن المسافرين من أبناء يافع لنستأجر سيارة واحدة، واتجهنا إلى موقِف سيارات الأجرة "محطة نجران" وهناك اتفقنا مع مالك سيارات من منطقة الكُرب، أخبرنا أنه قد جهز سيارتين واحدة شاحنة كبيرة والأخرى سيارة نوع "ونيت" وأن عدداً من أبناء العوالق قد حجزوا للسفر معه. أخبرته بوجود عدد من أبناء يافع يريدون السفر، ولكن أحدنا فقد كل وثائقه ونريد مساعدته لنا في نقله إلى اليمن ونحن مستعدين لدفع أي تكاليف، كما أخبرته بأنني وأبناء

يافع المسافرين نحمل أربعين قطعة سلاح. اتفقنا على أن ندفع إيجار نقل السلاح، بالإضافة إلى دفع أجرة من فقد وثائقه ضعف إيجار الراكب العادي. كنت قد اشترطت على السائق أن أكون في المقعد الأمامي واتفقنا أن أدفع أجرة المقعد الأمامي أولاً في سيارة "الونيت"، حتى نصل إلى منطقة الكرب، وهناك سينقلني إلى المقعد الأمامي في الشاحنة الكبيرة، لأُحل محل أحد ركاب منطقة الكرب. قال لي بالنسبة لصديقكم فان أسلم طريقة هو أن يمثل دور "جرشبوي" أي مساعد السائق، وأخبرنا بأن موعد السفر سيكون في صباح اليوم الثاني. اتجهنا لشراء ملابس للعبد، قمصان بيضاء وقتره وعقال.

مع أول تباشير الفجر اتجهنا أنا وزميلي حاملين العدة الكاملة لكسر قفل بوابة السور وكسر القيود. كانت ثياب العبد الممزقة تكشف آثار الجَلد الذي تعرض له على أجزاء جسده وكانت ملابسه المهترئة أيضاً مبقعة بالدم. طلبنا منه أن يلبس الملابس الجديدة حتى لا تفضح آثار السياط قصة تعرضه للجلد ونتعرض لأي مُساءَلة قد تعرقل خطتنا. ما أن وصلنا إلى المحطة حتى انزعج السائق عندما أخبرته بأن هذا هو من حدثناه عنه. قال السائق: كيف لي أن أقول عنه أنه يساعدني في تفقد وصيانة السيارة وقميصه ناصع البياض، حتى أن الغبار لم يمسه بعد، بل إن ملابسه انظف وأجمل من ملابس أي من الركاب. قلت له والله إنك محق في كل ما تقوله، وأضفت: هل لك أن تدلني عن مخبأ زيوت السيارة؟. قال: خلف المقعد الأمامي، ولكن لماذا تسأل عن ذلك. تجاهلته وذهبت وملأت يدي بالزيت ثم مسحتها في أماكن مختلفة من القميص ونثرت عليها قليلاً من الرمل، ثم قلت للسائق: الآن ما رأيك في شكلة؟!. قال وهو يضحك: شبه "جرشبوي" لكن يا يافعي إن على أي شخص منا أن يحسدك على رجاحة عقلك وحسن تصرفك، ألم يكن من الأفضل أن يلبس أي من ملابسه القديمة بدلاً من صب الزيت على قميصه الجديد؟!. قلت له مازحاً: يا كربي، قد وهبني الله عقل محدود القدرات لذا عليك أن لا تضحك فتبلى. ضحك وقال: أنا سأقدم ما هو أنسب. وعاد السائق يبحث بين ملابسه القديمة وأخرج منها قميصاً أكل عليه الدهر وشرب، يبدو أنه قد تشبع عشرات المرات بالزيوت المحروقة وقدّمه لصاحبنا قائلاً: هذا سيكون لائقاً لتمثيل دورك بشكل أفضل. وقام بتزويده بجهاز تشحيم وآخر لرش الديزل وطلب منه أن ينزل في أي محطة تتوقف فيها السيارة مباشرة إلى تحت السيارة لتفقدها وتشحيمها.

وطلب مني السائق أن أُرافقه في المقعد الأمامي لسيارة "الونيت" المحمَّلة بأسلحة أبناء يافع والعوالق. موضحاً أن علينا أن نطارد الغزلان في الفلاء لنصطاد منها ما استطعنا حتى نتحاشى نقاط التفتيش، ويبدو أنه خبيرٌ في مطاردة الغزلان ومهربٌ بارع. كنت أقنص الغزلان القريبة منا، وأحياناً كان طول المطاردة يقطع انفاس الغزلان فتنهك قواها من الجري وتقف مما سهل علينا عندها الامساك وذبحها. كان يشق الغزال بالسكين من أسفل الرقبة حتى أسفل البطن ويتخلص من أحشائها الداخلية ويعلقها من وتد رجلها إلى أهواك صُمّمت لهذا الغرض على جوانب السيارة، وذكر لنا أنه لا يخلس الجلد حتى لا يتلوث اللحم بغبار الصحراء، وعندما تعترضنا أية دورية كان يسلمهم إحدى الغزلان المذبوحة وبعض أكياس السكر والشاي الصغيرة التي كان قد أعدها سلفاً لهذا الغرض. وأوضح أن تعامله معهم بهذا الأسلوب يؤكد لهم بأننا قناصين محترفين وإننا فعلاً في رحلة قنص، ومثل أكياس الشاي والسكر هذه تكون عادة ضمن المواد الأساسية التي يتزود بها القناصون في رحلات الصيد البرية.

واصلنا رحلتنا إلى نجران، حيث توجهت السيارتان إلى قرية الكرب، مسقط رأس السائق، وهناك تم تحويل السلاح إلى السيارة الثانية لنواصل الرحلة إلى النقطة الأخيرة في الحدود، حريب، بيحان. وعند طلوع السيارة وجدت ان السائق قد سلّم مقعدي في المقدمة لشخص آخر، وطلب مني الركوب في مؤخرة السيارة لأن ذلك الشخص الذي حل محلي كبير في السن فوافقت وصعدت إلى أعلى مقدمة السيارة، وقعدت في مكان يسمي "الكبن" فوضعت فراشي "الكنبل" على الحديد وفجأة جاء شاب مفتول العضلات من أبناء العوالق وخاطبني باستفزاز قائلاً: هذا المكان مكاني، ولم يعطيني فرصةً للحديث معه، بل جرني مباشرة من رجلي وأراد سحبي من أعلى السيارة إلى الأرض، عندها تشبثت بحديد السيارة بيد حتى لا اسقط على الأرض وباليد الأخرى شددت شعر رأسه بقوة وأخذت أضرب رأسه على جانب السيارة، كان يبدو أن رأسه قد ارتطم بأحد النتوءات الحديدية مما سبب له جرحاً أدى إلى نزيف حاد فأغمي عليه، وهكذا تخلصت من قبضته، ثم ربطوا جرحه النازف، وبسبب ذلك تم تأجيل السفر.

بقينا في منطقة الكرب، وتدخل بعض الأهالي للصلح بيننا، وقبلت تدخلهم وحكَّمتهم ببندقية، إلاّ أن العولقي ورجال العوالق رفضوا الصلح، وتوعدوني ورجال يافع بالانتقام عند وصولنا إلى حدود بيحان حريب، أي منطقتهم. هذه المشكلة

قسمتنا إلى نصفين رجال العوالق يؤازرون العولقي بسبب إصابته بجرح عميق بجانب رأسه، وأهل يافع يرون أن هذا الضرر الذي لحق به لم يكن مقصوداً، بل كان دفاعاً عن النفس. ولتفادي المزيد من تداعيات المشكلة اضطر السائق إيصالي أنا وجماعتي من أبناء يافع الي منطقة الجوف، وفيما بعد أوصل أهل العوالق إلى بيحان.

ظننت أن وصولنا مع السلاح إلى منطقة الجوف اليمنية هو نهاية المتاعب والهموم وأننا هنا سنلتقط الأنفاس، ونكون في مأمن من ملاحقات الدوريات السعودية، وتهديد ووعيد أهل العوالق. لم أدرك أن القدر يخبئ لنا تعقيدات جديدة. فهنا في نقطة الجوف أكتشف حرس جمارك الأمام بأننا نحمل ٤٠ قطعة سلاح، فطلبوا منا دفع رسوم جمركية بواقع خمسين بالمائة من ثمن كل قطعة.

كنت أحمل شخصياً سبع قطع سلاح، وأعرف بأنني لا أملك المال الكافي لدفع هذه الضريبة الجمركية المبالغ فيها، وشكى الآخرون حالهم وعدم قدرتهم، لهذا قررنا الرفض الكامل لدفع أي رسوم جمركية والبقاء حتى يتم الافراج عن السلاح. كان العسكر قد وعدونا بإبلاغ الأمام بالبرقيات عن مطالبنا بالإعفاء الجمركي الكامل بسبب عدم قدرتنا. انتظرنا ما يقارب شهر وعشرين يوماً ولم نستلم أي رد على البرقيات العديدة التي زعم حراس الجمارك بأنهم قد أرسلوها. هذا الانتظار الطويل أغضبنا جميعاً وشعرنا باليأس والإحباط وإن هناك من يهملنا. شخصياً صبرت كثيراً لأنني لا أريد أن أكون سبباً في مشكلة جديدة تعود بالضرر على المرافقين بالسفر من أبناء يافع، فما زلت أشعر بداخلي بالذنب بسبب حادثة الشجار مع العولقي وإقحامهم حينها في مشكلة ليس لهم فيها ناقة ولا جمل. فقررت هذه المرة أن أتحدث مع موظفي الجمارك من العسكر بكل هدوء ولباقة فترجيت الموظفين أن يفرجوا عن السلاح، موضحاً المعاناة الكبيرة التي تحملناها حتى وصل السلاح إلى منطقة الجوف، وأن ظروفنا المادية لا تسمح بدفع أي نسبة، خاصة بعد فترة انتظارنا التي قاربت الخمسين يوماً، وأوضحت لهم أيضاً إن أغلب السلاح أمانة مرسلة معنا.

لطف الكلام والتودد أحياناً يفهم عند البعض بأنه ضرب من الضعف والهزيمة ويحيي لديهم نوازع الاستعلاء والتجبر، وهذا ما حدث فعلا، فقد صرخ في وجهي أحد العساكر قائلاً: إذا لم تدفعوا الجمارك سنصادر هذه الأسلحة وسنجردكم أيضاً من الأسلحة التي على جنوبكم.

عنجهية وتهجم هذا العسكري طيَّر من عقلي ما أبقاه توتر هذه الرحلة، ونسيت أن مهمتي حل المشكلة وليس تعقيدها، فقلت له باعتداد أن عليه أن يعرف أننا من قبائل يافع، وأنه لن يأخذ السلاح من أكتافنا إلاَّ على جثثنا. فوجئت به يهرول باتجاهي قائلاً: سأريك يا يافعي. كان خوفي من العار الذي سيلحق بي إذا تمكن من تجريدي من السلاح بالقوة قد جعلني أوجه بندقيتي باتجاهه لأوقفه من الوصول إليّ، لكن يبدو أن سرعته باتجاهي فاقت خفتي في توجيه البندقية لطولها، لهذا ارتطمت ماسورتها برأسه وسرعان ما تغطى وجهه بالدم. كانت مفاجأة لم يتوقعها فتسمر في محله، ويبدو أن هذه الضربة نبهته إلى أنه تصرف خطأ، لكن بالنسبة لي لم يكن لدي أي خيار إلاّ الاستعداد لحماية النفس والكرامة، ولم يكن لرفاق الرحلة وللمرة الثانية من خيار إلا مساندتي والاستعداد للأسوأ.. ويبدو إني "عورتها بغرض تكحيلها".

ومن أجل إزالة التوتر الناشئ، التقى مسئول الجمارك بممثلين عنا فأخبرهم بأن بقائنا سيعقد المشاكل، وقدَّر صبرنا واعترف بأن هناك خطأ اقترفه العسكري، لكن أيضاً علينا أن نعرف إن ضربه بماسورة البندقية يعتبر اعتداءً على هيبة الأمام. ورأى أن الطريقة المثلى والأسلم أن نغادر حتى لا تتأزم المشكلة بيننا وبين الحراسة، وما علينا إلاّ أن نتابع الحصول على إعفاء جمركي كامل أو جزئي من الإمام نفسه في صنعاء، وتعهد شخصياً بالحفاظ على سلاحنا حتى يستلم أوامر الإمام، وعندها سيقوم بتحويله إلى صنعاء. وافقنا على شرط أن نأخذ خزانات الأسلحة معنا.

سافرنا باتجاه صنعاء، وفي داخلي قهر عميق وحقد على من حجزوا أسلحتنا وعكروا مشاعرنا الجميلة بالعودة إلى الوطن. كان يؤرقني حتى مجرد التفكير بالعودة إلى يافع بعد ما يقارب خمس سنوات من الهجرة والتغرب فارغ اليدين. أنه لأمرٌ مخجل، لن يقبله كبريائي. كنت أعرف أن الأهل قد بلغهم خبر وصولنا إلى منطقة الجوف، لكنهم لا يعرفون شيئاً عن مشكلتنا مع السلاح وكيفية إخراجه، لهذا أرسلت ما أحمله من الهدايا مع الأخ عوض محمد بن حاتم وحمّلته رسالة موجهة إلى أخي قاسم، الذي كان عمره حينها لا يتجاوز الرابعة عشرة، مفادها أنني سأبقى هنا في صنعاء أتابع الأمام للإفراج عن السلاح المحتجز حتى أكمل ما بقي معي من النقود فإذا فشلت هذه الوسيلة فالوسيلة الأخرى والنهائية ستكون نتيجتها أما أن آتيكم بالسلاح رافع الرأس، أو أن تسمعوا بموت يشرفكم.

هناك في صنعاء قررت أنا وبعض من يملكون السلاح أن نواصل المتابعة، وفضل الآخرون توكيلنا في المتابعة. كانت صنعاء هي المحطة التي ودعت فيها الأخ صاحب أهل أحمد والعبد مبروك بخيت اللذان اتجها إلى يافع. وقد انقطعت أخبارهما عني حتى يومنا هذا. ربما أن ظروف فتنة أهل بن صلاح كانت سببا في هذه القطيعة، فالتواصل بين الناس في ظروف الفتنة مغامرة غير محببة، ثم أن انشغالي بعدها في مرحلة الكفاح المسلح، قد إنساني التواصل لظروف كل منا.

عند وصولنا إلى صنعاء علمنا أن الأمام حينها في تعز، فاضطررنا السفر إلى هناك، وفي تعز التقينا بالسلطان فضل محمد هرهرة والأخوة محمد صالح المصلي وصالح عبد الله البادع وسالم حسين بن عبد الولي. وقد نصحونا بأن الإمام سيتجاوب بطريقة أسرع إذا اتجهنا إلى مقر إقامته بزامل نحشد فيه أكبر عدد من الناس ونحضر معنا رأس بقر مع تجهيز رسالة نوضح فيها مطالبنا.

للأسف لم نستطع تجميع العدد المطلوب من الناس، فلم يعيرونا أي اهتمام حتى ونحن نردد الزامل الذي يلخص مطالبنا أمام قصر الإمام، ولهذا اضطررنا لإطلاق النار في الهواء لنلفت انتباه الأمام وحراسته. عندها خرج أحد الضباط من مكتب الإمام وقال لنا: ما هي مشكلتكم يا أبناء يافع. أخبرناه بكامل قصتنا، وقام الأخ محمد صالح المصلي بتقديم رسالة إلى الإمام نطلب فيها تسليم سلاح يافع بدون جمارك، وفعلاً حصلنا من الإمام على أمر كتبه في أعلى رسالتنا بالإفراج عن سلاح يافع وبدون جمارك.

كانت الأوامر موجهه إلى نجله الأمير محمد البدر الذي كان حينها في تعز يشرف على تخرج إحدى الدفع العسكرية. ذهبنا إليه أنا والأخوة حسين بن منصر وفضل بن محمد بن الشيخ علي ومحمد صالح المصلي. قدمنا له رسالتنا المذيلة بأوامر الأمام فأخبرنا بأنه قد اطلع على قضية السلاح وأنه قد نُقل من الجوف إلى صنعاء وعرض علينا فكرة أن يرافقه أحدنا في الطيارة التي كانت ستقلّه إلى صنعاء وهناك سوف يسلمه السلاح.

في اليوم الثاني اتجهنا إلى مطار تعز يرافقنا الأخ حسين بن منصر. طلعنا الطائرة لكن اكتشف الطيار بأن عددنا يفوقٍ عدد مقاعد الطائرة بشخص واحد، لهذا التفت إلينا الأمير محمد البدر قائلاً: أننا لم نتفق إلاّ على شخص واحد. قمت أنا من مقعدي وقلت له: لا تكترث بي فحياتي كلها شقاء ومعاناة فلا يضير أن أرافقكم واقفاً وسأمسك بأحد المقابض الجانبية. ضحك البدر وأمر أحد الفتيان المرافقين له أن ينزل من الطائرة.

وصلنا إلى صنعاء واستلمنا كامل السلاح بدون جمارك عندها استأجرنا سيارة إلى منطقة البيضاء، وفي البيضاء استأجرنا حميراً حتى تنقل لنا السلاح، وفي منطقة النجاد، طرف قرية العادية، التقيت بأخي قاسم، وكان قد استلف مائتين قرش فرنسي ساعدتني في مواصلة متابعة للسلاح وإخراجه بأقل تكلفة.

أخبرني أخي بأن رسالتي احزنته كثيراً، وكان يخاف بأن يأتي بهذا المال بعد فوات الأوان. وقال: أتيتك أما أن نعيش بكرامة معاً أو نموت معاً. لقد فرحت كثيراً بشعور أخي قاسم ونباهته رغم صغر سنه في تقديم هذه المبادرة، وأثبت بأنه مستعد للوقوف معي بالمال والدم. فرحت بوصوله واللقاء به على مشارف يافع التي كنت متفائلاً بأنها المحطة التي تنفرج وتزول فيها كل معاناة الرحلة الطويلة متشوقاً للاستمتاع بكل لحظة بين أهلي وناسي. أخبرته بمدى اشتياقي لأن أسمع وبالتفصيل المُمل أخبار الأهل الخاصة والعامة، لأنسى مشاق ومتاعب السفر. لكن التدقيق في تفاصيل الوقائع والأحداث المحزنة تكون دائماً وابداً باعثاً للغضب والتكدر والانحسار. لقد أخبرني بأن أخوان الأصل والدم الواحد "أهل بن صلاح".. أهلي وناسي.. قد أعمى الله قلوبهم وانزلقوا في منزلق الفتنة القبلية..وأنه لا توجد أيُّ بوادر أو مساعٍ حقيقية لوأدها وإخماد نارها قبل أن تستشري فتأكل الأخضر واليابس. وقال لي: إن الناس في القرية ينتظرون بفارغ الصبر ماذا سيكون موقفك من هذه الفتنة التي ابتلينا بها؟، فهم يعرفون عن علاقات الأخوة والود التي تربطك بالأهل من قرية رُسَاب وقرية الخلوة المهاجرين في المملكة العربية السعودية.

تعلمت في حياتي إن أصعب المواقف وأعمقها إيذاءً للنفس هي تلك التي يُطلَب فيها من أي إنسان تحديد موقف حاسم يناصر فيه ويؤازر أو يحمل السلاح مع من يحب ضد من يحب، مع أهله ضد أهله، في محنه يعرف إن الكل فيها ضحية لبعض الأشرار ممن يستمتعون بمعاناة وفجائع الناس، أمثال هؤلاء يصنعون ويحبكون المحنة بأنفسهم لتصبح مشكلة غيرهم ثم يسعون لتغذيتها وتعميقها فإذا اشتعلت يدفأون بنارها وأحياناً يفخرون بأنهم من دبرها. ويساعدهم في حياكة هذه الدسائس جهل المجتمع القبلي وفقره.

إن بعض الفتن القبلية كانت صنيعة من صنائع الاستعمار، وفق سياسته المعروفة "فرق تسد" لأن خلق بؤر التوتر في الأرياف من شأنه أن يحرف أفكار وطاقات

الشباب التواق إلى الحرية من التفكير بما آلت إليه الأمور بسبب السياسة الاستعمارية التي تفرض التجهيل والتفرق.

إن حرمان أبناء الأرياف من الحصول على فرص تعليم متساوية مع أمثالهم من أبناء المدينة والموظفين في المؤسسات التي تخدم الاستعمار قد خلق تخلفاً فظيعاً سهل مهمة المستنفعين من الاستعمار في بذر الشقاق بين أبناء القبائل في الريف، وزاد من تسهيل مهمتهم أكثر، الفقر الذي صنعته آلية الاستعمار الإدارية منها والعسكرية، التي تفتح أبواب وفرص النجاح لأعوانه وذياله والمستعدين لتقديم الغالي والرخيص من أجل بقائه.

في النظام القبلي اليافعي أو الحياة القبلية قيم إنسانية جميلة وراقية، هي نتاج وموروث قرون من الخبرة والتجارب الإنسانية، وتوارثتها الأجيال القبلية فأضافت إليها واختزلت منها، وأخيراً قبلها وحاكاها الناس وتمثلوها في علاقتهم وحياتهم كأعراف وقوانين قبلية. هذا الموروث الإنساني وحَّد الناس بقناعات واضحة ومحددة. ففي المجتمع القبلي يتوحد الناس لنصرة الحق والقضاء على الباطل بكل صوره وأشكاله. وفيه تجد أجمل صور ومعاني النخوة والشهامة والفضيلة. فالقبيلة تحرص على أن تنقي نفسها بنفسها، يُمجّد فيها الإنسان القبيلي عندما يتحلى بخصال الشجاعة والكرم والنقاء، وتَلفُظ بل وتلاحق كل الفاسدين ومرتكبي الجرائم والزناة وبهذه المعايير تتمايز القبائل عن بعضها.

كانت للقبيلة حدودها الواضحة والدقيقة ترسمها علامات أرضية ثابته ولها حرمتها وهيبتها وسيادتها. وكانت القبيلة لا تخذل من طلب حمايتها "العروة" أو "الرباعة" إذا اقتنع وجهاء القبيلة وعرافها بعدالة قضية من يطالب نصرته في إخراج الحق، أي "المتعروي" أو أسباب اللجوء "الربيع" حيث تقدم له كل الحماية والأمان والتساوي بالحقوق والواجبات مع كل أفراد القبيلة، وفقا لقاعدة (قاتل، مقتول، خَصَّام، رَجَّام، غرّام)، ومثل أي كيان اجتماعي فإن جمال الحياة القبلية وصفاتها النبيلة وأمنها قد يتأثر وينخدش إما بتدخلات خارجية كالاستعمار الذي بإثارته للفتن يطوّل فترة بقائه واستقراره، أو أحياناً من خلال نشوز بعض البشر وتلذذهم في خلق الفتن بين القبائل لتحقيق مصالح ضيقة، فخبث ودهاء هؤلاء الناس يجعل مشاكل وخلافات البشر تظهر وكأنها عار لن يغسله إلاّ الدم، وأحياناً فإن الجهل وقلة التدبير والحكمة وانعدام التجربة يصعّب التمييز بين الحق والباطل مع عدم فهم النتائج الوخيمة للأعمال غير المدروسة وماهي البدائل الأقل تكلفة.

أسباب فتنة أهل بن صلاح

ارتبط أهل بن صلاح بعلاقة صهارة مع آل اليزيدي عندما تزوج الأخ عبد الله محمد الصلاحي "قرية المبعل" زوجته الثانية من قرية "الصعيد" إحدى قرى منطقة اليزيدي. واختار أن يعيش وزوجته الجديدة في مدينة جعار -يافع الساحل. وفي أحد الأعياد قرر هو وزوجته زيارة ومشاركة الأهل أفراح العيد.

عندما عرف أهل الصعيد بوجود ابنتهم وصهرهم أعدوا ما يلزم للقيام بمثل هذا النوع من الزيارة. على الرغم من شحة الموارد وصعوبة الحياة إلاّ أن الدِّين وتقاليد وأعراف المجتمع القبلي الريفي يفرض على أهل المرأة المتزوجة القيام بتأمين الهدايا والزيارات في كل المناسبات الدينية منها والاجتماعية. هذا النوع من الزيارة يدخل في نفس المرأة المتزوجة السرور والطمأنينة والحماية فهي تشعر بحق بأنها ما زالت تعيش في قلوب أهلها. وإن أهميتها لم يغيرها عيشها بعيداً عنهم. فالناس يعمدون إلى إحضار الهدايا والأغنام، ويأتي الرجال محتزمين بأفضل ما يملكون من السلاح والجنابي. هذه المظاهر مجتمعة تجعل المرأة المتزوجة تحس بقيمة انتمائها وتميزها. ويفخر الزوج وأهله بأصالة وكرم ووفاء الأصهار الذين عادةً ما يؤازرون وقت النوائب أو الظروف الصعبة.

لهذا كان الناس يميلون إلى المغالاة في كرم الزيارة. وكانت زيارة أهل الصعيد من هذا النوع.. لقد أحضروا الأغنام والهدايا، ولبسوا أحلى الملابس وحملوا أجمل بنادقهم وأغلى جنابيهم. وعلى الجانب الآخر فأن أبناء القرية التي تستقبل الضيوف الكرماء يجتمعون ليشاركوا في مراسيم الاستقبال وإقامة الولائم الكبيرة، حتى يردّوا على كرم القادم إليهم بكرم يضاهيه أو يفوقه غالباً.

شاءت الأقدار أن يكون توقيت هذه الزيارة بعد أيام من إصابة أحد النجارين من قرية "شرف النجارين" بضربة فأس في رجله لم يتشافَ جرحها. هذه الإصابة حصلت عندما حاول أن يقطع بعض الأشجار ليستكمل أعمال نجارة كان قد قاولها في قرية الصعيد منطقة اليزيدي، فأصبح بسببها طريح الفراش لأيام في منطقة اليزيدي، ولم يكن أمام الأصهار من أهل الصعيد إلاّ أن ينقلوه راكباً على ظهر أحد حميرهم حتى يوصلوه إلى قريته في شرف النجارين. وكان عليهم أن ينزلوا ضيوفاً عند صِهْرهم عبد الله محمد الصلاحي"قرية المبعل". وفي اليوم الثاني قرر أحد الضيوف ان يسوق حماره الذي جاء المصاب راكباً عليه حتى يوصله

بنفسه إلى قريته " شرف النجارين". وفي الطريق أثناء عودته، بجانب قرية الديوان أوقفه ثلاثة أفراد من أهل المياسرة يستحلفونه بالله على ان يحل ضيفاً عليهم، وعند دخوله البيت، وفيما كانوا يحتسون القهوة، عبّر أحد المضيفين عن إعجابه بجمال جنبية الضيف، وترجّاه أن يسلمه إياها حتى يتفحصها عن قرب، فيما أخذ الشخص الثاني بندقية اليزيدي التي عُلّقت على أحد معاليق البيت، وأصبح لا يملك شيئا يستطيع أن يدافع به عن نفسة. فأخبروه إن ما عليه إلاّ أن ينفذ بجلده، واتضح أن خطة الضيافة مجرد خديعة فقط للاستيلاء على حمارهِ وبندقيته وجنبيتهِ بأقل تكلفة.

من أكبر الإهانات التي يمكن ان تواجه الإنسان في مجتمع قبلي هو أن يُجرد من سلاحه وجنبيته. لقد صُدَم هذا الضيف من هَول هذه الخديعة المفاجئة، وصار يفكر في العار والخزي الذي سيلحقه عندما يعود إلى أهله بدون سلاح. طلب منهم أن يقتلوه برصاصة من شكته. فكان جوابهم له:"إذا تحب أن تموت أرمي نفسك في بئر لأن ليس لنا عندكم قتل حتى نقتلك، والذي لنا عندكم هي زُقارة [1] وهذه الواقعة مقابلها". كانوا بهذا يلوحون إلى حادثة تقطع سابقة جرت في الطريق، قام بها أهل اليزيدي في منطقتهم، سلبوا خلالها كيس هدايا كان يحمله شخص يُدعى القُمَّلي معه وهو في طريق عودته من عدن، لكن ذلك لم يكن سلاحاً أو جنبيه.

عاد اليزيدي شاكياً هول مصيبته لأصهاره أهل بن صلاح الذين رأوا أن هذا العمل المشين والمنافي للأعراف الذي تعرض له ضيفهم وصِهرهم يعد اعتداءً سافراً على هيبتهم وكرامتهم، واعتبروه بدعة خطيرة والسكوت عنه معناه ضعف وانكسار. لهذا أجمع الكل على إرسال وفد قبلي ليتفاوض مع وجهاء وعقلاء المياسرة، ناصر عبد أحمد الميسري وعبيد سعيد الميسري لطلب إعادة كل ما سلبه المياسرة من الضيف اليزيدي مقابل بندق تحكيم لإخراج أي حق سابق للمياسرة من أهل اليزيدي. رفض المياسرة تدخل أهل بن صلاح تحت ذريعة إن تقطعهم لليزيدي يجب أن لا يفهم إلاّ أنه رد حق كان عند اليزيدي لهم. وإنه مثلما اليزيدي صهركم فالمياسرة هم أصهاركم أيضاً. وبرروا فعلتهم بقولهم: إن اليزيدي كان فعلاً ضيف أهل بن صلاح في اليوم الأول لهذا لم نتقطّع له عندما كان يمر أمامنا في طريقه من أهل بن صلاح إلى قرية الشرف، لكن تقطّعنا له

[1] ـالزُقارة: من زقر، أي قبض، والمقصود التقطع وفرض الجباية، وهو التقطع الذي كان يحدث للمسافرين والقبض على أمتعتهم وعدم الإفراج عنها الاّ بدفع مبالغ معينة، أو نهبها.

كان عند عودته من شرف النجارين، ولهذا فإن على شرف النجارين ان يتدخلوا وليس أنتم.

لم يرق هذا الرد لأي فرد من أهل بن صلاح، ولهذا تشكلت لجنة على رأسها عاقل أهل بن صلاح عبد الله بن قاسم والعم سالم عبد الرب حسين للقاء بالقرى القريبة من قرية الديوان، أو ما كانت تسمى (أهل بن صلاح السفلى) حتى يكون للجميع موقف موحد.

اقتنع كل من حضر الاجتماع من قرى رُساب والخلوة والقَنْدُول بأن هذه سابقة خطيرة تخلق حالة من عدم الأمن والاستقرار في منطقتنا. وتم هذا اللقاء في بيت ابن شيخ قرية الخلوة باعتبارها أقرب نقطة حدود مع قرية الديوان. واتفق الجميع على أن يتحدوا لمعاقبة المتطاولين بحزم حتى لا تمس هذه العادة معيبة سمعة منطقتنا، أونصبح حديث الناس، ممن سيقولون ان قبيلة أهل بن صلاح لم تستطع تأمين الحماية لضيوفها أو لمن يلجأون إليها، وهذا سيقود إلى نزول وانكسار المكانة المميزة لأهل بن صلاح وسمعتهم أمام القبائل الأخرى. وافق بعض من أهل قرى القندول والخلوة ورساب في ان يفتحوا حدودهم لنا، إضافة إلى بناء متارس في الحدود القريبة من حد الديواني، قرية المياسرة. بل حتى شارك البعض منهم في إطلاق الرصاص على بيوت المياسرة.

عندما علم وجهاء المياسرة، ومنهم ناصر عبد أحمد وعبيد سعيد بأن جزءاً كبيراً من أهل قرى الخلوة والقندول ورُساب قد اصطفوا مع إخوانهم من أهل بن صلاح العليا، بل إن جزءاً منهم شارك في ضرب بيوتهم، طلبوا من إخوانهم المياسرة أن لا يردوا على إطلاق النار. لأن أي رد سيوحد قبيلة أهل بن صلاح ضدهم وقد ينذر ذلك بفتنة طويلة الأمد سيكونون هم الخاسرين فيها. لهذا فكروا بحيلة تخرجهم من هذا المأزق والمحنة التي لم يحسبوا لها جيداً. طلب المياسرة التحدث مع أهل بن صلاح السفلى الذين سمحوا باستخدام حدودهم وبناء المتارس والمشاركة. وفي ذلك اللقاء أكد المياسرة بأنهم قد تحلوا بضبط النفس لعدم رغبتهم أن يدخلوا في فتنة مع جيرانهم في القرى التي تربطهم معها الحدود الواحدة ويتداخلون معها في الأراضي والحدود. واقنعوهم بقولهم:"إن أهل بن صلاح العليا غرروا بكم وحاولوا إدخالكم في مشكلة ليست مشكلتكم، وأن العليان إذا تعمقت الفتنة سيعيشون بسلام والضحايا ستكونون أنتم ونحن لأن الفتنة بأرضكم. فبيوتنا وأرضنا مكشوفة لكم و بيوتكم وأرضكم مكشوفة لنا، لهذا كان

اقتراحهم من أجل ان لا يتقاتلوا بينهم ويكون أصحاب الشأن بعيدين وفي أمان، وإن الحل الوحيد هو أنه مثلما فتحتم أرضكم للعليان تفتحوها لنا ومثلما صّوبتم بنادقكم باتجاه منازلنا عليكم تصويبها ضدهم وبهذا نكون نحن ردّينا على من هاجمونا وتكونوا قد عالجتم خطأ ارتكبتموه".

رفض جزء من الناس ان يفتح أرضه للمياسرة، ولكن للأسف قرر البعض من أهل بن صلاح السفلان أن يرضي المياسرة بأن يتولوا هم بأنفسهم ضرب بيوت إخوانهم أهل بن صلاح العليان بدون أي مشاركة للمياسرة. كانت هذه الخطوة هي الشرارة التي أوقدت فتنة الإخوان، إذ أن الضرب لم يقتصر على إصابة البيوت بل أصيب الأخ عبد القوي أحمد صالح الحجيلي في صدره.

لم أكن حاضراً أو مشاركاً في أي من المواقف الآنفة الذكر، لأن كل هذه الأحداث وتطوراتها حصلت وأنا في المملكة العربية السعودية. كانت تصلنا الأخبار متأخرة، فنحزن ونغضب جميعنا "أهل بن صلاح السفلان والعليان" لأنه لا يمكن أن يتصور أحد منا أن يمد السلاح على أخيه. فحياة الغربة الصعبة وحّدتنا وخلقت بيننا علاقة حب ومودة وإخلاص حقيقي. كان الواحد منا مستعد ان يضحي بماله أو حتى بدمه لنصرة أخيه فكيف لنا ان ننجر إلى فتنة داخلية، ونتساءل دائماً كيف سمح أهلنا في يافع أن يقعوا في فخ دُهاة صنع الفتن والمشاكل ؟.

الفتن القبلية وفجائعها الإنسانية لا تُخفى على أحد لأن هناك من سبقنا في المعاناة من مثل هذه الفتن.. اِكتووا بنارها وعاشوا فجائعها. فالقتل يقود إلى الثأر والثأر لا يولد إلاّ الحقد الأعمى ويقود إلى ثأر جديد. كان إدراكي لويلات الفتن وعواقبها الوخيمة وحبي لأهلي وناسي قد جعلني أسعى وبشكل فردي على تحييد الأهل من الاقتتال دون أن أصرّح لأحد عن نواياي أو أن يعرف بذلك حتى أقرب الناس إليّ.

ما إن وصلت إلى القرية في رحلة العودة من المملكة بعد سفر شاق وطويل، قررت في صباح اليوم الثاني الذهاب إلى قرية "المصلة" القريبة، حاملاً كل ما أملكه من النقود والمقدرة بستة عشرة جنية ذهباً، قدمتها للعم صالح أحمد المصلي وابنه الأخ محمد صالح المصلي طالباً ان يضما إليهما في هذا المسعى الخيّر الأخ صالح بن غالب السعدي "قرية حقبة" لمعرفتي الجيدة بسعيه الدائم لعمل الخير، وما خبرته عنه من الناس من قوة الحجة والإقناع عند تدخله لحل القضايا المعقدة التي تهدد حياة واستقرار الناس ووحدتهم، فضلاً عن كونه من الرجال الأحرار الأوائل في المنطقة. وطلبت منهم أن يتدخلوا، ثلاثتهم، لحل مشكلة هذه الفتنة اللعينة، التي

اقتنعت إن حلها يكون بمعالجة السبب الأول والرئيسي وهو التعويض الكامل لليزيدي عن كلما سلبه منه أهل الميسري مع تقديم رأسين من البقر كوفاء وإعادة اعتبار له، وبهذا تكون أسباب الفتنة قد حُلت بالكامل، ويبقى أمر مواصلة الفتنة ضعيف الحجة ركيك السبب. وهكذا يكون جميل "أهل بن صلاح" قد توحدوا حول موقف ورأي وعمل واحد ضد من هندس لهذه الفتنة وكان سببها.

كان يحدوني أمل وتفاؤل كبيرين في أن هذا المسعى الانفرادي سيكلل بالنجاح كون الفتنة ما تزال في بدايتها ولم تتعقد أحداثها ونتائجها بعد. وكانت أغلب خسائرها مادية فقط، وأعمقها إصابات بشرية لم تؤدِ إلى الوفاة أو الإعاقة. كنت مؤمناً أن التحرك لوأد هذه الفتنة يجب أن يكون الآن وبسرعة لأنه لا يمكن التنبؤ بما يخفيه القدر في الأيام القادمة، ولأن الأمور المادية يسهل تعويضها بماديات مثلها لكن متى ما أزهقت الأرواح فعندها ليس بمقدور البشر إعادتها وإحيائها.

اختياري للعم صالح المصلي ومحمد ابنه والأخ الشيخ صالح بن غالب السعدي في مساعدتي لإخماد هذه الفتنة قبل استفحالها بمرور الزمن وتسارع الأحداث، ليس اعتباطاً ولكن بسبب وجاهتهم ومكانتهم المميزة وسط القبائل، بالإضافة إلى أنهم كانوا من الأحرار الأوائل الذين حدّدوا بوضوح رأيهم ضد الاستعمار، وهم أيضاً من أوائل من استوعبوا حقيقة أن المنتفع الوحيد من مثل تلك الفتن القبلية هو الاستعمار وأذياله وأن الخاسر الوحيد هم أبناء القبائل.

إن إقدام أي فرد أو جماعة من المنتمين للأطراف المتقاتلة على خطوة مسالمة من هذا القبيل في ذلك الزمن تُصنف على أنها صفة من صفات الجُبن والخوف الذي لن يتشرف أي إنسان أن تكون من صفاته. ولهذا كان شرطي لمن أخترتهم أن تقدم هذه المبادرة على أساس أنها مبادرتهم وأنهم من سيتحمل تكاليفها من أجل حقن دماء أبناء المنطقة و بالتالي توحيد طاقات شبابها لنصرتهم وأمثالهم في مقارعة الاستعمار، وكانت بيوت أولئك الأحرار الذين ذكرتهم أهدافاً للطيران الحربي البريطاني لاحقاً.

أما فكرة أن يكون مفتاح حل هذه الفتنة هو تعويض اليزيدي ببندق وجنبية وحمار فللأمانة التاريخية كانت فكرة قد أخبرني عنها أخي قاسم ومستوحاة من العم محمد صالح عبد الرب الذي أكدها لي هو أيضاً، وهو من عُرّاف وحُذّاق قريتنا. لكنه أخبرني إن هذه الفكرة عندما طرحت على ذوّي العقد والحل في قرى أهل بن صلاح العليان لم تلق تجاوبا منهم بسبب إيمان الكثيرين بأننا ضحية

اعتداء من إخواننا أهل بن صلاح السفلان الذين اقتنعوا في البداية في توجيه بنادقهم معنا ضد من سلبوا ضيفنا. وعادوا دون أي سبب وجيه ليوجهوا بنادقهم ضدنا. كان هذا هو ظاهر التبرير لكن في باطنه حقيقة أن هناك من وجدوا في أن مواصلة هذه الفتنة التي تقسم أهل الصلاحي إلى قسمين هو تخفيف لفتن وتوترات داخلية كانت قد بدأت قبل الفتنة بين أبناء العم في القرية الواحدة. العليان منهم والسفلان. وهؤلاء وجدوا ان الفتنة العامة مخرج لتخفيف المشاحنات والفتن الخاصة، وفقا للمثل الشعبي "أنا ضد ابن عمي وأنا وابن عمي ضد الغير".

كانت مشاورات الوساطة مع المعنين بالأمر تسير ببطء ورتابة. و كان يراودني أمل كبير ورغبة شديدة في أن تنتصر أصوات الخير والسلم على أصوات الشر والعدوان. لكن الأيام والأشهر كانت تنطوي دون أي بارقة أمل. لقد دفعت كل ما أملكه من المال، ووعدت بالمزيد منه، إذا اقتضت الضرورة حتى أحقق هذا الحلم، وأحقن دماء أهلي ووقف تداعيات الفتنة. وبعد حوالي عشرة أشهر من الانتظار كان أمامي خيار العودة إلى المملكة العربية السعودية لأواصل عملي في المقاولات في مجال البناء، وشعرت حينها بأنني لن أستطع مساعدة الوساطة عن بعد وحثهم على المتابعة. كنت أحصل على وعود من العم صالح المصلّي بأن حل هذه المشكلة من أولويات مهامه وإنه سيسعي للخير والصلح وبإرادة الله ستنفرج، لكن عليّ أن أصبر.

أخبرني العم عاطف بأن الشيخ صالح علي الضباعي ومحمد ابنه طلباه لترميم ما صدع الزمن من الجدران الخارجية لبيتهم الذي كان عتيقاً لكنهم أحبوا مواصلة السكن فيه، لأن فيه رائحة وذكريات آباءهم وأجدادهم. وكان العم عاطف قد بدأ العمل ووسع شرخ البيت حتى يتمكن من ربطه بالدعائم، وقال: "إن تصرف أحمد سالم بن ذباب فيه إهانة لي لأن بقاء البيت بشرخه الواسع يخجلني لأن توقيت التوقيف كان عندما بدأت ابني الدعائم لأغطي الشرخ لكن تأخره كان متعمداً حتى يسبب احراجاً لي. لقد أمرنا بأن نوقف العمل حتى تُحسم قضية الأرض التي كانوا يأخذوا منها التراب والتي كانت محل نزاع بين الضباعي وبن ذباب. وعندما اشتد الخلاف والعناد بينهم هدّد بن ذباب بأنه سيضرب أي شخص يشارك في البناء".

وفي هذا الوضع اضطر العم عاطف بأن يتوقف عن البناء مستهجناً لغة التهديد والوعيد، ولهذا طلب مني الضباعي أن أساعده في العمل والمواجهة لأي مشاكل أو نتائج سيّئة اذا نفذ بن ذباب تهديده فعلاً بضرب عمال البناء بالرصاص. لقد

وافقت وبفرح كبير لسببين. الأول لأنني بحق أفتقر للمال، ولأن الضباعي قد وعدَ بدفع أجور عالية لأنه لن يجد من سيقوم بالبناء تحت وابل من الرصاص. وثانياً تمثلت عند قبول العمل والمخاطرة في مثل تلك الظروف حكمة الله التي وردت في الآية القرآنية "وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" "البقرة : ٢١٦". كانت أيضاً في حساباتي السرية إنه اذا نفذ بن ذباب تهديده وحصلت أيّ إصابات أو قتل معناة إعلان فتنة. فلربما فتنة بعيدة عن أرضك قد تقلل من توتر فتنة أهل بن صلاح الداخلية وقد توحدهم. بالإضافة إلى قناعتنا بأن أسجال الضباعي تثبت ملكيته للأرض. بسبب هذه الظروف، وافتراضات النتائج، طلبنا اللقاء مع الشيخ الضباعي وابنه، وبحضور العم محمد خضر كتبنا اتفاقاً فحواه إنه في حالة ان يصوب بن ذباب أي منا فبيت الضباعي منجا لنا وحيده محجا.

عمل الضباعي على تغطية أماكن العمل بحُزَمٍ من قصب الذرة مشدودة إلى بعضها بقوة وإحكام. وقد حمتنا فعلاً من طلقات رصاص بن ذباب اليومية. وبعد حوالي شهرين من العمل وكنا حينها في الأيام الأخيرة لاستكماله أتانا الأخ حسين علي محمد المبعل، خال الأخ سالم محمد خضر، ليخبرني بأن عليّ أن ارافقه إلى القرية لأن محمد ابن أخي المرحوم حسن قد أصيب إصابة طفيفة. كانوا يدركون مدى تعلقي بهذا الولد وعطفي عليه، باعتباره أكبر أبناء أخي حسن، ولهذا كنت أعتبره مع حسين أخيه وأختهم أبنائي الذي شاء الله أن أرعاهم وأقوم مقام الأب تجاههم. طلبت من الدكتور عبد الله سالم الوالي مرافقتي، لكنه اعتذر بحجة أن روماتيزم المفاصل كان قد أتلف مفاصله وانه لن يستطيع السير لمسافات طويلة. وأخبرني مادامت إصابته طفيفة فيمكن أن أحضره إلى هنا. لقد أزعجني هذا العذر الذي لم آلفه عن هذا الحكيم، لكني عرفت لاحقاً بأنهم كانوا قد أبلغوه بأن ابن أخي قد قُتل.

إن مساعي الخير الأحادية والسرية للأسف قلما تنجح في زمن استشرى فيه التخلف والظلم، بالإضافة إلى عدم استقرار أهل المصلي في المنطقة إذ كانوا يتنقلون بين يافع وتعز والحديدة. وهكذا مرّ أكثر من عام دون الوصول إلى حل لأسباب المشكلة. بل أن ما كنت أخشاه قد حصل، فالحرب التي اقتصرت في بدايتها على ضرب البيوت مع بعض الإصابات البشرية التي كان من الممكن إطفاء لهيبها

قد تعقدت بمرور الأيام ووصل الحقد إلى قمته وأصبح الهدف الآن ليس البيوت، بل أرواح البشر.

إذاً فالفتنة التي لم أحب أن أكون طرفاً فيها وأن أُحرق بنارها، أحرقتني وكان أحد ضحاياها ابن أخي "محمد حسن فاضل"، الطفل البريء الذي لم يتجاوز اثنى عشر ربيعاً من عمره،.كان لحظة مقتله يلعب ويمرح مثل بقية أقرانه واثقاً أن هذه الحرب هي من صنع الكبار، اذاً فهي لا تعنية ولا تهمه ولن يخافها. ولا يوجد في إدراكه شيء يمنعه من أن يلعب في مناطق مكشوفة وهناك قتل. كان قدري أن أتبناه بعد موت أخي وأُحببته مثل ابني وكان قدري أن أواجه أحزان وفاته.

إن قتل الأطفال والنساء عملٌ مشين وغير مشرف لأنه يستهدف النفس البريئة بدون حق. على الرغم من أن الفتن القبلية عمياء وظالمة يقتل الناس فيها بعضهم بعضاً تحت مبرر الثأر. لكن الانزلاق إلى قتل النساء والأطفال وطاعني السن أمرٌ تسمو عليه كبرياء القبيلة.

لا زلت أتذكر العمة فاطمة بنت حسين عاطف "أخت والدي" وكانت متزوجة في رباط العبادي. أتتني باكية قالت أنها سمعت محمد قاسم الصياغ حينما كان يومها يحرث أرضه الواقعة في قرية الرباط ومعه عاطف عبدالرب، وكان يعاتب أحد المقاتلين من أهل رُساب الذي كان متجها إلى قرية القندول للحراسة وضرب منازلنا قائلاً له:"والله عيب عليكم أن تقتلوا الأطفال، فاتنوا مثل الخلق وإلاّ بطلوا".

وكان الرد :" سهل رَعْ ما هو إلاّ يتيم، أبوه مات، وإذا أحد فكر أن يتابع عليه سنجمع له الدّية من أول بيت إلى آخر بيت". وقالت لي:" أني عارفة بأنك لا تريد أن تكون طرف في هذه الفتنة لذا استحلفك بالله أن لا تطلب دية، وإذا لم تستطع أخذ الثأر اترك غيرك يأخذه". ولقد تأكدت من الأخ محمد قاسم الصياغ لاحقا من صحة ما قالته عن حديثهم.

أن نخطئ فالبشر خطاؤون ولكن علينا أن نتعلم فن الاعتذار حتّى نخفف أثر أخطائنا في نفوس الناس لنكسب تسامحهم وعفوهم. ولكن أن نخطئ خطأ يصل إلى مرتبة الجريمة فنستهزئ ونتعإلى فهذا ما يثير مشاعر الغضب وعدم التسامح. وقد آلمني بحق قتل ابن أخي، لأن قتله كان بدون وجه حق فهو لم يحمل السلاح قط.

مرت أشهر عديدة لم أستوعب أو أتقبل ما حدث إلى درجة انه سيطرت على عقلي وتفكيري تهيؤات وشكوك بأنني قد أصبحت حديث الناس. كنت إذا رأيت

أحداً يهمس في أُذن الآخر أو يحدثه دون أن أسمع الحديث أشعر أن هذا الهمس أو الحديث أو الضحك يمسني ويسخر من ضعفي في حماية أولاد أخي المتوفي.

وهنا أتذكر أنني في عام ١٩٥٨م تقريباً كنت ضمن موكب "شواعة" عريس من أبناء قريتنا، وعند عودتنا إلى جانب منزل العريس شاهدنا طائرة عسكرية بريطانية تحوم في السماء على ارتفاع منخفض، وهو ما تعودنا على رؤيته عندما تستهدف الطائرات البريطانية قصف منازل الأحرار، فقررت في تلك الأثناء استهداف الطائرة ببندقيتي، لعلّني بذلك أعيد مأثرة الرُّبيزي في اسقاط الطائرة أو أعيق مهمتها. كان نوع سلاحي "تُماتيك -أمريكي"، ولهذا انفردت جانباً مصوباً بندقيتي باتجاه الطائرة وأطلقت ثمان طلقات متتالية هي كل ما كان في خزانتها، فأثار تصرفي هذا استياء والد وعَمّ العريس وأخرجهما عن طورهما، لكوننا بجانب منزلهما، فاسرع كل منهما لتناول عصا غليظة(صَمِيل - جمعها صِموَل) وهرولا باتجاهي ليوسعاني ضربا بسبب تصرفي هذا الذي خافا أن يعرض منزلهم لقصف انتقامي. ولم يثنيهما عن ذلك سوى صوت ابن عمّي مُحمَّد عاطف المرتفع وهو يقسم بالله أنه سيطلق عليهما النار إذا اقتربا مني.

لم يزعجني تصرفهما هذا الناتج عن تخوفهما من أن تعود الطائرة لاستهداف بيتهم، بقدر ما أزعجني ما وصلني فيما بعد من قول تفوَّه به أحد أبناء القرية وحُذّاقها عندما قال أمام من أزعجهم ضرب الطائرة في مواساته لهم:" صالح بيتحرّش بالطيران البريطاني وهو ما قدر يمسح الضّفعة[1] التي تحت الذّيل". كان بقوله هذا يعيِّرني لعدم قدرتي على الأخذ بثأر ابن أخي، وفسر بشكل خاطئ أن استهدافي للطائرة مجرد محاولة مني لتغطية جوانب ضعفي بعمل مبالغ فيه. لكن ما لم يدركه ذلك الشخص هو قناعتي شخصياً بأن الأخذ بالثأر أمر سهل، لكنه سيقود إلى ثأر آخر وإلى المزيد من دوّامة القتل، وأن ضربي للطائرة قد فرضته عليَّ مبادئي وقناعاتي وعشقي للحرية والكرامة وعدم الرضوخ لمن استعمر الأرض والإنسان، بل مقاومته بكل الطرق والإمكانات المتاحة. ولكي أخفف وأهوِّن على أهل العريس من قلقهم وخوفهم المشروع أكدت لهم أمام الآخرين بأنه إذا عاودت الطائرة لقصف منزلهم فأنني أتنازل لهم عن منزلي وسأقدّم ما أملكه من الأرض تعويضاً لأي خسائر أخرى قد تلحق بهم.

[1] - الضفعة: زبْل البقر.

إن هذه الفتنة بتعقيداتها وأحداثها الفظيعة تمنعك من أن تتحكّم بما بقي من عقلك، وتهز قلعة مبادئك السلمية فيسهل عندها على طاحونة الفتنة أن تلفك لتلحق بمن سبقوك ولتبدأ حياة كلها كرّ وفر، حياة يفقد فيها الإنسان إنسانيته، حياة كلها تشرد وحذر واستعداد، تحتمي من شررها بالجدران واللكام أو الأحجار.

عندما طُلب مني أن أكتب قصة حياتي ترددت كثيراً لأنني أدركت ان هناك محطات في حياتي تؤرقني وتحزنني وبالتالي تكون الكتابة عنها إعادةً لشريط أحزاني. إن من عاش ظروف الفتنة القبلية، وتجرع مرارتها، وحرق بنارها، وخسر الآباء أو الأخوة أو الأبناء، ولأسباب لا تستحق إراقة قطرة دم واحدة يدرك مبلغ مرارة هذه التجربة. إن تجربة الفتنة القبلية مريرة ومأساوية تحطمت فيها كل القيم القبلية الجميلة وانتهى فيها حب الحياة والتفاؤل بالمستقبل ونمت فيها الكراهية والحقد ويُقتل فيها من نحب، ويعيش الناس خلالها حياة يلفها الخوف والحذر. والأسوأ من ذلك إن فتنة القبيلة الواحدة.. الدم الواحد.. والأرض الواحدة، هي بحق فاجعة إنسانية. لأن هذا النوع من الفتن يقضي على البشر، وعلى الأرض والحجر.. حركاتك فيها محدودة.. خطواتك محسوبة، وأعصابك مشدودة. تفكر دائماً بأن من سيقتلك هو ابن عمك القريب.. وان كنت أنت السباق فانت قتلت ابن عمك أيضاً.. أمران أحلاهما مر لأن المنتصر مهزوم ومنكسر ابداً.

بسبب الفتنة تضوّر الناس جوعاً لأن الاعتناء بالأرض أصبح مخاطرة غير محمودة العواقب وتوقف بناء البيوت لعدم القدرة على توفير الحماية للبناة. وأصبحت البيوت أهدافاً يومية حتى لا يشعر ساكنوها بالأمان.

فتنة أهل ديان والصّياغ

إن للفتن القبلية صور وأهداف بشعة يصل الحقد والغل فيها إلى محاولات الإبادة بدون تمييز أو فرض الذل والاستسلام. ولتسويق المثل الذي يدعم ذلك الاستنتاج سأحكي تجربة عشتها. ففي أحد الأيام وأنا في أحد المتارس في منطقة الحصين نتبادل الطلقات النارية التي كادت أن تكون خبزنا اليومي سمعت طلقات من الخلف، كان مصدرها كما يبدو قريتنا. انسحبت وبسرعة وعند وصولي وجدت حسين عوض ديان يطلب من الحاضرين قبول عروته في أن نحمي نساءهم من قناصي أهل الصياغ الذين تمركزوا في أحد نُوَب الحراسة القريبة من بيت بن

ديان قائلاً:" لقد وصل الأمر بأهل الصياغين أن يرموا حماراً ميتاً إلى واحدة من آبارنا وقتل كلب ورميه في الثانية ولم يبق أمامنا إلا الاستقاء من البئر التي يحرسونها هم ويطلقون الرصاص على أي امرأة من بيتنا تحاول أن تستقي من مائها.. لقد عطشنا.. فالأطفال يبكون من العطش. أنا لا أريد منكم إلاّ تأمين الماء لنا حتى تنقذوا حياة الأطفال والنساء والعجزة. أما الفتنة فنحن كفؤ لها".

اتفق كل أبناء قريتنا بأن السكوت عن حرمان أهل ديان من الحصول على ماء الشرب وصمة عار. لهذا اتجه حذاق القرية إلى حبيل الموحس ليدعوا رجال الصياغ للتفاوض بشكل سلمي. وآخرون اتجهوا إلى بيوت الصياغين على أن يدخلونها كضيوف عابرين ولا يخرجوا منها إلاّ بموافقة بالسماح لابن ديان بالحصول على الماء.اتفقت أنا وحسين قاسم علي أن نتجه إلى نوبة الحراسة، التي كانت مصدر الخطر على حياة نساء أهل ديان التي يتمركز فيها أهل الصياغ لمنع النساء من جلب الماء. ذهبنا إلى هناك وكلنا عزيمة وإصرار بأن ننقذ حياة الأطفال والشيوخ والنساء لأن هذا العمل مُنكر ويفرض علينا ديننا الحنيف أن ننهاه بكل ما نستطيع. بالإضافة إلى أن قبول العروة معناه أن إخراج الحق لهم بالماء هي مسئوليتنا. حاولنا أن تُحل المشكلة سلمياً، لكننا كنّا جاهزين لما هو أسوأ.

وصلنا إلى النوبة، وما إن دخلنا الطابق الأول، حتى وجدنا المنفذ إلى الطابق الثاني موصداً بأحجار كبيرة مسطحة. وبعد أن رفض من فيها فتح المنفذ تحدثنا معهم موّضحين الهدف من وصولنا وقبولنا عروة الأخ بن ديان. لم يقبلوا إزاحة الحجر أو التفاهم معنا بل أن أحدهم قعد على ذلك الحجر. كان الأخ حسين قاسم قوي البنية مفتول العضلات، لهذا قررنا محاولة إزاحة هذه الحجر. لم نزحها إلا قليلاً، بحيث استطعت من خلال فتحة بسيطة إدخال فوهة بندقيتي وإطلاق رصاصة أحدثت صدى، وزاد دويّ الانفجار لأن نوبة الحراسة كانت مغلقة بالكامل. هذا الصوت أربك من كان هناك، بالإضافة إلى أن ما أحدثته الرصاصة من تناثر الغبار قد عتمّ الرؤيا فاستغلينا هذا الارتباك وأزحنا الصخرة وصعدنا إلى الطابق الأعلى وأصبحنا وسطهم. كانت بنادقهم معلقة في الجدران وعلى الأرض كانت أدوات الصياغة موجودة، فهم يحرسون ويعملون في نفس الوقت. كانوا أربعة بينهم صديق حميم (محمد قاسم الصياغ). أخبرتهم أن ما يقومون به محرمٌ بالدّين، وإن من يعرف أصول ونواميس القبيلة سيدرك بأن خطوط حمراء قد تم اجتيازها.

كان الأخ محمد قاسم صامتاً. فأوحى لي صمته بأنه أحس بخطأ عملهم. أخبرناهم بأننا لن نخرج من هنا حتى يسمحوا لأهل بن ديان بأخذ الماء الكافي.

كان أحدهم غاضباً ومنزعجاً لوجودنا بينهم، فقام بإطلاق عبارات الحَرَام والطلاق بأنه لن تدخل قطرة ماء إلى بيت ديان، وقال بأن ما على ديان إلاّ أن يشرب من بوله. وبنفس أسلوبه ولفظه حلفت بالله بأن بن ديان سيشرب الماء وإلاّ سأجعله يشرب من دمك. لم يكن أمامنا من خيار إلاّ أن ننفذ ما أتينا من أجله، كانت لهجتي معه قاسية لأن بنادقنا أنا والأخ حسين بنادقنا بأيدينا فيما بنادقهم على الجدار. بالإضافة إلى أنني تعلمت في حياتي أنه إذا كنت صاحب حق أو تدافع عن حق وأصبحت في مواجهة مع من يحاول أن يتجبر أو يتمسك بالباطل أو يدافع عنه فعليك أن لا تكون لبقاً أو ليناً معه، لأن ذلك سيجعله يتمادى ويطمع فيك، بل عليك أن تكون قاسياً وحاسماً، لأن صوت الحق دائماً الأعلى، فلربما بهذا الأسلوب تعينه على أن يتنبه لخطأه الفادح فيهدأ ويراجع نفسه أو يلهمه الله الصواب، وهذا ما حصل في هذه الحادثة.. نادينا أهل بن ديان من النوبة وأخبرناهم إنّ بإمكان نساءهم الاستقاء من البئر بأمان. وبهذا الحادث حصل أهل ديان على الماء من تلك الآبار حتى يومنا هذا.

إن الاستشهاد بهذه الأحداث والحقائق التاريخية الغرض منه استخلاص العبر والدروس فقط حتى لا نكرر أخطاء الماضي في حاضرنا أو مستقبلنا ولكي نتجنب أسباب المشاكل والفتن وننبذ الوشاة وشياطين البشر، ونتفاءل بمستقبل مشرق وآمن. نعلِّم أولادنا حب الخير والفضيلة ونبذ الشر بكل أنواعه وأشكاله.

كانت أحداث الفتنة تتعقد يوماً بعد يوم ويكبر الخوف من نتائج استمرارها، وكان يكبر في رأسي السؤال عن ماذا جنينا من هذه الفتنة؟ وماذا سنجني من استمرارها وتعقيد أحداثها؟. كان الجواب جلياً وواضحاً: سيتعمق الاستعداء بين الأخوة وينغرس أكثر الحقد والكراهية، ويجثم بسبب تعمقها شبح الفقر والجهل والتخلف. إن بقاء المرء وسط هذه الظروف والأحداث وبشكل يومي يجعل من الصعب عليه أن لا يكترث بأحداثها ونتائجها، فطقوس ونواميس القبيلة بالإضافة إلى الغريزة الإنسانية المتعلقة بعواطف الناس تجعل الإنسان يؤثِّر ويتأثر بمن حوله ويحدد موقفه بكل وضوح وصراحة. لذا رأيت إن فكرة انتقالي إلى منطقة أبين سيجنبني التفاعل والمشاركة المستمرة في فتنة ظالمة أسبابها هشة وأهدافها تحطيم كل القيم الإنسانية وهو ما يتعارض مع مبادئ حياتي وتطلعاتي.

لم يكن اختياري منطقة أبين اعتباطاً، بل كان بسبب حصولي على معلومات أن هناك بداية لتشكيل خلايا سرية منظمة هدفها مناهضة الاستعمار البريطاني. لقد أحسست أنني وجدت ضالتي المنشودة في الانضمام إلى صفوف حركة القوميين العرب لتحرير الجنوب العربي من الاستعمار البريطاني، لأن هذه الحرب عادلة و أهدافها واضحة ويباركها الله، وهي بحق تتفق مع مبادئ حياتي وتطلعاتي. فقد كنت مستوعباً ومؤمنا بأن تخليص الأرض من دنس الاستعمار يعني خلاص الجنوب العربي بمدنه وأريافه من السبب الرئيسي للجهل و الفقر، بل ومن خلق وتغذية الفتن.

على المستوى الشخصي كانت تتملكني قناعة حقيقية بأنه إذا أُبليت بَلاءً حَسَناً في الكفاح المسلح، أكون بذلك قد قدَّمت خدمة حقيقية للجنوب العربي بشكل عام ولأهلي وناسي في يافع وال بن صلاح بشكل خاص، لأن قهر الاستعمار هو قهر لكل موروثه ومخلفاته، ومنها الفتن القبلية و التجهيل التي كانت في أعلى قائمة أولوياتي. لذا تم انتقالي إلى أبين مدينة جعار تقريبا في بداية ١٩٥٩م، وبقيت متنقلا بين يافع وأبين.

مشاركتي في حِلْيَن

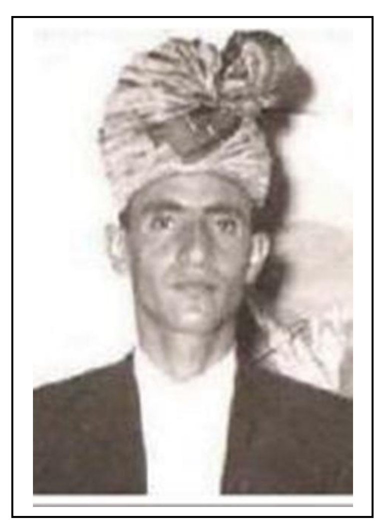
في عام ١٩٥٨م كانت تقريباً كل مناطق الجنوب العربي قد انضمت إلى حكومة الاتحاد الفدرالي، عدا منطقة يافع العليا التي أبى رجالها الانصياع لتطلعات الاستعمار في إحكام السيطرة على منطقة لا يؤمن أبناؤها تاريخياً إلا بشيئين اثنين، إما الحرية أو الموت. فالاستعمار البريطاني كان يبدو بأنه قد درس تاريخ يافع جيداً واستوعبه، بل وتمثله في خططه الاستعمارية ودرس أيضاً جغرافية المنطقة وطبيعة رجالها، فاستلهم جيداً بأن الطبيعة الوعرة والقاسية، قد لفظت نواعم البشر وانتقت الأشداء منهم لتعيش معهم في تناغم وانسجام، يحمونها فتحميهم، بل تشعر تارة بأن البشر قد قهروا الطبيعة وروضوها، فبنوا المدرجات الزراعية في بطون جبالها وبسواعدهم المفتولة والقوية التي صلبتها حجارة يافع الجرانيتية، ونحتوا الصخور وبنوا الحصون العالية في هضابها وعلى قمم جبالها وتمرسوا على السلاح وأجادوه منذ نعومة أظافرهم. لقد صنعوا ملاحم بطولية يشهد لها تاريخ اليمن فهم يتسابقون للموت على محراب الحرية. فحب أبناء يافع

للحرية أزلي ومتأصل، وهم يؤمنون بأن البشر ينبغي أن يعيشوا حياتهم أحراراً، والتاريخ يؤكد بأن رجال يافع قد هبوا لمناصرة القبائل الأخرى التواقة للحرية. وتلك العوامل والحقائق التاريخية، جعلت الاستعمار يتحاشى الاستفزاز والاستنفار المباشر لأبناء المنطقة، ورأى أن الاخضاع العسكري المباشر سيكون مكلفاً جداً، لذا كانت فكرة البحث عن أعوان وركائز له في المنطقة لمحاولة إلهاء وشغل الناس بالفتن الداخليه لاستنفاد قوتهم وتفتيت وحدتهم على طريقة "فرق تسد".



كانت تربطني بالأحرار من يافع الذين رفضوا الخضوع للاستعمار وأعوانه علاقات مصيرية مبدئية ومميزة، وفي مقدمتهم الأخ محمد صالح المصلي. هذا المناضل الوطني استلهم أفكار الحرية خلال سنوات هجرته مع والده إلى الهند في الأعوام الممتدة من عام ١٩٤٢م - ١٩٤٧م. وكان يروي لنا كيف اتحدت شرائح الطبقات المسحوقة في الهند مع الوطنيين على اختلاف أطيافهم الدينية وانتماءاتهم الاجتماعية تحت لواء القيادة الوطنية التحررية التي تزعمها القائد السياسي الهندوسي المهاتما غاندي والقائد المسلم محمد علي جناح في صراعهم لتحقيق الحرية والاستقلال الوطني للهند من الاستعمار البريطاني.

في بداية ومنتصف الخمسينيات من القرن الماضي بدأت تدخل بعض بيوت المقتدرين أجهزة الإذاعة "الراديو" بأحجامها الكبيرة، وكانت الثورة المصرية ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ووصول الزعيم الفذ جمال عبد الناصر إلى رئاسة الدولة عام ١٩٥٦م، وما أعقب ذلك من تأميم قناة السويس والنجاح في بناء جمهورية حرة ومستقلة تتوق للوحدة العربية، قد جعلت الناس يتجمعون حول أجهزة "الراديو" في كل القرى، للاستماع إلى الخطب التاريخية العصماء للزعيم القومي عبد الناصر، والتي كانت تلهب حماسهم وشوقهم للحرية.



إن تلك الأفكار الناصرية كانت تحرك بحق في ضمائر بسطاء الناس النزوع للحرية واقتفاء آثار الثورة المصرية بأبعادها القومية. ومع هذا كان الخوف والحذر يتملكان الكثيرين، فهم يرون إن مقاومة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس بالبندقية هو ضرب من الجنون، بل هو الجنون بدمه ولحمه، خاصة بعد ان دمّر سلاح الجو الملكي البريطاني منزل السلطان محمد عيدروس عندما أعلن تمرده على الاستعمار البريطاني. ونتيجة لتلك العوامل برزت كثير من الأصوات المنادية بالحرية في مدن مناطق وقرى الجنوب العربي، ومثّلت تلك الأصوات النواة الأولى لتشكيل التجمعات الأوليه للأحرار الرافضين لكل أشكال التواجد الاستعماري.

هذا الزخم الثوري وأفكار التمرد على كل ما له صلة بالاستعمار خلق حالة من المناصرة العلنية، على مستوى القرى والمناطق. وهذه المناصرة وإن كانت في بدايتها فردية إلاّ أنها سرعان ما صنعت وسط القرى والمناطق حالة من الاصطفاف الصريح، بل والتوتر بين من أيدوا رموز الأحرار وبين من استمروا في مناصرة الاستعمار وأذنابه. هذا الوضع الجديد لم يَرُق لأعوان الاستعمار في المنطقة وفي مقدمتهم السلطان محمد صالح بن هرهرة وأولاده، وبذات الوقت رأى المعتمد البريطاني ومستشاروه من العسكريين والسياسيين إن إخضاع يافع وإدخالها في حكومة الاتحاد وإعطاء القوة للسلطان بعد اعتماده ممثلاً للمنطقة في حكومة الاتحاد، سيجعل القبائل وشيوخها تذعن للأوامر، وبالتالي يصبح من السهل لفظ من تسول له نفسه بالخروج عن طاعة السلطان إلى خارج حدود السلطنة، ثم نفيه إلى خارج حدود الجنوب العربي، أي إلى اليمن الخاضعة لحكم الإمام. لهذا قرر المعتمد البريطاني أن يكون منزل السلطان محمد صالح بن هرهرة وأولاده هدار ومحمد في قمة جبل "حلْيَن" مركزاً متقدماً. وقد كان ذلك الحصن يحتوي على دواوين خارجية لإيواء موظفي وعساكر السلطان وأُحيط بسور تزين كل ركن من أركانه نِوَبٌ للحراسة.

في عام ١٩٥٩ ولعدم قدرة السلطان وأعوانه في المنطقة على كبح جماح انتفاضة الثوار ضد الاستعمار البريطاني وعملائه في المنطقة، لجأت حكومة الاتحاد إلى سياسة تدمير منازل رموز أحرار يافع العليا بواسطة الطيران الحربي البريطاني، وممن تعرضت منازلهم للتدمير:

١ - صالح عبد اللاه البادع، قرية ذي صرا -يافع
٢ - محمد صالح دوعني، قرية الدرب – الحد
٣ - صالح عبد القوي / قرية المحجبه – يافع
٤ - الحاج محمد أحمد بن عبادي/ قرية المصلّة – يافع كان الهدف تدمير منزل المناضل محمد صالح المصلّي قرية المصلّة – يافع

كان يَعقُب تدمير البيوت منشورات تنثرها الطائرات في القرى المحيطة تهدد فيها بضرب أي من القرى التي تعمل على إيواء أو مساعدة من استهدف الطيران منازلهم. وكان الهدف من تدمير المنازل زرع حالة من الرعب والخوف في قلوب كل من تسول له نفسه مناصرة الأحرار، أو حتى إيوائهم، لذا كان الملاذ الآمن للبعض هو الرحيل إلى مناطق اليمن، مثل البيضاء أو تعز. كان الحلم الذي يراود حكومة الاتحاد هو اذعان الكل لجبروت الآلية العسكرية البريطانية والانصياع المطلق لأوامر عملاء الاستعمار من مشايخ وسلاطين، وعند ذلك فقط يكون ضم يافع لحكومة الاتحاد الفدرالي أمراً سهل التحقيق.

أحدث هذا العمل اللاإنساني المتمثل في تدمير المنازل وتشريد الأسر، حالة من الاستنكار الدولي، دفعت وزير المستعمرات البريطانية ليصرح، عبر إذاعة لندن، بأن قصف الطيران شمل منازل غير مأهوله بالسكان، وأنه أتى بطلب من سلطان المنطقة محمد صالح بن هرهرة وأولاده. كان هذا الخبر قد أذهل كل من سمعه وأغضب بشكل خاص ضحايا القصف وكل الشرفاء والأحرار، وتساءل الجميع كيف يجوز لهذا السلطان ان يسوق الدمار لأبناء قبائله.

في هذا الصدد بعث الأخ المناضل محمد صالح المصلي رسالة إلى السلطان وأولاده، عبر عاقل مرفد "صالح محمد المرفدي" يطلب منهم إيضاح الأسباب التي دفعتهم لأن يطلبوا من المعتمد البريطاني قصف المنازل وترويع أبناء المنطقة. وكان ردهم بأنهم لم يطلبوا ذلك وإن ما تم التصريح به كان تضليلاً لا يمت للحقيقة بصلة، ولكن عندما طلب منهم تأكيد وإعلان ذلك رسمياً عبر وسائل الإعلام، رفضوا تكذيب تصريح وزير المستعمرات البريطانية. واقتنع الكل بأن ذلك الرفض هو اعتراف ضمني بحقيقة واقعية التصريح، وهو ما تؤكده الوثائق أدناه.



السلال يشكر الروس والالمان والامريكان

ضرب القرى اليافعية بالقنابل والمدافع الرشاشة

فتاة الجزيرة

Sunday July 21, 1963

استنجاد أمير يافعي بسلاح الطيران الانجليزي
قبائل أهل أمحيد تحاصر الأمير هدار بن هرهرة في حلين

والطيران الملكي يقصف القرى القنابل والمدافع الرشاشة

سلال اليمن يرحب بناصر العرب في الشهر القادم
المشير السلال يشكر الروس والامريكان والالمان ويدعو لمساندة التنظيم الشعبي

من انحاء العالم

ادارة الاعتماد البريطاني
محمية عدن الغربية

رقم س/سياكيا/٢(١١)

عدن في ٢١ يناير ١٩٦٠ الموافق ٢٩ رجب ١٣٧٩

حضرة صديقنا الأمير هدار بن محمد صالح آل هرهره المحترم

بعد التحية :

إستلمنا جميع التقارير عما يحصل في بلادكم من والدك السلطان ومن أخيك محمود. نحن معجبين جداً بشجاعتك في الدفاع عن بلادك ضد المفسدين ورفع مقام صديقنا القديم والدك.

نحن نرسم الآن على أي صورة نستطيع مساعدتك في معركتك ونرجو قريباً أن نتمكن من إعطائك المساعدة التي ستقوي مركزك والسلطه للسلطان.

في نفس الوقت، إني أرتب مع صديقي الحميم جميل بن حسين ليرسل لك بعض رصاص زياده.

فضلاً أخبرنا إذا تحب ان تهاجم الطائرات أي بنايات ونحن سننظر اذا كان من الممكن لنا أن نقوم بما تطلب.

صديقك المخلص

المستشار والمعتمد البريطاني

الطائرات البريطانية تقصف قرى يافع بالقنابل والمدافع بطلب من الامير هدار بن هرهرة

خلق تدمير المنازل حالة من الشعور بعدم الأمان. فعلى الرغم من شدة وصلابة الرجال وتمرسهم في الحروب البرية إلا أن ذلك النوع من الحرب الجوية كان جديداً عليهم. ففي ذلك الزمن لم نكن نملك أي مضادات للطيران، وكان كل ما نملكه هو أسلحتنا الشخصية التي لم تصد أو توقف الطائرات الحربية من تحقيق أهدافها في إلحاق الدمار في المنازل والحصون المحددة سلفاً. بسبب ذلك أفرز الواقع مواقف متباينة وسط المجتمع فالشريحة الاجتماعية المنتفعة من الاستعمار وأعوانه بررت هذا العمل المشين، وكانت ترى أن على الناس أن يعيدوا حساباتهم ويغيروا من قناعاتهم ومبادئهم الثورية لتجنب هذا القصف.

الشريحة الثانية كانت تتمثل في السواد الأعظم من الناس الذين لم يكونوا حينها قد حسموا خياراتهم ومواقفهم، وهؤلاء اتخذوا موقفاً في ظاهره اللامبالاة، لكن كان يغلي في داخلهم شعور الغضب من جبروت الاستعمار وتدميره للمنازل وتشريده للعائلات مع تخوفهم مما تخبئه الأيام القادمة لهم إذا لم يكن السلطان راضٍ عن درجة ولائهم وطاعتهم له.

وهناك الشريحة الثالثة التي كانت تمثل النسبة الأقل في المجتمع، تلك هي التي حسمت خياراتها وآمنت بأن للحرية ثمن. وهؤلاء أوصلهم الظلم والقهر إلى

المرحلة التي يستعد فيها الإنسان الشريف ان يقدم ماله ومنزله وأرضه ودمه ثمناً للحرية والكرامة. لهذا كان على هذه الشريحة الوطنية أن ترص الصفوف وتوحد المواقف وترسم التكتيك والاستراتيجية لتحقيق هدفها المتمثل بالحرية والكرامة وعدم الخضوع والإذلال لآلية الاستعمار العسكرية المتطورة.

كان ثمة تواصل بين الأخ محمد المصلي، والشيخ أحمد أبوبكر النقيب والسلطان محمد عيدروس وأحرار المناطق الأخرى، واقتنع الجميع أن تبدأ المقاومة من الأرياف لأن الظروف الذاتية والموضوعية لم تنضج بعد لنقلها إلى المدن. وكنا نعتقد إن قص أذرع أخطبوط الاستعمار سيمهد الطريق إلى وهن جسده ورأسه وعندها سيتمكن المناضلون"المتشوعون" لنقلها إلى المدن للتمكن من الرأس.

وانكشف القناع عن الخطة الاستعمارية لإخضاع يافع عسكرياً، عن طريق ركائزه من أبناء يافع. كان الاستعمار يراهن بذلك على وَهَن النزعة التحررية لأبناء المنطقة وإضعاف الرغبة في الاستبسال من أجل الكرامة والعزة، خاصة إذا ما كان المتسلطون هم من أبناء المنطقة وليس من خارجها، لأن التاريخ يؤكد بأن كل محاولات استعباد المنطقة من الطامعين الأجانب، تنسحق وتنهزم أمام صمود ووحدة وخشونة رجالها وجبالها.

ما يؤكد استنتاجي هذا هو حصولي على وثيقة باللغة الإنجليزية في أحد المكاتب التابعة للمندوب السامي في مدينة الشعب — عدن عند إسقاطنا لها في الأيام الأخيرة من الكفاح المسلح، وترجم محتواها أحد الإخوان، فكانت عبارة عن وثيقة لمحضر اجتماع عُقد في مدينة الشعب بحضور المندوب السامي وأعضاء حكومة الاتحاد لمناقشة الخطوات العملية لضم يافع لحكومة الاتحاد. وفيها عبر المندوب السامي ووزير المستعمرات البريطانية عن عدم رضاهما للفشل في ضم يافع إلى الحكومة الفدرالية وما آلت إليها الأمور في المنطقة من زيادة التمرد والصمود، على الرغم من تدمير منازل رموز التمرد والقاء ما يزيد عن ٢٠٠ طن من القنابل على يافع وجاء فيها:" في الوقت الذي لم نحقق انتصاراً حقيقياً على الأرض تعرضنا لانتقادات في مجلس العموم البريطاني، لهذا ومن أجل إخضاع المنطقة أقر التالي:

أولاً: أن يطور مطار حِلْيَن حتى يسهل هبوط الطيران فيه لأي إنزال عسكري مع دعم مركز حِلْيَن بالعساكر والمال والسلاح لنصرته ضد المتمردين.

ثانياً: لضمان حكمنا للمنطقة علينا إضافة مركزين الأول في منطقة سبيح وسباح يعتمد كسلطنة ويعين الخضر محمد الشقي سلطاناً عليها، والثاني في

منطقة سرار يعين فيها شيخ مشايخ كلد زين بن علي بن عطية بدرجة "قائممقام"، وهذا اللقب بناء على طلب الشيخ نفسه.

ثالثاً: يُعتمد حسين صالح النقيب شيخاً بدلاً عن ابن عمه الشيخ أحمد أبوبكر النقيب الذي تمرد على الإنجليز وربط علاقة مع الإمام.

رابعاً: بناءً على طلب الشيخ صالح سالم بن عاطف جابر يعتمد ابنه عبد الرحمن شيخاً بدلاً عنه ويكون له مكتب في مدينة الشعب".



منظر جوي لقصر السلطان وملحقاته في جبل حِليَن

كان هدم المنازل وتهجير بعض العائلات وتصريحات وزير المستعمرات البريطانية ونتائج مراسلات المصلّي قد سهلت تحديد معالم هدف الثوار على مستوى المنطقة، لذا كان التخطيط لإزالة ما اعتبره الأحرار حينها مركز الاستعمار الرئيسي في المنطقة "مركز حِليَن" هدفاً مباشراً لإفشال أي استخدام للمطار وطرد عمال اللاسلكي وإغلاق مركز الجمارك باعتبارها جميعاً مظاهر استعمارية.

كنا ندرك أن أي نجاحات في تلك المسارات ستقود حتماً إلى أضعاف هيبة السلطان وتحجيم سيطرته ونفوذه، حتى يكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يبيح الأرض والإنسان للاستعمار مقابل الحصول على مصالح ضيقه وزائلة من الجاه والسلطة والمال. وكانت هذه المهمة صعبة فالسلطان وأولاده قد فرضوا نفوذاً وهيمنة منقطعة النظير على أغلب قرى منطقة الحد. وكانت حركات التمرد ضد نفوذ السلطان التي نشأت هنا وهناك تواجه من قبل عساكره بعنف وحسم

شديدين. وفي حالة الفشل كان الطيران الحربي البريطاني يتدخل بطلب من السلطان ليستهدف فيها منازل رموز الأحرار والخارجين عن طاعته.

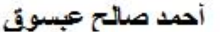
كان قصف سلاح الطيران الملكي البريطاني لمنزل محمد صالح دوعني، قرية الدرب "أهل موسى علي"، قد روّع الناس في منطقة الحد فاضطرت كل العائلات الساكنة في قرية الدرب للنزوح هاربة، من سطوة السلطان وجبروت القوة العسكرية البريطانية إلى منطقة البيضاء، كلاجئين هناك، وشعر الآخرون في القرى المجاورة لحِلْيَن بأنهم سيواجهون نفس المصير إذا عبروا عن سخطهم وعدم رضاهم عن السلطان. لذا كان من المهم التنقيب عن العناصر الشجاعة والشريفة في منطقة الحد والقرى المحيطة بمركز حِلْيَن ممن رفضوا هذا النوع من التسلط والإذلال وإعادة الثقة إلى نفوس من روعهم طيران الاستعمار وملاحقات عساكر السلطان.







محمد صالح المصلي — الشيخ أحمد ابوبكر النقيب — أحمد صالح عبسوق



كانت تلك التحركات والاتفاقيات يقودها الأخ محمد المصلي والشيخ أحمد أبوبكر النقيب باسمنا جميعاً أحرار يافع. ومن اللقاءات الموفقة بين المصلّي وأحمد صالح عبسوق "من آل موسى علي"، وهو أحد الاشخاص الموثوق بهم، وكان حينها لاجئاً في منطقة آل حميقان، وقد اقتنع برأينا في أن على أصحاب الشأن من المتضررين من القصف أن يعودوا إلى بيوتهم وأرضهم وإن علينا جميعاً حمايتهم ومؤازرتهم في حربهم ضد من تسببوا في تدمير منازلهم، لأن قضيتهم كانت مصدر تعاطف الكثيرين ممن اقتنعوا أن حرب السلطان ضدهم غير عادلة وغير متكافئة، لهذا كان الرهان على استثمار عدالة قضيتهم في حربنا ضد مركز حِلْيَن، بالإضافة إلى اعتماد أرضهم القريبة من مركز حِلْيَن محطة متقدمة لكل أحرار يافع، لتكون نقطة انطلاق ومحطة لإيواء الأحرار من كل مناطق يافع. وافق أهل

قرية الدرب على العودة إلى أرضهم ليسكنوا بيوتهم يؤازرونا ونؤازرهم في الحرب ضد مركز حلْيَن. كان شرطهم الوحيد أن يساعدهم الأحرار في تهريب محمد صالح دوعني من سجن حلْيَن الذي تم القبض عليه عندما قام بزيارة سرية إلى قرية الخربة. وفعلاً تم تهريبه بنجاح من السجن بخطة كانت قد حبكت بإحكام. إذ طلبوا من زوجته ان تقوم بزيارته إلى السجن وتجلب له الطعام كالعادة، وعندما تسنح الفرصة تخبره بأنهم سيكونون في انتظاره في المساء محددين الوقت والمكان بجوار السجن. وفي الوقت المحدد في المساء طلب دوعني من السجان الخروج من غرفة السجن بحجة التبول وكان مكبلاً بالقيود فاطمأن الحارس أنه لن يتمكن من الفرار وعليه القيود. وكان هناك من هم في انتظاره لمساعدته حيث قاموا بحمله ومن ثم تهريبه إلى البيضاء.

نجاح تلك العملية أيقظ العزيمة والثقة في نفوس من انكسروا أمام جبروت الظلم، فعادوا جميعهم إلى قرية الدرب، يسكنون بيوتهم ويهتمون بأرضهم، بل وقبلوا أن تكون أرضهم محطة لأحرار يافع، وأن يكونوا هم المقيمين الأساسيين عليها. عندها ابتدأت الحرب وكانت عبارة عن كر وفر استمرت أولاً حوالي أربعة أشهر، حينها استقطب الأحرار أفراداً من قبائل الحد، وأخيراً انضم إليهم آل الخلاقي وهي تمثل واحدة من قبائل آل امحيد الواقعة أسفل جبل حلْيَن، وكان بينهم وبين السلطان فتنة وثأر. إذ إن عساكر وأعوان السلطان قتلوا منهم أربعة، فرأوا ان انضمامهم إلى محطة الثوار هو الطريق الاقصر لتحقيق الثأر من أعدائهم، وتم عقد اتفاق شرف مع آل الخلاقي مفاده بأن عدونا واحد وأن أي هجوم من عساكر السلطان أو القبائل المناصرة له على أي من الجهتين يكون على الجهة الأخرى أن تشارك في المعركة حتى نتمكن بوحدتنا وقوتنا من تحقيق الانتصارات. هذه الوحدة وإن اختلفت الرؤى والأهداف البعيدة للعناصر المكونة لنسيجها إلاّ أنها في الأخير صبّت في بوتقة الأهداف القريبة، وهي المقاومة، بل ومحاولة إزالة المصدر الذي قوض دعائم الأمن الناس والاستقرار وفرض هيمنة لم يألفها رجال يافع الأحرار. كانت أهم أهداف بعض العناصر هو الثأر، وأخرى استعادة حقوق المواطنة والعيش بسلام، وهناك تيار ثالث آمن واقتنع بأن تحقيق الهدف القريب الذي ينسجم مع قناعات الحلفاء ليس إلاّ تكتيكا لاستراتيجية تهدف إلى قص أذرع الأخطبوط الاستعماري وتحجيم سيطرته على المدن وتحرير أرض الجنوب العربي

منه. كنا نؤمن بأن إفشال خطة حكومة الاتحاد في الإلحاق القسري ليافع ستشعل جذوة النزعات التحررية في كل الأرياف.

على المستوي الشخصي لم يكن منزلي هدفاً للطيران البريطاني ولكن ما تجرعته على مدى عقدين ونصف من الزمن ابتداء من مرحلة طفولتي القاسية، ثم حرماني من الدراسة وسد كل فرص العمل أمامي واضطراري مع الكثيرين للهجرة خارج الوطن متحملين أهوال السفر والخوف من المجهول ومما يخبئه القدر. وأخيراً عدت من المهجر لأكتوي بنار فتنة قبلية أيقنت بأنها صنيعة استعمارية لإطالة عمره وتسهيل بسط نفوذه على أرض ينشغل فيها الأخ في صنع كمائن لقتل أخيه، كل هذه العوامل والمحن والمآسي عمقت في عقلي ووجداني الكراهية للاستعمار والرغبة الجامحة في تحرير الجنوب منه ومن موروثه، مضافاً إليه القناعات الدينية والإيمان بأن الجهاد ضد من استباحوا الأرض من المستعمرين هو فرض عين وإن الاستشهاد في هذا الجهاد هو الطريق إلى الجنة، ولهذا أيقنت أن الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل هي الخطوة إلى حِلْيَن، ويجب على كل حر يتوق إلى تطهير أرض الجنوب العربي من الاستعمار البريطاني أن يبدأ التطهير في حدود القبيلة.

كانت الحرب مع السلطان وعساكره متقطعة، تشتد حيناً وتضعف حيناً آخر، وتتخللها فترات يكون الهدوء الحذر سمتها. أحياناً تنشب هنا وهناك مناوشات محدودة لا تستدعي مشاركة الكل، وأخرى يتم فيها الصلح المشروط بعدم ممارسة السلطان أي سلطة أو نفوذ على من ناصروا الأحرار من يافع عامة ومن أبناء المنطقة خاصة، مثل أهل موسى علي القائمين على محطة الثوار أو أهل الخلاقي.

كنا نقبل الصلح لأن إمكانياتنا محدودة فأغلبنا أحرار متطوعون، وعندما تشتد المعارك والمواجهة بين أبناء القرى المناوئة لمركز حِلْيَن والقائمين على المحطة من جهة ومركز حِلْيَن والقبائل الموازرة له من جهة أخرى كنا نأتي لتلبية النداء بأسلحتنا الشخصية وذخائرنا وما نستطيع حمله من طعام. تلك المؤازرة أدت مع مرور الزمن إلى ازدياد عدد المناصرين من القبائل المحيطة بجبل "حِلْيَن" ومن أبناء يافع، وأدى ذلك إلى تقليص نفوذ السلطان وفشله في تنفيذ الخطط التوسعية للاستعمار في يافع. وكما أسلفت فإن هذه المعارك كانت عبارة عن كر وفر، انتصارات وانكسارات، وكل ما اشتد الخناق على مركز السلطان والقرى المناصرة له، كان السلطان وابناؤه يستنجدون بسلاح الطيران البريطاني محددين له الأهداف التي عليه ان يقصفها سواء المواقع التي يتمركز فيها الأحرار أو ضرب

منازلهم. كان السلطان يحصل على بعض الإمدادات من سلاح وذخيرة وغذاء عبر منطقة مكيراس، لهذا كان من أهم أساليب تضييق الخناق عليه هو ترتيب كمائن في منطقة البيضاء لمنع وصول تلك الإمدادات، بل والاستيلاء عليها لدعم الثوار، وكان يحصل أيضاً على السلاح والإمدادات عبر الجو بواسطة الإنزال الجوي بالبروشوت.

خلال تلك المعارك سقط الكثيرون، أتذكر منهم الشهداء التالية أسماؤهم:

١ - محمد عبد ربه الوطحي – قرية الوطح
٢ - علي عسكر، توفي متأثراً بجراحه، أصله من قرية آل عياش
٣ - حسن صالح سعيد الهود – قرية المصنعة، أصيب بقذيفة طائرة.
٤ - الحاج عبد الرحمن بن محمد عبد الله البري – قرية بر - لبعوس
٥ - الحاج عبد القوي بن حسين الكبوس - قرية النجد

وأتذكر من المصابين :

١ - حسين صالح المصلّي – قرية المصلّة
٢ - صالح محمد عبد الرب الجحوشي – قرية قدرة
٣ - علي عبد الرب بن مزاحم – قرية حُقبة
٤ - عبد القوي الكعبي – قرية لكعوب
٥ - حسين عبده – قرية الحديدة
٦ - الشيخ أحمد أبوبكر النقيب "شيخ الموسطه"
٧ - محسن عثمان – قرية سقام

وبسبب عدالة القضية وصمود الأحرار وتحقيقهم بعض الأهداف القريبة، دخلت افواج من المناصرين إلى صف الثوار، فأصبح العمل المسلح أكثر تنظيماً وفاعلية، وهذا قاد إلى تقليص نفوذ وهيبة السلطان وأولاده، فأصبحت امدادات السلطان عرضة لكمائن الأحرار، كما إن وجود المطار القرب من مسرح المعركة جعل هبوط الطيران مغامرة غير محمودة العواقب، وتعلم الناس كيف يتحاشون تأثير ضربات الطيران عليهم بمغادرتهم المنازل والحصون نهاراً ليتمركزوا في الهضاب والجبال المجاورة ويأوونها ليلاً. فالبيوت بساكنيها عادة تكون أهداف سهلة للطيران الحربي لكن من الصعب إصابة البشر المحتمين بالجبال، هذه التكتيكات والانتصارات ازعجت وأحرجت الاستعمار البريطاني، ممثلاً بحكومة الاتحاد، فالتمرد أصبح ظاهرة ليس فقط في يافع ولكن في المناطق الأخرى، مثل الربيزي في

العوالق، والدماني في العواذل والسقلدي في الشعيب والشيخ علي صالح الباقري ومساعد علي البيشي في منطقة الشاعري ولبوزه في ردفان. وعدم إجهاض تلك النزعات الثورية في منطقة يافع والمناطق الأخرى كشف القناع عن بداية ضعف الإمبراطورية التي لم تكن تغيب عن مستعمراتها الشمس وأظهر عجزها في ان تحمي ركائزها وأعوانها في المناطق الريفية.

مشاركتي في معركة سبيح وسباح

كانت حكومة الاتحاد تنظر إلى منطقة يافع كحالة خاصة، بل شديدة الخصوصية بسبب عجز الاستعمار وركائزه في المنطقة عن ضمها إلى حكومة الاتحاد، كانوا يأملون كما يبدو أن يكون مركز حِلْيَن والسلطان محمد صالح هرهرة وأولاده وبناء المطار وإنشاء الجمارك جسر العبور لفرض النفوذ والهيمنة الاستعماريةوالانضمام إلى حكومة الاتحاد.

في نهاية ١٩٦٠ هدأت المناوشات العسكرية، فعدت إلى القرية أبحث عن عمل حتى أستطيع شراء الذخيرة، مدركاً أنه على الرغم من تحجيم نفوذ وسلطة السلطان، إلاّ أننا لم نكمل ما بدأناه، وكانت خطتنا هي الاستفادة من هذا الهدوء المشوب بالحذر لإعادة ترتيب الصفوف والتخطيط لمعركة حاسمة. لم يمر سوى شهرين فقط، حتى أتاني الأخ محمد صالح المصلّي ليخبرني بأن السلطان محمد عيدروس قد وصلته أخبار من مصادر سرية في عدن بأن المعتمد البريطاني يرافقه السلطان جعبل بن حسين وصالح بن حسين من العواذل، والسلطان أحمد عبد الله الفضلي من أبين، وشريف بيحان الهبيلي، والشيخ علي عاطف الكلدي والشيخ حيدرة منصور وعدد من الضباط والمستشارين العسكرين ترافقهم فرقة من شَبَر ومن اللَّيوي قادمون في إتجاه يافع.

كان الهدف من ذلك الزحف العسكري هو التنفيذ العملي لخطة حكومة الاتحاد الفدرالي في تحقيق الضمانات السياسية والعسكرية لضم يافع العليا إلى حكومة الاتحاد. فمن أجل ضمان نجاح تلك المهمة حشد المعتمد البريطاني عدداً كبيراً من المستشارين السياسيين والعسكريين، من الإنجليز والعرب، بالإضافة إلى السلاطين والمشايخ مستخدمين سياسة العصا والجزرة. فالأمور المخطط لها والتي لم تحسمها وجاهة السلاطين والمشايخ سلمياً سيحسمها الجيش المدعوم بالطيران الحربي عسكرياً.

لا بد لنا من الإشارة إلى أن عدن كانت تعتبر من أهم المستعمرات البريطانية إن لم تكن الأهم وذلك للأسباب التالية: -

١ - موقعها الاستراتيجي المشرف على مضيق باب المندب واحتوائها على ما كان يعتبر ثاني أهم ميناء في العالم.

٢ - تميزها بمطار واسع ومهم يصلح للاستخدامات المدنية والعسكرية.

٣ - إحتوائها على مصفاة لتكرير النفط "مصفاة عدن".

٤ - تعتبر ضواحي عدن محطة واسعة وتضاريسها تسمح لتدريب جيوش المستعمرات البريطانية.

٥ - تعتبر قاعدة عسكرية متقدمة يسهل الانطلاق منها لإلحاق ضربات عسكرية قاضية في الخليج العربي والجزء الغربي من المحيط الهندي ووسط وشرق افريقيا.

هذه العوامل والمواصفات الاستراتيجية جعلت البعض ينظرون إلى أهمية عدن تجاه المستعمرات البريطانية الأخرى وكأنها العمود المحوري الرابط لعجلات العربة فإذا انكسر عمود المحور تناثرت عجلات العربة وانشلّت حركتها. استيعاباً لتلك الأهمية سعت المملكة المتحدة البريطانية إلى خلق الضمانات التي تمنح تلك المستعمرة الاستقرار وطول البقاء. كانوا يرون ان عدم ضم يافع إلى حكومة الاتحاد يعد فشلاً في خلق أجواء الاستقرار المستقبلية للقاعدة العسكرية البريطانية في عدن. فعلى الرغم من تدمير الطيران للمنازل إلاّ أن هذا العمل زاد الناس إصراراً على البقاء والتمسك في الأرض، بل ومواجهة عساكر السلطان وأعوانه في معارك شرسة جعلت المساندة الجوية مطلوبة لبقاء مركز حِلْيَن شبه فاعل حتى وصول المزيد من الإمدادات البشرية والعسكرية.

كان يؤرق بال المسئولين في حكومة الاتحاد أن يخسروا مركز حِلْيَن، لأن ذلك سيجعل خطة الإلحاق بعيدة المنال وستتحول منطقة يافع إلى مركز يأوي كل أحرار الجنوب العربي، بل ستكون محطة انطلاق لدعم كل الحركات التحررية في المناطق والقبائل المحيطة بيافع والتي كانت هي الأخرى قد أعلنت عن رغباتها التحررية.

جميع المعلومات التي حصلنا عليها تؤكد بأن القوة العسكرية ستسلك السيلة البيضاء متجهة إلى وادي سُلب، ومنها إلى سبيح وسباح، وهناك ستتم مراسيم تنصيب الخضر محمد الشقي سلطاناً، وبعدها ستكون محطتهم الأخيرة منطقة

حلين لكي يساندوا السلطان محمد بن هرهرة، ويحسموا المعارك التي شلت سلطته وهيبته في المنطقة. كان علينا تلبية نداء السلطان محمد بن عيدروس على وجه السرعة، حتى نلتحق بالقبائل التي حشدها في معركة الشرف والكرامة لمنع تلك القوة العسكرية من التقدم والسيطرة على أرض يافع.

كانت فرقتنا قليلة العدد، وكان يتزعمنا الأخ محمد صالح المصلّي ويرافقنا أخوته سالم وحسين ومنصّر والأخ الجحوشي. وكنا قد حملنا الذخائر بالإضافة إلى رشاش "برنجان" وعتادنا على ظهور الحمير. وبعد سفر يوم كامل مشياً على الأقدام، توصلنا إلى "حبيلة الحبيل" وهناك التقينا بالسلطان محمد عيدروس وابن عمه السلطان محسن حمود، وقد حشدا قوة بشرية فاق عددها الألفين مقاتل، وهناك طُلب مني ومن شيخ بن هيثم وسالم المصلّي وثلاثة آخرين لا أتذكر أسماءهم، أحدهم من أهل سعد، والثاني من شعب، والثالث من يهر، أن نكون فرقة استطلاع متقدمة، وقضت التعليمات أن نحرص على أن لا نطلق الرصاص، حتى لا ينكشف أمرنا، لأن مهمتنا محددة فقط وهي ان نستطلع عن بعد قدوم القوة العسكرية البريطانية وإعطاء تقييمنا لعددها وعتادها، وبعدها نعود لنخبر جيش الأحرار، حتى يتجهزوا لمهاجمتها.

ما ان وصلنا إلى إحدى السيل المشرفة على عقبة الدقيق خلف سبيح وسباح، منطقة تسمىّ أمرية، حتى فوجئنا هناك بظهور الطلائع الأولى للفرقة العسكرية البريطانية التي اتخذت أسفل عقبة الدقيق مكاناً لحط الرحال. وهناك نصبوا الخيام للراحة وتجهيز وجبة الغداء، كنا نراقب الموقف من بين أشجار الأثل الكثيفة المنتشرة على جوانب السيلة، لكننا فوجئنا بإطلاق نار عشوائي مكثف باتجاهنا مصدره الجبال المحيطة بنا، وهي جبال مرصع و شيوحة وأهل امشق. أحسسنا عندها بأن أمرنا قد انكشف، وكان ينبغي تنفيذ أوامر الانسحاب للالتحاق بقوة السلطان محمد عيدروس في منطقة سبيح، حتى نقدم لهم تقديراتنا عن العدد التقريبي للقوة وعتاد الجيش وموقع مخيمهم.

لكن الانسحاب كان مجازفة غير محمودة العواقب، آخذين بعين الاعتبار إننا سنواجه قبائل الشقي في أرضهم وشعابهم، وسنكون أهدافاً سهلة لهم، لهذا لم يكن أمامنا غير خيار واحد، هو أن نتوزع بين الأشجار، لنفاجئ القوة العسكرية البريطانية المكشوفة لنا وعلى مرمانا بإطلاق نيران كثيفة ومركزة حتى نلحق أكبر الخسائر في صفوف العدو. كنا ندرك بأن هذه هي خطوة انتحارية، فقلّة عددنا وبساطة أسلحتنا تجعل تلك المعركة غير متكافئة، لكننا مع ذلك أصحاب

المبادرة وسنوجه لهم الضربة الأولى مع إحكام الدقة في تصويب أهدافنا، والعامل الآخر أنهم مكشوفون لنا، فيما نحن مخفيون تحجبنا أشجار الأثل. بالمقابل كان قرار إطلاقنا للنار على القوة العسكرية قد أدَى إلى تكثيف النار علينا من الجبال المحيطة.

وعلى الرغم من أننا كنا نحن الهدف من تكثيف طلقات رصاص من كانوا في الجبال، إلاّ أن أفراد القوة العسكرية البريطانية قد أصيبوا بالارتباك والهلع والخوف، وشعروا بأنهم قد وقعوا في كمين متكامل، ولهذا سارعوا إلى الانسحاب هاربين بقواتهم، حاملين معهم قتلاهم وجرحاهم، وتاركين وراءهم الخيم والخيول الجريحة. وكان من أهم الشخصيات التى جُرحت الضابط السياسي البريطاني "ميلن" وقد أصيب في فخذه أثناء هروبه راكباً على حصانه. وعندما اشتدت المعركة جاءت المساندة لنا على الفور من فرق الأحرار الخلفية، التي تكفلّت بضرب مواقع المتمركزين في الشعاب والجبال المحيطة بنا وضرب بعض من بيوت آل امشقي. وعندما حل الليل انسحبنا إلى "جبال المشادلة"، وفي صباح اليوم الثاني توصلنا إلى "حبيلة الحبيل" وهناك قمنا بتوضيح ملابسات الحادث التي قادت إلى عدم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وتم تفهم الظروف التي منعتنا من الانصياع لأوامر القيادة، بل برزت شكوك تراود البعض عن وجود خونة مندسين كانوا قد بلغوا قبائل الخضر الشقي عن فرقتنا المتقدمة.

وعندما عرفنا بأن القوة العسكرية قد انسحبت مهزومة دون رجعة ولم تحط رحالها إلاّ في امكبيدة – لودر، قرية السلطان صالح بن حسين وجعبل بن حسين، عندها حصلت فرقتنا على اطراء وتقدير الكثيرين. بعد هذا عدنا لتنظيم الصفوف لمواجهة أهل امشقي، وتدخلت الطائرات الحربية لمساندة قبائل امشقي في محاولة من القوات البريطانية لرد الاعتبار لنفسها من هزيمتها وإخفاقها في تحقيق أهدافها.

ألحق قصف الطيران الحربي البريطاني أضراراً كبيرة، وكادت أن تهتز معنويات كثير من الأحرار، خاصة عندما قصف الطيران البريطاني بيت السلطان محمد عيدروس وأبناء عمومته في منطقة القارة ومنازل بعض المشاركين معه من القبائل مثل بيوت آل القحيم. وهذه التطورات أدّت بالكثيرين إلى الضغط على السلطان محمد عيدروس والأخ محمد صالح المصلي للانسحاب، لأن الهدف الذي

من أجله تجمع الأحرار هو مواجهة ومنع وصول الجيش الزاحف إلى يافع وهذا قد تم تحقيقه بنجاح.

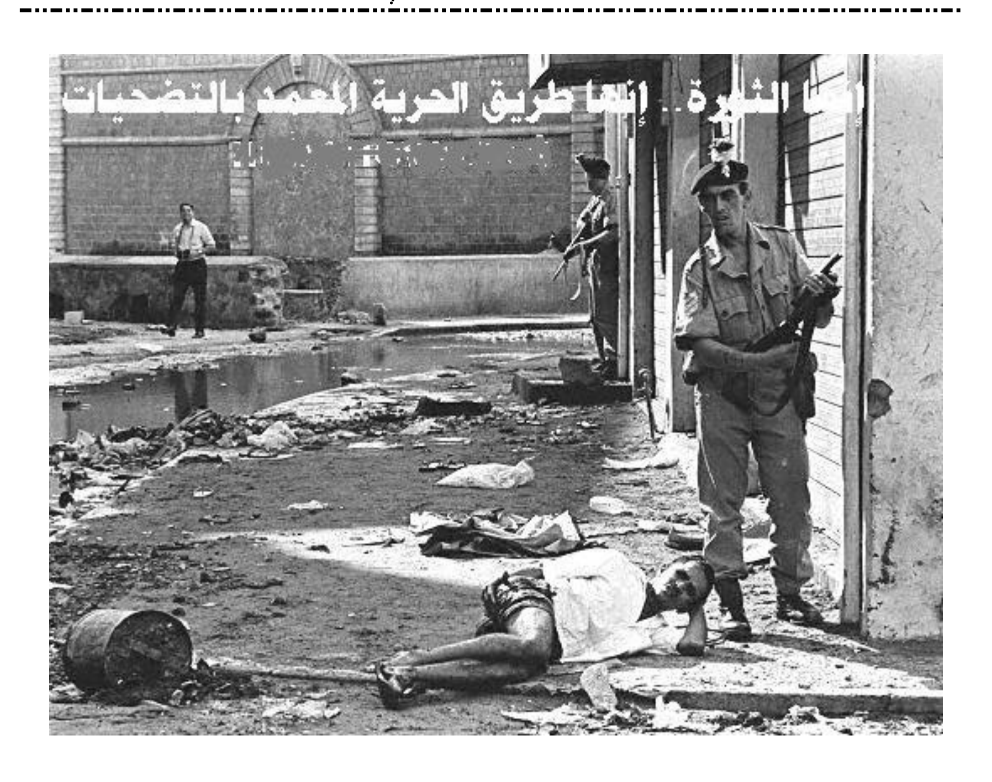
عدنا إلى مناطقنا، وشخصياً بقيت متنقلاً بين حربين، حرب حِلْيَن، وحرب آل بن صلاح. حرب أؤمن بعدالتها، وحرب فرضتها علينا الأقدار. كانت سنوات حرب حِلْيَن قد أدت إلى تضييق الخناق على السلطان، كما أن تقهقر القوة العسكرية البرية البريطانية قد هز ثقة الاستعمار وأعوانه في إمكانية السيطرة على يافع، ولهذا جنحوا للتفاوض.

في عام ١٩٦١ عبّر السلطان فضل بن علي العبدلي عن رغبته في ان يدير التفاوض بين الأحرار والسلطان، مؤكداً في البدء بأن المعتمد البريطاني أخبره بأنه سيوافق على أي حل يضمن مغادرة الأحرار من محطة الدرب -الحد، ورفع الحصار على مركز حِلْيَن، وان يحفظ للسلطان مكانته في رأس الهرم القبلي كسلطان. لقد وافق الأحرار على أن يبقى السلطان مدنياً بدون أية مظاهر عسكرية، وأن على بريطانيا أن تزيل كل المظاهر العسكرية الاستيطانية الممثلة بالقوة العسكرية البشرية وجهاز الاتصال اللاسلكي ومركز الجمارك. لكن فوجئ الوسيط برفض المعتمد البريطاني لسحب القوة العسكرية أو إغلاق مركز الاتصالات، ولهذا انسحب السلطان العبدلي من تلك الوساطة.

كانت هزيمة وانكسار القوات البرية البريطانية مع من رافقهم من القيادة السياسية والعسكرية مُرَّة، ولقنهم الثوار الأحرار درساً مؤلماً، وأيقنوا أن الاكتساح البري للمنطقة أمر يصعب تحقيقه. ولهذا رأوا ان أفضل وسيلة هي الاستفادة من مطار حِلْيَن الذي يمكن ان ينقلوا إليه القوات البشرية والعسكرية مع العتاد والإمدادات عبر الطيران، وفعلاً هبطت عام ١٩٦٢طائرة حربية في المطار، لكن ما أن شرعت بالهبوط حتى أطلق الأخ عبد الرب الحاج عليها النار وأصابها بسبع طلقات، وأصاب أحد المستقبلين، فلم يكن أمام الطيار من خيار إلاّ أن يقلع بالطائرة دون أي رجعة تذكر. وهكذا ظلّت يافع عصية على المستعمر حتى رحيله من بلادنا عشية يوم الاستقلال.

الفصل الثاني

مرحلة الكفاح المسلح
ضد الاستعمار البريطاني


الثورة.. إنها طريق الحرية المعبد بالتضحيات

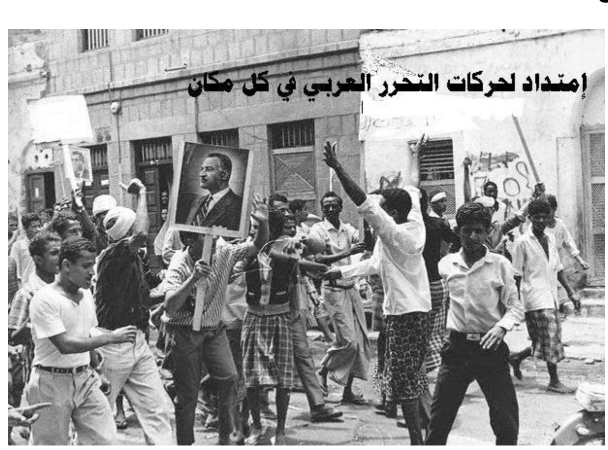

alamree.net

الفصل الثاني

مرحلة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني

الانضمام إلى حركة القوميين العرب

شهدت فترة الخمسينات من القرن العشرين انتشار الفكر القومي العربي، الذي عبّر عن أهدافه ونشاطاته من خلال حركة قومية سُمّيت بحركة القوميين العرب، تشكّلت وصارت لها فروع في عدد من البلدان العربية، هدفها النضال ضد الاستعمار في الوطن العربي. وكان تأسيس الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل في أغسطس عام ١٩٦٣م حصيلةً لنشاط تلك الحركة التي دعمها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر للنضال ضد الاستعمار البريطاني، ومن أجل قيام دولة مستقلة حرة في جنوب اليمن.



وقد رأيت في هذه الحركة وأهدافها ما يعبر عن طموحاتي وأحلامي في النضال لطرد المستعمر وتحقيق حياة الحرية والعدالة، ولهذا قررت الالتحاق بحركة القوميين العرب عام ١٩٥٩م، من خلال حلقة سرِّية برئاسة الأخ

ناصر صدّح، الذي تعرفت عليه في مدينة جعار، وكان أول لقاء لنا لمناقشة الانتساب للحركة في منزله حيث شرح لي أهداف الحركة ورأيت معه عدداً من الكتب بخصوص هذه الحركة، قال إنها أتتهم من لبنان. وهكذا بعد حوار واختبار أخذ مني القسم، واضعاً يدي على مصحف القرآن الكريم والمسدس، وكان مضمون القسم النضال ضد الاستعمار البريطاني حتى إخراجه من بلادنا، والحفاظ على السِّرية، وعدم كشف أعضاء الحركة في حال تعرضي للاعتقال والتعذيب، وأن أكون جاهزاً وقت الطلب لتنفيذ أي مهمة.

وأتذكر هنا أسماء عدد من الزملاء في الحركة الذين تواجدوا أثناء أداء القسم وهم: ناصر عبد القوي من قرية سلفه، يسلم عبد الله من جبل محرّم، علي سالم الناخبي من ذي ناخب، ومحمد قاسم علي من آل بن صلاح. ولقد وضعت تحت التجربة لمدة سته أشهر حتى صرت عضوا رسميا في الحركة، بعدها بقيت في منطقة أبين ثلاث سنوات أمارس مهنة البناء وأنفذ أية مهام توكل إليّ.

خلال فترة الخمسينات تمت العديد من الأعمال المناهضة للاستعمار البريطاني، بعضها عبارة عن هبّات وانتفاضات ثورية جماعية، وبعضها بطولات فردية شاركت فيها مع عدد من المناضلين ضد الاستعمار البريطاني وعملاءه آنذاك وفي مقدمتهما أذكر مواقف وبطولات: المناضل محمد بن عيد روس، محمد صالح المصلي، السقلدي، الجهوري، الربيزي، الدماني والمجاعلة. بعض هذه الرموز كانت تناضل ضد الاستعمار منذ الثلاثينات والبعض منذ الخمسينيات.

المشاركة في ثورة ٢٦ سبتمبر

في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ انتصرت الثورة في شمال اليمن بعد أن أطاحت بنظام الإمامة وأعلنت النظام الجمهوري الذي جرت محاولة اجهاضه لاحقاً من قبل الملكيين، لكن النظام المصري بقيادة عبد الناصر، الذي كان يرى في قيام الثورات ضد الملكية والإمامة في الوطن العربي انتصاراً وتعزيزا للوحدة العربية التي كان يدعمها بقوة، أرسل قوات مسلّحه مصرية لمساندة ثورة سبتمبر ضد الملكيين المدعومين من المملكة العربية السعودية وبريطانيا. وعند اشتداد المعارك وجهت كل من إذاعة صنعاء وإذاعة القاهرة نداءً إلى أبناء يافع والضالع وردفان والعوالق، وكل أبناء الجنوب العربي، يدعوهم للدفاع عن ثورة سبتمبر، وقد لبّينا النداء وتوجهت لألتقي بزميلي ورفيقي القديم محمد صالح المصلي استعدادا للسفر.

تحركنا معاً إلى قرية الدرب خربة آل جوهر في يافع -الحد، وهناك التقينا بالأخ أحمد صالح الجوهري "عبسوق" وشخص آخر اسمه الدوعني، ومكثنا في هذه القرية ثلاثة أيام ننتظر وصول مجاميع أخرى من يافع، وبالفعل جاءت مجموعة للانضمام إلينا، منهم الشاعر شايف محمد الخالدي، محمد حسين شوبة وغيرهما، عندها تحركنا إلى ذي ناعم ثم استأجرنا سيارة لتنقلنا من ذي ناعم إلى تعز. وفي تعز اجتمعنا بعدد من أبناء الجنوب من ردفان والضالع وغيرهم، ثم واصلنا الرحلة برفقة الأخ صالح علي الغزالي إلى منطقة حجَّة الواقعة شمال اليمن مشياً على الأقدام وقد استغرقت رحلتنا ثلاثة أيام، وهناك التحقنا بالجيش المصري لمقاومة الملكيين في جبال المحابشة وغيرها، وبقينا نقاتل لمدة شهر كامل، خضنا خلاله معارك ضارية، بعدها عدت إلى يافع لقضاء استراحة قصيرة ثم عاودت الكرّة من جديد، ولكن هذه المرة برفقة الشيخ سالم عبد القوي الحميقاني ومجموعة من المقاتلين، بلغ عددهم حوالي مائة مقاتل، حيث توجهنا إلى صنعاء، ومنها إلى المناطق التي يتواجد فيها الملكيون، وخضنا معارك شرسة لمدة عشرين يوماً، أخذنا بعدها استراحة، ثم عدنا مرة أخرى إلى جبال المحابشة لاستئناف المعركة بقيادة الشخصية القبلية المشهورة أحمد عبد ربه العواضي، حيث حُسمت المعارك أخيرا لصالح النظام الجمهوري وهزيمة الملكيين.

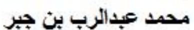
عضويتي في الجبهة القومية

بعد انتصار الجمهوريين في شمال اليمن، بدأت نواة حركة القوميين العرب في جنوب اليمن تستعد لتشكيل جبهة لمحاربة الاستعمار البريطاني في الجنوب، حيث تداعى عدد من العناصر الفاعلة لعقد اجتماع موسّع في صنعاء، نتج عنه تأسيس الجبهة القومية في أغسطس ١٩٦٣م التي استأنفت نضالها ضد المستعمر، وفي الوقت نفسه استمر العمل لصياغة مشروعها الذي يحدد برنامجها وأهدافها حتى نضجت الظروف لعقد المؤتمر الأول للجبهة القومية في تعز خلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ يونيو عام١٩٦٥م الذي دعا لانعقاده عدد من الرموز الفاعلة وعلى رأسهم : قحطان الشعبي، فيصل عبد اللطيف الشعبي. محمد أحمد البيشي، علي عبد العليم، محمد علي هيثم وغيرهم، أولئك الذين وجهوا الدعوات إلى كل المناضلين من حركة القوميين العرب وغيرهم سواء من كانوا متواجدين في الشمال أو في

الجنوب، كما وجهت الدعوة إلى ممثلي الجمعيات والنقابات في مدينة عدن مثل : جمعية أبناء الضالع ويافع ولودر ومكيراس وغيرها، وكذا النقابات السبع، وكل الشخصيات السياسية المهمة بالحضور إلى تعز.



حينها كنت ضمن مجموعة من زملائي الذين رأيت فيهم قدوة في النضال أمثال المناضل محمد صالح المصلي، المناضل السلطان محمد عيد روس اللذان رأيا في عقد هذا المؤتمر الغاءً لدورهما السابق، لذا عارضا طريقة انعقاده، حيث طلبا أن يكون ذلك المؤتمر امتدادا للنضال السابق ضد بريطانيا، الذي بدأ منذ الأربعينات وليس بداية لعمل سياسي جديد. ونظرا لعدم تحقق مطلبهما انسحبا غاضبين، لأبقى لأول مرة بعيداً عن هذين المناضلين، بعد أن قرر ت الانسلاخ عنهما، نظرا للقناعة التي توفرت لديّ بالحيثيات والأهداف التي جاءت بها اللجنة التحضيرية للمؤتمر، زد على ذلك أن الجبهة القومية قد وُعدت بالدعم اللازم من حكومة مصر، وبالتالي اقتنعت بأن تلك الثورة ستستمر وأنها المدخل السليم للنضال ضد الاستعمار البريطاني، وما عـزّز من قناعتي هو الالتفاف الواسع



محمد ناصر (جابر) — محمد عبدالرب بن جبر

والتأييد لفكرة تأسيس الجبهة القومية من قبل عدد كبير من الشخصيات السياسية الجنوبية والمقاتلين ومن ضمنهم عدد من أبناء منطقته "يافع" الذين كانوا متواجدين هناك أمثال: عبدالله المسعدي ومحمد ناصر عبدأحمد الملقّب "جابر"، سالم عبدالله عبدربه وعبداللاه عبدالله عبدربه وعلي عبدالله عبدربه ومحمد عبدالرب جبر وغرامه صالح المنصوري ومحسن محمد المطري، وحسين محمد بن علي عامر.


المناضلون الأشقاء الثلاثة:سالم وعلي وعبداللاه عبدالله عبدربه

إن استعراضنا لهذه الفترة، وبهذه الرموز لم يكن اختزالا للتاريخ أو الغاءً لدور أحد، لكننا تناولناه فقط من زاوية إسهامي ومشاركتي فيه ليس الاَّ. أما أحداث ووقائع تلك الفترة فهي كثيرة ومتشعبة. وعودة إلى وقائع المؤتمر الأول المنعقد من ٢٢ إلى ٢٥ يونيو ١٩٦٥م، يمكننا القول أنه قد شهد اختلافا بالرؤى، حول كيفية النضال ضد المستعمر، حيث برز هناك طرفان. الأول: وكان يمثله كل من الأخوة: عبد الله الأصنج، عبد القوي مكاوي، ومحمد سالم باسندوه وعلي سالم علي، وهؤلاء رأوا في النضال السلمي ضد الاستعمار البريطاني طريقا لتحقيق الاستقلال مستندين في ذلك إلى وعد بريطانيا بمنح جنوب اليمن الاستقلال عام ١٩٦٨م، ففضلوا اللجوء إلى الاضرابات والكتابة بالصحف وغيرها للتعجيل برحيل المستعمر.

وكان الطرف الآخر بقيادة: قحطان الشعبي، فيصل عبد اللطيف، محمد البيشي، علي عبد العليم، محمد علي هيثم، علي عنتر، السلامي، سالم ربيع علي وغيرهم، ورأوا في الكفاح المسلّح وسيلة للنضال من أجل تحقيق يوم الخلاص من المستعمر، وهكذا أُقرّ الكفاح المسلّح وشُكِّلت جبهات القتال مع قياداتها.

ذكرياتي مع الدمج القسري ١٣يناير١٩٦٦م

ما زلت أتذكر تفاصيل تلك الليلة التي تم فيها إعلان دمج الجبهتين، الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن ومنظمة تحرير جنوب اليمن المحتل. كنت حينها استكمل التجهيزات اللازمة للسفر إلى يافع لقضاء بقية أيام شهر رمضان الفضيل ومشاركة الأهل أفراح عيد الفطر المبارك، خاصة وقد هجرتهم لما يزيد عن عام كامل بسبب انشغالي بين عملي في مهنة البناء وبين عملي الفدائي في عدن وأبين. وكان والدي قد تقدم به السن وفقد البصر فأصبح ملازماً للبيت، يحن للبعيد من أبنائه ويشتاق دائماً لمن يؤانسه، ولهذا استلمت رسالة منه في بداية ذلك الشهر الفضيل يطلب مني الوصول لقضاء أيام العيد معه ومع الوالدة والزوجة والأهل.

بعد يوم من تجهيز الهدايا من ملابس وحلويات وغيرها من لوازم تلك المناسبات قررت الذهاب للقاء برفيقي الدائم حسين عبدالحبيب، كان الوقت حينها مساء فاستمتعنا في شرب الشاهي في أحد مقاهي مدينة جعار، لا أتذكر اسمه، لكنني أتذكر بأنه كان يقع تحت عمارة فضل عبد الجبار أمام مسجد جعار، وكان ما يميزه عن غيره من المقاهي ويجعل شرب الشاهي فيه ممتعاً هو وجود جهاز المذياع "الراديو" الذي كان حينها مصدر جذب للناس باعتباره الوسيلة الوحيدة والأهم والأسهل التي تربطنا بما يحدث في جبهات أرض الجنوب المحتل وفي العالم العربي.

كانت إذاعات تعز وصنعاء وصوت القاهرة ولندن أهم وأشهر الإذاعات التي نتابع نشراتها الإخبارية بشغف، وكانت إذاعتا تعز وصنعاء تغطيان أكثر الأخبار المحلية وخاصة الأعمال الفدائية في مناطق الجنوب وأهمها ردفان والضالع وعدن. في ذلك المساء فوجئنا جميعاً بإذاعة تعز تذيع بياناً هاماً فحواه أن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن ومنظمة تحرير جنوب اليمن المحتل قد اتفقتا على الاندماج في جبهة واحدة تسمى جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل، وحمل ذلك البيان توقيع كل من علي أحمد السلامي ممثلاً عن الجبهة القومية وعبد الله الأصنج ممثلاً عن منظمة التحرير. على المستوى العام كان وقع الإعلان مفاجأة أثارت غضب أغلب قواعد الجبهة القومية من الفدائيين والمناصرين وكذا القيادات التي لم تشارك في ذلك الدمج، بسبب ما اتصف به هذا القرار من ارتجالية وشبه فردية، أما على المستوى الشخصي فعند سماعي لهذا الإعلان بدأت تدور في رأسي تساؤلات لم أجد لها إجابات شافية، منها لماذا لم تبلغنا القيادة أنه قد تم الاتفاق على حدث

تـاريخي بهـذا الحجـم والأهميـة، فالقطـاع الفـدائي للجبهـة القوميـة الـتي تبنـت ومارست الكفـاح المسـلح وسـيلةً أساسـيةً لتحقيـق حريـة وكرامـة الإنسـان وتحريـر الأرض يشكل دون أدنـى شـك العمـود الفقـري الـذي يجعـل تلـك الجبهـة منتصبة وشـامخة، وتجاهـل هـذا القطـاع مـن قبـل القيـادة لأي سـبب كـان سـيكون بدايـة النهاية لها.

عـادت بـي هـواجس الماضـي إلى عـام ١٩٥٩م لأتـذكر يـوم تأديـة قسـم الانضـمام والولاء لحركة القوميين العرب في منزل ناصر صدح، كان ضمن المرافقين لي ابن قريتي عبد القوي بن سالم الذي اقتنع هو الآخر بفكرة الانتماء، إلا أنه غيَّر رأيه عند سماعه تفاصيل ذلك القسم لكونه، حسب رأيه، يلزم العضو صراحة بالولاء المطلق للحركة ولكنه غير صريح في تحديد واجبات الحركة تجاه العضو. حاول ناصر صدح إقناعه بأن من حقه أن يرشح نفسه ويترشح لمناصب قيادية وأن القيادة ستأخذ بأي مقترحات بَنَّاءة من أعضاء الحركة سواء كان العضو في الأطر الدنيا أو العليا وأن أي قرار يمس التوجُّه العام سَيُقرّه المؤتمر العام. كل هذا لم يقنع عبدالقوي بن سالم، فرفض تأدية قسم الانضمام وآثر بعدها التفرغ لعمله.

على الرغم أن تجربة السنوات الخمس الماضية جعلتني أؤمن بحركة القوميين العرب ثم بالجبهة القومية ولم أشعر بأنني لم أُبلَّغ أو لم أدرك ما يحصل أو ما سيحصل. قد يكون ذلك بسبب علاقتي المميزة في البدء بصدح وفيما بعد بمقبل وسالمين ثم بعبد الملك إسماعيل. لكنني أعترف بأن إعلان تعز جعلني أتساءل هل كان ابن قريتي محقاً في تفسيره لما احتواه القَسَم وأنه قد اكتشف مبكراً أن الحركة لا تلزم نفسها بإعطاء أهمية لإبلاغ أعضائها بالقرارات الحاسمة، وأن القيادة السياسية للجبهة حتى لم تحضِّر لعقد مؤتمر استثنائي عام للجبهة القومية للوقوف أمام أهداف وشروط هذا الدمج والمستجدات والظروف الموضوعية والذاتية التي جعلت قيادتنا السياسية تقرأ واقعاً جديداً ربما لم نفهمه نحن في القطاع الفدائي حتى اقتنعت هي بأن خيار الدمج هو المخرج لمحنة لم يكن الكثيرون يعرفون عنها، ومن المهم أيضاً أن نعرف رأي وموقف الأحزاب والمنظمات الأخرى التي تشكّلت منها منظمة تحرير جنوب اليمن المحتل تجاه الكفاح المسلح وهل سيظل من وجهة نظر قيادتها السياسية خياراً ثانوياً؟ أي أقل أهمية بكثير من الخيار السياسي والدبلوماسي، وهذه المسألة شكّلت في الماضي نقطة خلاف محوري وتتعارض مع القناعات التي تبنتها ومارستها الجبهة القومية.

ففي حالة عَقد المؤتمر كأعلى سلطة تنظيمية للجبهة وموافقة أغلب الأعضاء المندوبين للمؤتمر للدخول في هذا الدمج سيعطي له الشرعية اللازمة التي يستحقها حدث كبير كهذا، وعند ذلك يصبح على كل الأعضاء تبنيه والالتزام به بغض النظر عن قناعاتهم الشخصية المخالفة لما تم إقراره جماعياً في المؤتمر الاستثنائي.. لكن كل هذا لم يتم، فكان السؤال الآخر عن السر الكامن وراء أن يمثل الجبهة القومية علي أحمد السلامي وليس أمينها العام قحطان محمد الشعبي.. إذاً ما هو رأي قحطان، فيصل عبد اللطيف، البيشي، سيف الضالعي، عبد الفتاح، مطيع، سالمين، مقبل، والخامري وبقية القيادات السياسية والعسكرية، كل هذه التساؤلات كانت تحيرني ولم أجد لها الإجابة السريعة في مدينة جعار، ولهذا اتجهت مع رفيقي حسين عبد الحبيب "شعيفان" إلى مدينة زنجبار للبحث عن سالمين، لكننا لم نجده هناك.

كنت أؤمن بأن توحيد الصفوف والجبهات سيعزز من قوتنا في مواجهة الاستعمار وأعوانه ويعمق وحدة الشعب ويجنبنا مآسي الفرقة والعداء بين التنظيمات والأفراد التي كانت قد عمقتها سنوات التباين والاختلاف الأيدلوجي والسياسي والطبقي وقادت إلى تشكيل أحزاب ومنظمات عديدة، منها من يؤمن بالنضال السلمي كوسيلة أساسية لتحقيق الاستقلال الوطني، ومنها من يؤمن بتبني العمل الفدائي العسكري كوسيلة أساسية، وهكذا فكل حزب ومنظمة وجبهة أو تجمع كان له مناصرون من أبناء الشعب في المدينة والريف، وهذه التباينات في المبادئ والرؤى كفيلة بخلق حالة من عدم الانسجام، بل والعداء أحياناً ليس فقط بين تلك المنظمات، وإنما يمتد إلى أوساط المناصرين، وهذا الوضع كان يحز في نفوسنا ويترك فيها أثرًا مؤلمًا ومحزنًا لأنه يضعفنا في مواجهة العدو الرئيسي الاستعمار. وفي ظروف كهذه كنا نرى أن السعي لوحدة الصف وإن كلفنا بعض التنازلات لن يكون إلا عملاً غاياته سامية وعظيمة، لكن ما نخشاه هو أن ما بُني على أساس التصرفات الفردية أو فرض سياسة الأمر الواقع دون الحصول المسبق على شرعية حقيقية لن يكتب له النجاح لأنه يحمل أسباب وعوامل الفشل في داخله. كانت تلك الخواطر تدور في رأسي، لأن قراراً كبيراً كهذا كان مفاجئاً لي وللغالبية العظمى، ومع ذلك دعوت الله أن يكون قد بُني على أسس صحيحة وبقناعات حقيقية وأن يضمن لنا خيار الكفاح المسلح الذي آمنت مثل غيري، لأن من استعبد الأرض بالحديد والنار لن يتركها إلا إذا واجهناه بنفس الوسيلة فالحديد لا يُفَلّ إلاّ بالحديد.

تغيرت كل برامجي فبدلاً من السفر إلى يافع سافرت إلى عدن، وهناك التقيت بسالمين والخامري وعلمت أن ذلك الإعلان كان مفاجئاً لهما. بعدها أصدر أميننا العام قحطان الشعبي من القاهرة بيانا كذب فيه الدمج واعتبره عملاً غير شرعي. وبسبب رفض قحطان وفيصل عبداللطيف لهذا الدمج تم حجزهما في القاهرة بواسطة جهاز الاستخبارات المصرية الذي كان يرأسه حينها صلاح نصر، عندها فقط عرفت مثل غيري بأن ذلك الإعلان غير شرعي وأنه من صنع جهاز المخابرات العامة المصرية، تنفيذاً لتهديدات سابقة أطلقهما نائب رئيس جهاز المخابرات المصرية عزت سليمان، بحضور نائب الأمين العام للجامعة العربية للشئون السياسية الدكتور سيد نوفل، بتهميش أو إنهاء الجبهة القومية أثناء لقائهم بالوفود القادمة من عدن إلى القاهرة في طريقها إلى نيويورك لحضور الاجتماع المخصص، وكانت تضم بالإضافة إلى ممثلي الجبهة القومية قحطان الشعبي وسيف الضالعي، وفد حكومة الاتحاد المقالة حديثاً ممثلة بعبد القوي مكاوي وخليفة عبد الله خليفة ووفد منظمة تحرير جنوب اليمن المحتل ممثلة بمحمد سالم باسندوة والسلطان أحمد الفضلي. ولم يطلب إلى ذلك الاجتماع وفد حزب الرابطة الذي يمثله محمد علي الجفري وشيخان الحبشي.

نشأ الخلاف بين وفد الجبهة القومية وعزت سليمان عندما اقترح الثاني أن يكون تمثيل قضية الجنوب موحداً وأن يرأس الوفد الموحد عبد القوي مكاوي باعتباره وجهاً سياسياً معروفاً، إذ أنه قد عُيِّن في منصب رئيس الوزراء في حكومة الاتحاد في ٧ مارس ١٩٦٥م، ثم تمت إقالته في ٢٥ سبتمبر ١٩٦٥م بأمر ملكي، بسبب مواقفه الوطنية ورفضه لإدانة الجبهة القومية عندما قَتَل "بدر" رئيسَ المجلس التشريعي السير" آرثر تشارلس" في مدينة عدن وتحميله بريطانيا كامل المسئولية عن الوضع المتدهور في الجنوب.

وافق وفد الجبهة القومية على أن يكون التمثيل موحداً بشرط أن تكون رئاسة الوفد للجبهة القومية، ورفضه غير ذلك، وأعتبر الوفد أن مقترح عزت سليمان حول رئاسة الوفد يُعد تهميشاً ونكراناً لدور الجبهة القومية البارز في تبنيها الكفاح المسلح وتقديمها للضحايا وفي كونها الجبهة التي تعبّر في الواقع عن رغبة ونزعة الشعب التحررية، ولإنصاف الجبهة القومية ودورها المتميز وشهرتها تمسك بموقفه في أن تكون رئاسة الوفد الموحد لها وليس لرئيس وزراء سابق في حكومة الاتحاد. وأمام الإصرار المطلق لوفد الجبهة القومية تدخل الدكتور سيد نوفل

ليدعم مقترح النائب العام موضحاً أن الأمم المتحدة ليست ساحة حرب حتى يصر قحطان على القيادة ولكنها ساحة سياسية ورأى بأن عبد القوي مكاوي يحظى حالياً بتعاطف المهتمين بقضية الجنوب في الأمم المتحدة خاصة بعد إقالة حكومته بمرسوم ملكي. لكن ذلك لم يغير شيئاً في قناعات قحطان الشعبي وسيف الضالعي، وهذا التَّمَنُّع دفع عزت سليمان لإطلاق سيل من التهديدات، متهماً ممثلي الجبهة القومية بالتمرد على التوجيهات المصرية وبنكران الجميل وهدَّد وتوعد بأن مصر هي من تبنت الجبهة القومية ودعمت استمرارها وأن مصر لقادرة على تهميشها وإنهائها من الساحة.

كشف ذلك اللقاء المشئوم لقيادة وقواعد الجبهة القومية عنجهية قيادة المخابرات المصرية، فعلى الرغم أنه لا ينكر إلا جاحد الدور المصري في الدعم الكبير للجبهة القومية في المال والسلاح وفي تدريب العناصر الفدائية وتأهيلها لمقاومة أعتى الإمبراطوريات وأكثرها استعماراً وفي تأمين المنح الدراسية للخارج وكذا فتح أبواب جامعاتها للراغبين في الدراسة الجامعية من أبناء الجنوب خاصة واليمن عامة. لكن ذلك اللقاء المشئوم خلق وسط أفراد الجبهة القومية الشعور بعدم الرضا والاستهجان، وفُسّر تهديد ووعيد عزت سليمان بأنه استعلاء لا يُطاق وضَرْبٌ من التشبه بالخالق في القدرة على الإحياء والإماتة، لهذا كنا نحن أفراد الجبهة القومية ننظر إلى ذلك الحديث المتعالي "نحن من أحييناكم ونحن من سيميتكم" بشيء من الاشمئزاز والاستهجان.

مرت أسابيع عدة بعد إعلان الدمج القسري ساد فيها شيءٌ من التخبط السياسي وضبابية الرؤية لدى قيادة وقواعد الجبهة القومية.. أسئلة كثيرة حيرتنا، لأن هناك البعض من القيادة أعلنوا صراحة قناعاتهم بذلك الدمج، فيما تذبذبت مواقف آخرين فكأن لسان حالهم يقول:" هذا أُحِبّه.. و هذا أريده". وفي ذات يوم طلبني سالمين ومقبل للمشاركة في لقاء عُقد في مدينة الشيخ عثمان وكان هدفه التحضير للمؤتمر الثاني" الاستثنائي" للجبهة القومية من ٧ -١١ يونيو عام ١٩٦٦م في مدينة جبلة، وفي ذلك اللقاء طلب سالمين من مقبل والحاج صالح باقيس وأحمد محمد حاجب أن يقدموا ما يحملوه من تصور متكامل عن رأي العناصر القيادية للجبهة القومية المتواجدة في تعز، ولاشك أن وجودهم هناك قد سهل لهم تكوين فكرة واقعية عن أسباب وأهداف ذلك الدمج وتقديم الوثائق التي تدعم ذلك التصور. وهكذا عاد مقبل إلى ذلك الاجتماع وهو يحمل بعض الوثائق والتصورات عن أسباب ذلك الدمج، واعتذر الحاج باقيس عن تقديم أية وثائق

بسبب تعرضه للحجز في كرش ثم نقله بعدها إلى "الحوطة - لحج" مما اُضطِر للتخلص من وثيقة هامة كان يحملها، تشمل أسماء عناصر الجبهة القومية المناهضين للدمج وتصورات مقتطفة عن كيفية التعامل مع الواقع الجديد، فلجأ إلى تمزيق الوثيقة قطعاً صغيرة وابتلاعها خوفاً من وقوعها في أيدي العناصر المناصرة للدمج التي تعمل لصالح أهداف المخابرات المصرية.

كان عدد الحاضرين في ذلك الاجتماع لا يتجاوز عشرة أشخاص أتذكر منهم سالمين، عبد الله الخامري، عبد الملك إسماعيل، مقبل، باقيس، السيد، أحمد محمد حاجب الذي عاد للتو من تعز بعد أن تم إغلاق مكتب الجبهة القومية في تعز. كان وجه سالمين متجهماً وفي حالة عصبية، بسبب ما آلت إليه الأمور بعد هذا الدمج، الذي لم ترَضَ به القواعد وجزء كبير من القيادات. وتم في الاجتماع التأكيد على انه لا يوجد أمامنا في الجبهة القومية من خيار إلاَّ الرفض المطلق لهذا الدمج، لأنه يفرغ الجبهة القومية من مبادئها في كونها جبهة عريضة للعمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة، وتؤمن بالكفاح المسلح وسيلة وحيدة لتحقيق الاستقلال الناجز للجنوب المحتل. والقبول بالدمج يعني أن نخضع لتوجيهات قيادة أغلبها لا تؤمن تاريخيا بالكفاح المسلح، بل وتعتبره ضَرْبَاً من الدَّروشة، ناهيك عن وجود قيادات من المشايخ والسلاطين والمستوزرين أوصلها هذا الدمج لأن تقطف ثمار كفاحنا المسلح، وستظهرنا أمام الشعب بأننا جبهة لا تؤمن بالمبادئ التي أعلنت عنها في برنامجها السياسي والعسكري، المتمثل بالميثاق الوطني الذي تم إقراره في المؤتمر الأول للجبهة القومية عام ١٩٦٥م. ومما كان يخيفنا أيضا أن خيار الانسحاب وفضح أهداف الاندماج سيَفقِد الجبهة القومية كل مصادر التمويل الخارجية، وسنضطر للاعتماد كلياً على أنفسنا وعلى قاعدتنا الجماهيرية وعلى التبرعات المالية من عناصر الجبهة القومية ومناصريها من ابناء شعبنا في الداخل والخارج، ممن ينبغي عليهم أن يعوا أن المرحلة القادمة ستكون الأصعب، لأننا قد نكون في أوضاع كهذه أهدافاً مكشوفة لعناصر الاستخبارات المصرية وعناصر الجبهة القومية الذين شاركوا في هذا الدمج، والبعض منهم قبلوا ترشيحهم لمناصب قيادية ويعتقدون بأن هذا الدمج سيكون مصدر قوة، بالإضافة إلى أن الدعم المصري بالمال والسلاح سيذهب كاملا لصالح جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل، وليس لنا، لأن قيادتنا رفضت الدمج واعتبرته صراحة إجراءًا غير تشريعي، ولهذا السبب تم احتجاز قحطان وفيصل من قبل الاستخبارات المصرية ومنعهما من

مغادرة القاهرة أو ممارسة أي نشاط سياسي أو إعلامي. ولم يُسمح لقحطان الشعبي بالعودة إلاّ في منتصف عام ١٩٦٧م، وفيصل عبداللطيف الشعبي في نهاية عام ١٩٦٦م.

إن الظروف التي أعقبت الدمج القسري، وما ترتب عليها من حجز بعض من قيادات الجبهة القومية، وقبول البعض الآخر من القيادة بهذا الدمج، كخيار وحيد للنضال ضد الاستعمار، بالإضافة إلى نتائج الانقسام الفكري بين قيادة الجبهة القومية قد انعكس على عموم قواعدها في التنظيمات الأساسية السبع التي تشكلت منها الجبهة القومية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، جعل أبناء منطقة الشرارة الأولى للثورة، ردفان، في أغلب قراهم يختارون الانضمام إلى جبهة التحرير، وكذلك الحال في جبهة حالمين، وأفراد من الضالع وشبوة ويافع. كل هذه الظروف أضعفت كيان الجبهة القومية، ووضعت المؤمنين بخياراتها الثورية والطبقية أمام منعطف خطير، والواجب علينا أن نثبت فيه، فإما أن نكون أو لا نكون. لهذا كان في حديث سالمين شيءٌ من المرارة والمسئولية في الظروف الحالية، فاحتجاز بعض قيادات الجبهة القومية في مصر، واختيار بعض القيادات الاندماج جعلته يشعر بأنه ومن بقي معه من القيادات أمام مَحَكٍ حقيقي لتغطية الفراغ في قيادة العمل السياسي للجبهة الذي خلفته ظروف التحالفات الجديدة.

في ختام هذا اللقاء طلب مني سالمين التواصل مع قواعد الجبهة القومية في أبين وفي منطقة يافع لتأكيد وقوفنا ضد الدمج القسري، وبأننا سنعتمد في كفاحنا ضد الاستعمار على الجماهير للتحرر من كل أشكال الاستعباد، وأن على كل فرد من أفراد الجبهة القومية، إضافة إلى مواصلتهم الأعمال الفدائية ضد الاستعمار، عليهم أيضاً أن يؤمنوا لأنفسهم عملاً يضمن لهم العيش الكريم وكذا دفع رسوم العضوية، لأننا بحاجة أكثر للسلاح والمال لتحقيق أهدافنا ولكي نثبت للعالم بأن لا شيء يوقفنا عن أهدافنا التحررية، وسنظل نمثل إرادة وكفاح شعبنا، وليس رغبات أنظمة خارجية. وهكذا كان علينا أن نعمل على توعية الجماهير، ليس فقط في المدينة، وإنما أيضا في الأرياف حيث السند الكبير الذي نعول عليه في نجاحنا.

أهم العمليات الفدائية التي شاركت فيها

قطاع العمل الفدائي السّري للجبهة القومية كان يعتبر رديفاً لفرق المقاومة العلنية المسلحة التي كانت تشن الهجمات ليلاً، وفي وضح النهار، ضد القوات البريطانية في مختلف جبهات القتال في الجنوب، مما شكّل مصدر قلق ورعب دائمين بالنسبة لجيش الاحتلال البريطاني، لاسيّما وأن أولئك الفدائيين قد استطاعوا بناء ذلك التنظيم السّري، بشكل دقيق، ومن عناصر منتقاة ومخلصة ومستبسلة، يمكننا القول أنهم كانوا جميعاً بالنسبة للثورة مشروع شهادة، أي أنهم دخلوا هذا التنظيم وهم على قناعة تامّة بالاستشهاد من أجل استقلال وحرية الوطن.

ومما زاد من هيبة ونجاح قطاع العمل الفدائي في مدينة عدن هي تلك العمليات الجريئة والناجحة التي كانت تُدار بإتقان. زد على ذلك تعاون الشعب حيث كان بعض المواطنين يفتحون أبواب منازلهم مباشرة عقب سماع أي تفجيرات أو مواجهات قريبة منهم، استعداداً لإيواء الفدائيين الذين هم بحاجة للاختفاء بعد تنفيذ أي عملية فدائية. وقد شهدت الأربع السنوات التي ساد فيها الكفاح المسلّح ضد الاستعمار البريطاني منذ عام ١٩٦٣ حتى ١٩٦٧م تصاعداً قوياً لنشاط القطاع الفدائي في مدينة عدن الذي زلزل الأرض تحت أقدام المستعمرين. وهنا يمكننا استعراض تلك العمليات على النحو التالي :


علي صالح عباد "مقبل"

في عام ١٩٦٤ وفي شهر يناير تحديداً انخرطت في إطار العمل الفدائي السّري للجبهة القومية حيث تم تأطيري من قبل المناضل القيادي علي صالح عباد مقبل بواسطة المناضل محمد فضل بن هرهرة، وقد قضيت فترة ستة أشهر تحت التجربة والمراقبة بعدها تم تقديمي لمسئول العمل الفدائي في مدينة عدن وأبين حينها سالم ربيع علي لأكون ضمن قطاع العمل الفدائي السرّي.

كان الأخ مقبل هو الذي قدمني للأخ سالمين، قائلا له:" الأخ صالح من العناصر الجيدة التي يمكن ان تعمل بإخلاص وتحافظ على السرية". وعلى إثر ذلك طلب مني العودة في اليوم التالي. حضرت وفقاً للموعد رأيته وقد أحضر معه مجموعة مكونة من أربعة عناصر وهم: الشهيد علي جاحص، الشهيد بدر، الشهيد

سالم عمر الوحيشي والشهيد ناصر جلن، ثم قال لنا: هذه هي خليتكم السرية عليكم ان تتعرفوا على بعضكم أكثر، وتحدث إلينا حول ظروف وطبيعة العمل السري وضرورة التواصل معه قبل الإقدام على أي عمل فدائي. تعرّفنا على بعضنا البعض بشكل جيدّ. قدمت لهم اسمي الحركي "عِمْرَان" للتعامل به وتعرفت على أسمائهم الحركية بعدها ودعّنا سالم ربيع علي. اتفقنا على أن يقدِّم كل واحد منا تصوراً عن كيفية اختيار أهداف العمليات الفدائية ودور كل منا فيها وكذا البحث عن مصادر التمويل. واتفقنا ان يكون الاجتماع الأول في جزيرة "العبيد" في منطقة خور مكسر، وحددنا موعد اللقاء واقترحت أن نذهب إلى هناك فرادى حاملين أدوات صيد يدوية تسمى "جلب" للتمويه.

وهكذا تجمعنا في الوقت المحّدد في الجزيرة وناقشنا خطة عملنا التي تضمنت رسم برنامج لتنفيذ عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال الإنجليزي في عدن، بعدها قمت بتسليم الخطة للأخ سالمين لكنه طلب مني التريث قائلاً: لم يمض عليكم وقت منذ ان تشكلت خليتكم وعليكم الانتظار حتى اعطيكم التعليمات عندما يتوفر لدينا السلاح. بقينا مدة شهر منتظرين، ثم عدت إلى سالمين لكنه رد: ان السلاح حتى الآن غير متوفر لمجموعتك. رجعت إلى مدينة عدن والتقيت بمجموعتي ثانية في مسجد البيحاني في كريتر عدن وقت خطبة الجمعة، حيث جلسنا في إحدى زوايا المسجد منفردين قبل خطبة الجمعة. وعندما التقينا وجدت ان المجموعة قد كونّت أفكاراً للتنفيذ حيث تقدّم الشهيد علي جاحص بمقترح تنفيذ عدد من العمليات في لحج وتنفيذ عملية في عدن ضد مركز لجنود الاحتلال في منطقة السيلة، أما الشهيد بدر فقدَّم خريطة بيّن فيها كيفية تنفيذ عملية في حديقة التواهي التي توجد فيها متارس لجنود الاحتلال، كان رأيي أن الخطط جيدة لكننا لم نحصل على السلاح بعد. فرد الشهيد علي جاحص قائلاً: أنني أعرف شخصاً اسمه بخيت مليط من أبناء الصبيحة لديه أسلحة وقد وعدني أنه سيعطينا ما نحتاجه للتنفيذ. قلت له: حسنا، وأنا لدي قنبلتين يدويتين حصلت عليهما من صالح أحمد بن عاطف جابر من أبناء يافع "أصبح فيما بعد عضواً في التنظيم الشعبي لجبهة التحرير"، وهكذا تمكنا من تنفيذ أولى العمليات الفدائية لمجموعتنا حسب الخطة وانسحبنا بسلام. لكننا لا نعرف عن مدى الخسائر التي لحقت بجنود الاحتلال. وهنا تجدر الإشارة أنني وفق الاتفاق أشعرت سالم ربيع بحصولنا على السلاح وطرحت عليه مقترحا للعمليتين المراد تنفيذهما فوافق على ذلك وحدد لنا موعد التنفيذ.

إن العمل الفدائي آنذاك كان عملا دقيقا محاطا بالسرية حيث لم يكن ممكنا لمجموعة فدائية ان تتعرف على الأخرى. لكن الفترة التي قضيناها في مدينة عدن وأبين في القطاع الفدائي قد جعلتني اتعرّف على عدد من الفدائيين في مجموعات أخرى حيث أتذكر عدد من الشخصيات التي قابلتها مثل: محمد صالح مطيع. عبد الله الخامري، عبد الملك إسماعيل، عادل خليفه، المقبلي، وانور خالد، محمد سعيد عبد الله محسن، عبد العزيز عبد الولي، سالم عبد الله ياسين، عبد الوارث الإبّي، أحمد صالح عبده، عبود، عبد النبي مدرم، حامد مدرم،حسين عبد الحبيب والحاج صالح باقيس، عبد الرحمن هزاع، عبد الرب علي مصطفى، علي سالم يافعي، الخضر مسودي، منهم من أستشهد ومنهم من لازال على قيد الحياة.



مطيع

الخامري



عبدالعزيز عبدالولي



مصطفى

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العمليات الفدائية التي كانت تنفذ في مدينة عدن تختلف في مضمونها وأهدافها من عملية إلى أخرى، مثلا هناك عمليات فدائية كان يتم تنفيذها من أجل إيقاع الخسائر البشرية والمادية في صفوف جيش الاحتلال لإجباره على الرحيل، وعمليات كانت تنفذ من أجل الاستيلاء على السلاح لتزويد الثوّار بذلك، وهناك عمليات أيضاً نفذّت لغرض توفير المال والتمويل لقيادة الجبهة القومية.

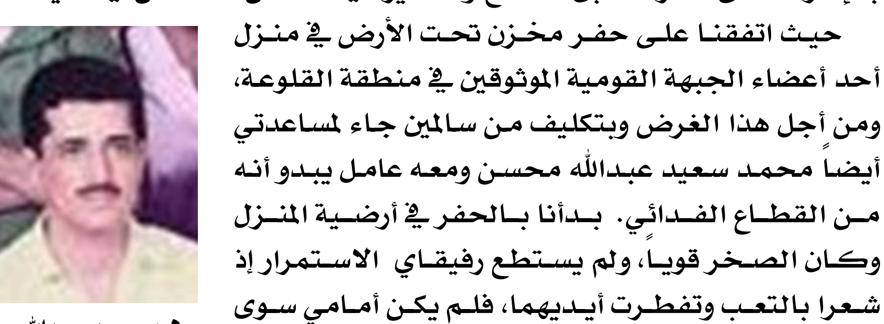
وبهذا الخصوص أتذكر أنه عندما بلغ قيادة العمل الفدائي في مدينة عدن أن الحكومة المصرية قطعت دعمها لقيادة الجبهة القومية والطلاب الدارسين في مصر المنتمين لعضوية الجبهة القومية بسبب عدم الولاء للقيادة المصرية، قرروا التخطيط للهجوم على أحد البنوك التابعة للحكومة البريطانية في منطقة الشيخ عثمان، وكانت هذه العملية بقيادة سالمين وصالح ملقاط وعلي مقبل. أما أنا كانت مهمتي في هذه العملية حماية المجموعة المهاجمة للبنك وجرى تنفيذ هذه العملية في وضح النهار في الساعة العاشرة صباحاً. وعند بدء الهجوم قام أحد

حراس البنك بإطلاق النار في الهواء طلبا لنجدة أفراد الدورية الإنجليزية الذين كانوا على مقربة من البنك، وتبادلت معهم إطلاق النار، فأُصبت في يدي، لكني استمريت في إطلاق النار، رغم الألم ونزيف الدم، لكي تتمكن المجموعة الفدائية



التي دخلت البنك من أخذ المبالغ الموجودة فيه والخروج بأمان. نُفذّت الخطة بنجاح، وخرج المهاجمون للبنك ليسندوا رفاقهم في إطلاق النار على الدورية الإنجليزية حتى لاذوا بالفرار. وهكذا تمكّن قطاع العمل الفدائي في عدن من تقديم الدعم للقيادة العامة والطلاب الدارسين في القاهرة حيث أُرسلت لهم المبالغ مع أحد قيادات الجبهة القومية، هو **الأخ عبد القادر أمين.**

تجدر الإشارة هنا إلى أنه إضافة إلى تنفيذ العمليات فقد أوكلت إليّ أيضاً مهمة حفر مخازن للأسلحة في مدينة عدن، حيث كلفني قائد القطاع الفدائي سالم ربيع علي بالإشراف على ذلك نتيجة للثقة والعلاقة الوطيدة التي كانت تربطني به، ولأن لدي خبرة سابقة في البناء وفي نحت الصخر، لهذا تم تكليفي بالإشراف على حفر مخابئ للسلاح والذخيرة في عدد من الأماكن في مدينة عدن، حيث اتفقنا على حفر مخزن تحت الأرض في منزل أحد أعضاء الجبهة القومية الموثوقين في منطقة القلوعة، ومن أجل هذا الغرض وبتكليف من سالمين جاء لمساعدتي أيضاً محمد سعيد عبدالله محسن ومعه عامل يبدو أنه من القطاع الفدائي. بدأنا بالحفر في أرضية المنزل وكان الصخر قوياً، ولم يستطع رفيقاي الاستمرار إذ شعرا بالتعب وتفطرت أيديهما، فلم يكن أمامي سوى الاستمرار في هذه المهمة منفرداً، ومكثت أنحت في الصخر



محمد سعيد عبدالله

عدة أسابيع، بعدها قمت بإحضار الإسمنت والبردين والخشب لتغطية وتمويه المخبأ، وعندما أنجزت ذلك جاء سالمين ليرى العمل بنفسه وليشرف على عملية الخزن لعدد من المدافع والقذائف "٣ إنش وغيرها". وعند انتهاء الخزن قمت بصب الغطاء وحرصت على بقاء فتحة غير مرئية عبارة عن أنبوب للتهوية، حتى لا تنفجر القذائف بفعل درجة الحرارة المرتفعة في عدن.

بعد إنجاز هذا العمل توجهت لبناء مخزن آخر تحت الأرض في منطقة الشيخ عثمان، في السيلة، داخل إحدى العشش التي يملكها أحد أبناء يافع، هو الأخ ناصر

أحمد المطري، وقد تم إقناعه بواسطة الأخ سالم الناخبي. ومن حسن حظي إن حفر هذا المخبأ كان أسهل بكثير من الأول، كون أرضيته كانت طينية وليست صخرية، وقد شاركني في الحفر الأخوة سالم الناخبي وحسن أخوه والحاج ناصر عبدالقوي السلفي، وتم فيه خزن الأسلحة المسلمة لي للخزن، وبعد الانتهاء سلمت المخبأ للرفيق سالم ربيع علي الذي كان برفقته محمد سعيد عبد الله محسن وسالم الناخبي، وهنا تجدر الإشارة انه من هذا السلاح المخزون هنا تم لاحقا تنفيذ عدد من العمليات العسكرية.

عملية استهداف ضابط في قيادة الشرق الأوسط

في عام ١٩٦٦ كانت قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط تُدار من عدن، نظرا لمكانتها الاستراتيجية المتمثلة بإشرافها على أهم ممر للملاحة الدولية، وموقعها الجغرافي الذي يربط الشرق بالغر ب، وميناءها المتميز الذي يسمح لرسو السفن بالقرب من أماكن التزود بالنفط والفحم. ومع ذلك حرمت بريطانيا شعب الجنوب، وخاصة في المناطق الريفية، من حق التعليم والصحة والعمل، فضلا عن قمعها للمظاهرات السلمية وكبت حرية الأصوات المطالبة بالحرية وملاحقة واعتقال وقتل العناصر التي آمنت بأن الوسيلة الوحيدة لانتزاع الحرية هو الكفاح المسلح.

كانت الجبهة القومية قد نجحت في كسب العناصر الوطنية الشريفة التي تعمل في المؤسسات العسكرية والأمنية الاستعمارية، بما في ذلك مكتبٍ قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط. استلمت قيادة الجبهة القومية تقريراً من العناصر المزروعة في قلب ذلك المكتب، يفيد بأن ثمة تغييرات ستحصل في التركيبة القيادية، بسبب فشل القيادات العسكرية الحالية في إخماد جبهة ردفان والجبهات الأخرى، والقضاء على من يَصِفهم الاستعمار بالتنظيمات الارهابية في عدن، وأن الانظار تتجه إلى تعيين قائد انجليزي عُرف بالحنكة القيادية والحسم العسكري ليكون نائباً لقائد القوات الانجليزية في الشرق الأوسط، وستعهد إليه المهمة التي فشل في تنفيذها القادة الانجليز والمحليين، المتمثلة بإخماد الجبهات الساخنة وحسم الأمور عسكريا لإعادة الأمن والاستقرار إلى عدن، وملاحقة وقتل العناصر الفدائية التابعة لجبهتي التحرير والقومية وكل من يقاوم الاستعمار.

رأت القيادة أن أبلغ رد على تلك التوجهات والخطط العسكرية هو توجيه ضربة استباقية لإجهاضها في مهدها. لذلك كلفت الجبهة القومية قائد القطاع الفدائي، سالم ربيع علي، باللقاء مع عدد من العناصر الفدائية. و تم معهم مناقشة ووضع الخطة موضع التنفيذ، وكنت أحد الفدائيين المدعوّين إلى هذا الاجتماع المهم والسرّي، الذي دعانا إليه سالمين في أحد المنازل في الشيخ عثمان، وشرح لنا أهمية هذه العملية ودقتها وخطورة تنفيذها، كونها ستتم في منطقة خور مكسر، قلب القاعدة البريطانية في عدن، حيث المطار المدني والعسكري، ومعسكرات الجيش والأمن والقوى الجوية ومساكن الضباط الانجليز..الخ، فضلا عن كون زيارة القائد المستهدف ستكون مؤمنة بحراسات مشددة، ولذلك فقد رُسمت بدقة بالغة لضمان النجاح، لكنها - حسب وصف سالمين -ستكون استشهادية، لأن العناصر المساندة للمنفذين قد لا يتمكنوا من القيام بمهامهم بسبب التواجد العسكري الكثيف في خور مكسر وانتشار رجال الاستخبارات والأمن. ونظرا لخطورة هذه العملية الانتحارية قررت قيادة الجبهة القومية إطلاق الأسماء الحركية لمنفذيها على الشوارع القريبة من مسرح العملية.

كنا في القطاع الفدائي نتسابق على تنفيذ العمليات الفدائية، ونعتبر أن اختيار القيادة لنا في تنفيذ مثل تلك العملية الانتحارية المهمة والصعبة والمحفوفة بالمخاطر دليل ثقة وعرفان بالجدارة ووسام شرف لتحرير الأرض من المستعمر الغاصب، وخشية أن يسبقني الآخرون، نهضت من مكاني دون شعور وطلبت من سالمين قبل أن يكمل حديثه عن تفاصيل العملية أن يعتمدني ضمن الانتحاريين المكلفين بهذه العملية. كنت أتوقع ترحيبه الكامل وموافقته، ففوجئت به يرد عليّ باللهجة الشعبية وبالأسلوب الآمر: " انت أجلس يا أدوع". أحسست بعدم الرضا، ليس بسبب وصفه لي بالأدوَع أمام الحاضرين، فالسنوات التي عشتها في أبين علمتني المعاني القريبة والبعيدة لتلك الصفة. فالأدوع بلهجة منطقة أبين تحمل أكثر من معنى، منها السلبي والإيجابي، وفقاً لسياق الحديث. ففي المعنى السلبي تُطلق على المعتوه، أما في المعنى الإيجابي فتُطلق على الشجاع والمقدام الذي لا يلقي بالاً لما قد يلحق به جراء ما أقدم عليه بقناعته وهذا ما كان يقصده سالمين. لكن عدم رضاي كان بسبب رفضه لمبادرتي فاعتبرت أنه لا يثق بي ومن ثم أحرمني من شرف المشاركة بعملية هامة تستهدف قائدا عسكريا بريطانيا رفيعا، وخُيّل لي أن الاجتماع مسألة شكلية، وأن القيادة قد حسمت اختيارها ممن ترى فيهم الكفاءة والجرأة.

واصل سالمين شرح التفاصيل العامة المتعلقة بهذه العملية وأنها تتطلب من المتطوع المهارة في الرماية والدقة في التصويب من بُعد، وأن تكون لدى من يسانده الخبرة في رمي القنابل إلى هدفها. انتهى الاجتماع دون تحديد اسماء المكلفين، وطلب سالمين منا التفكير في الأمر حتى اليوم الثاني، وأنه يريد اثنين متطوعين فقط لتنفيذ المهمة الرئيسية في هذه العملية، فيما سيختار من جانبه بقية العناصر المساعدة التي ستتولى نقلهما إذا تمكنا من النفاذ بسلام بعد العملية.

بعد خروجنا من الاجتماع جاءني مباشرة حسن علي الصغير "بدر" ليخبرني بأنه هو الآخر يرغب أن يشارك في تنفيذ هذه العملية، واقترح أن أكون أنا من يتولى مهمة القنص وهو من يقوم برمي القنبلة. قلت له معاتباً:" لماذا لم تبلغ سالمين بقناعتك هذه أثناء الاجتماع؟!". فرد بدر ممازحا:" خشيت أن يصفني بالأدوع، وعندها سيكون من الصعب تسمية شارع الأدوع أو شارع بدر". وضحكنا أنا وبدر. والتزمنا بتوجيهات سالمين وانتظرنا حتى اليوم الثاني لإبلاغه برغبتنا تلك.

وفي اليوم التالي عدنا إلى اللقاء وطرحنا الأمر على سالمين فوافق بأن توكل لي مهمة قنص ورمي القائد الانجليزي، ولبدر مهمة رمي القنبلة مباشرة بعد سماع الطلقة الأولى على الدورية الانجليزية المرافقة أو أي هدف انجليزي بهدف ارباكهم وتشتيتهم.

طلب منا سالمين اللقاء بالأخوين سالم الناخبي ومحمد ناجي، وكانا يعملان في جهاز الاستخبارات البريطانية في عدن، وبواسطتهما تمكّنا من معرفة التفاصيل الهامة، مثل زمن ومكان الزيارة والطريق التي سيسلكها للوصول إلى مكان اللقاء مع الضباط الإنجليز وزمن الوصول بالتحديد.



محمد ناجي بن شجاع

سالم الناخبي

كان موعد الاجتماع في الثانية عشر ظهراً، وكان على القائد الانجليزي أن يأتي من المعلا – حافون باتجاه خورمكسر وسيمر موكبه أمام معسكر طارق"حاليا" ويتوقف أمام البناية الواقعة بمحاذاة مستشفى الملكة اليزابث، والكائنة في زاوية انعطاف طريق طارق –مستشفى الجمهورية "حالياً"، وكان على

القائد ومرافقيه أن يصعدوا سلم الدرج إلى مكان الاجتماع في الطابق الثالث، وكان جزء من الدرج مكشوفا إلى الخارج، والأراضي المحيطة بالمستشفى عارية ومكشوفة لخلوها من أي توسع في المباني أو استحداث السور منذ افتتاح المستشفى عام ١٩٥٨م، وكانت تلك المساحات الفارغة تفصل ما بين بنايات المستشفى والمناطق السكنية. وكانت الأشجار المنتشرة بجانب بنايات المستشفى ذات الطابق الواحد، المخصصة للأقسام والعيادات الخارجية، هي أقرب مكان غير مكشوف يمكنني منه رصد وصول الموكب ومشاهدة حركة وطلوع عساكر الانجليز في تلك البناية.

قبل ساعة من التنفيذ فقط أخبرني سالمين بأنني سأجد بندقية نوع "عَيْلَمان" مع عشر طلقات رصاص مخفية في واحدة من نقالات إسعاف المرضى، خلف إحدى بنايات المستشفى الخارجية قريبا من المكان الذي سأراقب منه الجزء المكشوف من سلم العمارة. ومع الساعة الثانية عشرة وقفت سيارة القائد أمام البناية، وكادت زحمة المرافقين له وحركتهم السريعة أن تصعّب مهمتي، لكنهم في الطابق الثاني أخذوا يصعدون الواحد بعد الآخر بحركة بطيئة بعض الشيء، كانت كافية بالنسبة لي لإحكام التسديد بدقة على الهدف، فأطلقت الرصاصة الأولى فسقط على إثرها قتيلاً مباشرة، ثم أعقبت بتصويب طلقتين على من استطعت مشاهدته من مرافقيه، وسمعت في ذات الوقت دوي انفجار القنبلة وعرفت لحظتها أن بدر قد نجح أيضاً في تنفيذ مهمته، فأربك بذلك الانجليز ومنحني الفرصة والزمن الكافي لإخفاء البندقية في نفس النقالة، ومن ثم الهروب بسرعة فائقة من موقع التنفيذ.

رد الانجليز بطلقات نارية مكثفة بصورة عشوائية في أكثر من اتجاه، باحثين عن مصدر القنص، وسرعان ما حضرت الدوريات العسكرية ووحدة من الجيش لتطويق المستشفى والمناطق القريبة منه. ركضت بين الناس الهاربين، وكانت الدورية الانجليزية قد أحكمت السيطرة على البوابة الرئيسية القريبة من العيادات الخارجية وأخذت تعتقل الخارجين منها، فقررت الهروب إلى البناية الرئيسية للمستشفى، على أمل أن أجد فيها مكانا أختفي فيه.

كانت أقرب بوابة لي هي البوابة الخلفية، الواقعة في الجهة الشمالية للبنايتين الرئيسيتين للمستشفى المتقاطعتين على شكل صليب، لكنني وجدت نفسي فجأة في المطبخ. كانت قدور الطباخة قد حُلّت عنها أغطيتها للتو لتكشف عما بداخلها من اللحم والرز، ويبدو أن الطباخين كانوا على وشك البدء بتوزيع وجبة الغداء

للمرضى، لكن أصوات الطلقات النارية ودوي انفجار القنبلة المسموع وما أعقب ذلك من تطويق ومداهمة لمباني المستشفى، قد جعلهم يتركون ما بأيديهم ويهيمون مثل غيرهم بحثا عن مكان آمن.

أعترف أن ظروف التفرُّغ الجزئي وأحياناً شبه الكامل للعمل الفدائي، جعلت إمكانياتنا المادية شحيحة، وكان الحصول على وجبة مع اللحم يعد حلماً وأن تحقق نادر فهو نوع من الترف. وهنا حيث وجدت نفسي فجأة بين هذه القدور العديدة المحشوة بما لذ وطاب من اللحم والرز، أنستني روائحها للحظات ما أنا فيه من توتر وقلق، وحرّكت الفاقة لمثل هذه الوجبة الدسمة الشهية والرغبة في داخلي، فاندفعت بدون تفكير منقضاً على هذه القدور، آكُل منها بشراهة مطلقة، أخُذ من أحدها اللحم باليد اليُمنى والرز باليسرى، وأتنقل بسرعة من قِدرٍ إلى آخر لعلّي أجد أفضل مذاقا أو أبرد مما سبق، إذ كان الطعام ساخناً ومليئاً بالشحم والزيت. كنت أبلغ ما أتناوله من اللحم دون مضغ حقيقي، وأخرج من فمي ما لا أتقبل سخونته، وهذا التصرف جعل يَدَاي ووجهي وملابسي مكتسية ببقايا وآثار الزيت والرز والشحم، وغادرت المطبخ وما زالت في يدي قطعة عظم لم استطع أكل ما يكسوها من اللحم لسخونته. هرولت مع موظفي المستشفى والزوار هائماً بين أقسام المستشفى، حتى قادتني قدماي المتعبتان، ودن تفكير مني بحركة ووجهة الهاربين من الناس، إلى البوابة المحاذية لقسم الحوادث الفجائية، ومن هناك خرجت.

كان الانجليز قد انتشروا في كل منافذ المستشفى لإيقاف الهاربين وتفتيشهم وحجز المشتبه بهم، لكنني كنت محظوظاً فلم يعترضني أو يوقفني أحد، ربما كان السبب أن ملابسي القديمة الملوثة بالزيت والشحوم وبقايا الأكل بالإضافة إلى تلك العظمة التي ما زالت في يدي اليمني جعلهم يظنون أنني معتوهاً.


الدكتور سالم الوالي

واصلت السير باتجاه المنازل المخصصة لسكن الأطباء، الواقعة خلف البناية الرئيسية للمستشفى، والمشرفة على ساحل أبين. وهناك اتجهت إلى البناية التي تقع فيها شقة الدكتور سالم أحمد الوالي وهو صديق لي وعضو في الجبهة القومية. بالقرب من البناية شعرت بشيء من الأمان، وعندها فقط تنبهت إلى العظمة التي ما زالت في يدي، فأكلت ما تبقى فيها من لحم ورميت العظم جانباً.

طرقت باب شقته وأنا أبتهل وأتوسل إلى الله أن يكون صديقي موجوداً، لأنني لا أعرف مكاناً آخر ألجأ إليه في ذلك الحي المُطَوّق بقوات الانجليز. وعندما فتح الباب اندهش لمنظري وبادرني بسيل من الأسئلة عمّا جرى لي، وكيف ولماذا؟ وهل من أسباب لذلك؟. دخلت الشقة وبعد أن استعدت أنفاسي أخبرته أنني كنت في المستشفى عندما حدث إطلاق نار وانفجار قنبلة ثم أخذ الجنود الانجليز يعتقلون الناس بشكل عشوائي فقررت الهروب إلى هنا. يبدو أن جوابي لم يرق له أو لم يقتنع بصحته، وهو يعرف بأنني من القطاع الفدائي، وأنني لم ألجأ إليه إلاّ بسبب الثقة العالية فيه. لهذا عاد يسألني قائلاً: لنتقبل أنك هربت مثلك مثل بقية الناس، فأين تلوث وجهك وملابسك وأطرافك بهذه الطريقة؟. قلت له بشيء من المزح حتى لا يحس بدرجة توتري: بمطبخكم يا دكتور. قال: إذاً تعاركت مع الطباخين. قل له: بل مع الدسوت في المطبخ. ضحك بابتسامة خفيفة قائلاً: أكيد عملتها يا صالح. ثم غسلت وجهي وأطرافي، وبادر بأن أخرج لي من دولابه قميصاً وفوطة لتغيير ملابسي، وطلب مني البقاء في مسكنه حتى يرتفع الحصار عن الحي.

كان يقلقني حينها هو مصير رفيقي "بدر"، ولهذا لم يطل بي المقام، فبعد نصف ساعة فقط خرجت من الشقة سيراً على الأقدام، وعلى بُعد مائة متر تقريباً توقفت بجانبي بصورة مفاجئة سيارة، وإذا بالراكب في الكرسي الخلفي يناديني باسمي الحركي :"اطلَع يا عِمْرَان"، لا أتذكر اسمه الآن، لكن سائق السيارة كان الخضر مَسْوَدي، سألت عن "بدر" فعلمت أنهم نقلوه إلى كريتر، وأن سالمين طلب منهم البحث عنّي ونقلي إلى عدن.

خرجنا من خورمكسر باتجاه عدن، وفي نقطة تفتيش بجانب محطة العاقل تعرضنا للتفتيش نحن والسيارة، وحين لم يجدوا شيئاً سمحوا لنا بالمرور إلى مدينة كريتر - عدن، وهناك وجدنا سالمين في انتظارنا، أمام سينما"هريكن". كان فرحاً بعودتنا وبنجاح مهمتنا، وابلغنا أنه تقرر تكريمنا بوجبة طعام في مطعم البحر الأحمر، الذي كان حينها من أفضل مطاعم عدن. وهناك تذوقت لأول مرة وجبة "الحَرَضَة" الدسمة واللذيذة التي تقدم فوارة مع الخبز الساخن، وهو ما كان يتميز به هذا الطعم، وما زلت حتى الآن أحب تناول هذه الوجبة، ليس بسبب مذاقها الشهي وسخونتها وطريقة تقديمها فحسب، بل ولأنها تذكرني برفاق حقيقيين، سموا وتعالوا على المصالح الدنيوية الضيقة، وتذكرني بلحظات نشوة الانتصار والنجاح.

وفي المساء، بينما كنا نستمع إلى المذياع، سمعنا نبأ مقتل الضابط من إذاعة لندن، فتأكد لي بالفعل ان العملية كانت ناجحة. كنت كبشر أشعر بالمرارة عندما أُقدم على تنفيذ عملية فدائية ويذهب فيها ضحايا من الإنجليز، كونهم بشر مثلنا، ولا أريد أن أكون سبباً في قتل النفس البشرية. لكن ما كان يشفع لنا ويخفف من آلام النفس وتأنيب الضمير، إننا كنا نصوب بنادقنا ونيران أسلحتنا إلى صدر عدو لم يترك أمامنا من خيار آخر للتعامل معه، فقد احتل أرضنا وسيطر على ثرواتنا ومدخراتنا وفرض السيادة على أهلنا وناسنا، وعانينا منه طوال مراحل حياتنا صنوفا من الظلم والتمييز، وتختزن ذاكرتنا فظاعة الدمار الذي خلفه قصف الطيران الاستعماري لقرى ومنازل كثيرة قتل وشرد فيها بدون تمييز السكان الآمنين من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ولم تسلم منه الشجر ولا الحجر، ولا حتى حيواناتهم. مخلفاً بذلك كوارث إنسانية فظيعة تظل مخزونة في عمق ذاكرتنا، وتأتينا من حين لآخر، كنوبات مؤلمة تسترجع في أذهان شريط تلك الفجائع الإنسانية، وتعيد على مسامعنا عويل النساء وصيحات بكاء الأطفال وتنهدات الشيوخ.. بل ونتذكر أنه ليس لهم من ذنب سوى أن بعض رجالهم الأحرار قد سبقونا في التعبير والممارسة النضالية فحملوا السلاح من أجل الحرية والكرامة ليس لأشخاصهم أو مناطقهم فقط، وإنما من أجل الأرض الجنوبية والإنسان الجنوبي ومن أجل الكرامة والسيادة الوطنية.

كل هذا يجعلنا دائما نعتز بأن أشرف وأقدس عمل في حياتنا هو مشاركتنا في الكفاح من أجل استعادة الوطن المسلوب وحرية وكرامة الشعب وارغام المستعمر وإرهابه بذات الأسلوب الذي يتبعه لإرهاب شعبنا وأحرار وطننا، وهذا الأسلوب النضالي تبرره كل القوانين والأعراف الدولية والشرائع والأديان السماوية..كل تلك العوامل والدوافع والأسباب تدخل السكينة والطمأنينة في قلوب الفدائيين حينما يقدمون على عملياتهم البطولية، ويشعر كل منهم بأن ما يقوم به في قتال المستعمر الدخيل والغاشم هو دفاع عن النفس وعن الأرض والكرامة، بل هو فرض عين، وعمل يؤيده الله وينصره.

عملية ضرب الملهى الليلي

استطاعت الجبهة القومية عبر جبهاتها المختلفة، وأهمها جبهة عدن، ردفان، الضالع، الربيزي، فحمان، وحالمين، أن تلقن الاستعمار دروساً في الإرادة الثورية التحررية المنظمة والهادفة، وأثبتت بأنها تمثل شعب حي وحر تواق للسيادة الوطنية غير المنقوصة على كامل أرض الجنوب العربي، بل واستطاعت باعتمادها على الشعب وتأييده وببسالة فدائييها وإقدامهم ان تزرع الخوف والهلع وسط سرايا الاستعمار وركائزه، سواء في المدينة أو الريف، على الرغم من بساطة وسائل المقاومة وشحة التدريب وقلة العدد. فعلى أرض تلك الجبهات الساخنة اهتز كبرياء الامبراطورية البريطانية في واحدة من أهم مستعمراتها في العالم، تلك التي كانت ترى إنجلترا فيها القلب النابض الذي يمد شريان الحياة وعناصرها لمستعمراتها في الشرق الاوسط، وسلامة واستقرار حالة هذا القلب كانت في أولويات مهام وزارة المستعمرات البريطانية، لإدراكها ان أي اضطرابات في تناغم أدائه ووظائفه سيقود حتماً إلى التأثير الانعكاسي على اعضاء جسم المستعمرة المعتمدة عليه، وبهذا سنجد تلك الامبراطورية نفسها أمام عهد جديد تنطفئ فيه شمسها التي كانت لا تؤمن يوماً بغروبها.

يومٌ بعد يومٍ كانت المؤسسات العسكرية والأمنية الانجليزية تتجرع تباعاً درساً قاسياً بعد آخر، وهزيمةً بعد أخرى أثناء محاولاتها وأد الحركات الجبهوية التحررية، كل هذه المعاناة اليومية جعلت حكومة الاتحاد تبلع كأس الحقيقة المرّة وتدرك إنَّما يحدث على الأرض ليس تمرداً قبلياً غير منظم في بعض المناطق الريفية، أو عصابات إرهابية نشأت في مدينة عدن، كما كان يحلو لحكومة الاتحاد وصفها في أكثر من مناسبة وفي أكثر من تقرير حتى يخلقوا حالة من الطمأنينة لدى الحكومة البريطانية، متظاهرين بانهم يحكمون سيطرتهم على البلاد والعباد في تلك المستعمرة.

أدّت تطورات الحالة العسكرية على الجبهات بالمستعمرين إلى نقل بعض من قواتهم في الشرق الاوسط إلى قاعدتهم العسكرية في عدن للمساندة في إخماد تلك الجبهات، وأدركوا بأنهم يواجهون عملاً منظماً تديره قيادة سياسية وعسكرية بحنكة واقتدار، وكان يؤرقهم بحق الاعتراف بتلك الحقيقة التي فضحت ضعف سيطرتهم وكذب تقاريرهم. لقد جربوا الأرض يوماً فتجرعوا الهزائم، وحمل جنودهم ذكريات مؤرقة من الخوف والهلع في مواجه من وصفوهم بالذئاب الحمر.

ولهذا أرادو الآن تجريب الحرب من الجو، مستخدمين سلاح الطيران الملكي البريطاني لقصف تلك المناطق الريفية الساخنة، مستهدفين المقاتلين الأحرار في الجبال والوديان وقصف تدمير منازل الثوار وكذلك القرى المناصرة لهم أو تلك التي تأويهم.

كشف هذا العمل النزعة اللا إنسانية والوحشية للاستعمار الذي وظف سلاح الطيران الحربي لواحدة من أقوى إمبراطوريات العالم لقتل الرجال والنساء والاطفال وتشريدهم من مساكنهم وقراهم، وليس لهم من ذنب الاّ أنهم يعشقون الحرية والسيادة على أرضهم.

تعمّدوا ضرب وقصف القرى والجبال التي يحتمي فيها الفدائيون بشكل هستيري ومفرط، مراهنين على أن تصدير الموت والدمار سيرهب الناس من جبروت وقوة إمبراطوريتهم، ويرغمهم على الإذعان لها ولأعوانها في مناطقهم، ويمتنعون عن دعم ومناصرة الجبهات المناهضة للاستعمار، بل ويتنصلون عن أي التزامات يفرضوها الدِّين والواجب من أجل الهدف الاسمى وهو تحرير الأرض.

لكن غطرسة وهمجية وشراسة العدو لم تغرس في نفوس الثوار الأحرار إلا المزيد من التصميم والاصرار والإرادة على مواصلة النضال، متسلحين بالإيمان الذي يستمدونه من قداسة ومشروعية القضية والهدف، فالكل أصبح يؤمن بان الأرض التي يسكنها، والتي أضحت هدفاً لطيران ولجيش الاستعمار، هي أرضنا، وهي أرض عربية، وليس أرضهم واننا لم نكن نحن غزاة أو معتدين، لكنهم هم من قطعوا البحار ليستعمروا الأرض والإنسان. إذاً أصبح الأغلبية يؤمنون بأن الله سيبارك صمودنا وكفاحنا من أجل الأرض والدين والكرامة.

كنا نتألم بعمق عندما تأتينا أخبار الدمار الذي الحقه الطيران الحربي الانجليزي في تلك المناطق، وكنا نشعر بالحسرة في أن أحرار الجنوب في الأرياف لا يمتلكون مضادات الطيران، وكل ما نملكه هو ترديد الزوامل والأهازيج لرفع الروح المعنوية مثل زامل انتفاضة (ربيز) الشهير الذي قاله شاعرهم متهكما حينما تم اسقاط عدد من الطائرات بالأسلحة الشخصية أثناء قصفها للمناطق:

يا طائره عَلِّيْ بجنحانش	من قوم مَعْوَرْ لا يصيبونش
با يذلحونش في خَلا خالي	ما حد تخاتر با يداوونش

ونشعر بأننا باختيارنا الكفاح المسلح قد كنا السبب أو جزء منه، فهناك في الريف يدفع الناس ثمن انضمامهم للجبهة القومية أو مناصرتهم العلنية لأهدافها وخياراتها وفتح جبهات مسلحة ومنظمة هنا وهناك في الارياف. وكان على الجبهة القومية أن تثبت بأنها لن تقف مكتوفة الأيدي أمام همجية ووحشية الضربات الجوية، فأمن الناس في قراهم ووديانهم، واحدة من أهم غاياتنا، وأن يعيش الناس حياة تُصان فيها حريتهم وكرامتهم وسيادتهم على أرضهم وان يحصلوا على فرص متساوية في العمل والدراسة والحياة هو الهدف النهائي الذي من أجله حملنا السلاح.

وهكذا رأت قيادة الجبهة القومية بأن الاستهداف المباشر للطيارين الانجليز هو الرّد الأبلغ على تلك الهجمات، ومن أجل هذا الهدف طلب مني سالمين وعبدالله الخامري بأن أقوم بتنفيذ جزء من تلك العملية، الموجهة أساساً ضد ضباط وطياري القوى الجوية، من خلال إستهدافهم في ملهاهم الليلي، الواقع في اللواء السادس، بخور مكسر" أمام مكتب طيران اليمنية حالياً، وقد دمر هذا الملهي فيما بعد وبُنيت على أرضة مساكن شعبية ومسجداً".

تم اختيار توقيت ومكان هذا الهجوم بدقة بالغة وُحدد لتنفيذه يوم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح "ليلة الكريسمس" حتى نتمكن من الحاق أكبر خسائر بهم، رداً على ضرباتهم الجوية التي شرّدت الأسر وقتلت دون تميز كل شيء يتحرك على الأرض. لم أعد أتذكر من المشاركين في هذه العملية الاّ الشخص الذي رافقني خطوة بخطوة بتنفيذ في جميع مراحل تلك العملية وهو الخضر مَسْوَدي، ربما لخذلان الذاكرة أو بسبب ما عانيته بعد التنفيذ من الارتجاج الذي أصاب رأسي بهزة عنيفة، وشَوّش ذاكرتي حينها. فضلاً عن كون سرية العمل الفدائي تقضي حينها أن لا يعرف الفدائي إلا من يشاركه المهمة فقط، دون أن يعرف أسماء أو عدد الآخرين أو طبيعة دورهم. لكنني أقول بثقة ويقين أنه كان هناك مشاركون آخرون في تلك العملية، قد يكون دورهم يختلف عن دورنا.

كان دور رفيقي خضر مَسْوَدي في هذه العملية أن يقوم برمي قنبلة إلى حلبة المرقص حال وصوله إلى البوابة الرئيسية، وأكون أنا مرافقا له، وكنت مسلحاً بسلاح فرخ رشاش عيار٩ ملم، صنع انجليزي، "استن جان" يحمل مخزنة ٣٢ طلقة رصاص. كانت مهمتي اولاً حمايته من الخلف حتى يصل إلى بوابة النادي، وهناك أكون جاهزا لمواجهة أي حراسة تمنعه من الدخول لتنفيذ مهمته. وعند وصوله إلى البوابة كان عليه أن يرمي القنبلة إلى حلبة المرقص ثم ينسحب إلى سيارة

"فولكسويجين" كانت القيادة قد سلمتها لنا لتسهيل هروبنا بها من مسرح العملية، وكان عليَّ أن أسدد رصاص بندقيتي لضرب الناجين لحظة الانفجار.

فعلاً تم تنفيذ العملية بنجاح منقطع النظير، كما خطط لها، ولم نواجه أي صعوبات في الوصول إلى بوابة الملهى، فالمحتفلون كانوا ثملين وقد أخذتهم نشوة شُرب الخمر، والموسيقى صاخبة، وحلبة الرقص مكتظة بالراقصين. كان انفجار القنبلة في تلك الصالة المغلقة مروعاً جداً، أرهب وأذهل المحتفلين. هذا الوضع المربك لهم من هول الانفجار سهَّل عليَّ تفريغ مخزن الرصاص اللصيق بالبندقية كاملاً وجزءاً من المخزن الاحتياطي، ثم ركضت مسرعاً إلى خارج المرقص وهناك وجدت الخضر مسودي ينتظرني في السيارة أمام المرقص مباشرة، ولحسن الحظ لم يعترضنا أحد أثناء الهروب من الملهي، لذا أخفيت بندقيتي "إستن جي" في المخبأ المخصص له في الجزء الداخلي لباب الراكب.

أخذ الخضر يقود السيارة بأقصى سرعتها باتجاه المطار المدني، باتجاه الطريق البحري المحاذي لساحل أبين لنتمكن من الهروب إلى عدن – كريتر. كنا قد تجاوزنا تقريباً وكالة وزارة الصحة حالياً، عندها فوجئنا بانعطاف ناقلة جنود مدرعه تتعقبها دبابة، قادمتان كما يبدو من الثكنة العسكرية المرابطة في منطقة العريش، ففوجئت بالخضر مسودي يعكس إتجاه السيارة فجأة بإدارة مقودها "١٨٠" دون ان يخفض سرعتها، وعلى إثر ذلك انقلبت السيارة ثلاث قلبات، في القَلبة الثانية انفتح الباب الذي بجاني فقذفتني السيارة إلى خارجها قبل أن تكتمل القلبة الثالثة فارتطم وجهي وأطرافي بالأرض الإسفلتية، شعرت بعدها بآلام شديدة في الاطراف وصداع فضيع، ثم أحسست ببرودة ولزوجة الدم المنساب على وجهي وصدري، اعقبه شيء من الفتور.

على رغم من كل هذا ومما أحدثته تلك الإصابات من تشوش ذاكرتي حينها، إلاَّ انني أتذكر بأنني رأيت باب السيارة ما يزال مفتوحاً وقد انقشع غلافه الداخلي بعض الشيء ليكشف عن وجدود السلاح في مخبئة، الذي صُمم محلياً لغرض تسهيل نقل السلاح صغير الحجم. وعلى الرغم من ضبابية أفكاري بفعل الصدمة التي تعرضت لها، إلاَّ أنني كنت أعي أنهم إذا ما كشفوا ذلك السلاح فأنهم يكونون بذلك قد حصلوا على الدليل القاطع في أننا نحن من نفذ تلك العلمية.

كان يفصلني عن السيارة حوالي متر ونصف، لهذا سحبت نفسي بقوة إلى محاذات الباب، وبينما أحاول ضغط الغلاف الداخلي للباب حتى أُخفي السلاح،

سألت المسودي بصوت متعب كيف سوَّيت بناء؟. لكني لم اسمع صوته، فرفعت راسي بصعوبة نحوه للتأكد من سلامته. حينها رأيت منظراً فضيعاً ما زلت أتذكره حتى الآن... لقد شاهدته في مقعدة وجسمه مُنحنٍ إلى الأمام دون حراك. وكان رأسه مستنداً على مقود السيارة ووجهه مخضباً بالدماء، وإحدى عينيه قد خرجت من محجرها وأخذت تتدلّى في الهواء، تربطها فقط أوتادٌ خفيفة إلى قاع محجرها. أحزنني وآلمني ذلك المنظر، وظننت أن رفيقي قد فارق الحياة.

ما حدث بعد ذلك لم أعد أتذكر منه شيئاً، حتى هل وفقت في إحكام الغلاف الداخلي للباب، فربما أغمي عليّ وفقدت حسّي إثر النزيف الحاد أو بسبب الصداع والألم الشديدين، وكلما أعرفه أنني أفقت في اليوم الثاني لأجد نفسي في المستشفى العسكري، الذي كان موقعة تقريباً في جزء من البنايات الحالية لكلية الطب في خور مكسر. وأسعدني كثيراً حينها أن المريض المستلقي على السرير الآخر بجانبي هو ذاته رفيقي المسودي. كان نصف وجهه مغطى بالضمادات ولا يتحرك، لكن الأهم أنه كان يتنفس. يبدو انهم قد ضاعفوا له حُقن التخدير حتى يسكنوا ويخففوا من آلامه الفظيعة.

كان من أهم النتائج الطبيعية في ممارسة العمل الفدائي هو تعميق العلاقات الإنسانية الرفيعة في مشاعر وعقول الفدائيين. فتجد أن الفدائي يصمد ويستبسل ويستعد لتقديم روحة لحماية رفيقه، وتكون أسوأ الفجائع التي تسحق مشاعره هو أن يُقتل رفيقه، لهذا ما أن شاهدت صدر رفيقي يرتفع وينخفض، حتى شعرت بأن الله قد لطف بي، فجنبني معاناة وأحزان فقد رفيق دربي. لكن ما كان يزعجني هو أننا كنا في غرفة خاصة تحت حراسة أربعة من الجنود الانجليز. إن هذا يدل على أن أمرنا قد انكشف، وإننا موعودون بمعاناة قاسية من السجن والتعذيب.

في اليوم الثالث جاء إلينا أربعة يبدو من ملابسهم الطبية العسكرية أنهم يعملون ضمن الطاقم الطبي، كانوا يحملون نقّالتين، أخبرونا بأنهم سينقلوننا إلى قسم الكشافة، فأوضحت لهم أنهم قد أخذونا ليلة البارحة، وأوضحوا لي أن عندي كسور في عظم الأنف بالإضافة إلى تكسُّر ثلاثة من أسناني الأمامية وأن المشرف على علاجي قرر استئصال جذور الأسنان الأمامية المكسورة. فقاطعني أحدهم قائلاً: إن الطبيب قرر لذلك عمل كشافة ثانية. ثم تحدث أحدهم بالإنجليزية مع الحارسين وأخبرهما بأننا على موعد لأخذ صور أشعة جديدة. أخذونا على النقّالات. وفوجئنا بهم يخرجوننا من المستوصف العسكري إلى ناقلة جنود مدرعة. كانوا يتحدثون بلهجة أبناء دثينة. سألتهم إلى أين ستأخذوننا؟

قالوا: نحن من جماعة القائد محمد قاسم بن عليو اليافعي، تطمنوا سنأخذكم إلى مكان آمن. لم تمر إلاَّ نصف ساعة حتى توقفوا بنا، فوجدنا أنفسنا في حوش الحمادي بالشيخ عثمان، وكان في انتظارنا سالمين وعبدالله الخامري والحمادي.

كانت حالتي الصحية تستدعي مواصلة العلاج وخلع جذور أسنان الفك العلوي التي تكسرت، وكذا تدعيم الأسنان الأمامية للفك الأسفل التي أصابها الوهن بسبب الحادثة، ناهيك عن الرضوض في الأطراف العلوية والسفلية. لكن حالة صاحبي كانت أسوأ بكثير مني.

اقترحوا علينا فكرة العلاج في الخارج، لأن رجال الأمن لن يكفوا عن البحث عنا. لكنني اعترضت على فكرة سفري إلى الخارج، وأقنعتهم برغبتي في السفر إلى يافع، وهناك تلقيت العلاج اللازم تحت إشراف الحكيم عبدالله أحمد بن مخارش. مكثت هناك حوالي ثمانية أسابيع، ثم عُدت إلى أبين، وهناك التقيت بسالمين وأبلغته أنني عُدت إلى حالتي الطبيعية، لكنني بحاجة فقط لاستشارة طبيب أسنان للنظر في إمكانية تدعيم أسنان الفك الأسفل وتركيب طقم يغطي ما خلفته الكسور في الأسنان الأمامية للفك العلوي.

وافق سالمين على عودتي إلى عدن للعلاج مع بعض النصائح بتوخي الحيطة والحذر. وفعلاً تلقيت العلاج اللازم تحت إشراف حكيم الأسنان محمد قاسم في عيادته التي كانت تقع بجانب سوق الخضار والفاكهة في كريتر –عدن.

لقد خلف نجاح تنفيذ تلك العملية النوعية آثاراً مرعبة في نفوس المحتفلين من أفراد القوى الجوية الملكية، وأدركوا أنهم الآن هدفاً رئيسياً لضربات الثوار. فبالرغم أن الجبهة القومية لا تملك شيئاً لصد الطيران الحربي عن تحقيق أهدافه، فإنها قد وجهت إليهم رسالة بليغة الدلالة، مفادها أن الرد عليكم سيكون في الأرض، وسنحوِّل حياتكم الهنية إلى جحيم لا يطاق، ونروعكم كما رَوَّعتُم أبناء شعبنا الآمنين في الأرياف، وسنلاحقكم أينما كنتوا على الأرض. وستكون ملاهيكم وبيوتكم ومعسكراتكم أهدافاً لنا، فأنتم لن تظلوا محلقين في السماء، ومصيركم النزول إلى الأرض وهنا ستلقون نهايتكم الحتمية وستدفنون.

سجن بن عِلَيْو ورَدّ الجميل



ارتبط اسم محمد قاسم بن عليو في ذاكرتي بجميل لن أنساه ما حييت، تمثل بإنقاذه ومجموعته لي ولرفيقي الخضر مَسَودي وتجنيبنا مآسي السجن المؤكد وآلام التعذيب وربما الإعدام فيما إذا بقينا تحت قبضة الانجليز واستجواباتهم وتحرياتهم التي قد تفضي إلى معرفتهم حقيقة إننا نحن منفذي تلك العملية، إن لم يتم تهريبنا من المستشفى بتدبير وتخطيط من بن عليو ومجموعته.

ولّما كان الشّيءُ بالشّيء يُذكر، وعلى الرَّغْم من أن الحديث هنا يبدو خارجاً عن سياقه التاريخي، إلاّ أنني أجد نفسي ملزما بتوضيح ما حل بهذا المناضل فيما بعد.. فقد مرت الأعوام سريعا. وفي منتصف السبعينات تم اعتقال محمد قاسم بن عليو، وها قد حان رد الجميل له في محنته هذه. قابلت محمد سعيد عبدالله "محسن" الذي كان حينها وزير أمن الدولة وبحثت معه كيف يمكن أن نساعد على إخراجه من السجن، فأكد لي بأن فضل محسن عبدالله قد اقنعه بأن من الإنصاف الإفراج عنه، وأنهم قد كتبوا رسالة جماعية يطالبون الرئيس أن يوافق على إطلاق سراح بن عليو، وكان قد وقعها: محمد صالح مطيع وعبدالعزيز عبدالولي، بالإضافة إلى محسن وفضل محسن. وها قد مر ما يزيد على ثلاثة أشهر دون الحصول على موافقته. وأكد لي محسن بأن الرئيس هو العقبة أمام الإفراج عنه. فحمّسني ذلك لمقابلة الرئيس حتى أعرف سر امتناعه، فأخبرت محسن بقراري هذا وأنني لن أخرج من مكتب الرئيس إلاّ بسبب مقنع أو برسالة الموافقة على الإفراج عن بن عليو.

قابلت سالمين وأخبرته بحديث محسن وقناعته مع الآخرين في الإفراج الفوري عن بن عليو، وأنه –أي الرئيس - هو المعترض الوحيد على ذلك، وسألته:" لماذا هذا التّمنُّع على الرغم من قناعة أربعة من الوزراء، ثلاثة منهم أعضاء في المكتب السياسي". فأكد لي أنه لا يعترض على إطلاق سراحه، لكن عبدالفتاح إسماعيل اقترح بأن يُقدَّم هذا الطلب ضمن قائمة من السجناء، لاتخاذ قرار سياسي يعتمده ويصادق عليه المكتب السياسي في دورته القادمة. وأضاف :" إذا لم تصدقني، إذهب

لمقابلة عبدالفتاح وسيؤكد لك ذلك بنفسه". قلت له:" إذاً أكتب لي رسالة تؤكد موافقتك على إطلاق سراحه". قاطعني قائلا:" يا صالح أنتَ تعرفني بأنني لا أقول شيئاً وأقصد غيره. لكن قل لي: أيش سر اهتمامك بالإفراج الفوري عنه، ما دام دورة المكتب السياسي ستنعقد خلال الشهرين القادمين، هل علاقتك فيك وطيدة؟!".

قلت لسالمين:" يكفيني بأن اسم هذا الإنسان قد ذَكَره أفرادُ الجيش المكلفين بنقلي مع رفيقي الخضر المَسْوَدي من مستوصف الجيش في طارق حتى حوش الحمادي وأنت تتذكَّر ذلك جيّداً، فإذا كان قد جنَّبنا بمساعدته السجنِ المحقق وربما الإعدام، فأقل شيء أن أساعده في الخروج من سجنه". ودون أن يعقِّب، أخذ الرئيس ورقة وكتب رسالة موجهة لعبدالفتاح أكد فيها قناعته بإطلاق سراح بن عليو دون الانتظار لاجتماع المكتب السياسي.

لم تمر سوى ساعتين من اللحظة التي غادرت فيها مكتب محسن حتى لحظة عودتي إليه في وزارة أمن الدولة، وأشعرته بما دار مع الرئيس وأنه لا يعارض الإفراج الفوري عن بن عليو، وأن عبدالفتاح هو من أجّل الإفراج عنه حتى اجتماع المكتب السياسي، وأخبرته بالرسالة الموجهة لعبدالفتاح وأنني سأسعى لمقابلته حتى الحصول على الموافقة الفورية للإفراج عن بن عليو، لأن الانتظار حتى اجتماع المكتب السياسي قد يأخذ أكثر من شهرين وقد يحصل تأجيل له أو ترحيل مع بعض القضايا من اجتماع إلى آخر.

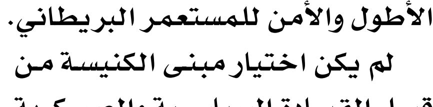
تعجَّب محسن من سرعة الحصول على موافقة الرئيس، فأخذ الرسالة وهو يقول لي:" أنت عملت الذي عليك وأقنعت الرئيس، وأنا سأتولى إقناع عبدالفتاح".. وهكذا تم إطلاق سراح القائد محمد قاسم بن عليو.

وفي كتاب مذكراته "الأهداف السامية والأحداث الدامية" [دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠١٠م، ص٤٣٥] ذكر اللواء محمد قاسم بن عليو أسباب سجنه الكيدية حينما كان محلقاً عسكرياً بسفارتنا في مصر، ودفع ثمنها ثلاث سنوات ونص بين سجن الفتح وسجن المنصورة، دون تهمة أو محاكمة، حتى تم الافراج عنه، وقال :"إن الصراع الذي كان ناشباً بين الرئيس سالمين وأمين عام الحزب عبدالفتاح إسماعيل جعل خروجي محتملاً. بعد أن طرح الأخ العزيز صالح فاضل للرئيس سالمين الذي كانت تربطه به علاقة قوية، أن إطلاق سراح بن عليو من شأنه أن يعزز موقف الرئيس سالمين لدى أبناء يافع. وكان الرئيس سالمين قد أعطى

الأخ صالح فاضل رسالة إلى عبدالفتاح وعلي ناصر محمد ، يؤكد فيها عدم اعتراضه على إطلاق سراح بن عليو، ووقع عليها الاثنان. كان ذلك قبل أحداث ٢٦يونيو ١٩٧٨م بأسبوع".

ضرب مبنى المجلس التشريعي والثكنة العسكرية

يعود بناء كنيسة القديسة ماريا، في كريتر إلى عام ١٨٧١م، وفي عام ١٩٤٧م تحول مبنى تلك الكنيسة إلى مقر للمجلس التشريعي فتغيرت بذلك وظيفته من دار للعبادة إلى مركز تُشرع فيه القوانين الاستعمارية، وبهذا أضحت بناية الكنيسة واحداً من أهم رموز الهيمنة الاستعمارية. ففي أروقتها، توزعت مكاتب العقول السياسية والعسكرية للإنجليز وأعوانهم المحليين، وفي قاعات اجتماعاتها تُصاغ وتُعمّد القرارات الهادفة إلى تدعيم القبضة الحديدية على المستعمرة عدن والمحميات التابعة لها، وتنصيب وإنشاء ركائز استعمارية جديدة في المناطق التي رفضت الخضوع والانضواء تحت معطف حكومة الاتحاد، حتى تضمن البقاء



الأطول والأمن للمستعمر البريطاني.



لم يكن اختيار مبنى الكنيسة من قبل القيادة السياسية والعسكرية الانجليزية مقراً للمجلس التشريعي اعتباطاً، لكنهم قد وجدوا، كما يبدو، أن الطبيعة قد وفّرت له حصانة ومَنَعَةً، فسلسلة جبال كريتر البركانية المطوقة بالبحر، تمثل حزاماً أمنياً يدعم دون شك حراسات البشر. كما أن أمواج بحر عدن الزرقاء تذكرهم بأمجاد الماضي، عندما رست سفنهم الحربية بقيادة الجنرال ستافورد هينس في ١٩ يناير ١٨٣٩م محققين الانتصار على ابناء عدن البواسل، وأعلانه أنه بالاستيلاء على عدن قد اضاف جوهرة نادرة يتزين بها التاج البريطاني.

وعودة إلى حديث المقاومة والكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني، فعلى الرغم أن الجبهة القومية والجناح المسلح لجبهة التحرير قد أقضّوا مضاجع جنود الاستعمار، إلا أن القيادات السياسية والعسكرية البريطانيين، كانوا يعيشون أوهام انتصارات الماضي، لا سيّما حينما يطِلّون من نوافذ تلك البناية الكَنَسيِّة، ويشمون روائح بحر عدن، فيستغرقون في أوهام أن ما يحصل من مقاومة مسلحة ليست سوى

تمردات غير منظمة شبيهة بالتمردات التي تميزت بها العقود الثلاثة التي سبقتها، فيرددون القول المأثور "ما اشبه الليلة بالبارحة"، ولهذا كان لزاماً على الجبهة القومية أن تستهدف ذلك الرمز، حتى تيقظهم من أحلامهم الوردية ليستفيقوا على حقيقة وواقع أن الليلة ليست مطلقاً شبيهة بالبارحة، فالشعب الحُرّ قد تنظم، ووسائل النضال قد تطورت وتنوعت.

كان التخطيط لضرب المجلس التشريعي متوافقاً مع وجود قوة عسكرية انجليزية وصلت حديثاً لدعم الانجليز بسبب تفاقم العمليات الفدائية في عدن، وعدم القدرة على السيطرة في جبهات ردفان والضالع، وخَيّمت تلك القوة الجديدة في المساحة الواقعة بين مدرسة البادري حتى أسفل التلة التي يقع في أعلاها مبنى المجلس التشريعي، ويفصلها عن البنك الأهلي اليمني طريق عدن -العقبة.

لم أكن ضمن أفراد القطاع الفدائي المكلفين بتنفيذ تلك العملية، لكن شاءت الصدف أن ألتقي في يوم تنفيذ العملية بالأخ عبدالرحمن هزاع، وكانت تربطني به علاقة صداقة منذ أن عرّفني عليه حسن علي الصغير "بدر"، وعمدتها فيما بعد السنوات الأولى للكفاح المسلح، وهو أحد العناصر الفدائية المعروفة، وشخصية اجتماعية مرحة، ويحب الغناء. وكنت إذا صادفته أحب أن نجلس معاً، نضحك ونغني. كانت الصدفة قد جمعتني به أخيراً في المعلا، فقلت له: تعال أضيّفك على الشاي وندندن قليلاً. فأجاب: سنشرب الشاي معاً، لكن بدون دندنة، لكن تعال معي ندنها على رؤوس الجماعة. ثم أخبرني بسر تفاصيل العملية، وأنه قد كُلّف بقيادة فريق من الشرطة المسلحة لضرب المجلس التشريعي والوحدة العسكرية التي تحميه، بمدفع" توهنش -٢إنش"، وذكر أن تلك العملية محفوفة بالمخاطر بسبب الدوريات المكثفة، وكذا وجود القوة العسكرية الحديثة.

كان حديثه معي يخالف ويناقض قاعدة السرية المطلقة التي ينبغي أن تحيط بكل مراحل العمليات الفدائية، ابتداءً من التخطيط وانتهاءً بالتنفيذ والانسحاب. وعلى الرغم أنني أنتمي إلى خلايا سرية وفرق أخرى، لا يحق لي، أو له، أن نتدخل في عمليات الفرق أو الخلايا الأخرى، إلاّ إذا رأت القيادة المعنية ضرورة مشاركة عناصر من الفرق الأخرى من نفس المدينة أو من خارجها، لهذا احترمت مشاعر ثقته الكبيرة بي، وكونه مكّنني من شرف المشاركة في عملية هامة كهذه.

ضيّفته بكاس من الشاي، فكان أكرم مني، إذ ضَيّفني على عملية فدائية، في زمن كان الفدائيون يتسابقون فيه على شرف المشاركة في تنفيذ مثل تلك

العمليات الهادفة إلى إرهاب وضرب المستعمر الغاصب للأرض والإنسان. كان هناك نوعان من التنافس في تنفيذ عمليات نوعية، الأول: كان على مستوى الجبهات البارزة، مثل الجبهة القومية والتنظيم الشعبي لجبهة التحرير، وكل منهما تريد أن تثبت للشعب وللاستعمار أيضا أنها صاحبة الريادة وأنها هي دون غيرها من توجه تلك الضربات الموجعة للمستعمر، بل كان هناك تنافس في الأداء وفي القوة وفي روح الاستبسال بين أفراد الجبهة الواحدة.

اتجهنا سوياً إلى كريتر عدن، وتحديداً إلى منطقة الخساف، ودخلنا معاً إلى أحد المستودعات، كان فيه مخبأ للسلاح وآلة لنسخ منشورات الجبهة القومية، واتذكر أنه كان موجوداً حينها هناك سعيد محمد الأبّي، زوج المناضلة العدنية نجوى مكاوي، ينسخ بعض المنشورات. وكان هناك أيضاً حسين عوض بن يحيى "الرضيع". المهم أنه تم نقل المدفع التوهنش"٢إنش" والأسلحة بسيارة تابعة للبوليس المسلح "آرم بوليس" "معسكر عشرين حالياً".

كان عبدالرحمن هزاع مُكَلّفاً بضرب المجلس التشريعي ومُخيم القوة العسكرية حديثة الوصول بالمدفع، وكان معه أربعة من أفراد الجبهة القومية التابعين لـ"آرم بوليس". وقد نصبوا قاعدة المدفع في بقعة ترابية، بالقُرب من محطة البترول المجاورة للمعسكر، واشترك في تلك العملية عناصر كثيرة من أعضاء الجبهة القومية في البوليس المسلح بقيادة الضابط المقبلي.

تمثل دوري والأخ محمد شماخ في حماية فرقة المدفع وقنص أفراد الوحدة العسكرية المخيمة بالقرب من المجلس التشريعي والبنك الأهلي، وكذا استهداف أي دوريات عسكرية قادمة سواء من جهة عقبة عدن أو إتجاه البنك، حتى نعيق وصولهم إلينا، وبذلك نُمَكّن فرقة هزاع من استهداف المجلس والثكنة العسكرية بأكبر عدد ممكن من القذائف. تموضعت أنا على أحد التلال المطلة على موقع المدفع والمحاذية للمحطة، بحيث أتمكن من ضرب القوة الانجليزية المتمركزة خلف مدرسة البادري، وكذا المشاركة في ضرب أي دوريات قادمة. وما زلت أتذكر تفاصيل تلك التلّة وصخورها التي وفّرت لي الحماية. لم يعد لها الآن أثر، فقد تم تسوية الجزء الأعلى منها لتنتصب عليها الآن بناية سكنية تجارية حديثة.

استطاع الفريق المكلف باستهداف مبنى المجلس التشريعي إطلاق حوالي ٩ - ١١ قذيفة. ومع انطلاقة القذيفة الأولى كثفنا الرماية مستهدفين أفراد مخيم الجيش، وبعدها اشتبكنا مع دورية عسكرية حاولت التقدم إلينا من اتجاه البنك الأهلي.

أُعطي لنا الأمر بالانسحاب. لكني آثرت أن لا أتحرك من موقعي، حتى أحمي هزاع ورفاقه لاستكمال خطة الانسحاب التي جرت بشكل سريع، قَلّ فيها التركيز. كانت سيارة الشرطة المسئولة عن نقل المدفع قد اقتربت من موقع المدفع، وكان على افراد الشرطة أن يتولوا إخفاء المدفع وقاعدته في أكياس مخصصة لذلك، لكن ما حدث هو أن الشرطي المكلف برفع المدفع قد حمله من فوهته وكانت ما تزال ساخنة جداً، فصاح من شدة الأم لاعناً المدفع، ورماه في الأرض. وبسبب ذلك اضطر الآخرون لترك ما بأيديهم ليساعدوه في رفع المدفع، فتحاشوا فوهة المدفع الساخنة وحملوه من مؤخرته وأخفوه في أحد الأكياس، ولم يجدوا الوقت الكافي لإخفاء قاعدة المدفع في الكيس المخصص لها، ولهذا رموها بسرعة إلى مؤخرة السيارة بدون تغطيتها. انطلقت السيارة، وانسحبنا نحن الآخرين بعد أن رمينا أسلحتنا في سيارة عسكرية أخرى.

إن تلك الأخطاء، وإن بدت صغيرة، إلا أنها قد تغير من مسار العملية وتقلب النجاح إلى انكسار وفشل، ومن المهم في مثل هذه العمليات الفدائية الدقة والتركيز والسباق مع الزمن، فالنجاح الكامل للعمليات الفدائية يحدده التخطيط السليم وكذا القدرة على المباغتة وإحداث الصدمة والترويع لإرباك العدو وتشتيته، وهنا لا بد من استغلال اللحظات القليلة، وهي ليست إلا دقائق فقط، في مقياس الزمن، فالمهمة محددة، على قاعدة "أضرب وأهرب"، ويجب خلالها إخفاء وسائل التنفيذ وضمان الانسحاب الآمن.

حققت هذه العملية الفدائية الجريئة هدفها، في استهداف رمز السيطرة الاستعمارية والوحدة العسكرية التي تحميه وكذا ضرب الدوريات، وخلقت حالة من الإرباك والذهول في صفوف العدو. وساعد في هذا النجاح المشاركة المنظمة لأفراد البوليس المسلح، واستخدام السيارات العسكرية، والقرب من معسكر عشرين "آرم بوليس سابقاً" الذي يكثر فيه المناصرون للجبهة القومية حينها.

كنت أدرك أن مشاركتي في هذه العملية، أمرٌ يتناقض ويخرج عن القواعد العامة لسرية العمل الفدائي، ويعد في نظر القيادة عملاً غير منظم، بل وفوضوي. إذ تحرص القيادة غاية الحرص على إذكاء الانضباط الشديد والالتزام بأدق تفاصيل العملية الفدائية. ومثل مشاركتي في هذه العملية التي غلبت عليها عوامل الصداقة والصدفة غير مقبولة. وكان سالمين قد نبهني في الماضي، بعد مشاركتي في عمليتين سابقتين، تتشابهان بعض الشيء مع أسلوب وطريقة

مشاركتي هنا. وأخبرني حينها بأن هذا التصرف فيه خطر عليَّ وعلى الآخرين، وهو أمر غير مقبول. ولهذا السبب جاء تكليفي بالانتقال إلى أبين.

لم يمض سوى يومين على هذه العملية، حتى أرسل سالمين في طلبي. لم أكن أتصور أنه قد عرف عن مشاركتي تلك، وظننت أنه يطلبني كالعادة لنناقش تنفيذ عملية فدائية. قابلته في أحد مكاتب الجبهة القومية في الشيخ عثمان، يقع بالقرب من فرزة أبين، لكنني فوجئت به وبدون مقدمات يبدأ حديثه بلهجة غضب وتوبيخ قائلاً:" شو يا صالح رجعت لي مثل مقرمة بنت الجيران، من قامت بواجب زيارة استلفتها منها". أدركت أنه يقصد بذلك مشاركتي في تلك العملية وسابقاتها، لكنني لم استلطفت هذا التشبيه الذي أغضبني، فعبرت له صراحة عن انزعاجي من تشبيهي بمقرمة بنت الجيران وأنني لا أحب هذه الأوصاف وقلت:" في الماضي قبلت أن تصفني وأمام الآخرين بالأدوع، لأن عقلاء السياسة قد وصفونا جميعا دون استثناء بالمجانين والدراويش، عند ما شرعنا في مواجهة جيش الإمبراطورية العظمى بالقنبلة والمسدس". بعدها تنحيت جانباً محاولاً تهدئة نفسي وبلع هذا الوصف الذي لم استسيغه.

إن سر علاقتي المتميزة بهذا الإنسان هو قدرته على التعامل مع رفاقه، فهو وإن كان القائد، إلاَّ أنه يترفع ويسمو دائماً عن أساليب الهيمنة وفرض الرأي أو العناد، تلك الأساليب التي تجعل القائد المتسلط، يجد نفسه في نهاية المطاف لا يقود إلاّ قطيعاً من المنافقين والمتزلفين والانتهازيين، أما العناصر الشريفة والشجاعة فلن تقبل أي نوع من التبعية والإذلال، لذا تجده عندما يجدك غاضباً، يلطف حديثه ويهدئ أعصابك، حتى يمتص الغضب، ثم يقدم البيانات والحجج لإقناعك في صحة رأيه، وإذا ما وجد لديك الحجة والدليل الأقوى فإنه يتقبل رأيك.

هكذا وجدته عندما فسّر لي المثل الجديد بالنسبة لي، ليقول لي وهو يبتسم:"يا قبيلي عليك أن لا تأخذ هذا المثل حرفياً، لأن ما قصدته هو أنني ميزتك بهذا الوصف، فأنت فدائي موثوق ومجرب، ولهذا أصبحت مطلوباً من الآخرين، فإذا هناك من سيغضب من هذا المثل فهم من يلجأ إليك لطلبك من الفدائيين الآخرين، لأنهم حسب هذا المثل يمثلون نساء الحي".

ضحكت من جانبي، وقلت له بنفس أسلوبه:" اتفقنا إذاً، بقي عليك أن تقول لي من هي بنت الجيران التي وصفتني بمقرمة رأسها؟!". فكّر قليلاً ثم قال ضاحكاً:" يمكن أطلع أنا.. هل اتفقنا وتصافينا يا أدوَع". قلت: نعم تصافينا واتفقنا على أننا جميعاً دوعان، وإلاّ فلنحكّم عبدالله الأصنج". ثم سيطر علينا الضحك تلقائياً.

إن إيـراد مثـل هـذه الأمثلـة، وبعـض مـا أتـذكره مـن الأحـاديث والـذكريات الـتي جمعتني مع هذا الإنسان، في أزمنة وأماكن وظروف مختلفة، ليس لها من غرض سوى إنصافه، فقد عرفه الناس فدائياً شرساً، وقائداً محنكاً، ثم رئيساً للدولة، لكن لا يعرفون كثيراً عن إنسانيته ونقاء وطيب سريرته وتواضعه ولطفه مع رفاقه، سواء حين كان فدائياً وقائداً ميدانيا، أو حين أصبح رئيساً للدولة. فعند تفسيره للمثل السابق، تواضع ووصف نفسه ببنت الجيران، حتى يبدي الاعتذار إزاء جَرحِه غير المقصود لكبرياء "القبيلي"، لأنه يدرك أن ثقافة المجتمع القبلي والبيئة التي عشنا فيها تجعل وصفاً كهذا يمس كبرياء الرجل وكرامته، ولهذا تعمد أن يقول أنه "بنت الجيران"، فقدم بذلك اعتذاراً مبطناً لرفيقه، لكنه لم ينس بعدها دوره كقائد، فأكد أن هذا النوع من المشاركات الذي أقدمت عليه، وإن كان الهدف منه هو الاستبسال من أجل تحرير الوطن، إلاّ أنه غير مرحب به لأنه يخرج عن تعاليم وأسس العمل الفدائي المنظم الذي تميزت به الجبهة القومية وأحد أهم عوامل نجاحها.

ويمكن استعراض بقية أهم العمليات الفدائية التي شاركت فيها ضد جنود الاحتلال في عدن منذ ١٩٦٤م حتى ١٩٦٧م وبشكل مختصر النحو التالي :

عملية المُعَلاّ حافون

هذه العملية الفدائية أيضاً تطلّبت تنسيقا وتخطيطا مثل سابقاتها، لكن ما ميّز ضمان نجاحها ودقتها هو أن القطاع الفدائي كان قد تمكّن من اختراق جهاز الأمن البريطاني، وتم استقطاب العديد من جنود الشرطة البريطانية(البوليس) من أبناء البلد. وأتذكر من المشاركين في هذه العملية أحمد محمد دنبع والفاطميّ وضابط البوليس صالح العمري الملقب "البانهيس".

كان الهدف الرئيسي من هذه العملية ضرب المترس المدوَّر الواقع في "حافون" بالمعلا بالقرب من مبنى دائرة الاستخبارات الانجليزية، وكذا المترس الواقع في بداية شارع المعلا والمشرف على مفرق طريق المعلا -دكة، والمعلا —عقبة عدن، بواسطة مدفع الهاون. وقضت الخطة بتوزيع القناصين في أماكن تمكنهم من حماية طاقم المدفع وإعاقة أي دوريات قادمة. وقد نُصب المدفع في أرض المقبرة

الواقعة في الجهة الخلفية للشارع الرئيسي، بالقرب من سوق الخضار، وكان موقعي في الطرف الآخر للمقبرة.

تم استهداف المترسين بمدفع الهاون وبدقة، فهرعت الدوريات تبحث عن مصدر النيران، فاشتبكنا معهم بنيران الأسلحة الشخصية بغرض إعاقتهم، وفي تلك الأثناء اقتربت من موقع المدفع سيارة (فولكس فاجن) يقودها ضابط البوليس العمري "البانهيس" ببزته العسكرية، وقد كان المسئول عن نقل واخفاء المدفع واسلحتنا الشخصية. هَروَل طاقم المدفع به باتجاه السيارة، وعندما شاهدت العَمري يفتح الغطاء الأمامي للسيارة ظننت أنها قد تعطلت، فكثفت إطلاق النيران باتجاه الدورية دون أن أنسحب، والتفت بعد دقائق لأجد أن السيارة قد تحركت.

لَوَّح لي طاقم المدفع بسرعة الانسحاب، وكان عليّ حسب الخطة أن أُسَلّم السلاح لصالح العَمري، لكن بسبب تأخري في الانسحاب اضطروا إلى تهريب المدفع، ولم يكن أمامي حينها سوى الذهاب إلى إحدى العمارات القريبة من المكان، وكان يسكن في طابقها الرابع عدد من الشباب المناصرين للجبهة القومية، أتذكر منهم: عبدالله عوض طاهر وحسين محسن عسكر، وهناك أخفيت البندقية.

لم يستحسن من اكتشفني من سكان العمارة هذا العمل وقدّرت قلقهم حينها. وحين التقيت مساءً بالأخ دنبع مسئول القطاع الفدائي في المعلا طلبت منه أن يتدبر نقل البندقية من تلك الشقة، حتى لا يتعرض سكان العمارة والمناصرون لنا لمداهمات قوات الانجليز، وبالفعل تم نقل البندقية في الليل إلى مكان آمن.

فيما بعد أدركت أن سبب ارتباكي في هذه العملية وتأخر انسحابي وعدم تسليم بندقيتي للعمري كان بسبب جهلي للطريقة التي صمّم الألمان فيها تلك السيارة، ولهذا طلبت من العمري حين التقيته في اليوم الثالث أن يفسر لي كيف تمكن من اخفاء المدفع في مقدمة السيارة. ضحك وهو ينوّرني ويبيّن لي بأن مكينة السيارة تقع في خلفها.

عملية الشيخ عثمان

نفذنا هذه العملية ضد دورية لجنود الاحتلال في مدينة الشيخ عثمان، وقد أدت إلى قتل وجرح عدد منهم، أما مجموعة فدائيي الجبهة القومية المهاجمون فقد جرح منهم الفدائي محمد سعيد عبد الله، الذي كان اسمه الحركي "محسن"، حيث تم نقله جريحاً إلى أحد الأحواش في منطقة دار سعد، ويدعى حوش الحمادي، لإخفائه بعيدا عن أنظار الإنجليز. بعدها تمكّن الفدائيون من نقله

بسيارة تابعة للبريد، كان سائقها من مناصري الجبهة القومية، وبذلك ضمنوا نقل الجريح إلى منطقة تعز شمال اليمن للعلاج، دون أن تتعرض السيارة للتفتيش، وقد كانت هذه العملية الفدائية بقيادة الفدائي صالح ملقاط.

عملية المنصورة

عندما توالت ضربات الفدائيين ضد قوات الاحتلال البريطاني، ولّدت لديهم الرعب والخوف، ولم يعد بإمكانهم تسيير دوريات راجلة أو على متن السيارات، بل لجأوا إلى استخدام الدّبابات التي كانت تتحرك محاولة صد أي هجوم محتمل من الفدائيين، لكي يثبتوا أنهم قادرون على حفظ الأمن والبقاء في عدن. لكن الفدائيين الذين طوّروا من اساليب عملهم كانوا قد تمكنوا من إعداد خطط ووسائل مضادّة لإلحاق الخسائر بعدوّهم. وبالفعل أصبح الفدائيون في عدن يملكون المدفع المحمول المضاد للدبّابات والمسمّى "بلند سيد".

وهكذا فإن عملية المنصورة التي كان دوري فيها الحماية وإطلاق النار دفاعا عن رفيقي الفدائي صالح جلن، الذي رمى إحدى الدبّابات في مدينة المنصورة بالمدفع الـ"بلند سيد"، هذه العملية لقّنت جنود الاحتلال درساً جديداً، مفاده أنّ الفدائيين كل يوم يزدادون جرأة واقداماً على التضحية والمواجهة المدروسة. لقد نفّذت هذه العملية بنجاح حيث احترقت الدبّابة وقتل من فيها، وتمكنا من الانسحاب بسلام.

عمليتان في التواهي

جرى التخطيط والتنفيذ لعمليتين ضد مركزين لجنود الاحتلال هناك. العملية الأولى، بجانب حديقة التواهي. والثانية، بجانب الإذاعة المركزية الواقعة في التواهي. وقد نُفذّت هاتان العمليتان بقيادة المناضل محمد صالح مطيع الذي تم تكليفه في اللحظات الأخيرة لقيادة هاتين العمليتين فطلبني للمشاركة لحمايته عند الانسحاب. وتم تنفيذ العمليتين بنجاح، وجرى الانسحاب بسلام، ولم تُعرف الخسائر التي لحقت بجنود الاحتلال آنذاك، وأعتذر لعدم تذكّري لأسماء جميع أفراد المجموعة المشاركة، حيث لا يحضرني الآن سوى اسم شخص واحد، هو الفدائي صالح محمد الشعبي.

عملية البريقا

تعتبر هذه العملية الفدائية من العمليات النوعّية التي نفّذت بتخطيط وتنفيذ قائد العمل الفدائي سالم ربيع، الذي كان على رأس المجموعة المنفذة للهجوم، وبمشاركة مسئول العمل الفدائي في البريقا آنذاك واسمه أمذروي. كانت هذه العملية من اختصاص قطاع العمل الفدائي في البريقا، إلاّ أنه وأثناء تقديم خطتها للمسئول الأول سالم ربيع علي، رأى ضرورة تقديم المساعدة لهم، نظرا لأهميتها وخطورتها، حيث تطلبت إعداد مجموعة للهجوم ومجموعة للدفاع ومجموعة لقطع الطريق المؤدية إلى موقع العملية، تحسبا للتعزيزات التي ستأتي من قبل الجنود الإنجليز من الجهة الأخرى للمدينة. لذا جرى توقيت العملية وتوزيع المهام بدقة.

وفي المساء وقبل موعد العملية، توجهت إلى حوش الأخ المناصر للجبهة القومية، محمد قاسم بن علي عبيد من أبناء يافع في منطقة البريقا، لنأخذ بعض القنابل والأسلحة المخفية هناك، والتي كان سالمين قد كلفنا أنا والفدائيين سالم الناخبي ومحمد ناجي بن شجاع بإخفائها سلفاً قبل موعد العملية. بعدها صارت كل المجموعة مسلحة وجاهزة في المواقع المحددة لتنفيذ العملية الموجّهة ضد مركز الشرطة والدورية العسكرية المتجولة عادة في مداخل المدينة وحول هذا المركز، وقد شُكلت ثلاث فرق، الأولى بقيادة سالمين ومهمتها الهجوم على مركز الشرطة والدورية، والثانية يقودها امذروي ومهمتها قطع الطريق من اتجاه معسكر سبأ، والثالثة يقودها سالم الناخبي وشارك في فرقته محمد سالم الكهالي مهمتها قطع الطريق من اتجاه معسكر صلاح الدين.

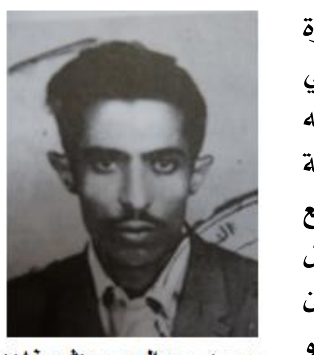


محمد سالم الكهالي

جرى كل ذلك لتنفيذ العملية بإحكام ومواجهة أي تعزيزات باتجاه مقر الشرطة. ونُفّذت العملية بنجاح، وقد أصيب ثلاثة وقتل أثنان من جنود الاحتلال البريطاني، فيما تمكّنت المجموعة الفدائية من الانسحاب بسلام. وفي اليوم التالي بُثّ خبر هذه العملية من إذاعات لندن والقاهرة وتعزّ في شمال اليمن. تجدر الإشارة إلى أنني بقيت متخفيا في البريقا بعد هذه العملية في منزل المناصر للجبهة القومية محمد قاسم علي عبيد، ولم أغادر المنطقة حسب التعليمات، حيث بقيت بحوزتي قنبلة يدوية.

وهكذا فإنه وبعد ثلاثة أيام من اختفائي هناك، كنت قد حدّثت نفسي قائلا: لماذا لا أجرب هذه المرة أن أنفّذ عملية بنفسي دون الرجوع إلى القيادة. فكّرت وقرّرت القاء القنبلة اليدوية المتبقية على دورية من جنود الاحتلال البريطاني في البريقا، وبالفعل رميتها وأحدثت إصابات بين أوساط الجنود، وتمكنت من الاختفاء دون أن يلحقني أذى. لكن المؤسف ان موقع تنفيذ العملية كان على مقربة من مكان حركة المواطنين، لذا قام جنود الاحتلال على إثرها مباشرة بحملة اعتقالات عشوائية للمواطنين.

عندما بلغ الخبر مسئول العمل الفدائي سالم ربيع، غضب من هذا التصرّف الارتجالي، ولامني لأنني حتى لم أنسق مع أي من الفدائيين ليوفر لي الحماية عند الانسحاب، كونه خشي أولا على حياتي، كما خشي من تعرضي للاعتقال بسبب الذي قد يؤدي تحت التعذيب ربما إلى إفشاء أسرار العمل الفدائي، كما خشي على حياة المواطنين، كون العملية نفذّت بطريقة غير مدروسة. لذا أعطاني تعليمات بالخروج من البريقا، وعدم العودة إليها مرة أخرى، كما واستحسن عدم بقائي في مدينة عدن، ظنا منه أنه ربما جرى التقاط صورة لي، أو ربما يصادفني أحد من أفراد الدورية ويتعرّف علي مما يؤدي إلى اعتقالي، وبالتالي قد يؤثر ذلك على سرية العمل الفدائي في عدن.


حسين عبدالحبيب(شعيفان)

حدّد سالم ربيع نقلي إلى منطقة أبين المجاورة لمدينة عدن، وطلب مني أن أمارس مهنة البناء التي يعرف أنني أجيدها. أراد مني أن أعمل ذلك كتمويه حتى أستطيع تنفيذ المهام التي ستوكل الي في منطقة أبين. وهناك قمت بتنفيذ عدد من المهام المتمثلة بجمع المعلومات وإيصال رسائل الإنذار لعملاء الاحتلال البريطاني، وتأديب من لم يتورّع منهم، وقد كان رفيقي الدائم في هذه المهام في القطاع الفدائي هو المناضل حسين عبدالحبيب.

البعثة الصحفية المصرية وعملية عقبة عدن "إبريل١٩٦٧م"

كـان التنـافس محمومـا في تنفيـذ العمليـات الفدائيـة بـين الجبهـة القوميـة والتنظيم الشعبي للقوى الثورية المنبثق عن جبهة التحرير. وإذا عُدنا إلى ما قبل الدمج القسري فأن أعضاء جبهة التحرير هم فدائيو وأبطال الجبهة القومية التي وحدتنا معهم الجبهة الواحدة والمترس الواحد والهدف الواحد، وبعد أن قبلوا الدمج انسلخوا عن الجبهة القومية، لكنهم لم ينسلخوا عن مبدأ تبني الكفاح المسلح كوسيلة أساسية لانتزاع الحرية والاستقلال.

بعد الدمج لم يعد يوحدنا المترس الواحد، لذا تنافسنا في النضال من أجل الحرية، وكان ذلك أمراً مشروعاً ومقبولاً، لأن عدو الحرية واحد. لكن كان من غير المقبول أن تُنسب بعض العمليات الناجحة التي ينفذها فدائيو الجبهة القومية زوراً وبهتانا لجبهة التحرير، جرّاء التدخل السافر لجهاز المخابرات المصرية في الإعلام المسموع، المتمثل حينها في إذاعتي تعز وصنعاء وكذا إذاعة صوت العرب. وكان الإعلام المسموع مؤثراً لتوفر أجهزة الراديو"المذياع" في القرى الريفية الأمر الذي جعل منها الوسيلة الوحيدة الناجحة والسريعة في توصيل تفاصيل الأعمال الفدائية في مختلف الجبهات وأهمها عدن. أما الاعلام المقروء فمحدود التأثير في المناطق الريفية بسبب تفشي الامية، فضلاً عن وصوله متأخراً. وكانت هذه الجبهة أو تلك تحصل على شهرة وحب ومناصرة الجماهير لها وفقاً لما يسمعوه عنها من نجاحات فدائييها في توجيه الضربات الموجعة للاستعمار.

أدركَ جهاز المخابرات المصرية أن للإعلام المسموع دورٌ كبير وهام في إشهار أي جبهة، لكنهم أدركوا أيضاً أن السر وراء شهرة ورواج سمعة الجبهة القومية وسط شعب الجنوب، في المدينة والريف، وايمان الناس بأنها رائدة الكفاح المشروع من أجل الحرية، يكمن في جزءٍ كبير منه في حنكة تخطيط القيادة وفي جرأة وإقدام الفدائيين لتنفيذ عمليات نوعية جعلت الناس في المدينة والريف يرددون على ألسنتهم بكل فخر أسماء أبطال الجبهة القومية ورموزها مثل: بدر، عنتر، سالمين، مطيع،مدرم، عبود، مصطفى، الوحيشي..الخ. ومجّدت القصائد والأشعار أبطال الجبهة القومية وشهداءها الأبرار، وتضرع الناس لله بالدعاء في أن ينصر الجبهة القومية، ووظّف أئمة المساجد المنابر لإلقاء الخُطب المناصرة والداعمة للجبهة القومية، واعتبروا بأن دعمها هو فرض عين.

ومـع شـعور المخـابرات المصـرية بالفشـل في تهمـيش دور الجبهـة القوميـة أو إخضاعها أو إنهاءها من الساحة، عبر كل الخطوات التي اقدمت عليها بدءاً في الدمج القسري وما ترتب عليه من انسلاخ الكثيرين من قيادات وقواعد الجبهة القومية لينظموا لجبهة التحرير، ثم الإقدام على حجز القيادة السياسية للجبهة القومية، قحطان الشعبي وفيصل عبداللطيف في القاهرة ومنعهما من ممارسة العمل السياسي، ثم قطع كل المساعدات العسكرية والمالية والإعلامية التي كانت تُمنح للجبهة القومية في الفترة التي سبقت الدمج القسري وتحويل كل تلك المساعدات لمساندة جبهة التحرير. بعد كل ذلك لم يبق أمام المخابرات المصرية إلا التضييق الإعلامي، انطلاقا من إدراكها للدور الهام الذي يلعبه الإعلام المسموع، ولهذا عمل جهاز الاستخبارات على التدخل المباشر لتوجيه الإعلام، ولم يكتفوا بفرض حصار إعلامي على الجبهة القومية، بل كانوا ينسبون أحياناً العمليات النوعية التي ينفذها فدائيو الجبهة القومية إلى جبهة التحرير حتى يرفعوا من دور ومكانة جبهة التحرير، وبهذا تحصل، حسب اعتقادهم، على ولاء ومناصرة شعبية في الأرياف والمدينة، على حساب انحسار وتراجع شهرة الجبهة القومية.

كانت تراودنا قناعات بأن الزعيم جمال عبد الناصر بريءٌ من تلك السلوكيات، وأن ما يحصل هو من صنع الاستخبارات، ولذلك طلبت قيادة الجبهة القومية من قادة حركة القوميين العرب، بأن يقدموا للزعيم عبدالناصر تقريراً عن تلك التجاوزات الإعلامية وتدخل المخابرات في قلب حقائق ما يدور من أعمال فدائية في عدن، ويؤكدوا له بأن الجبهة القومية على الرغم من قطع مصر كل أنواع الدعم والمعونات إلا أنها ظلت رائدة للكفاح المسلح، معتمدة على الله، ثم على شعبها وعلى نفسها. ولهذا وعد الزعيم عبد الناصر بإرسال صحفيين مصريين محايدين ليحضروا ويتقصوا حقائق ما يدور من عمليات فدائية.

في أحد تلك الأيام استدعاني عبد الملك إسماعيل إلى مكتبه، في مدينة جعار، ليقدم لي شخصين مجهزين بأدوات تصوير، موضحاً أنهما صحفيان مصريان محايدان مهمتهما مراقبة ونقل وقائع أحداث العمليات الفدائية التي تنفذها الجبهة القومية في عدن، وكيفية مواجهة مخاطر التنقل بين المدن والتعامل مع نقاط التفتيش، وكانا قد كوّنا فكرة عن الدقة في التفتيش من خلال النقاط التي عبروها من تعز إلى ردفان وحتى وصولهما إلى جعار.. وكلفني بمرافقتهما وعمل الترتيبات اللازمة لتأمين دخولها إلى مدينة عدن دون أي عراقيل.

كان حضور الصحفيين المصريين المحايدين بالنسبة لنا فرصة ذهبية لفضح ذلك التزوير الإعلامي المُسيس الذي استهدف حجب الحقيقة وإبهات دور الجبهة القومية الريادي في الكفاح المسلح، وكشف وإظهار الحقائق، كما هي، لتصل إلى أسماع القائد العربي عبد الناصر.

قابلت ضابط الأمن حسين عبد، وهو عضو سري في الجبهة القومية، فأوضحت له طبيعة المهمة المكلف بها وأهميتها، وطلبت منه أن يعيرني بدلته العسكرية وسيارة الأمن التي في عهدته. وافق على ذلك وسلمني أيضاً بطاقة خط حركة السيارة وكتب عليها رحلة من جعار إلى عدن ثم العودة كمهمة أمنية.

انطلقنا عبد الملك وأنا والصحفيّان، فأضحكهم شكلي بالبدلة العسكرية لأن السروال كان واسعاً وطويلاً، فأخبرتهم بأن عبورنا نقاط التفتيش ببدلة عسكرية واسعة مع أسلحتنا مغامرة أقل خطورة من الدخول ببدلة مدنية مع السلاح. وهذا ما حدث فعلاً، فقد ساعدتنا السيارة العسكرية وبدلة الضابط حسين عبد في عبور النقاط العسكرية دون تفتيش. كنت قد تعلمت من دروس مغامراتي الماضية كيف ينبغي أن أرد التحية العسكرية وأن أمثّل دور الضابط الذي يفقه ويمارس الضبط والربط العسكري وأداء التحية العسكرية لمن هم أعلى رتبة مني. اتجهنا أولاً إلى مدينة الشيخ عثمان، وهناك التقينا بسالمين، مقبل، الخامري، علي مقبل وأحمد حاجب وأخبرناهم بمهمة البعثة الصحفية المصرية المكلفة بتقصي الحقائق عن ما يدور على أرض عدن من عمليات فدائية.

اجتمع بنا سالمين وأخبرنا بأنه سينسق مع بعض القيادات العسكرية للبوليس المسلح في كريتر لترتيب عملية فدائية ارتجالية، وسنشرك الصحفيين في تفاصيلها ونوفر لهما أماكن آمنة لتسهيل مهمتهما. تم الاتفاق على ضرب الدوريات الإنجليزية الراجلة التي تتحرك في الطريق المؤدي إلى عقبة عدن. أُنزل الصحفيان في عمارة سالم علي عبده، الواقعة أمام معسكر ٢٠يونيو (البوليس المسلح سابقا) في شقة يسكنها محمد باشماخ، ليتمكنا من رصد وتصوير أحداث تلك العملية التي تم التخطيط والإعداد لها على وجه السرعة خلال ٢٤ ساعة فقط. وقد اشترك عناصر البوليس المسلح في تلك العملية حتى يعرف العالم والنظام المصري بأن الجبهة القومية مثلما سكنت قلوب الأحرار من أبناء شعب الجنوب فأنها أيضاً قد اخترقت الأجهزة الأمنية والعسكرية الاستعمارية واستأثرت بقناعات الكثير من الضباط وصف الضباط والجنود وهاهم اليوم يساعدون في تحديد الهدف، بل ويبلغون قادة العملية هذه عن موعد تحرك الدورية ويقدمون لنا

السلاح اللازم والسيارات التي تتولى نقل السلاح من مخابئه إلى مسرح العمليات ثم إعادته وكذا نقل أي مصاب من الفدائيين.

قبل تنفيذ العملية بحوالي ساعة أتت سيارة عسكرية "بوليس مسلح" كان فيها المقبلي وشخصان من أبناء دثينة في البوليس المسلح لا أتذكر أسميهما. كان في السيارة تقريباً ست بندقيات نوع "كناد" وثلاثة رشاشات خفيفة الوزن، وكان سالمين والخامري هما من خطط وقاد ميدانياً تلك العملية. وأتذكر من المشاركين معنا في تنفيذ العملية أيضاً: محمد باشماخ، أحمد صالح عبده ضالعي، المقبلي وكذا الشخصان السابق ذكرهما من أبناء دثينة وقد تمكن الصحفيان من التقاط الصور لأماكن تَحصُّنا عن بعد حتى لا تظهر ملامحنا. وعند قدوم دورية إنجليزية مكونة من ستة أفراد تم مباغتتهم في الطريق المؤدية إلى العقبة لحظة وصولهم البقعة المكشوفة للصحفيين فقُتل منهم ثلاثة وجرح الآخرون، وكالعادة أنزلت الجبهة القومية منشوراً تتبنى فيه المسئولية عن تنفيذ تلك العملية. لكن في مساء تلك الليلة أعلنت إذاعة تعز، وبعدها كل من إذاعة صنعاء وصوت العرب "القاهرة" بأن تلك العملية قد نفذها أبطال جبهة التحرير.

قبل العودة إلى جعار رافقت عبد الملك إسماعيل لتوديع الصحفيين اللَّذَين أبدَيَا إعجابهما بجرأة فدائيي الجبهة القومية وقوة تأثيرها على المؤسسات العسكرية والأمنية وأنهما شاهدا عيان سيكتبان عن كل لحظة عاشاها مع قيادات وفدائيي الجبهة القومية وسيدعمان ذلك بالصور وسيفضحان الإعلام الموجه والظالم الذي اقتنعا بأن للمخابرات المصرية وصلاح نصر الدور الرئيسي في ذلك التوجيه والتحريف للحقائق.

عملية ضرب الأبراج في عام ١٩٦٧م

كانت مُدن ضواحي عدن، مثل منطقة الشيخ عثمان، المنصورة، مدينة الشعب والبريقة التي تشكل مع كريتر، المعلا، والتواهي " عدن الكبرى "، عبارة عن مدن متناثرة وصغيرة وبناياتها متواضعة، بيد أن شوارعها الرئيسية مخططة ومنظمة وغير مزدحمة، وكانت تفصل بين تلك المدن الصغيرة والمتواضعة مساحات رملية شاسعة من المناطق الخالية وكذا أحواض الملح، التي تمتد إليها قنوات مائية تسير فيها العبارات المخصصة لنقل الملح.

ومع تطور وازدياد وتيرة العمل الفدائي المنظم والنوعي في الجبهات المختلفة، شرع الاستعمار في بناء أبراج للمراقبة الأمنية بغية تدعيم قبضته الأمنية، فمن تلك الأبراج يستطيع مراقبة حركة الناس ووسائل النقل من وإلى تلك المدن والأحياء وإحكام السيطرة على منافذها إذا اقتضت الحالة الأمنية ذلك. وشكلت تلك الأبراج مصدر قلق للجبهة القومية، خاصة مع أعمالها التصعيدية في تلك المدن، إذ حجمت بعض الشيء التنقلات الآمنة للفدائيين، من أي جبهة أو تنظيم، خاصة بعد تنفيذ أي عملية فدائية في تلك المناطق.

ولهذا السبب قررت قيادة الجبهة القومية رسم خطة لضرب الأبراج الثلاثة في وقت واحد. طلب مني سالمين تحضير وتجهيز اللغم الأرضي رقم "٧" الذي كنت قد حصلت عليه من عضو التنظيم الشعبي لجبهة التحرير صالح أحمد بن عاطف جابر، والمخزون في أحد المخابئ الأرضية. ومما لاشك فيه أن ضرب هذه الأبراج الثلاثة في وقت واحد سيربك الدوريات العسكرية ويدفعها للتسابق إلى مواقع الأبراج لتقديم الدعم والحماية، ومن هنا جاءت فكرة زراعة اللغم في واحدة من أهم الطرق الرئيسية الموصلة إلى أحد هذه الأبراج. وكأي عملية كبيرة، تم أيضاً ترتيب وتوزيع القناصين في الأماكن المناسبة لاستهداف وإعاقة وصول الدوريات حتى يتمكن المكلفون من تنفيذ مهمتهم بنجاح وضمان انسحابهم بأمان.

كانت الأبراج متباعدة عن بعضها، فالبرج الأول يقع بجانب سينما الشيخ عثمان "مصنع الغزل والنسيج حالياً"، والبرج الثاني في معسكر عبد القوي " لاك لاين" والبرج الثالث في السيلة –باريس، بالشيخ عثمان، وبسبب تباعد الأبراج عن بعضها وتنوع الهدف من هذه العملية شاركت فيها الكثير من الفرق والخلايا السرية للجبهة القومية، إضافة إلى مشاركة بعض عناصر الجبهة القومية من عناصر الجيش والأمن والبوليس المسلح سواء في ضرب الأبراج أو في المساعدة في نقل السلاح والفدائيين قبل وبعد العملية في السيارات العسكرية.

تعلمنا في العمل الفدائي الحفاظ على السرية، فعلى الفدائي أن يسأل القيادة التي كلفته بتنفيذ أي عملية عن تفاصيل دوره الشخصي فقط في هذه العملية أو تلك، مثلاً من أين سيحصل على السلاح، ومعرفة المكان والزمان، ومن هو قائده المباشر، ومن سيكونون تحت قيادته، ومن هي العناصر التي ستحميه عند الانسحاب، ومن سيساعده في نقله من مسرح العملية بعد التنفيذ وإلى أين سيعيد السلاح. وليس من حقه أن يسأل عن التفاصيل المتعلقة بالفرق الأخرى المكلفة بتنفيذ جوانب أخرى من هذه العملية أو بأسماء المنفذين، لأنه بذلك قد يعرضهم

للملاحقات أو الاعتقالات في حالة القبض عليه وتعرضه للتعذيب، وبهذا لن تكون فرقته فقط هي من سينكشف أمرها وأفرادها، بل أيضاً الفرق الأخرى. ولهذا فليعذرني من كان له شرف المساهمة في هذه العملية ولم أذكر اسمه، ليس بسبب كبوة الذاكرة، وإنما بسبب ما أسلفت ذكره من سرية العمل الفدائي، التي جعلتني لا أعرف الكثير من التفاصيل الدقيقة واسماء بقية العناصر التي قامت بضرب كل برج.

لكنني عرفت لاحقا من الأخوين محمد ناجي وسالم الناخبي أن من بين المشاركين في تلك العملية: محمد سعيد عبد الله " محسن"، علوي حسن عمر" فرحان"، جميل مُشبق، سعيد صالح" أبو عريم"، عمر أمعبد، محمد ناجي، سالم عمر الوحيشي، علي جاحص. وأن قادة الفرق التي تولت مهمة ضرب الأبراج هم:

١ - صالح ملقاط، كلف بقيادة فرقة ضرب برج "لاك لاين".
٢ - سالم الناخبي كلف بقيادة فرقة ضرب برج السيلة "باريس".
٣ - محمد صالح مطيع كُلِّف بقيادة فرقة ضرب برج المنصورة.
٤ - سالمين قائد الفرقة الرابعة التي كنت أنتمي إليها.

كان دور فرقتنا زرع اللغم الأرضي رقم "٧" في الطريق الواقعة بحافة الهاشمي، أمام عمارة الكهالي، وبما أن العملية تمت بشيء من العجالة، وبسبب صعوبة زرع اللغم في باطن الأرض المسفلتة، فقد اضطر المكلّفون إلى وضعه على الطريق وتمويهه بنثر القمامة والحجار الصغيرة عليه وعلى ما يحيط به من الطريق بغية إخفائه بالكامل وتضليل سائقي الآليات العسكرية، وفي الوقت ذاته تم قطع الطريق الفرعية المحايدة حتى يرغموا أي دورية قادمة على المرور في الطريق الملغومة، طريق حافة الهاشمي.

كانت مهمتي قنص أي دوريات إنجليزية قادمة، وفي حالة انفجار اللغم ينبغي أن أساعد زملائي الآخرين في فرقة سالمين في الاشتباك مع عساكر الإنجليز الناجين من انفجار اللغم. ولتأدية تلك المهمة اخترت موقعا ملائما في الطابق الثاني لأحد البيوت المتواضعة البنيان الواقع في المنتصف بين جولة المنصورة وجولة عبد القوي حالياً، وكان بإمكاني منه رصد حركة الناس ومشاهدة الطريق الملغومة. كنا ندرك سلفاً بأن المنزل خالٍ من ساكنيه، فالأسرة التي كانت تسكن فيه فضلت النزوح إلى الريف بسبب تفاقم العمليات القتالية التي كانت تقوم بها بشكل أساسي الجبهة القومية والفصيل العسكري لجبهة التحرير.

كان سلاحي هو بندقية، نوع بلجيكي، وبسبب موقعي بين البرجين ويفصلني أقل من نصف كيلو متر عن موقع اللغم إلا أن تلك النافذة لم تمكني الا من مشاهدة شارع الهاشمي إذ كان من الصعب علي مشاهدة الدوريات القادمة من الشوارع الاخرى البعيدة، ولهذا كان دور أعضاء فرقتي وهما الأخَوَان محمد أحمد البحاح وعبيد عوض الميسري يقتصر على البقاء في أماكن تمكنهم من مراقبة الدوريات القادمة، قبل اقترابها منا، وإبلاغي بالإشارات حتى أستعد بتوجيه بندقيتي إلى الدورية العسكرية في الجهة القادمة منها.

هز الانفجار العنيف حافة الهاشمي جَرَّاء انفجار ذلك اللغم بمدرعة تقل دورية عسكرية إنجليزية، ولم يقتصر الدمار على إصابة ناقلة الجنود وقتل بعض أفرادها وإصابة آخرين، بل ألحق بعض الأضرار التي أصابت المنازل القريبة من مكان الانفجار، وما زلت أتذكر الأضرار البليغة التي لحقت بالبوابة الرئيسية لعمارة الكهالي، إذ هشمتها الشظايا وتكسرت نوافذها وكذا النوافذ الزجاجية للمنازل القريبة من الانفجار، كما أثار ذلك الانفجار حالة من الرعب والهلع في أوساط الساكنين هناك. كما تبادلنا إطلاق النار مع الناجين من انفجار المدرعة ومع الدوريات التي توافدت لنجدة من كانوا في الأبراج.

بعد تنفيذ العملية انسحبنا ثلاثتنا أنا وعبيد عوض ومحمد أحمد البحاح إلى المكان المحدد لنا، حسب الخطة، أن نتجه إليه. لم نجد السيارة العسكرية التي كان متفقاً أن تنتظرنا هناك، لكننا وجدنا حامد مدرم ينتظرنا بسيارة بيجوت، فطلب مني ورفاقي الركوب معه، ولفت انتباهي وجود أدوات موسيقية في الكراسي الخلفية للسيارة "عود وربابة ودربوجة".

كنا جميعاً نشعر بالقلق فما زلنا قريبين من مسرح العملية وما زالت البندقية معي في السيارة، ولهذا حاولت تلطيف الأجواء لإزالة جزءاً من مشاعر القلق والخوف بممازحة مدرم الذي كنت أعرفه حق المعرفة، وأعرف أنه من العناصر الفدائية الجريئة التي لا تكترث للعواقب، فقلت له مازحاً:"كنِّي بشوف بن مدرم بَدَّل ببندقية بدربوجة!". ضحك وقال:"يا صالح خوي الحقيقة إنكم استكثرتوا عليَّ فرح ليلة بالسنة". وذكر بأنه كان يساعد الأهل في التجهيز لحفل الزواج، وهذا هو سر وجود الأدوات الموسيقية للفنان الشعوي، ولكن القيادة طلبوا منه بأن يأتي إلينا على وجه السرعة لأن من كُلِّف بنقل مجموعتي لم يحضر لأسباب يجهلوها.

سارت بنا السيارة إلى شارع آخر، وهناك كانت تنتظرنا سيارة شرطة، نوع لاند روفر، واقفة بجوار منزل صالح ملقاط. طَلَب مني حامد السلاح وأخرجه من سيارته ليضعه في السيارة العسكرية، وقال: كما ترون أن أغلب المنازل هنا هي تابعة لأفراد الشرطة، لذا أنصحكم بأن تخرجوا منفردين وتذهبون سيراً على الأقدام، وتسلكوا طرقاً مختلفة. اتجهت أنا باتجاه المغسلة "الدوبي" وهو المكان المُحدد لقادة الفرق لمقابلة القيادة بعد التنفيذ بغية تقديم تقارير مقتضبة عن النتائج الأخيرة لتنفيذ العملية وإبلاغهم عن أي خسائر بالأرواح أو إصابات أو اعتقالات لأي من عناصرنا الفدائية حتى تتمكن القيادة من وضع الخطط والتدابير اللازمة والسريعة.

لم يكن سالمين موجوداً هناك أمام المغسلة، لكنني وجدت محمد سعيد عبدالله "مُحسن" فأخبرته أن يبلغ سالمين بأني وفرقتي قد انسحبنا بسلام، وأن حامد مدرم هو من نقلنا وتم إخفاء السلاح في سيارة الشرطة.

كانت فكرة استهداف تلك الأبراج والنجاح الكبير في ضربها رسالة قوية للمستعمرين، مفادها بأن فدائيي الجبهة القومية قادرون على الوصول اليكم في أبراجكم، ولن تكون تلك الأبراج بعد اليوم أماكن آمنة لكم، أو مصدر إعاقة للجبهة القومية لتنفيذ عملياتها الفدائية ضد قواتكم الاستعمارية.

بعد هذه العملية تم الوقوف أمام نتائجها، و بسبب ما خلفه انفجار اللغم من أضرار في المنازل القريبة وحالة الهلع والترويع في صفوف الساكنين في حي الهاشمي، قررت الجبهة القومية تحاشي زرع الألغام في أحياء المدينة، بسبب قناعتها بانه مهما كانت اجراءات الاحتراز والحيطة، لا تستطيع أن تتحكم بنتائج الانفجار، وحتى وإن كان الهدف من زراعة هذه الألغام هو الآليات العسكرية البريطانية، فأن ترويع السكان الآمنين وتهديم منازلهم المتواضعة سيخلق حالة من الغضب والاستنكار، وقد يستغل المنافسون من المنظمات السياسية الأخرى عدم رضا الناس ويستثمرونه ذلك للنيل من سمعة الجبهة القومية التي كانت تحرص في كل عملية تقدم عليها على أن تُجسد حقيقة ان الهدف الأسمى هو تركيع الاستعمار وإرهابه بكل الوسائل المتاحة، وتحاشي إلحاق الأضرار المباشرة بالساكنين الآمنين في مناطق عدن.

عملية "القلّوعة"

كانت العمليات القتالية تتكثف وتتنوع أهدافها يوماً بعد يوم، وأصبح كل شيء له علاقة بحماية الاستعمار ومؤسساته هدفاً من أهدافنا، والغرض من هذا التكثيف تضييق الخناق على الاستعمار وارغامه على الاعتراف بأن الأمور قد خرجت عن سيطرة مؤسساته العسكرية والأمنية، وكان استهداف الجبهة القومية للنقاط العسكرية التي وجدت هنا أو هناك في أحياء عدن أمراً هاما وحتمياً، لأن تلك النقاط العسكرية والمتارس تُشكّل وحدات أمن عسكري مُصغرة ومتقدمة، وظيفتها شل حركة الفدائيين والتعامل المباشر مع أي هجوم يشنّه الفدائيون على أي من المنشآت الاستعمارية، وإغلاق منافذ الأحياء القريبة من مسرح العملية، إلى حين وصول التعزيزات من مراكز الأمن الكبرى. ولهذا فعند استهداف أي نقطة كان على الفدائيين أيضاً استهداف رجال الأمن في جميع النقاط القريبة من موقع التنفيذ وإرباكهم وتشتيتهم ومنع تحركهم السريع إلى موقع العملية وعدم تمكينهم من إغلاق المنافذ المحتملة لمجموعة منفذي العملية، وضمان حمايتهم حتى انتهاء مهمتهم وانسحابهم الآمن.



الحاج صالح باقيس

في هذه العملية كان دور صالح عبدالله با قيس "الحاج باقيس" ومجموعته استهداف عساكر الانجليز، في النقطة الواقعة فوق إدارة المياه، بالقرب من مصنع النجارة، وكذا استهداف مركز الاستخبارات في حي "حافون" بواسطة رشاش "برن". وكان دور الجِبرة ومجموعته تأمين الحماية لباقيس بضرب أي دوريات قادمة، وقد تموضعوا لهذا الغرض في إحدى التلال المطلة على القلوعة، في الجهة المقابلة لمبنى الاتحاد اليافعي حينها، وعلى بعد ٢٠٠متراً تقريبا من النفق الحالي الذي يربط القلوعة بالشاطئ الذهبي "جولد مور".

كان دوري في هذه العملية رمي قنبلة على عساكر الانجليز المرابطين في أسفل جبل الزيتونة بالقلوعة، بغرض إرباكهم وشل حركتهم وجعلهم ينشغلون بقتلاهم وجرحاهم، وتمكين صالح باقيس وفريقه من الانسحاب الآمن. كان الوقت المتبقي على موعد تنفيذ العملية حوالي ثلاث ساعات، فقررت أن أقضيها في

منزل الأخ محمد قاسم الصلاحي، الكائن في حي الزيتونة، وهو من أبناء قريتي وتربطني به علاقة صهارة، فهو متزوج بنت عمّي، فكان المكان الأنسب لي لأخذ قسط من الراحة، وتجهيز نفسي للعملية، إضافة إلى كون المنزل قريب من الهدف ولا يبعد عنه سوى حوالي ١٥٠ متراً.

دخلت البيت فوجدت صهري محمد قاسم وأخيه عوض قاسم، فسلمت عليهما، ثم أخبرتهما بأنني أشعر بشيء من الإرهاق وأرغب بالاسترخاء على الفراش، فبسط لي صهري الفراش في "الدارة" التي تتميز بها الشقق الأرضية في القلوعة، وغادر وبقي معي في الدّارة الأخ عوض قاسم، وعلى الفور استلقيت على الفراش وغطيت جسمي بملاية خفيفة "طُراحة"، وبحذر شديد أخرجت القنبلة وأخفيتها تحت الفراش. وقبل موعد العملية بحوالي ١٥ دقيقة نهضت، وحينها لم يكن أحد في الدارة، وبنفس درجة الحذر والعناية القصوى أخذت القنبلة وأخفيتها تحت الحزام. وذهبت لأودع صهري وبنت عمّي، فإذا بها تفاجئني أمام زوجها قائلة:" يا ابن عمي أنت تعرف بأن عندنا أولاد صغار ونريد أن نعيش معهم بأمان". أدركت من لهجتها أن أمري قد انكشف، فحاولت مقاطعتها بقولي:" كلنا عندنا أولاد، وكلنا نحب لأولادنا الخير والأمان، لكن قولي: لي هل أحد يضايقكم أو يضايق الأولاد؟". فردت بقولها لي:" أنت ابن عمي وبيتنا مفتوح لك، لكن عند الله وعندك تكون تزورنا بدون قنابل".

فضلّت عدم الخوض أو النقاش أو الانكار والقنبلة ما تزال تحت الحزام والوقت لا يسمح للأخذ والرد، فقلت بلهجة الغاضب:" أنا لا أعرف عن ماذا تتحدثون وتلمّحون". وخرجت من البيت في اتجاه المنازل القريبة من المترس. وهناك انتظرت حتى سمعت صوت رشاش "البرن" مدوياً، عندها ركضت بخفة الشباب إلى أقرب مكان أستطيع منه القاء القنبلة، ثم رميتها على الهدف المحدد المتمثل بالمترس، وفي لحظة انسحابي تذكرت أن عودتي لمنزل صهري أمرٌ غير مرحب به، خاصة بعد الانفجار المدوي، فاتجهت حالا إلى مساكن عمال المرافئ المعروف بـ"كامب القلوعة" وكان أغلبهم من أبناء يافع وأعرف عدداً كبيراً منهم.

بعد نجاح تلك العملية طوّقت الدوريات الانجليزية منافذ القلوعة، وقامت بمداهمة وتفتيش المنازل وسحب الرجال وتجميعهم في الميدان لعلّ مخبريهم وجواسيسهم يتعرفون على أي شخص له علاقة بالجبهة القومية أو جبهة التحرير، لكن جميع أفراد الفرق المكلفة بتنفيذ هذه العملية قد انسحبوا إلى أماكن آمنة.

تقمُّص شخصية السلطان لتنفيذ عملية فدائية

استقريت في أبين حتى سقوط المناطق بيد الجبهة القومية في النصف الأول من عام ١٩٦٧ لكني خرقت الاتفاق مع سالم ربيع عندما ذهبت كحماية مع القيادي في الجبهة القومية عبد الملك إسماعيل الذي كان حينها في مهمة في أبين، أورد تفاصيلها على النحو الآتي :

في مطلع عام ١٩٦٧ كانت الجبهة القومية قد ضاعفت من نشاطها السياسي والعسكري وبدأت تعين قادة سياسيين في كل منطقة، كون النصر كان قاب قوسين أو أدنى، والمنافسة لاستلام السلطة مع جبهة التحرير كانت على أوجها. لذا فقد كان المناضل عبد الملك إسماعيل متواجداً في تلك الفترة كمسئول للتنظيم السياسي للجبهة القومية عن منطقة أبين ولكن ليس بطريقه علنية.

وقد حصل ذات مرة ان عبد الملك إسماعيل أراد أن يذهب من أبين إلى منزله الكائن في مدينة عدن التواهي، ولأنه قيادي مستهدف وشخصية معروفة، كان لزاماً عليه قبل السفر ان يموّه ويغير ملامحه ويأخذ معه مرافقاً عسكرياً من رجال الجبهة القومية، ومن أجل ذلك استدعاني لمرافقته وحمايته وقت الضرورة، وقد توجهنا معا صوب مدينة عدن، وتمكنا من اجتياز كل نقاط التفتيش، دون أن يتعرف علينا أحد أو يلحقنا أذى، لكن ولسوء الحظ، فعند وصولنا عدن، وما أن فتحنا باب المنزل، حتى تم إطلاق النار على مركز جنود الإنجليز الواقع في حديقة التواهي، من قبل مجهولين.

وعلى إثر ذلك انتشر الجنود الإنجليز في كل الاتجاهات، للبحث عن المنفذين. وكان منزل عبد الملك إسماعيل من ضمن الأماكن التي استهدفها التفتيش، كونه مقابلا لتلك الحديقة، وقد طوقوا المنزل، وعند ها أيقنا أنه سيتم اعتقالنا لامحالة، ولهذا ركضت بسرعة خاطفة لإخفاء المسدس في الغرفة، وعدت إلى باب المنزل مجرداً من السلاح. وصل الجنود الإنجليز إلى الباب وطلبوا منا الخروج من المنزل، ثم أمرونا برفع أيدينا إلى الأعلى ليقتادونا إلى جدار أحد المباني ضمن مجموعة من المواطنين المعتقلين، وهناك رأيت كيف كان يتم ركل كل المحتجزين، بل ضربهم بأعقاب البنادق لنزع اعترافات منهم. وقد بقي الجميع مصلوبين على الجدار لمدة ساعة تم خلالها تفتيش الكل، وانا وعبدالملك من ضمنهم، بعدها أُطلق سراحنا دون أن يتمكنوا من التعرف على هوية المهاجمين.

رجع عبد الملك إسماعيل إلى منزله، أما أنا فقد عُدت إلى منطقة أبين غاضبا، وفي ذهني فكرة الانتقام من أولئك الجنود الإنجليز المرابطين في حديقة التواهي، وفي صباح اليوم التالي خرجت أمشي في مدينة جعار ومعي صديقي عوض محمد الملقب الهرم، الذي كنت أقص عليه ما حصل لنا من قبل جنود الاحتلال في اليوم الأول في مدينة التواهي – عدن، وبينما نحن نمشي على رصيف أحد شوارع المدينة أمام إحدى محطات خدمة السيارات، التفت إلى المحطة وإذا بي أرى سيارة السلطان محمود عيدروس، وبجانبها سائق السيارة، الذي أعرفه شخصياً، واسمه عمر العياشي، طلعت فكرة في رأسي في تلك اللحظة لأجبر السائق على التوجه إلى عدن بسيارة السلطان، كي أنفذ بها عملية فدائية ضد جنود الاحتلال، لكنني أدركت حاجتي إلى التمويه، كي اجتاز نقاط التفتيش، ولهذا خاطبت رفيقي عوض الهرم قائلا له : ما رأيك أنني هذا اليوم سأجعلك بمقام السلطان. فرد علي عوض ضاحكا: كيف يمكن ذلك؟. قلت: انظر تلك هي سيارة السلطان وسائقها يعرف أنني أحد فدائيي الجبهة القومية وهو من منطقتنا من يافع سأجبره على التوجه إلى عدن وسنعمل الإخراج كالآتي :

انت ستجلس على المقعد الخلفي باعتبار إنك السلطان، ولا تتحدث عند وصولنا نقاط التفتيش، إلاّ عند الضرورة، وأنا سأقوم بدور الضابط المرافق لك، والآن وقبل ان نذهب إلى السيارة دعنا نتوجه إلى منزل أحد ضباط الأمن، اسمه حسين عبد، وهو من أبناء منطقتنا من يافع "رصد" ومنزله قريب من مكان هذه المحطة.

ذهبت ومعي عوض الهرم إلى منزل الضابط، وطلبت منه بدلة من بدلاته العسكرية، لكن الضابط الذي يعرفني جيدا سألني لماذا تريد البدلة؟. رَدَدْتُ عليه اعطني البدلة واعتبرها في المغسلة، عرف الضابط ان ورائي قصة ما. ولأن الضابط المذكور أعلاه من مناصري الجبهة القومية، فقد اعطاني البدلة العسكرية قائلا: حذاري إن كُشف أمرك أن تتحدث من أين حصلت على هذه البدلة. وعدته بذلك وقمت بارتدائها في نفس المنزل، لكن السروال كان واسعا لم يتناسب مع جسمي النحيل، لهذا اكتفيت بالقميص مع الرتبة والقبعة، وأبقيت سروالي المدني الذي صادف أن لونه رمادي. بعدها توجهت إلى مكان السيارة، وطلبت من سائقها التوجه إلى عدن، لكن السائق قال لي: كيف يمكنني السفر دون معرفة السلطان فأنت ستسبب لي مشكلة، معه ثم لماذا تريد أن تذهب إلى عدن؟. رَدَدْتُ عليه: نريد أن نقوم

برحلة لنتفسح هناك أنا وزميلي وما عليك إلاّ أن تنفذ. نظر السائق اليّ فرآني جاهز مع سلاحي ولابساً للبدلة عسكرية وهو يعرف جيداً أنني لست ضابطاً في الأمن، وعرف ساعتها أن الأمر جاد، وانه إذا لم ينفذ ربما سيلحقه مكروه، لذا رد علي قائلا: موافق. وعندها صعدت ومعي رفيقي عوض الهرم السيارة التي كانت من نوع "روز ريز".

بدأت الرحلة بسيارة السلطان التي يقودها عبد الله عمر العياشي، وفي المقعد الخلفي كان يجلس عوض الهرم الذي مثل دور السلطان في هذه الرحلة، أما أنا الذي مثلت دور الضابط المرافق للسلطان فقد كنت راكباً في المقعد الأمامي. وصلت السيارة إلى أول نقطه من نقاط التفتيش في منطقة العلم، وتوقفت للتفتيش لكن الجندي المناوب ما ان رآني برتبة عسكرية بالسيارة الفخمة حتى أدّى لي التحية العسكرية وسمح لنا بالانصراف، أما أنا فلم تسعفني الذاكرة أنه كان لزاما أن أرُدّ له التحية العسكرية، حسب العرف العسكري. استمرت الرحلة، وسُمح لنا بالمرور من بقية نقاط التفتيش.

عند وصولنا إلى مدينة التواهي في عدن توقفت بنا السيارة أمام منزل عبد الملك إسماعيل. طرقنا باب داره فخرج ليجدني أمامه ببدلة عسكرية ورتبة ضابط، فقال لي: ماذا وراءك؟ ما هذا؟. أجبته قائلاً: هيا بنا هذه هي سيارة السلطان محمود عيدروس سنذهب اليوم لننفذ عملية فدائية في أهم مكان لتواجد الجنود الإنجليز، وإن لم نتمكن فعلى الأقل ننتقم من جنود الاحتلال في هذا المركز الذين أهانونا يوم أمس. لكن عبد الملك إسماعيل قال لي: يا أخي انا لا أستطيع أن أذهب معك بهذه الطريقة، أنت إنسان مغامر وقد وصفك سالم ربيع بأنك "أدوع" لا تحسب حساباً للعواقب.

غادرت منزله غاضبا، وقلت له ابقى وسأذهب وأنفذ بنفسي. ثم عدت إلى السيارة وأمرت السائق بالتحرك إلى قمة الجبل المطل على التواهي، الذي يقع في قمته مستشفى القوات البريطانية، وعند وصولنا البوابة الرئيسية، أوقفتنا الحراسة وصادفت حينها ضابطا من الجيش العربي يحمل رتبه عسكرية أكبر من الرتبة العسكرية التي على كتفي، فكان من واجبي ان أؤدي التحية العسكرية مباشرة للضابط المناوب قبل أن أتحدث إليه، لكنني لم أفعل ذلك، كوني لم أكن عسكريا ولا أعرف النظم العسكرية، فاضطر ذلك الضابط لأداء التحية لي، ثم طلب معرفة اسمي ورقمي ووحدتي، قاصدا بذلك اتخاذ عقوبة ضدي لعدم أدائي واجب التحية العسكرية، وعلى الفور قلت للضابط وأنا أشير إلى صديقي الهرم: معك

السلطان محمود بن عيدروس. فأدى الضابط التحية العسكرية ثانية، لكنه عاد وألَحّ على ان أعطيه اسمي ورقمي ووحدتي، فما كان أمامي من خيار سوى أن أقبض بندقيتي وانا مستعد للمواجهة، وبعد ان ضربت بيدي على مخزن ذخيرة البندقية قلت للضابط المناوب: اسمي ورقمي جبهة قومية.

عندها أدرك الضابط أن الأمر خطير، لهذا تراجع إلى الوراء قائلا: ابق في السيارة..أنت تعرف ان بيننا وبين الجبهة القومية اتفاق بأن لا يؤذونا ولا نؤذيهم، كما لا يحق لك الدخول إلى هذا المكان وما عليك إلاّ أن تعود.

عرفت أن عملية الدخول صارت صعبة، والمكان ضيقاً ومغلقاً لا يمكننا العبور أو المواجهة، لذا قررت العودة إلى التواهي، متوجها إلى أحد المطاعم لتناول وجبة الغداء مع رفاقي، بعدها صعدنا السيارة، وبينما نحن نمشي أمرت السائق بالوقوف في إحدى زوايا الشارع المقابل للحديقة، التي توجد فيها نقطة تفتيش تابعة لجنود الاحتلال البريطاني، وهناك نزلت، وأطلقت عليهم عدة طلقات من جانب إحدى العمارات، وصعدت السيارة وتحركنا سريعا، وعند وصولنا النقطة التي نصبها الجنود الإنجليز للتفتيش سمحوا لنا بالعبور دون غيرنا كونها سيارة السلطان، أي انها غير مشبوهة.

وتحسبا لأي بلاغ ضدنا غيّر نا مسار السيارة باتجاه مدينة كريتر -عدن حتى وصلنا سوق القات(القات، عشب أخضر منبه يمضغ في الفم)، وهناك رأيت بائع قات أعرفه، اسمه الطويل، ناديته من السيارة: يا طويل أعطنا قات. التفت ليراني على سيارة فخمة لابسا بدلة عسكرية، عرف أن في الأمر شيء ما، فأعطاني كمية من القات بشكل مستعجل، وقبل أن أعطيه الفلوس بادرني بالقول: سأكتب ذلك فوق الحساب الذي بيني وبينك يا حضرة الضابط مع السلامة. قالها وعاد بسرعه ليموه أمام الآخرين، لكن في الحقيقة لم يكن بيني وبينه أي حساب.

وهكذا عدت إلى أبين بعد أن نفذ ت مهمتي، أما سائق السيارة فقد عاد إلى السلطان ليخبره أنه كان قد أُرغم بالتحرك من قبل مجموعة من الفدائيين كانوا ملثمين لا يعرفهم أجبروه على الذهاب إلى عدن والعودة.

عملية قصف دار المندوب السامي(١)

كان لنكسة حزيران (٥ يونيو ١٩٦٧م) الأثر السلبي الكبير، ليس فقط على مصر والخيارات الناصرية في تحقيق الوحدة العربية، وتأمين التنمية والعدالة الاجتماعية، بل وعلى دعم حركات التحرر العربية ونضال الشعوب العربية التواقة للحرية من الاستعمار الأجنبي.

كان المستعمر البريطاني ينظر لنتائج تلك الهزيمة بشيء من الطمأنينة والارتياح، لأنها فتحت أمامه مجالات رحبة للتنصل عن أي التزامات لا يرغب فيها تجاه شروط الاستقلال الوطني للأرض الجنوبية. فالدولة العربية الداعمة لحرية الشعوب ووحدتها قد انهزمت، وقلب رئيسها النابض بحرية الإنسان العربي وسيادته على أرضه قد اندمل. هذا الوضع الجديد جعل مصر عبدالناصر تغير قائمة أولويات مهامها، فأصبح الخيار الصائب لها ترتيب الأوضاع الداخلية وإعادة بناء الجيش ورفع معنويته.

وفي غمرة نشوة الحكومة البريطانية في كون مصر، وهي رائدة التحرر العربي، قد انكسرت، أقدم وزير خارجيتها في خطاب أمام مجلس العموم البريطاني على التنصُّل صراحة عن بعض التزامات بريطانيا السابقة، مطمئناً الأعضاء بل ومؤكدا لهم بأن بريطانيا هي وحدها فقط من ستحدد شروط وطريقة وأسلوب منح الجنوب العربي الاستقلال المزمع تنفيذه في يناير ١٩٦٨م، وأنها ستوفر الحماية اللازمة للدولة الفتية بفرض سيادتها على الجزر المحاذية والتابعة لعدن، من خلال إبقاء قوة عسكرية، بحرية وجوية، بالإضافة إلى الإشراف المباشر على جيش الجنوب العربي بواسطة الخبراء الانجليز.

كنا في الجبهة القومية نرى في تلك التصريحات إنكاراً وتجاهلاً صريحاً للدور الفاعل للجبهة القومية، كقوة سياسية وعسكرية فاعلة، سطع نجمها ليس فقط

(١) ورد في "فتاة الجزيرة" العدد(٢٣٨١) الصادرة في يوم الجمعة ١٨ أغسطس١٩٦٧م، عن هذه العملية ما يلي:"أهتمت السلطات العسكرية ووكالات الأنباء بالهجوم الذي شنه الثوار من القلوعة على القاعدة البريطانية في التواهي (القلعة) مما أوصل قذائف الهاون إلى مقربة من دار المندوب السامي والقيادة العسكرية الرئيسية للقوات البريطانية في الشرق الأوسط. وقد وقع الهجوم بالهاون في الساعة الرابعة ظهر يوم الأربعاء، ووقعت معظم القذائف في البحر على بعد ميل واحد من القلوعة. وذكرت المصادر العسكرية أن مسكن المندوب السامي كان الهدف من الهجون الجرئ. وقد سارعت سلطات الأمن إلى فرض حظر التجول على القلوعة طيلة الليل وحتى مساء أمس للبحث عن المدفع الذي أستعمل في هذا الهجوم".

في سماء مدينة عدن، بل وفي أرياف الجنوب، وأنه بخطابه هذا قد آمن أنه بعد هزيمة مصر ستنكسر وتتلاشى كل الحركات التحررية العربية.

كانت الاستنتاجات البريطانية الخاطئة ترى أن الأعمال الفدائية الجريئة والفاعلة هي ما تقوم به جبهة التحرير المدعومة بسخاء بالمال والسلاح من النظام المصري، وبالتالي فأن الشلل الذي أصاب جسد الدولة المصرية جراء نكسة حزيران سيؤدي حتما إلى الشلل الكامل للأطراف البعيدة. وفي ضوء تلك التقديرات فإن شلل دور جبهة التحرير معناه نهاية المقاومة المسلحة، وهذا يعني بالنسبة لبريطانيا أن القوة والضغط الوطني للحصول على الاستقلال في الطريق للتلاشي، ولم يتبق إلاّ الضغط الدولي الذي كانت تمارسه الأمم المتحدة، تحت شعار، أن لكل شعب الحق في أن يعيش حراً ومستقلاً على أرضه.

أرادت بريطانيا أن ترضي الشرعية الدولية بمنح الجنوب العربي استقلالاً شكليا، وكان تجاهل الوزير البريطاني لحقيقة ما يدور على الأرض قد مسّ كبرياء الجبهة القومية، ولهذا السبب كان عليها أن تبحث على الوسيلة والأسلوب المناسبين للرد على ذلك التهميش، ووضع خطة للرد العملي والمسموع والمزلزل، فكانت فكرة استهداف بيت المندوب السامي في منطقة التواهي.

أما سبب مشاركتي في هذه العلمية فكان عندما استدعاني سالمين ليخبرني بأن خطة ضرب بيت المندوب السامي "البيت البيضاوي" في مدينة التواهي – حي الفتح قد تم وضعها، لكن استهدافه من منطقة التواهي يمثل مجازفة كبيرة بسبب وجود المعسكرات المحيطة به، لذا كان القرار أن يتم ضربه من بُعد، وتحديداً من مدينة القلوعة، بواسطة مدفع الهاون، ومن وراء جبل القلوعة، وهو ما يتطلب مهارة عسكرية وخبرة ودقة في ضبط معايير وإحداثيات المدفع، حتى يتم التمكن من إصابة الهدف. ولهذا السبب تم اختيار عناصر عالية التدريب من القوات المسلحة المنتمية للجبهة القومية حتى يتولوا مهمة تنفيذ الضرب بمدفع الهاون. وهناك ستتوزع عناصر من القناصة لاستهداف أي دوريات قادمة.

أما دوري في هذه العملية فكان حماية فريق الجيش عن قُرب في حالة تسلّل أي من عناصر الأمن أو الجيش الانجليزي إلى موقع المدفع، أو من أي عناصر عسكرية أو أمنية متواجدة في الحي السكني الذي نُصب المدفع بجانبه.

إن من عوامل تسهيل نجاح أي عملية فدائية هو توفر المخابئ الآمنة للأسلحة في الحي أو المدينة التي ستُنفذ فيها أو منها العملية. وتكون تلك المخابئ عادة في

الأحواش والمستودعات، وأحياناً في بيوت أعضاء الجبهة القومية أو المناصرين لها. فوجود مخزن السلاح بالقرب من مسرح العملية يُسهّل على الفدائيين الحصول على السلاح، ويُقلّل المخاطر الأمنية المحتملة في حالة نقله من مدينة إلى أخرى، قبل وبعد العملية، في حالة انعدام مثل تلك المخابئ في الحي أو المدينة. ومثل هذا العامل كان متوفراً في هذه العملية النوعية الجديدة، فمدفع الهاون وقذائفه مع مكينة برن موجودة في أحد المخازن الآمنة في أرضية صخرية لأحد منازل القلوعة.. ولأن الشيء بالشيء يُذكر، كما يُقال، فقد أسهمت بجهدي في حفر هذا المخبأ، عندما كلفني سالمين ومعي محسن وشخص ثالث لا اذكر اسمه بحفره.

أتذكر إننا عندما شرعنا بالحفر وجدنا أمامنا أرضاً صخرية صلبة، وكان علينا أن ننحت فيها بالوسائل البسيطة المتوفرة لدينا : المطارق والزُّبَر والشُّرني. كانت المطرقة ترتد بنفس قوة الطرق بسبب صلابة الصخر، وسرعان ما كلت أيدينا وتفطرت أكفنا، وبسبب ذلك وبعد يومين اعتذر محسن ورفيقنا الثالث عن مواصلة العمل، فآثرت شخصيا مواصلة العمل لوحدي بصبر وجَلَد، ذلك أن سالمين قد أكد على أهمية انجاز ذلك العمل الذي سيسهّل القيام بعمليات هامة في المنطقة. استغرق مني النحت قرابة شهرين من العمل المتواصل، ليل ونهار، تخللته استراحات قصيرة فقط للأكل والنوم. كان هناك سببان لصبري وإصراري على انجاز هذا المخبأ الصخري وحيداً. السبب الأول، أنني لا أحب أن أخذل قائد العمل العسكري للجبهة القومية، وهو في هذه المرة لم يطلب مني أن استبسل في عملية فدائية، بل أن أنحت في الصخر، وسلامتي في هذه المهمة شبه مضمونة، فضلاً عن إدراكي لأهميته مثل غيره من المخابئ في تقليل المخاطر عند تنفيذ عمليات فدائية في المنطقة المحيطة به. والسبب الثاني، هو أن مهنتي في البناء المعماري قد علّمتني التعامل بصبر مع الصخور الجرانيتية الصلبة التي تتميز بها جبال وصخور يافع التي شُيدّت بها حصون وقرى مناطق يافع.

عند موعد العملية ذهبت أنا وسالمين إلى ذات المنزل، ومن المخبأ المخزون في قلب الصخر أخرجنا المدفع والقذائف. حينها لم يخفِ سالمين إعجابه فقال لي: اليوم ثمرة نحتك في هذا الصخر. ثم تولّت الفرقة العسكرية نصب المدفع في مكان ترابي، أسفل جبل القلوعة، وعلى قمة الجبل ركز جنود فرقة المدفع الأعلام والشارات التي ترشد وتساعد فريق التهديف بغرض إصابة الأهداف.

تم خلال العملية إطلاق حوالي ١٢ قذيفة، وبعدها قمنا بإعادة المدفع مباشرة إلى موقعة، فيما ساعدت الفرق الأخرى في إرباك ومنع الدوريات من الوصول إلينا، وانسحبنا بسلام.

أُصيب بيت المندوب السامي بعدد من القذائف، وأخرى سقطت على المعسكرات المحيطة حوله، وأعلنت الجبهة القومية مسئوليتها عن تلك العملية، التي كانت عبارة عن صرخة مدوية، أكدت تصميمنا على نقل العمل الفدائي إلى مرحلة متقدمة تستهدف ليس فقط ضباط وعساكر الانجليز، بل القيادات السياسية بذاتها ومكاتبها وبيوتها، مؤكدين لهم أنه لا يوجد لهم في أرض الجنوب الحر ملاذ آمن، حتى وإن سكنوا القصور وحمتهم الجيوش، وإن على وزير خارجيتهم أن يكف عن تهميش الدور الرائد للجبهة القومية، وأن لا خيار أمامهم إلا أن يتعاملوا مع القيادة السياسية للجبهة القومية، التي آمنت بأن ثورات الأحرار تُصنع في الداخل ولا تستورد من الخارج، وأن هذه الجبهة قد استوعبت وآمنت بحقيقة ذلك المبدأ، فصنعت الثورة معتمدة على الله وعلى الشعب بسواده الأعظم وعلى ثقتها بانتصار قضيتها، وهذا ما يزيدها صموداً وقدرة على إرعاب المستعمر وترويع عساكره، وهي الآن من استهدفت مندوبهم السامي في مقره. وهي من تمثل الشعب ومصالحه في التحرر وبناء دولته المستقلة، وهي أيضاً من ستفرض شروط الإستقلال وليس المستعمر.

كسب الأنصار وتوفير المال والسلاح

لم يقتصر عملنا الفدائي على تنفيّذ العمليات فحسب، لكننا أيضاً كنا نمارس العمل السياسي لاستقطاب المزيد من الرجال المؤثرين والفاعلين، وكذا توفير المال والسلاح. وفي معظم الظروف الصعبة التي مرت بها الجبهة القومية سعينا لتجميع الأموال "تبرعات" من منطقة يافع وإرسالها للمناضلين المشرّدين في الضالع، بقيادة سالمين، حيث تمكنا من تزويدهم بما يقارب ثلاثين ألف شلن آنذاك، وتبعها إرسال مبالغ مالية وملابس للمناضلين في الضالع، من خلال الالحاح على عبد الفتّاح إسماعيل القيادي البارز في الجبهة القومية الذي قابلته في عدن لهذا الغرض، وهذا ما سنأتي على ذكر تفاصيله في الفصل اللاحق من هذا الكتاب.

ويمكننا أن نشير هنا إلى أحد النماذج الدالة على مدى تأثير عملية الاستقطاب على عدد من الأصدقاء لإلحاقهم بالجبهة القومية وتقديم الدعم لها، ونذكر هنا على سبيل المثال : المرحوم عبد القادر العفيفي الذي كان يعمل نائبا للضابط السياسي البريطاني في عدن والذي استطعنا استقطابه في عام ١٩٦٥م، ليكون أحد عناصر الجبهة القومية السرّيين لتقديم الدعم والمعلومات، بعد ان غرسنا في نفسه الثقة وحب الوطن وأقنعناه بلقاء سالم ربيع علي، قائد العمل الفدائي، والذي بدوره أحاله إلى المناضل القيادي جعبل الشّعوي، ليأخذ منه القسم.



عبدالقادر العفيفي بين سالم صالح والخالدي

بعدها صار عبد القادر العفيفي عضواً سريّا في الجبهة القومية فيما بقي كنائب للضابط السياسي البريطاني، وقد حددت علاقة التواصل معه عبري، بعدها تمكنت من إقناعه بتقديم الدعم للجبهة القومية بالسلاح والذخيرة نظراً لحاجة الثوّار لذلك آنذاك. وقد تجاوب الأخ عبد القادر موضحاً لي أن لديه ستة بنادق نوع "كندا" وصندوق قنابل يدوية فيه حوالي ٥٠ قنبلة ومدفع آر.بي.جي موجودة لدى أحد أصدقائه في دثينة. صاغ لي رسالة بذلك وقررت التوجه إلى دثينة لهذا الغرض.

التقيت في زنجبار بجعبل الشعوي وأخبرته بأن العفيفي قد حَوَّل للجبهة القومية هذه الكمية الكبيرة من السلاح وطلبت مساعدته في الحصول على السلاح بحُكم معرفته للمنطقة. قرأ الرسالة فشكَّك أولاً في صحة الكمية، وقال: إذا العفيفي صادقاً معك وحريصاً عليك فما عليه إلاَّ ان يرافقك إلى ذلك الإنسان لأنه من أشرس وأعنَد الناس. وأضاف: هذا الإنسان با يأكلني وبا يأكلك.

بحثت عن سيارة يكون سائقها من مناصري الجبهة القومية يمكن الاعتماد عليه في كتم السر، فوجدت الأخ أحمد عبد الله علي سقاف، وأخبرته بالمهمة فأبدى استعداده، وعند السفر رافقني الأخوين مُحمّد قاسم علي من يافع وعوض الجحما من دثينه وكذا حيدره امصلاحي من اموضيع لمعرفته بالطريق، أما الشخص الذي سنذهب إليه فاسمه العاقل حسب ما هو في الرسالة.

تحركّنا إلى منطقة الوضيع ثم تناولنا وجبة الغداء في منطقة المعجلة، وهناك بقينا حتى أذان المغرب لكي تكون حركتنا في الظلام بسبب التحذيرات التي قدمها لي جعبل الشعوي. بعدها توجهنا إلى بيت العاقل، وعند وصولنا طرقنا الباب، لكنه لم يفتح إلاّ بعد ان عرف صوت عوض الجحما الذي كان يعرفه. سلمنا عليه، وسلمته الرسالة، وبعد ان عرف مضمونها رد علي قائلا: الوقت الآن ليل والسلاح مخفي في الوادي ابقوا حتى الصباح. لكنني أصرّيت عليه ان نأخذ السلاح في الليل كاحتياط أمني، ولهذا اضطر للذهاب معنا إلى الوادي حيث كان السلاح مُخبَأً في مزرعة تحت كمية من القصب، أخذنا السلاح وتحركنا بعد ان اعتذرنا له كوننا لم نتمكن من إعادته إلى بيته خوفاً من أي كمين قد ينصب لنا اذا عدنا بنفس الطريق، أما السلاح فقد وضعناه في قاع السيارة وغطيناه بشتلات من غرس البرتقال لنتجنب التفتيش في النقاط الأمنية الموجودة في الطريق. وهكذا تمكنا من إيصال السلاح وتسليمه إلى قائد العمل الفدائي سالمين.

دارت الأيام وتحقق الاستقلال، لكن للأسف بدلاً من أن يُكافأ الأخ عبد القادر العفيفي أُودع في السجن، بحجة أنه كان عميلاً ونائباً للضابط السياسي، حصل ذلك دون علمي، في وقت اشتدّت فيه زحمة المناضلين والمزايدة، وقد حاول البعض إعدامه، لكنّي تمكنت من إخراجه من السجن وتهريبه إلى الخارج بعد أن رتبت له جواز سفر ومبلغ من المال حفاظاً على حياته.

تلكم نماذج فقط من دورنا المتواضع في توسيع نشاط الجبهة القومية وتوفير الإمكانيات لها، بدافع الإخلاص والوفاء للوطن، ونزعة التحرر من الاستبداد والاحتلال التي تسري في شرايين دمنا، ولهذا صنع المناضلون ملاحم بطولية في الفداء والتضحية بنكران ذات، ونتمنى على أجيالنا أن تتعلم من هذ التاريخ الصبر والثبات والعزيمة والاخلاص والبساطة والنقاء لكي يكون الوطن حراً آمنا مستقلا مزدهراً.

كانت فترة الكفاح المسلح فترة صعبة جداً، محفوفة بالمخاطر، لكن الإرادة والإخلاص للوطن جعلتنا نناضل بحماس وانضباط شديدين، نحافظ على سرية العمل ونتسابق على التضحية، غير منتظرين الثناء أو العطاء من أحد. من يصدق ان المكافأة لمن ينفذ عملية فدائية كانت كوباً من عصير الليمون أو وجبة غداء في مطعم شعبي.

كما أود الإشارة إلى أن المرأة أيضاً لعبت دوراً جيداً في العمل الفدائي وفي الإعلام والمظاهرات ضد الاحتلال. وأتذكر أنني ذات مرة كلفت بحماية المناضلة نجوى مكاوي عندما كانت توزع المنشورات الصادرة عن الجبهة القومية في الشارع، حيث هرولت إلى أحد الجنود الإنجليز ووضعت المنشور في فمه، وقد رافقتها لحمايتها أيضاً في إحدى المرات عندما ذهبت إلى منطقة الشيخ عثمان لطباعة المنشورات وهناك العديد من النساء المناضلات والمناصرات لا يتسع المجال لذكرهن جميعا.

نجوى مكاوي

هناك ذكريات عديدة عن تلك المرحلة، وعن رفاق فقدناهم، وآخرين ما زالوا أحياء، إلاّ أن ذاكرتي لم تعد تسعفني، بحكم كبر سني، وهذا ما يشفع لي أن نسيت بعض المعلومات أو أغفلت دون قصد كثير من الأسماء، لكنني هنا سأحاول ان أتذكر بعض من القيادات والفدائيين مثل: قحطان الشعبي، سالم ربيع علي،



بعض ثوار الجبهة القومية ضد الاستعمار ١٩٦٥م

فيصل عبداللطيف، علي عنتر، علي ناصر محمد، صالح مصلح، علي شائع، عبد الفتاح، علي صالح عباد مقبل، محمد سعيد عبدالله " محسن"، حسن باعوم، عوض الحامد، الحاج صالح باقيس، علي سالم البيض، محمد البيشي، عادل خليفه، عبد الرب علي مصطفي، محمد ناجي، سالم الناخبي، محمد صالح مطيع، فضل محسن عبد الله، قاسم الجانحي، أمهيثمي، عبد الله عبد الرحمن اليزيدي، حسين عبد الجيب، علي مقبل، العبيدي، عمر علي، مثني عسكر، محمد أحمد

سلمان،واحمد محمد شوقي والمجحفه وصالح جلن،، وعّبود، والوحيشي، وأحمد محمد حاجب، وأحمد صالح عبده، والمقبلي، ومحمد حيدره مسدوس، ومحمد سالم عكوش، وسعيد عسكري، وسعيد صالح، والزومحي، وقائد الغزالي وصالح الغزالي، وحنش ثابت، والقفيش، وعبد الملك إسماعيل، وأحمد العبد، وأحمد سالم عبيد، وقائد صالح، وقائد مثنى، وفضل عبدالله، وعبدالله أحمد حسن، وحسن علي الزغير، ومهيوب علي غالب، وعبدالنبي محمد مدرم، وأحمد صالح طوحل، وعلوي حسين عمر، وناصر عبدالله الحداد، وناصر عوض أحمد السعدي، وأحمد علي العلواني، وأحمد ناصر الخادم، وعلي عوض الحداد وعمر محمد الحداد وسالم عبدالله ياسين، جعبل الشعوي، سليمان ناصر، عبدالله ناصر، علي سالم محثوثي، علي جاحص، جاعم صالح، يوسف علي بن علي، عبدالله أحمد الخامري، رضوان عبدالرحمن، وعبدالكريم سلام، صالح عبادي عبدالكريم، خالد أحمد سعيد مفلحي، محمد علي باشماخ، راشد محمد ثابت، أحمد محمد سعيد،



محمد أحمد البيشي، سالمين، علي عنتر



علي شايع



عبدالله مطلق



صالح عبادي

عوض محمد السعدي، صالح فهد علي، الخضر ناصر حسودي، صالح محمد السجر، محمد أحمد الزواد، صالح عبدالله العنتري، سالم عبدالله سالم، عبدالرب بن عبدالرب، محمد ناصر جابر، محمد علي عريم، عبدالله محمد كمراني، ابوبكر عبدالله شفيق، محمد عبدالله الطيطي، حسين عبده عبدالله، ناصر عمر فرتوت، فارس سالم أحمد، علي ثابت حسين، أحمد محمد مدرم، عبدالكافي محمد عثمان، محي الدين أحمد سعيد، عبده هزاع، قائد قاسم سعيد، محمد أحمد علي، علي فرج، منصور مطلاء، عمر أمعبد، فاروق مكاوي، صالح سعيد، عبدالله حسين مساوي، محمد هيثم يافعي، عبدالله محمد باهارون، عثمان يوسف، عوض محمد جعفر، حمود أحمد نعمان، عبدالله فارع النجادة، عبدالله محفوظ، عوض عبدالله ميسري، محمد حيدرة الجميل، جميل مشبق، عمر العلواني، أحمد ناصر الحماطي، صالح زيزيه، محمد علي الهميش، سالم عمر صالح، صالح محمد

هيثم، منصور أحمد هادي، صالح أحمد ملقاط، الجبل، محمد سرحان، محمد عبدالخالق، علي سالم يافعي، علي سالم مقبل، صالح الفاطمي، صالح عبدالله السقاف، أحمد علوي الشينه، "الدوح" علي محمد الدوح، علي محمد أمرهوه، عبدالله أحمد عمر، السيد حسين صالح، محمد سالم باهديله، أحمد حسين المرتني، أحمد فضل "الممثل"، علي شيخ عمر، علي صالح البيضاني، علي الشوبجي، محمد علوي عوذلي، عبده علي عبدالرحمن، علي محمد الدلالي، أحمد محمد دنبع، محمد علي طالب، قاسم علي نشفه، محمد أحمد سعيد، ثابت قاسم طاهر،










سعيد فارع ثابت، علي محمد الفاطمي، قاسم عبدالله الجدل، عبدالجبار فضل، السيد صالح عيدروس، علي عبدالله مشدق، محمد سالم مدرم، صالح الأوصابي، عثمان علي سيف معمري، أحمد صالح العبيدي، محمد عبدالله العويطاني، إسماعيل محمد شمسان زريقي، علي عبدالنبي "كويس"، البصير، صالح عبدالله قشاش، علي سلام فوز، حسين عوض الرضيع، عوض حسين يافعي، إسماعيل شيباني، ابراهيم سعيد طاهر، عبدالجليل محمد ابراهيم، شكيب محمد إسماعيل، خالد هندي، أحمد عبده طاهر، محمد أحمد جازم، محمد ناصر سعيد، عبدالعزيز سلام، محمد عوض مدرار، سالم محمد لحوس، أحمد محمد ناصر، محمد الرهوي، ناجي البرطي، عبدالله صالح هديل عودلي، محمد عمر العنتري، عبدالله محمد سيف، علي سالم مقبل شعبي، صالح ثابت، سالم علي محمد، أحمد صالح

حيدره، مثنى سالم عسكر، الشيخ العبيدي، الجعري، المقبلي، منصور سيف مشعل، فضل عبدالله، عزب محمد فضل، حسين عبدالنبي، ابراهيم علي الزغير، عبدالله محفوظ، السيد على، وغيرهم.






علي عبدالعليم　عبدالهادي شهاب　محمد شنظور　الشهيد عبدالقوي　العقيد صديق

سبق القول أنني استقريت في أبين، ولهذا فقبل سقوط المناطق بيد الجبهة القومية كانت أمامنا مهمة صعبة، هي توفير المزيد من السلاح والرجال لإخراج المحتل،وكذا تجنب الاصطدام بالجيش العربي، الذي يخدم مع قوات الاحتلال، وكذلك تفادي الحرب الاهلية مع إخواننا في جبهة التحرير، الفصيل المسلح الذي اختلفت معه الجبهة القومية.






أحمد حاجب　سلمان　سالم صالح　علي محضار








فضل محسن　قاسم الجانحي　محمود سبعة　محمد القيرحي

كيفية الحصول على السلاح ونقله إلى عدن

قصة اللغم والقنبلتين "إحداهما مجهولة الهوية"

إن الظروف التي صنعتها المخابرات العربية المصرية بفرض الدمج في ١٣ يناير ١٩٦٦م وما أعقبه من اعتقالات وملاحقات للعناصر القيادية في الجبهة القومية التي رفضت الدمج وفضحت أهدافه، كانت صعبة وشائكة أدت ليس فقط إلى انحسار العمل الفدائي، وإنما كادت تهدده بالشلل بسبب انقسام قيادات الجبهة القومية بين مؤيد ومعارض ومتذبذب، ولهذا اتجه العمل في البدء لإعادة الهيكل السياسي والتنظيمي للجبهة القومية، وإحياء معنويات القيادات المتذبذبة، وتتابعت الاجتماعات التحضيرية لعقد مؤتمرات استثنائية، فكان المؤتمر الثاني للجبهة القومية المنعقد في جبلة من ٧ -١١ يونيو ١٩٦٦م وتم فيه انتخاب قيادة جديدة للجبهة القومية، واختيار وفد لمقابلة الرئيس جمال عبدالناصر لشرح وتوضيح وجهة نظر الجبهة القومية حول وحدة وطنية حقيقية لا تهدف إلى تهميش الجبهة القومية، كما شُكلت لجان أخرى للتواصل مع قيادة جبهة التحرير والمخابرات المصرية في اليمن، وحدد المؤتمر فترة ثلاثة أشهر لإنجاح تلك المساعي، وفي ضوء نتائجها يتبلور القرار الحاسم. لكن للأسف لم تحقق تلك المساعي الأهداف المرجوة منها، ولهذا بدأت الجبهة القومية في ١٤ أكتوبر ٦٦م العمل الفدائي في عدن بإمكانياتها الذاتية، وأعطى نجاحه زخماً ومعنويات عالية للقواعد وكذا للقيادات السياسية التي كانت متذبذبة، فحددت موقفاً واضحاً من الدمج عبرت عنه نتائج المؤتمر الثالث للجبهة القومية المنعقد خلال الفترة من ٢٩نوفمبر -٣ديسمبر ١٩٦٦م في "حمر" الذي أعلن الانسحاب من الدمج.

تلك الظروف علمتنا أن المال والسلاح هما ما ينقص الجبهة القومية لمواصلة العمل الفدائي، وفي تلك الظروف كان قد توقف ما عُرف بالتفرغ للعمل الفدائي الذي كان متبعا قبل الدمج، وكان على كل فدائي في الجبهة القومية أن يمارس حياته الاعتيادية كمواطن صالح ومهم في المجتمع، وعليه أن يعتمد على نفسه في توفير مصدر رزق له ولأسرته للعيش في حياة طبيعية، وعليه أيضا أن يدفع رسوم عضويته في الجبهة القومية شهريا، والمساعدة عند المقدرة في شراء السلاح وممارسة

العمل الفدائي من خلال المشاركة في تنفيذ العمليات النوعية التي تخطط لها قيادة العمل الفدائي بدقة وعناية فائقتين وتحدد أهدافها وصولاً إلى الحاق ضربات موجعة ضد المستعمر، أي أن الظروف الجديدة وما نتج عنها من شحة وسائل التنفيذ قد جعلت الكل يترفع عن ما يمكن تسميته التنفيذ فقط لغرض التنفيذ أو المنافسة بين الوحدات الفدائية، وبدأ الميل إلى الحكمة في التخطيط والدقة في التنفيذ لضمان تحقيق الهدف والنتائج المرجوة.

إن عودة المتفرغين للعمل الفدائي إلى ممارسة عملهم وحياتهم الاعتيادية قد أبعدتهم بعض الشيء عن دائرة شك أجهزة أمن السلطات الاستعمارية. وبالنسبة لي فقد كان لاتقاني مهنة البناء المطلوبة في كل زمان ومكان نظرا لحاجة الناس المستمرة لبناء المساكن الجديدة، أن سهلت لي الحصول على العمل في أكثر من مكان، ويسرّت لي التنقل بين المدن حسب طلب قيادة العمل الفدائي، وكان ينظر إلى هذه التنقلات على أنها أمر تقتضيه طبيعة هذه المهنة التي أزاولها، كما أن ما يميز تلك المهنة هو الأجور العالية والمغرية مقارنة بغيرها من المهن، وهو الأمر الذي مكنني من دفع الاشتراكات والمساهمة في شراء السلاح ومساعدة بعض من كانوا بحاجة للدعم من فدائيي الجبهة القومية.

تلك الظروف المتعلقة بممارستي لمهنة البناء، مكنتني من المشاركة في الأعمال الفدائية في عدن، وأبحث عن فرص عمل مواتية في عدن أو أبين، لكن فرص البناء كانت أكثر في منطقة أبين. وهنا سأتحدث عن فرصة عمل في أبين وفرّت لي الحصول على لغم وقنبلتين، واستهل ذلك بحديث وجيز من تاريخ أبين.

كما أسلفت في السابق إن الأفكار القومية التي كانت تتبناها حركة القوميين العرب، والأفكار الناصرية الداعمة لحرية واستقلال الشعوب من الاستعمار، كان لها تأثيرها في كشف النقاب عن الوجه البشع للاستعمار وسلوكياته الهادفة إلى تسخير الأرض وما عليها من بشر لخدمة مصالح التاج البريطاني.

وفي منطقة أبين ظهر ذلك التأثير في أنصع صورة، عندما بدأ السلطان محمد بن عيدروس يرفض التدخل السافر للاستعمار البريطاني في تسيير أمر سلطنة العفيفي، فرفض تبني أوامر وأفكار المستشارين الانجليز أو من ينوبهم في الأمور السياسية والقبلية التي تخص سلطنته، كما رفض فكرة القبول بالانضمام إلى حكومة الاتحاد الفيدرالي. هذا الرفض أزعج الانجليز فوصفوه بالمتمرد على طاعة

الانجليـز، وبحثـوا عـن البـديل الـذي سـيقدم الـولاء والطاعـة لأهـداف الاسـتعمار في المنطقة.

لجـأ السـلطان محمـد عيـدروس إلى جبـال يـافع وأعلـن الثـورة ضـد الانجليـز والمراكـز التابعـة للاستعمار في أبين، انتقاما لضربات سلاح الجـو البريطاني على القـارة ومنـاطق أخـرى مـن يـافع، وأدت تلـك التطـورات إلى أن يفـرض الانجليـز عـام ١٩٥٩م على مجلس سلطنة العفيفي في أبين عزل السلطان محمد بن عيدروس مـن مرتبتـه كنائـب لوالـده السـلطان عيـدروس بـن محسـن وتعـيين أخيـه محمـود بـن عيدروس وحيدره منصور العطوي نواباً.



السلطان عيدروس



محمد بن عيدروس





محمود بن عيدروس

في أحد أيام سنة ١٩٦٦م طلبني حسين الحاج لمعاونته في بناء بيت الشيخ حيدرة منصور، وأخبرني بأن الشيخ قد وعده بدفع أجور مغرية، لكنه يريد عملاً متقناً ومميزاً. هذا الخبر أسعدني كثيراً، فلست أنا فقط من يحتاج للمال، بل وتحتاج إليه أكثر الجبهة القومية التي كانت حينها تمر بظروف ما بعد الدمج، وأصبحت تعتمد على دعم أعضائها ومناصريها.

وفي إحدى الأمسيات جاء إلى مجلس الشيخ، وكنت حاضرا فيه، مجموعة من أبناء رُصُد أتذكر منهم: مُحمّد شيخ "قرية المجزع"، ومُحمد بدر وطاهر حنش، وسلموا الشيخ لغم انجليزي رقم "٧" وقنبلتين، إحداهما انجليزية، أما الثانية فكانت شبيهة بعلبة الفول ولها مقبض وفرضة لم أشاهد مثلها من قبل، وقالوا بأنهم حصلوا عليها من المصريين عبر جبهة التحرير.

كان الأخ صالح بن أحمد عاطف جابر يعمل كاتباً مع الشيخ، وكنت أعرف بأنه ومعه حسين حيدره منصور، ابن الشيخ، قد تم تأطيرهما في جبهة التحرير - التنظيم الشعبي. كانت وما زالت تربطني بصالح أحمد علاقة صداقة وثقة، هي

امتداد لعلاقة متميزة كانت تربط والدي بعمه الشيخ عبدالرحمن محمد بن عاطف جابر. عبّرت له عن اندهاشي من احتفاظ الشيخ بالقنابل واللغم وأنا أعرف أنه كان مسالماً. وسألته هل يرغب في بيعها. فأجاب بالنفي، وأوضح أن الشيخ لا يتاجر بالسلاح، وكلما في الأمر أنها قُدمت له كهدية، وما عليه إلاّ أن يقبلها.

لم يمر سوى أسبوعين، حتى أخبرني الأخ صالح أحمد بأن تلك المتفجرات قد تسببت بحدوث مشكلة عائلية، وأن الشيخ حيدرة منصور طلب منه قبل أسبوع أن يحفر لهن ويخفيهن في أحد أكواخ الأرض التي يملكها، لكن إحدى زوجاته "الحوشبية" اكتشفت اليوم أمر تلك المتفجرات المدفونة في الأرض فجن جنونها واتهمت الشيخ بأنه بهذا العمل كأنما يريد التخلص منها ومن أولادها، ولهذا طلب منه أن يتخلص من اللغم والقنابل اليوم وعلى وجه السرعة.

لم أصدق ما سمعته منه، فقاطعته قائلا:" أنا سأخلصك وأخلصهم من هذه المتفجرات، وسوف أسلمهن لشخص من أعضاء الجبهة القومية، وسأخبره بأنهن منك، حتى يُسجل لك موقف". قال لي:" أنا سوف اسلمهن لك أنت شخصياً، فقد جعلني اهتمامك بأمرهن أعرف أنك تريدهن، أما الجبهة القومية فأنا يا صديقي لا أحبها، خُذهن واجعل"القومي" صاحبك يسجل لك موقف". كان حينها لا يعرف بأنني أنتمي إلى الجبهة القومية. أخذت المتفجرات وأخفيتها في مدينة جعار، في حوش يملكه الأخ حسين عبد أحمد الصلاحي.

في تلك الفترة كانت العمليات العسكرية في عدن تزداد ضراوةً، وتتنوع بتنوع وسائل واسلحة التنفيذ، فلم تعد القنبلة أو المسدس هما الوسيلتين الوحيدتين، بل دخلت رشاشات البرن، لانكستر، ومدفع البلاند سيد"البازوكا". وكان كل منا يسعى جاهداً لإيجاد أيّ وسائل جديدة، لأن تكثيف العمليات الفدائية وتنوعها وتعدد وسائلها يخلق حالة من الرعب والخوف لدى أجهزة الأمن الاستعمارية، تجعلهم يعترفون أنهم أمام جبهة لا تتميز فقط بجرأة مقاتليها واستبسالهم، بل وتفاجئهم أيضاً يوما عن يوم بالجديد من وسائل التنفيذ.

ولهذا كنت في غاية الفرح في حصولي على هذا اللغم بشكل خاص، لأننا إذا أحسنَّا استخدامه، وتوفقنا بتفجير آلية عسكرية من ناقلات الجنود أو المدرعات سيجعلهم يشعرون بأن لا شيء يحصنهم منا.

قابلت سالمين في زنجبار، وأخبرته عن اللغم وعن القنبلتين، ووصفت له القنبلة التي لم أشاهد مثلها من قبل. فقال لي:" سأرسل شخصاً يفهم في المتفجرات، لأنه

ليس من الحكمة أن نخطط لعملية بقنبلة لا نعرف فاعليتها، أما اللغم فسنحتاجه قريباً".

بعد أسبوع، وبتكليف من سالمين، زارني محمد ناجي بن شجاع وسالم محمد الناخبي وبرفقتهما خبير المتفجرات، اسمه حسن الفلسطيني، الذي أكد هو الآخر بأنه لم يشاهد من قبل مثل تلك القنبلة، وأنه لا يستطيع إعطاء رأي حول صلاحية استعمالها في عملية عسكرية.

لقد تعلمنا خلال الأعوام الأولى للكفاح المسلح أن من أبجديات العمل الفدائي، اختيار الوسيلة التي ستنفذ بها أي عملية عسكرية، أي أنه ليس هناك من مجال للتخطيط لعمليات في عدن تكون فيها وسيلة التنفيذ خاضعة للاختبار، لأن النتائج ستكون كارثية، بسبب أن العمليات الفدائية تعتمد على عنصر المباغتة والترويع لحظة الانفجار وفي الدقائق الأولى التي تعقبها، وخلال تلك اللحظات ينسحب المنفذون من مسرح العملية، لكن إذا خذلتك وسيلة التنفيذ، فحينها لن تجد الوقت الكافي للانسحاب بسلام.

وفي ضوء ذلك، كنت على يقين بأن القيادة في عدن ستعارض استخدام تلك القنبلة مجهولة الهوية والقدرة التفجيرية، ولهذا لم أرَ ضرورة لنقلها إلى عدن، لأن مخاطر نقلها تفوق بكثير فاعليتها غير المعروفة، فاحتفظت بها في جعار. وفي ذات يوم شاهدت سيارة عسكرية تقل مجموعة من الضباط والجنود الانجليز، تقف أمام مكتب الضابط السياسي في مدينة جعار، فاتخذت قراراً بأن أجرّب هذه القنبلة، وشعرت حينها كأنما جاءوا إلى مدينتي مُتَحَدِّين لمشاعرنا. هرعت مسرعا وأحضرت القنبلة من مخبئها، وانتظرت بفارغ صبر لحظات خروجهم من إدارة الضابط السياسي، وحينها رميت بالقنبلة عليهم، فكان وقع انفجارها شديداً، لكنها لم تكن أكثر من كونها قنبلة دخانية، ولم تُصب أحداً بأذى.

ومع ذلك فإن دوي الانفجار قد أربكهم، وزادت حيرتهم كثافة الدخان الذي خلفته القنبلة وتخوفوا من احتمال مهاجمة فدائيين لهم. هذا الإرباك سهّل عليَّ الهروب من مسرح الهجوم بسلام، لأنني كما اسلفت أقدمت على هذه المهمة منفردا دون أي خطة مسبقة أو تنسيق مع شخص آخر يوفر لي الحماية عند الانسحاب.

سالمين والرشاش البرن

بسبب انقطاع كل أشكال دعم الحكومة المصرية للجبهة القومية بعد تحويله لصالح جبهة التحرير، شهدت المرحلة الممتدة من يناير وحتى أكتوبر ١٩٦٦م انحساراً كبيراً في العمليات الفدائية للجبهة القومية في عدن، إلاّ من بعض العمليات التي كنا ننفذها بإمكاناتنا البسيطة أو بما نحصل عليه من وسائل التنفيذ من خلال علاقاتنا الشخصية مع رفاق الأمس في الجناح العسكري لجبهة التحرير. كان ذلك التعاون من قبلهم يرجع إلى قناعتهم بأننا وإن اختلفنا في الآراء والولاءات، إلا أننا نتفق حول القضية المقدسة المتمثلة بتحرير الوطن وإن ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلاَّ بالقوة.

وللوقوف أمام هذا التراجع في أداء القطاع الفدائي الذي فرضته تلك المرحلة بتعقيداتها دعا سالمين ومقبل وعدد من قيادات العمل الفدائي إلى اجتماع استثنائي لتقييم الوضع العام للجبهة القومية، وأبدى سالمين تخوفه على مصيرها بسبب حجز المخابرات المصرية لقيادتنا السياسية وقطع الإمدادات وانحسار الأداء الفاعل للجبهة القومية في ميادين الشرف. وتساءل الكل عما بوسعنا أن نعمله في هذه الظروف، وبعد مشاورات مستفيضة اتفقنا بأن على كل فرد منا أن يسعى للحصول على السلاح وجمع التبرعات والبحث عن المناصرين المستعدين لتقديم المال والسلاح من أفراد الشعب بصرف النظر عن انتماءاتهم الطبقية، وحددنا شهر أكتوبر ١٩٦٦م لاستكمال جاهزيتنا وتصعيد كفاحنا ضد المستعمر تزامناً مع ذكرى أكتوبر الثورة، لنثبت للعالم ولكل من راهن على تهميشنا بأن أبطال أكتوبر هم أبطال الجبهة القومية وهم من سيكتبون التاريخ.

أخبرت سالمين في نهاية اللقاء أنني أملك رشاش برن "إم. إم.جي" اشتريته مع ٥٠٠ طلقة رصاص من سوق السلاح في "نصاب -شبوة" وذلك بقيمة الأجور التي وفرتها خلال عملي في بناء منزل الضابط العسكري في الليوي عبدالله صالح دقاري، من قرية دقار في منطقة اسمها الكرة -نصاب، بالقرب من معسكر شَبَر. وشاركني في البناء حينها الأخوَان عبدالرحمن صالح حسين وعلي عبدالرحمن الطيّار. وفجأة بعد أن سمع سالمين هذا الكلام، غادرت علامات الغضب والحزن سحنته لتحل محلها بشائر الفرح وتوسعت عيناه لتكشفان حجمهما الحقيقي وضحك حتى برزت أكثر أسنانه، وقال لي مازحا:" شُو قلت يا أَدوَع؟.. عندك

مكينة برن بيافع؟! شو با تصلّح بها بيافع؟!". قلت له:" يا بن ربيع للأسف لخدمة الشيطان". فقاطعني:" إذا أحضرها وسنساعدك في توظيفها لخدمة الرحمن". وضحك وهو يواصل حديثه:"هكذا قلتها لي يوماً".

كان يلمّح بذلك إلى عبارة سمعها منّي في السابق وأنا أقص له عن مآسي الفتنة في مسقط رأسي "آل بن صلاح"، وكيف سعيت في البدء لتقديم المال للأخ المصلي ليُحقّق رغبتي في وأد فتنة الأهل تلك في مهدها، لكن بعد مرور عام تقريباً شاءت الأقدار وللأسف الشديد أن ينتصر الشر على الخير، فأنجرفت مرغماً للمشاركة فيها، وعندها ذهبت للمصلي الذي كان يملك السلاح والذخيرة، فقلت له:"لقد سلمتك المال يوماً لتساعدني على خدمة الرحمن، لكن اليوم عليك أن تسلمني مقابله الذخيرة حتى نخدم الشيطان".

وكما أسلفت كان لخبر امتلاكي لمكينة برن واستعدادي لتقديمها للجبهة القومية وقعاً جميلاً في نفوس كل الحاضرين، في زمن يجد المرء فيه صعوبة جداً في الحصول على سلاح أحادي الطلقات، وفي لحظات يسود فيها الشعور بأن مصادر التموين تتوقف أو تكاد. وطلب سالمين أن استعجل في إحضارها أولاً إلى أبين، ثم طلب مني أن ابلغه حال وصولنا مع البرن إلى أبين، لكي يساعدنا في عمل الترتيبات اللازمة لإيصالها إلى عدن واخفائها.

بالفعل سافرت أولاً إلى أبين، ثم إلى يافع، وهناك أخبرت أبناء منطقتي بآخر التطورات التي أعقبت الدمج القسري، والظروف الصعبة التي تمر بها الجبهة القومية وحاجتها للدعم بالرجال والمال والسلاح. أخبرت أخي قاسم وابناء عمومتي بأنه وبسبب حاجة الجبهة القومية لإثبات ريادتنا على أرض عدن في تنفيذ العمليات الفدائية، فأنني قد وعدت أن أُقدِّم مكينة "البرن" التي أملكها لصالح الجبهة القومية، وأن عليهم مساعدتي في نقلها وحمايتها حتى نصل إلى أبين، ثم إلى عدن، ونصحتهم أيضاً في أن لا يترددوا في دعم الجبهة القومية بمكينة البرن الثانية "شيكي أبو صحن" التي كنا نمتلكها أنا وأولاد عمي أهل خضر. وفعلا قام ابن عمي سالم محمد وأخي قاسم بتسليمها في وقت لاحق للأخ فضل محسن عبدالله.

تم نقل مكينة البرن مع ٥٠٠ طلقة رصاص خاصة بها إلى باتيس، على ظهور حَمِير كان يمتلكها ويؤجرها الأخ حسين سعيد المصلي، الذي يسكن باتيس. وكنا أنا وأخي قاسم وابن عمي سالم محمد خضر مع اسلحتنا الشخصية نرافق تلك الحمولة سيراً على الأقدام، ونؤمن لها الحماية على طول الطريق، فعبرنا سُلب

حُمّة، ثم يرامس، ثم حبيل البرق، حتى حططنا الرحال في باتيس. وهناك لجأنا لشراء كمية من أعلاف الحشيش اليابسة، تكفي لحمولة سيارة، ففككنا أجزاء من مكونات البرن وأخفيناها جيداً في وسط حُزمتين "بُندتين" من الأعلاف.

بقي علينا أن نبحث عن صاحب سيارة موثوق، فأشعرت الأخ صالح محسن البصيري، وكان من القطاع الفدائي للجبهة القومية، بسر تلك الحمولة، وطلبت مساعدته لنا للحصول على السيارة المناسبة، وكذا في رص الحشيش، بحكم خبرته وتجربته، لأنه يعمل حينها مع العوادي الذي يملك سيارة حمول مخصصة لنقل الأعلاف إلى سوق الحشيش والأعلاف في عدن الواقع على هضبة بين حافة الفرس وحافة العيدروس بمحاذات مركز شرطة عدن.

من بين سائقي الأعلاف، كان هناك الأخوان صالح العودي ومحمد بن مقبل وهما من أقرباء الأخ حسين عبدالحبيب علي المنصوري، لهذا تولى حسين عبدالحبيب وصالح البصيري مرافقة الحمولة، وأنا وأخي قاسم وسالم محمد خضر نتتبعهم بسيارة أجرة أخرى، حتى نطمئن على عبورهم نقاط التفتيش.

بعد اجتياز نقطة العلم أسرعنا إلى الشيخ عثمان لأبشِّر سالمين بوصول الحمولة بسلام، بعدها رافقنا إلى عدن، ودخل سالمين معسكر عشرين "آرم بوليس سابقاً"، ثم خرج منه برفقة المُقبلي وعبدالرحمن خليفة، وهما ضابطان في البوليس المسلح، لكنهما أيضاً من نشطاء الجبهة القومية، وكان برفقتهما جنديان لا أعرفهما. أخبرناهم بكل التفاصيل عن السيارة والحمولة ومُوقع البُنَد التي بداخلها البرن والذخيرة. تحركوا إلى موقع السيارة في سوق الأعلاف، وقاموا بحملة اعتقال لكل بائعي الأعلاف، وطلبوا مغادرة الجميع حتي يتم إخلاء السوق وتفتيش الحمولة، ثم اخذوا البُند المطلوبة إلى سيارة الشرطة حتى يضمنوا نقلها وتوصيلها إلى المكان المقرر إخفائها فيه دون تعرضها لأي تفتيش. وبعد مرور ساعة على ذلك تم الإفراج عن المحتجزين من بائعي الأعلاف. عدت بعدها إلى أبين، فيما عاد أخي قاسم وسالم محمد خضر إلى يافع. ولاحقاً استخدم الفدائيون هذا البرن في عدة عمليات كان آخرها ضرب المطار واللواء السادس، أي أنها وُظّفت وبحق لخدمة الرحمن.

فرحة الحصول على مسدس جديد

في إحدى الأمسيات من عام ١٩٦٦م زرت الأخ حسين عبد أحمد الصلاحي، في منزله، بمدينة جعار، كانت تربطني فيه علاقة حميمة، عمّقها الأصل الواحد والمهنة الواحدة، فقد كان هو الآخر بَنَّاءاً ماهراً ومقاول بناء معروفاً في منطقة أبين. كانت لقاءاتنا شبه دائمة، لا تنقطع، اثناء فترة بقائي وعملي في أبين. لكن ما ذكّرني بتلك الأمسية أنه أبهرني بحيازته لمسدس جديد، كبير الحجم، يحمل ١٤ طلقة، وأبلغني أنه يرغب في بيع هذا المسدس، ولكنه يخاف من عرضه على الناس لعدم امتلاكه رخصة حيازة هذا السلاح.

طلبت منه أن يسلمني المسدس مع كمية الذخيرة وسأتولّى عرضه وبيعه، فسلمني إياه، وأوصاني بتوقي الحذر عندما أتنقل به أو عند عرضه للبيع، لأنه في حالة تم القبض عليّ من قبل الشرطة سأُتَّهَم بأني من فدائيي الجبهة القومية أو جبهة التحرير، وسأتعرض للسجن والتعذيب. وكان بذلك يذكرني بحادث مماثل سبق أن تعرض له هو شخصيا، وروى تفاصيل قصة اتفاقه مع أحد رجال الأمن من أهل فضل بأن يبيعه قنابل ومسدسات. وفي أحد الأيام أبلغه رجل الأمن بأنه سيبيعه قنبلة، ويبدو أن الأمور كانت تسير بتخطيط من رجال الأمن، لهذا تم القبض عليه ومعه القنبلة في الشيخ عثمان، وحُكم عليه بالسجن، ومكث فيه ما يقارب ستة أشهر، تدخل بعدها السلطان ناصر عبدالله الفضلي والسلطان أحمد عبدالله الفضلي لإطلاق سراحه، بسبب علاقته الطيبة بهما، ولمعرفتهما الجيدة بأنه رجل مسالم فأخلي سبيله.

أخذت معي المسدس واتجهت إلى منطقة خالية، وهناك رميت ثلاث طلقات به، لأختبر جاهزيته ودقته في التصويب وصلاحية الذخيرة، حتى لا يخذلني أو يخذل غيري عند تنفيذ أي عملية فدائية ضد الانجليز في عدن.

كان فرحي بحصولي على هذا المسدس لا يوصف، وقلت في نفسي: سأدخل به عدن لأخبر قيادة العمل الفدائي بأنني جاهز مع سلاحي لتنفيذ أي عملية فدائية، وأكون بذلك قد وفّرت عليهم متاعب وتكاليف البحث عن السلاح. هذا الفرح الغامر إنساني حتى مجرد التفكير بمخاطر إدخاله إلى عدن. عدت إلى مدينة جعار، وفي محطة سيارات الأجرة "فرزة عدن" ركبت في المقعد الأمامي بجانب السائق، الذي كان مالكها أيضا، واسمه أحمد علي بن علوان، من لبعوس - يافع، وكان عمله يقتصر على نقل الركاب من جعار إلى الشيخ عثمان والعكس. بقي

حوالي ميل واحد يفصلنا عن أول نقطة تفتيش، يتمركز فيها عساكر أهل فضل، وينصحون الركاب بأن يتركوا أي سلاح في هذه النقطة مقابل وصل أمانة، وعند العودة يتم تسليمهم السلاح المرخص، أما غيره فيكون عرضة للتفتيش.

أوقف السائق بن علوان السيارة فجأة على جانب الطريق، قبل بلوغ النقطة، متعذراً بأن حرارة السيارة قد ارتفعت وتحتاج للتبريد، وطلب من الركاب النزول من السيارة للاستراحة. أخذني جانباً وقال لي:" لماذا تخاطر بحمل السلاح، أعرف بأن وراء هذه المجازفة أمر هام جداً، لكن ألا تدري بأن أمامنا نقطتين للتفتيش، وأنهم لا محالة سيكتشفون أمر هذا المسدس، الذي اكتشفت وجوده معك بكل سهولة ويسر من النظرة الأولى، فحجمه الكبير مقارنة بجسمك النحيل، يجعل اكتشافه عن بعد أمراً سهلاً". ثم طلب مني أن اسلمه هذا المسدس وسيتولى بطريقته أمر إخفائه في بطن كرسي السيارة، على أن يسلمني إياه في منطقة الشيخ عثمان. شعرت بصحة كلامه وبرغبته الصادقة في مساعدتي في إدخال المسدس دون مشاكل.

اجتزنا النقطة الأولى دون تفتيش حقيقي، لكن ما أن وصلنا نقطة الانجليز، حتى طلبوا منا النزول جميعاً من السيارة، وأمرونا بالدخول إلى إحدى الخيم المخصصة لتفتيش الركاب، فيما يتولون في نفس الوقت مهمة تفتيش السيارة. كنت أختلس النظر من الخيمة على كيفية تفتيش السيارة، والقلق يسيطر على كياني، من انكشاف أمر المسدس، والخوف مما قد يتعرض له هذا الإنسان الطيب بسبب تعاونه معي ومحاولته تجنيبي مشاكل كبيرة. فتشوا السيارة بدقة.. الكراسي الأمية.. وفتحوا غطاء المكينة، وقلبوا حقيبة مفكات السيارة، لكنهم لم يجدوا شيئاً، فحمدت الله كثيرا.

واصلنا السفر حتى توقفنا في محطة أبين في الشيخ عثمان، وكانت ملتقى لبعض قيادات الجبهة القومية، لكن لم أجد أحدا منهم حينها هناك، فعرض عليّ السائق استعداده لنقلي إلى أي مكان أريده. فطلبت منه أن يوصلني إلى أمام مشرب الحمادي، وهناك سلمني المسدس، ودعا الله أن يحفظني، فشكرته وقلت له بأنني لن أنسى له هذا الجميل ما حييت.

كان مشرب الحمادي، ملتقى للفدائيين، وبجواره مركز للقيادة. بقيت منتظرا في المشرب حوالي ساعة، حتى جاء سالمين وأخبرته بقصة حصولي على المسدس، وشهامة وذكاء السائق في إخفائه، ومجازفته في إيصاله، وابديت جاهزيتي أنا

ومسدسي لتنفيذ أي عملية، مؤكداً أنني قد جريت استخدامه في جعار. أخذ المسدس فرحا، فقال لي: " شكرا يا صالح، كفيت ووفيت، وحجم هذا المسدس يليق بي، وهذا ما كان ينقصني بحق وقد وفرته وأريد استخدامه في عملية سأشارك فيها، وحتما سنحتاجك في الأيام القادمة".

بعد الدمج القسري، وبسبب الحاجة الماسة للسلاح أبلغ الأخ حسين ناصر عُمير الأخ سالمين عن وجود متجر مرخص لبيع السلاح في مدينة شقره يملكه محمد أحمد بن علوان، أخو السائق الشهم علي أحمد بن علوان، وأغلب مبيعاته كانت مسدسات وذخائر مختلفة. وكانت الجبهة القومية حينها لا تملك المال لشراء السلاح، لهذا قرر سالمين ومجموعة من الفدائيين الاستيلاء على السلاح في ذلك المتجر. وتم التسليم بهدوء بسبب تطمينات سالمين لابن علوان بأنه سيعوضه في المستقبل. ورغم وجودي في جعار حينها فأنني لم أعرف عن هذا الأمر، إلاّ من سالمين نفسه عندما أخبرني أنه تعمد إعفائي من هذه المهمة بسبب أن المالك من منطقة يافع، فضلا عن إدراكه بأنني مَدينٌ لأخيه بمساعدتي في إخفاء المسدس.

أنقضت أيام الكفاح المسلح، وتُوج النضال بالنصر، وتسلمت الجبهة القومية السلطة، ووصل رفيقي الفدائي سالمين إلى رئاسة الدولة في ٢٢ يونيو ١٩٦٩م. لكن هناك من ركب موجة الثورة وتسلق الطفرة الايدلوجية التي تنظر للمجتمع باعتباره طبقات متناحرة، فبالغوا بما أسموه التجذير الطبقي للمجتمع، فاصبحت عناصر الطبقة البرجوازية الصغيرة، حسب وصفهم، هي المتربصة بدولتنا الفتية، دولة العمال والفلاحين، وأخذوا يضيّقون عليها الخناق، وأصبحت هذه الشريحة لا تخاف على أملاكها فقط، بل وأحياناً على حياتها. والسبب أن المزايدين الأيدلوجيين ممن لا تاريخ لهم في صنع الثورة، قد فوّضوا الإرهاب الفكري للتعويض عن مركّب النقص لديهم، وأساءوا بتطرفهم للنظام وقياداته، وأمثال هؤلاء لم يعيشوا ظروف الثورة ولم يكتووا بنيران ومعمعة معارك الكفاح المسلح، ولهذا صعب عليهم فَهْم عناصر ومكونات نجاح الثورة، فصغار الملاك، ممن أطلقوا عليهم "برجوازية صغيرة" كانوا أيضاً قد دعموا الثورة بالمال والسلاح وأسهموا في حماية الفدائيين.

وذلك الإنسان الذي تحاشى أن يسالني إلى أي من الجبهات أنتمي، كان قد اقتنع بأنني إما أن أكون عضوا في الجبهة القومية أو في جبهة التحرير، إذاً لا فرق لديه بينهما، حسب وجهة نظره، فكلاهما تقاومان المستعمر ومن أجل حرية وكرامة الوطن، فشعر بأن عليه هو الآخر أن يساعد بشيء من أجل تسهيل

الوصول إلى الهدف، المتمثل بالاستقلال، على الرغم أنه في هذا المثال يمثل البرجوازية الصغيرة. وكان علينا وعلى من ركبوا موجة السلطة أن نتذكر جميعاً بأننا لم نصل إلى أهدافنا إلاّ بمساعدة من فتحوا بيوتهم لإخفاء وحماية الفدائيين، ومن نقلوا وسائل النضال من الأسلحة والمتفجرات والمنشورات بسياراتهم أو أخفوها في أحواش منازلهم.

بيد أن ما يثير الألم والحسرة إن ذلك الإنسان الذي ساعدني يوما في أصعب الظروف، وجازف بحياته وماله، حينما أخفى المسدس في داخل كرسي سيارته، قد جاءني بعد الخطوة التصحيحية شاكياً أنهم قد صادروا سيارته وكذا حرّارة كان يؤجرها في شق الطرقات، وأنه خائف مما قد ينتظره لأنهم صنفوه وعائلته بالبرجوازيين أعداء الثورة. وعلى الرغم من تطميناتي له بأن مثل تلك السلوكيات هي مجرد تصرفات فردية لا تعكس التوجه الحقيقي للثورة، وأن رئاسة الدولة وقيادة التنظيم لن توافق على مثل تلك الشطحات، وأنه وأمثاله قد ساهموا في دعم الثورة، ومع ذلك شعرت بأنه لم يتطمَّن كثيراً، حتى قابلته بعد أسبوع ومعي رسالة من الرئيس سالمين موجهة إلى محمد عمر صالح مسئول الإصلاح الزراعي حينها في يافع بتسليمه ما حجزوا عليه.

وبعد حوالي شهرين جاءني نفس الشخص أحمد بن علوان بصحبة محمد أخيه، وطلبا مني أن أرتب لهم مقابلة مع الرئيس سالمين بحضوري شخصيا معهما، لتذكيره بقصة متجر السلاح في شقره الذي كان يملكه محمد وأخوه، والذي – كما أسلفنا -هاجمه سالمين ومجموعته من الفدائيين لحاجة الثورة حينها للسلاح ووعد صاحبه بالتعويض لاحقا. وأوضحا أنه يصعب عليهما مقابلته بعد أن أصبح رئيساً، وحتى وأن سُمح لهما بمقابلته فسيكون أمر محرج بالنسبة لهما إثارة هذه المسألة أمامه وهو رئيس الدولة، وكأنما يتهمانه بأن له سوابق سطو.

من جانبي طمّنتهما بأن سالمين وإن كان قد قبل ثقة رفاقه في تكليفه بمنصب رئيس الدولة، إلا أن ذلك الجاه والسلطة والشهرة لن يغير شيئاً في سلوكياته، فالتواضع والبساطة والوفاء هي من سماته، وما دام وعدكم فلن يخلف بوعده. وقلت لهما أنه لا حرج في تذكيره بهذه الحادثة طالما أنه حين دخل على المتجر بدافع ضرورة الحصول على السلاح للثورة، قد عرّف بنفسه واسم الجبهة القومية والتزم بالتعويض في الوقت المناسب.

أخذتهما بصحبتي إلى دار الرئاسة، وطلبت من الرئيس أن أقابله لمدة عشر دقائق فقط. أذِنَ لي بالدخول مباشرة دون أي انتظار، فدخلت وصافحته أولاً، وتبعني الأخ أحمد علوان، وأخيراً محمد بن علوان. وكان معروف عن الأخ محمد بن علوان أنه عندما يعبر عن حبه واحترامه لشخص ما، يبالغ في احتضانه وعناقه إمطاره بقُبلات حارة ومتلاحقة، وهكذا عمل مع الرئيس سالمين، الذي فوجئت به يدير رأسه باتجاهي وما زال الأخ محمد ملتصقاً به، وقال لي بصوت عالٍ:" شُو يا صالح جبت لي معك عاشق". شعرت بالحرج من هذا التصرف، ومن أجلٍ تلطيف الأجواء قلت للرئيس:" يا بن رُبيّع، أنه يحاول أن يعبر عن حبه وتقديره لك منذ اقتناعه في تسليمك محتويات متجره من السلاح في شقرة، وهو يشعر الآن أنه قد خدم الجبهة القومية والوطن بفضلك". ضحك الرئيس وتذكر الحادثة، فقال: "مفهوم يا صالح"، ثم جلس في مقعده وتوجه إلى محمد قائلاً: إذاً أنت من أخذنا منه السلاح، ووعدناه بالتعويض، والآن ما عليكم سوى تقديم رسالة بقيمة إجمالي المبلغ مضافا إليه مبلغ بتعويض كل الخسائر المترتبة عن ما أخذناه من سلاح. وعلى الفور قدموا له رسالة سبق لهم تجهيزها من قبل لهذا الغرض. وفي نفس اللحظة حرر الرئيس مذكرة موجهة إلى الدائرة المالية في الرئاسة بصرف المبلغ كاملاً، مع الإشارة إلى أنه تعويضٌ لمحمد علي بن علوان عن قيمة سلاح أخذته منه الجبهة القومية أثناء الكفاح المسلح.

قيادة عملية الاستيلاء على ٢٥٠ قطعة سلاح

في بداية النصف الثاني من عام ١٩٦٧م صَعّدت الجبهة القومية، قيادة وقواعد، من عملياتها الفدائية المنظمة والهادفة لإسقاط مدينة عدن وضواحيها وتحريرها الكامل من الاستعمار البريطاني وكذا إسقاط السلطنات والمشيخات والمناطق الأخرى التي لم تسقط بعد في يد الجبهة القومية مثل حضرموت، العوالق، الواحدي، المهرة لإثبات وتأمين الدور الريادي الفعال والمتفوق على الفصائل الأخرى وفي مقدمتهم جبهة التحرير. كانت الجبهة القومية حينها قد تمكنت من إسقاط الضالع، الشعيب، المفلحي، لحج ودثينة. هذا الوضع وتلك القناعات جعلتني أبحث مثل غيري عن أي وسيلة تضمن تحقيق أهداف الجبهة وغاياتها.

كانت الجبهة القومية خلال الثلاث السنوات الماضية قد ارتفع رصيدها وشهرتها وسط الشعب، وحظيت بتأييد واسع من مختلف قطاعاته في المدن والأرياف لأنها:

أولاً: انبثقت من الشعب واعتمدت عليه في المال والسلاح، أي أنها كانت وطنية بامتياز دون أي وصاية أو مساعدات خارجية.

ثانياً: جسّدت التطلعات الحقيقية لهذا الشعب بكل طبقاته وشرائحه الاجتماعية.

ثالثاً: آمنت ومارست المبدأ القائل "إن ما أُخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة".

كان ما ينقصنا بحق، وما لا ينقص غيرنا، هو السلاح فقط، لذا كان البحث عن مصادره ومن ثم الحصول عليه بالنسبة لي هاجساً وهدفاً يومياً، وفي أحد الأيام التقيت بالأخ عبد القادر عفيفي الذي كان يشغل حينها مهام "الضابط السياسي" أيام حكومة الاتحاد، في منزله في جعار، وطلبت منه المساعدة في الحصول على السلاح، خاصة وقد سبق أن جربته من قبل بطلب كهذا وحصلت بمساعدته على صندوق قنابل وست قطع سلاح "كناد" وقاذف "آر بي جي"، موضحاً له بأن حاجة الجبهة القومية في هذه المرحلة تفوق ما كان قد ساعدنا فيه في السابق، لأننا في مرحلة قريبة جداً من زمن الحسم، ولا شيء يمكنه أن يوقف الجبهة القومية عن تحقيق النصر الأكيد، خاصة وإننا نتسابق مع الزمن، ولا غنى لنا عن مساعدته وأمثاله من العاملين في المؤسسات العسكرية والأمنية الاستعمارية، ممن عبروا عن مناصرتهم للجبهة القومية ومارسوا الدعم بشكل سري، وعند النصر ستُحسب لهم هذه الأفعال والمواقف.

أخبرني عن سر وجود "٢٥٠" قطعة سلاح نوع "عيلمان، و "كندا" في خزينة السلاح في معسكر خنفر - جعار، وهي مقدمة من المعتمد البريطاني، هديةً للسلاطين والمشايخ الممثلين في حكومة الاتحاد.. لكنهم اختلفوا حول طريقة ونسب توزيعها بينهم، لذا تم الاحتفاظ بها كاملة في الخزينة حتى ينظر لاحقاً في أمر توزيعها بنسب ترضي كل المستفيدين منها. قاطعته قائلاً :"إذاً ماذا تنتظر؟.. اكتب لي رسالة إلى قيادة المعسكر بأن يصرف لنا هذا السلاح". ضحك العفيفي وقال:" من أكون حتى أصرف وديعة سلاح ليست تحت تصرفي ولا حتى من أمر بإيداعها ولست المسئول عنها، إضافة إلى أنها باسم السلاطين والمشايخ، وأنت لا سلطان ولا شيخ". أوضحت له بأنني أعرف ذلك،لكنني أريد استخدام الرسالة كوسيلة وحجة فقط للدخول إلى المعسكر لمقابلة القيادة بسهولة ودون أي اعتراض لنا، أنا ومن معي، وهناك سندخل عليهم بأسلحتنا وسنعلنها صراحة أنه لا نجاة لهم ولنا إلاّ بتسليمنا السلاح، وعندها لعلهم يجدوا في هذه الرسالة المخرج لهم من

هذه المحنة، فيسلمونا السلاح ويجنبونا ويجنبون أنفسهم الاقتتال. وأكدت له بأنه بكتابة هذه الرسالة وتوقيعها يكون قد قدم خدمة كبيرة للجبهة القومية تضاف إلى رصيده السابق ومواقفه العملية لنصرة خيارات الجبهة القومية، وأن حصولنا على هذا الكم من السلاح سيسهل علينا إسقاط عدن وكذا المناطق الأخرى لأن الحصول على"٢٥٠" قطعة سلاح معناه إضافة "٢٥٠" فدائياً مسلحاً، لاسيما أن البشر جاهزون، لكن ينقصهم السلاح، ولا شك إننا بهذا الكم من السلاح سنحرق الأرض تحت أقدام أعداء الله وأعداء الوطن.. هكذا كنت أؤمن وهكذا حدثته. وذكرته مرة أخرى بالرسالة السابقة التي كتبها لنا وتمكنا بواسطتها من الحصول على السلاح، وما عليه إلا أن يكتب الأمر هذه المرة وسيتكفل بالباقي فدائيو الجبهة القومية.

أمسك بالقلم وكتب رسالة إلى الأخوة قيادة معسكر شبر والليوي في معسكر خنفر فحواها اصرفوا للأخ صالح فاضل سلاح السلاطين والمشايخ الموجودة لديكم في خزينة السلاح والمقدرة بـ"٢٥٠" قطعة سلاح، ثم وقعها وقرأها لي.. وبعد أن سلمها لي، وبلهجة لا تخلو من التعاطف ولفت الاهتمام قال:" صحيح لقد كتبت لك في الماضي رسالة لعاقل دثينة، وحينها كنت أعرف بأنه إذا واجهت صعوبة أو مقاومة ستكون مع شخص أو أشخاص، أي أنها ستكون مواجهة شبه متكافئة، لكن هذه المرة عليكم أنت وأصحابك أن تحسبوها جيداً فستواجهون أفراد الجيش والأمن المدربين وأعدادهم كثيرة وعتادهم متطور، ولا أريد لكم، أنت ورجال الجبهة، أن تلقون بأنفسكم إلى التهلكة، وأخشى أن أكون بنزولي عند رغبتك هذه، وكتابتي لهذه الرسالة، قد سهلت حتفكم، وبالتالي لن تكون قيادة الجبهة القومية راضية عن تصرفي هذا، ولا قيادة الجيش والأمن".

أخذت الرسالة من عبدالقادر العفيفي وقلت له وأنا أودعه: إذا نجحنا فلن أنسى لك هذا الجميل وإن استشهدت في المعسكر وتعرضت أنت بعدها لأي مساءلة بإمكانك أن تخبرهم بأننا حصلنا منك على هذا الرسالة تحت التهديد، وأنا أضمن لك بأنهم سيصدقونك. أجاب مازحاً: لا تعطيني ضمانات بعد موتك، لكن أي ضمانات مطلوبة منكم إذا حماكم الله وكتب لكم السلامة. ودعته شاكرا له هذا الصنيع.

أول عمل قمت به في ذلك المساء اللقاء برفيقي الدائم في أبين حسين عبد الحبيب "شعيفان" فأبلغته بذلك الخبر السار الذي وصفه بالاكتشاف العظيم. كان كعادته جاهزاً لتنفيذ أي عمل يخدم تطلعات وأهداف الجبهة القومية

التحررية، لم أجد أي صعوبة في إقناعه، واتفقنا على أن نكتفي بالتشاور فقط مع أعضاء القطاع الفدائي وأعضاء الجبهة القومية الذي نعرف بأن عندهم القدرة والقناعة في تنفيذ خطة اقتحام المعسكر دون أن نبلغ القيادة العامة، باعتبار أن موقع المعسكر يقع في الحدود الجغرافية لمسئولياتنا في القطاع الفدائي. كنا نتخوف إذا ما بلغنا القيادة أن ترفض فكرة مهاجمة المعسكر، وإن وافقت فسيكون بعد طول انتظار، وحينها يكون قد تم توزيع السلاح للسلاطين والمشايخ، كانت فرحتنا كبيرة باكتشاف سر وجود هذا الكم من السلاح في منطقة كثر فيها المناصرون للجبهة القومية.

التقينا فيما بعد بأفراد وجماعات نتشاور وننسق ونرسم الخطط التي ستمكننا من تحقيق ذلك الهدف بأقل التكاليف والخسائر المادية والبشرية، لأن الهدف هو الحصول على السلاح وليس حصد أرواح الناس، لأننا على يقين أن كل أفراد المعسكر هم أخوتنا في الدين والعروبة، وبعد ذلك تم الاتفاق على ما يلي:

أولاً: بغية تجنب الصدام المسلح مع أفراد المعسكر علينا أن نطلب مشاركة العسكريين الذي خبرنا عنهم المناصرة الحقيقية للجبهة القومية من الضباط والجنود داخل المعسكر، ويكون دورهم محاولة ترتيب حراسة بوابة المعسكر من العناصر المتعاطفة مع الشعب وخيارات الجبهة القومية أو العناصر غير الصدامية، حتى نتجنب أي مواجهة أو إعاقة لحظة دخلونا المعسكر، وعليهم الإيحاء لنا عن أماكن مكاتب القيادة ومحل تواجدهم في لحظة الهجوم حتى نتمكن نحن من حجز القيادة في مكتب واحد لإحكام سيطرتنا عليهم وعزلهم عن بقية أفراد المعسكر، وعليهم أيضاً تهدئة أفراد المعسكر تحت شعار ضبط النفس بحجة سلامة القيادة المحتجزين، وفي ذات الوقت يدلونا على مكان خزينة السلاح.

ثانياً: لضمان سرية العملية علينا أن نطلب من العناصر غير الفدائية من المدرسين، الطلاب، العمال، الفلاحين وصغار التجار من أعضاء الجبهة القومية أو المناصرين لها أن يساعدونا في تجهيز مسيرة شعبية يحشدون فيها كل مكونات المجتمع تبدأ بالتجمّع في شوارع جعار وتتجه إلى المعسكر، على أن يرفعوا ويرددوا شعارات ضد الاستعمار والمظاهر الاستعمارية ويطالبون صراحة قيادة المعسكر بصرف سلاح المشايخ والسلاطين للجبهة القومية.. ويكون على كل المسلحين من فدائيي الجبهة القومية حماية المسيرة حتى الوصول إلى بوابة المعسكر، وهناك ينفصل الفدائيون المكلفون باقتحام المعسكر، ويبقى الجزء الآخر لمواصلة حماية

تلك المسيرة، وأن تظل المسيرة حاشدة وصاخبة ولا يغادر المشاركون فيها إلا بعد أن نخرج بالسلاح، أو في حالة سماعهم طلقات نارية تنذر بالاشتباك داخل المعسكر فسلامتهم هي الأهم.

وبسبب زيادة أعداد المتطوعين الوافدين لحمل السلاح اضطررت ان أستعير عدداً من الاسلحة "كناد وعليمان" من الأخ عوض عبد الصمد الذي كان يملك متجر ومعمل خراطة في مدينة جعار، وتعاون معنا.

وهنا تلزمني الأمانة التاريخية أن أوثق ما أسعفتني به الذاكرة من أسماء العناصر الفاعلة ممن شاركوا في اقتحام المعسكر أو من حرض أو قاد المسيرة السلمية الشعبية أو من حموا المسيرة، وأطلب المعذرة ممن خانتني الذاكرة ولم تسعفني في تذكر أسماءهم :

م	الاسم	العمل	العنوان
١	حسين عبد الحبيب على	فدائى	يافع آل منصور
٢	خضر ملحوس الفضلى	فدائى	أبين آل فضل
٣	عبد الله عبد الرحمن اليزيدي	فدائى	يافع آل يزيدي
٤	محمود سبعة	فدائى	يافع حمومة
٥	محمد عبد الله الحدي	فدائي	يافع لبعوس المغراء
٦	سالم على الفضلى	فدائى	أبين آل فضل
٧	عبد الله أمدويع "منزله أمام المعسكر – كلف بحمايتنا بمكينة برن من منزله في حال تفجر الوضع "	فدائي	أبين جعار
٨	قاسم على السلفى	فدائى	يافع آل سلفة
٩	الشيخ يحيى عبد الله قحطان "مسئول تنظيمي شيخ وعلامة دين"	ساعد وشارك في تنظيم المسيرة	يافع الجربة
١٠	ناصر عبد القوي السلفى	فدائى	يافع آل سلفة
١١	فضل حسين "سائق مع علي عاطف الكلدي".	شارك مع المسلحين	يافع رصد

١٢	نصر بن نصر بن سبعه "عضو جبهة التحرير"	شارك مع المسلحين	يافع رصد
١٣	الخضر أبو ست اصبع	فدائى	أبين دثينة
١٤	على سالم الناخبى	فدائى	يافع ذي ناخب
١٥	عوض محمد الهرم "عضو جبهة قومية"	شارك في المسيرة	يافع المحجبة
١٦	زيد أحمد سليمان	فدائى	يافع آل سعد
١٧	قاسم محمد المنصوري	عامل في دلتا ابين	يافع آل منصور
١٨	الشيخ المنصب"شيخ جعار"	شارك في تنظيم المسيرة	أبين جعار
١٩	محمد قاسم على	فدائى	يافع آل بن صلاح
٢٠	فاضل صالح المعزوب	فدائى	يافع آل بن صلاح
٢١	الحاج ناجى عوض	فدائى	يافع آل بن صلاح
٢٢	صالح النينو	قائد سياسى	أبين الدرجاج
٢٣	عبد الغفور "مسئول اداري في الدلتا"	مشارك في المسيرة	دلتا أبين
٢٤	سعيد صالح بن يرمك "أبو عريم" من القطاع الفدائى في عدن	مشارك في المسيرة	أبين الدرجاج
٢٥	قاسم عبد الرب السلفى	طالب	يافع آل سلفة
٢٦	عبد الله عوض طاهر	طالب	عديوة
٢٧	عبد الرب على السلفى	طالب	يافع آل سلفة
٢٨	سعيد الزبيدي	طالب	جعار
٢٩	الوالى	طالب	جعار
٣٠	عبد الباري الفضلى	فدائى	أبين آل فضل
٣١	حمزة الفضلى	فدائى	أبين آل فضل

٣٢	عوض حسين السلفى	فدائى	يافع آل سلفة
٣٣	أحمد عبد الله السقاف"تاجر"	شـــــارك في المسيرة	يافع آل منصور
٣٤	علي محسن المنصوري "تاجر"	شـــــارك في المسيرة	يافع آل منصور
٣٥	صالح محسن البصيري	فدائى	يافع
٣٦	أحمد سعيد	شـــــارك في المسيرة	يافع رصد
٣٧	علي سعيد"طالب"	شـــــارك في المسيرة	أبين -جعار
٣٨	صلاح بن سعد "تاجر"	مشـــــارك في المسيرة	يافع أهل منصور
٣٩	عبدالرحمن العوادي "تاجر"	مشـــــارك في المسيره	العوادي يافع
٤٠	حسين محمد الحاج "عامل بِنَاء"	مشـــــارك في المسيره	الديوان يافع
٤١	عبدالإله محمد الحاج"عامل بِنَاء"	مشـــــارك في المسيرة	الديوان يافع
٤٢	عبدالرحمن صالح حسين "عامل بِنَاء"	مشـــــارك في المسيرة	السحله - ال بن صلاح

كان هناك تجاوب منقطع النظير في مشاركة الطلاب والمدرسين وكافة قطاعات الشعب في هذه المسيرة. رافقتنا المسيرة حتى الوصول إلى بوابة المعسكر، ثم انفصلنا عنهم مندفعين دون أي إعاقة من حراسة البوابة باتجاه بنايات المعسكر، وهناك توزعنا إلى ثلاث فرق.

الفرقة الأولى: مهمتها مفاجأة وحجز قيادة المعسكر وصادف ان كانوا مجتمعين في المكتب الرئيسي مما سهل علينا أن نفرض عليهم تسليمنا السلاح، وكانت هذه الفرقة بقيادتي ونائبي حسين عبد الحبيب.

الفرقة الثانية: مهمتها الاتجاه إلى مخزن السلاح لينتظروا أوامر القيادة باستلام السلاح أو أوامرنا بكسر المخزن.

الفرقة الثالثة : مهمتها التمركز في المدخل لتأمين الحماية لنا وللفرقة الثانية من أي هجوم من أفراد المعسكر.

كانت مفاجأة دخولنا إلى مكتب اجتماع القيادة مع أسلحتنا التي كانت عبارة عن بندقيات "كندا، عيلمان قنابل، مسدسات وواحد نصف آلي، وقطعة سلاح إف. إن "يحملها الفدائي عبد الباري "، قد أربكتهم ظانين أن هدفنا هو القضاء عليهم، وفي ذات اللحظة لا يعرفون ماذا حل بالمعسكر، وسرعان ما قطعت حيرتهم وأخبرتهم بأننا دخلنا على هذا النحو حتى نضمن تحقيق مطلب الشعب في تسليم الجبهة القومية سلاح المشايخ والسلاطين ونحن هنا نمثل تلك الجبهة التي من أجلها طوق الشعب معسكركم، ولن نخرج حتى يستلم من هم أمام مخزن السلاح من أفراد فرقتنا كامل السلاح.

قالوا لنا إننا باقتحامنا للمعسكر والدخول عليهم بأسلحتنا، قد انتهكنا الاتفاق بين قيادة الجبهة القومية وقيادة شبر والليوي وضربنا عرض الحائط بإرادة ورغبات قيادتنا وقيادتهم، وحذرونا بأننا مطوقون بمعسكر كامل وإننا بعملنا هذا نعرِّض أنفسنا للانتحار. عندها قدمت لهم رسالة العفيفي، محاولاً إقناعهم بأنه أفضل خيار لسلامتنا وسلامتهم أن يعتمدوا هذه الرسالة. قالوا: لن نستطيع قبول تلك الرسالة، لأننا لم نستلم السلاح من العفيفي، لكن أعطونا الفرصة لنرسل برقية نبلغ فيها قيادتنا في عدن عن وضعنا وعن طلبكم حتى يساعدونا في اتخاذ قرار كبير كهذا. وافقنا على هذا بشرط أن يكون الرد سريعاً لأننا لم ندخل لنتفاوض، وإنما للحصول على السلاح، مع حرصنا على عدم إراقة أي قطرة دم.

كان المعسكر في حالة استنفار قصوى وتوتر شديد ينذر بالانفجار، بيد أن احتجاز القيادة قد جعل بقية الأفراد والضباط منفصلين عن قيادتهم، ولهذا لعب أعضاء ومناصرو الجبهة القومية من الضباط والجنود دوراً في تهدئة الأجواء وإقناع العناصر الصدامية بأن يحكموا العقل من أجل سلامة القيادة وسلامة الجميع حتى وإن اضطروا لتسليمنا السلاح.

ما إن استلمت قيادة شبر والليوي البرقيات حتى قاموا بالاتصال بقيادة الجبهة القومية محذرين من أن هذا العمل وما يترتب عليه من نتائج سيخلق أزمة ثقة حقيقية بينهما.. وكان أول رد استلمناه على برقية قيادة المعسكر من قيادة "شَبَر" و"الليوي" يفيد أن قيادة الجبهة القومية تستنكر هذا العمل وأن علينا وبأمر من قيادة الجبهة القومية أن نطلق فوراً المحتجزين والخروج من المعسكر. شعرنا نحن

بأن هذا الرد مزيفٌ ومن صنع قيادتهم، والغرض منه كسب الوقت وضمان انسحابنا بدون سلاح، ولهذا رفضناه، مؤكدين لهم إننا لم نستلم قط أوامر قيادتنا في الجبهة عبر قيادات المؤسسات العسكرية الاستعمارية، وطلبناهم أن يبلغوهم برقياً بهذا، وأنه لا يوجد لدينا مزيد من الوقت للمفاوضات، فنحن من سيعطي الأمر بكسر الخزينة وأخذ السلاح، ونحن جاهزون لتحمل نتائج عملنا هذا. وأوضحنا لقيادة المعسكر بأن أسوأ النتائج إننا سَنُدفن جميعنا في المعسكر، لكن نحن من سيذكرنا التاريخ بأننا شهداء من أجل تحرير الوطن والإنسان من الاستعمار الأجنبي، أما أنتم فستُذكرون بأنكم من حماة هذا الاستعمار.

كان الرد الثاني من قيادتهم برقياً أن على الجميع من الطرفين الالتزام بضبط النفس وأنهم اتفقوا مع بعض من أفراد القيادة العامة للجبهة القومية للوصول إلينا. أعقب ذلك اتصال مباشر من الصدّيق عبر جهاز ٩٠٦ الموجود في مكتب القيادة طمأن قيادة المعسكر بأنهم في الطريق إليهم، ثم طلب التحدث معي، وكان يعرف عني كثيراً، كما قال، من أخيه الملقب بـ"الجُفّة" فطلب مني التريث حتى يحضروا جميعاً، وأكد أن كل ما استلمناه من برقيات كان صحيحاً، وأنهم فعلاً على اتصال بقيادة الجبهة القومية، وأكد نفس كلامه أيضا محمد سعيد بن شنطور اليافعي الذي كان بجانبه ونصحنا هو الآخر بالتهدئة وضبط النفس حتى وصول القيادة واللقاء بنا في نفس المعسكر والمكتب.

وَضَعني تأكيد الصّديق بأنهم على اتصال حقيقي بقيادتنا في دوامة من الأفكار المتزاحمة والمضطربة في رأسي، كنت أفكر في كيفية التعامل فيما إذا طلبَ منّا أعضاء قيادتنا القادمين الانسحاب دون السلاح والعودة من حيث أتينا، بل إنهم قد يعرضونا للمساءلة، وكيف لنا أن نقوم بعمل كهذا دون إبلاغهم، لقد أزعجتني تلك البرقية اللعينة كثيراً، فهل سنخرج أمام المتظاهرين مُطأطئ الرؤوس.. كل ذلك كان بالنسبة لي غير مقبول، بل ولا يمكن أن يقبله أحد من المشاركين في إنجاح هذا المخطط، من أصغر متظاهر خرج إلى الشارع بقناعة رافعاً ومردداً الطلب في تسليم السلاح للجبهة القومية إلى الفدائي الذي استعد أن يقدم حياته لتحقيق تلك الغاية والهدف، إذا فالدور يقع علينا نحن في المكتب، وأي فشل أو تخاذل سيكون بسببنا نحن لا غيرنا، فالمشاركون في المسيرة من مدرسين وطلاب وتجار وعمال وفلاحين قد قاموا بدورهم على أكمل وجه، والمكلفون بحماية المسيرة وتأمين سلامة الناس كانوا قد أتقنوا دورهم. والضباط وصف الضباط والجنود، أعضاء ومناصرو الجبهة القومية قد أمنّوا لنا الدخول إلى المعسكر وحددوا أماكن

تواجد القيادة وموقع الخزينة وعملوا ما في وسعهم لتلطيف وتهدئة الأجواء حقناً للدماء، ولم يتبق أمامنا إلا المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الحسم ونحن المسئولين عن تنفيذها وليس غيرنا.

في ظل تزاحم هذه الأفكار، اقتنعت بأن التراجع أو التردد في الأمور وسط هذا الزخم الثوري لن يجدي نفعاً، وأن أي قرار غير الحصول على السلاح سيكون عبارة عن دبلوماسية ناعمة وخاسرة في لحظة حسم فيها الشعب خياراته وعبر عن موقفه، وأثبت مناصرونا وسط المعسكر ولائهم وثباتهم، ولا يفصلنا عن خزينة السلاح إلا بضعة أمتار. وكنت أسأل نفسي مراراً فيما إذا أصرت القيادة على رأي الانسحاب، هل سنبرر لكل من يسألنا من المشاركين بأن القيادة قد خذلتنا، وكنت أرى ذلك "عذراً أقبح من ذنب" لأننا خططنا وحسمنا خيارتنا دون الرجوع أو التشاور مع القيادة في عدن، ووعدنا الكل بأننا سنحتمل نتائج عملنا هذا وبأننا أهل لهذه المهمة.

على المستوى الشخصي، وبحكم أنني صاحب الفكرة وقائد تلك العملية وأقنعت الآخرين بتبنيها والسعي لتنفيذها، أيقنت أن القبول بالخروج دون السلاح يعد "فسالة" وهزيمة، بل وخذلان لكل من ساهم بدوره في هذا الحدث واستعد أن يُضحي بروحه من أجل تحقيق هذا الهدف، ولهذا وحتى إذا ما أن أتوا إلينا فلن يكون خيارنا ألاَّ الخروج بالسلاح، وهو الموقف الذي يشاطرني فيه جميع زملائي الفدائيين ولديهم نفس درجة الإصرار والتصميم في أن نكمل ما بدأناه مهما كان الثمن.

بعد حوالي ثلاث ساعات من الانتظار ومن الهواجس والتوتر بدأ توافد القيادات إلينا من الطرفين، وهنا أتذكر منهم:

(١) من القيادات العسكرية لشبر الليوي:

محمد سعيد شنظور -عبد الله صالح سبعة -الصديق أحمد -علي عبدالله الميسري.

(٢) من قيادة الجبهة القومية وعناصرها الفعالة:

قحطان محمد الشعبي -سالم ربيع علي -علي صالح عباد مقبل -عبدالملك إسماعيل -عبدالله الخامري

أبدت القيادة العسكرية عدم رضاها، بل وغضبها على ما أقدمنا عليه من اقتحام المعسكر وحجز القيادة من أجل الحصول على السلاح، بدون وجه حق وأن علينا

الانسحاب وأن نخضع أمر السلاح للتفاوض. لكن نحن الفدائيين قطعنا على الكل بأننا لم ندخل هنا لنخرج بدون السلاح.

أمام إصرارنا بادر كل من سالمين، القائد العسكري للجبهة القومية، ومقبل المسئول التنظيمي للجبهة القومية فرع القوات المسلحة وله تأثيره وسط القيادات العسكرية، بطرحهما أن الشعب يطالب بصرف السلاح للجبهة القومية وليس للسلاطين والمشايخ، وأن اقتحام المعسكر من قبل فدائيي الجبهة القومية جاء بطلب وضغط شعبي. ظل الحوار يسير فيما نحن مصرين على موقفنا. وأخيراً رأوا أن الحل الأسلم لتجنب الاقتتال هو صرف السلاح. لكن القادة العسكريين تحججوا بأن مفاتيح خزنة السلاح المودوعة فيها الـ" ٢٥٠ قطعة" ليس معهم، وإنمّا مع الضابط السياسي وسيرسلون في طلبه. لكننا أصرينا على كسر الأقفال مباشرة حتى نتأكد من وجود كامل قطع الأسلحة ومن ثم تسليمها بوجود القيادتين.

على الرغم من حصول الجبهة القومية على هذا الكم من السلاح، الذي استخدم في إسقاط بعض المناطق والأهم عدن، شبوة وحضرموت، إلا أن هناك من أعضاء القيادة العامة من انتقد بشدة أسلوب وطريقة هذه العملية التي تم فيها الحصول على السلاح، واعتبروها غير سليمة وفيها الكثير من المجازفة والتهور، بل عدّوها تمرداً وتهميشاً لدور القيادة، وأي مباركة لها أو إشادة بمنفذيها سيدفع آخرين لتنفيذ عمليات مماثلة دون الرجوع للقيادة. وهكذا، وحتى لا تتكرر أي عمليات كبيرة دون إشراك القيادة، أُقر بالإضافة إلى عبدالملك إسماعيل تكليف علي صالح عباد مقبل ممثلاً عن القيادة العامة في أبين بالإضافة إلى مهمته في القوات المسلحة كمسئول تنظيمي.

شخصياً عبرت للأخ سالمين عن استيائي من محاولة عقلنة الثورة وهي في أوج اشتعالها، مؤكداً على ضرورة وأهمية إعطاء قيادات العمل الفدائي الميدانية في المدن والمناطق خارج عدن حيزاً من حرية الحركة واتخاذ القرار ليقوموا بدورهم في المبادرة والحسم السريع حين يتطلب الأمر ذلك، لأن ربط كل شاردة وواردة بموافقة القيادة العامة في عدن فيه تقييد وتحجيم لقيادة القطاع الفدائي في المدن خارج عدن، ويُهِزّ شعور الثقة بالقدرة على القيادة والإبداع لمواجهة أي تطورات مفاجئة تتطلب الحسم السريع والآني.

تفهم سالمين كل ما أفضيت به إليه، ثم قال لي:"إن ما قمتم به يعد حسب التصنيف العسكري والثوري عملاً ثورياً دقيقاً ومنظماً، ستسهل علينا نتائجه العظيمة تفعيل عملياتنا الفدائية. لكن كما تعرف أن من أسرار نجاح الجبهة

القومية هو وجود التوازن بين العقول القيادية العسكرية والسياسية، لهذا علينا أيضاً أن لا نهمل آراء عقولنا السياسية، فإضافة مقبل إلى عبد الملك إسماعيل لقيادة العمل السياسي سيسهل عليكم الاستئناس برأيهما في أي عمليات فدائية قادمة، أما أنا فسأهتم بالأعمال العسكرية في جبهة عدن، وأنت الآخر بالإضافة إلى وجودك في قيادة القطاع الفدائي في أبين ستكون مطلوباً كثيراً في عدن".

وهكذا أخذنا هذه الأسلحة ووزعت فيما بعد في عدن وشبوة تمهيداً لإسقاطهما. لكن عملي هذا كما أسلفت لم يلقَ ارتياح القيادة العامة للجبهة القومية واعتبروه غير مدروس، وتقبلت ذلك النقد على الرغم أنه لم يحصل أي صدام مع الجيش في أبين حينها.

لقد كانت تلك المرحلة حرجة ومعقدة اشتدت فيها الصراعات بين مختلف القوى السياسية لاستلام السلطة، مع قرب الاستحقاق ورحيل المستعمر، وفي هذه الظروف لم نكد ننتهي مهمة حتى تأتي لنا أخرى، وهكذا فبعد الانتهاء من مهمة أخذ السلاح من معسكر أبين، بلغنا خبر اعتقال بعض قادة الجبهة القومية ومرافقيهم من قبل مجاميع من جبهة التحرير، وذلك في منطقة المسيمير. والقادة الذين اعتقلوا هم: فيصل عبد اللطيف الشعبي، محمد أحمد البيشي، علي عبد العليم، مصطفى عبد الخالق ومجموعة من الشباب المرافقين، أتذكر منهم شخص اسمه الرباب من الضالع.

على إثر ذلك تحركت إلى يافع ولأن المهمة عاجلة اجتمعت بشكل سريع مع أبناء منطقتي آل بن صلاح وعدد من أبناء القرى الأخرى في يافع ممن تمكنت من جمعهم حينها، بعدها طرحت موضوع المهمة العاجلة وهي التوجه إلى المسيمير لإنقاذ عدد من قادة الجبهة القومية المعتقلين هناك. وافق الجميع وتحركنا إلى أبين بفرقة قوامها ٦٠ مقاتلاً، حيث التقينا بالمناضل الشعوي الذي كانت معه فرقة مقاتلة أيضاً ذاهبة لنفس المهمة. وهكذا صرنا فرقتين أحدها بقيادتي والأخرى بقيادة المناضل جعبل الشعوي وبنفس العدد أيضا "٦٠ مقاتلاً" معظمهم من دثينه وأهل فضل، ماعدا ربما اثنين هما: صالح عبدالله باحميش ومحمد عبد الرحمن العبادي. وأتذكر أن جعبل أحضر معه مدفع مباشر، عيار " ٧٥ مم" لم يسبق لي أن رأيته من قبل الاّ مع علي عنتر، وكان حيازتنا لمثل هذا النوع من السلاح حافزاً قوياً وباعثا للشعور بالقوة وكأننا كنا نملك صاروخاً. أما مجموعتي فقد كان معظمهم من يافع ولأنني لا أتذكر اسماء كل أفراد

المجموعة أو غالبيتهم، بعد انقضاء زمن طويل وآفة النسيان التي تصيب ذاكرة كبار السن مثلي، فأنني أفضّل عدم ذكر أي اسم محدد دون غيره، احتراما لدور الجميع.

تحركنا إلى المسيمر، وقبل دخولنا إليها، وقفنا في وادي العرائس القريب منها بضع ساعات، حتى تم استطلاع الموقف من قبل عناصرنا السرية المزروعة في الجيش، حيث كانت مجموعة منهم مرابطه في العند. وعند وصولنا المسيمير قيل لنا انه تم أخذهم باتجاه كرش، فواصلنا المشوار حتى كرش، لكننا وجدنا أنه تم نقل المعتقلين إلى تعز، ومنها نقلتهم المخابرات المصرية إلى القاهرة فيما بعد. وهكذا عدنا إلى العند حيث اعترضتنا مجاميع من جبهة التحرير، فواجهناهم ودارت معركه خفيفة انسحبوا على إثرها.

العمليات والمظاهرات التي فرضت نفوذ الجبهة القومية

في منتصف عام ١٩٦٧ كثّفت الجبهة القومية من عملياتها ضد الاستعمار البريطاني وقد تحولت تلك العمليات الفدائية السرية المباغتة للمحتل إلى مواجهة مسلحة بالذات عند وصول بعثة الأمم المتحدة الخاصة بتقصي الحقائق حول طبيعة الصراع الدائر في عدن وكل الجنوب. ولهذا فإن قيادة الجبهة القومية كانت قد استنفرت قواها ومجاميعها في الريف والمدينة وزجت بأفضل المقاتلين إلى عدن، لتقود معارك شرسة ضد معسكرات الجيش الإنجليزي والعربي الموالي له، وذلك في كل من كريتر وخور مكسر والشيخ عثمان وعدد من المراكز القريبة من مكان تواجد البعثة الدولية للأمم المتحدة في مدينة عدن.

فعند مجيء وفد الأمم المتحدة التحمت أبرز عناصر الجبهة القومية، السرية والعلنية، في الريف والمدينة، بما في ذلك عناصرنا التي تعمل في إطار الجيش والأمن البريطاني. وهكذا تحولت عدن حينها إلى ثورة عارمة حيث هاجمنا عدد من المعسكرات، أبرزها الهجوم على المطار واللواء السادس في اليوم الأول. وفي اليوم الثاني تم الهجوم على معسكر قوات الأمن العام الذي يسمى الآن "معسكر النصر" . ذلك الهجوم الذي تبناه الفدائيون من أفراد ضباط المعسكر نفسه وأتذكر منهم: أحمد عوض دثينه، والصد يق من آل فضل، وعلي صالح العمري من يافع، وعلي أحمد بن حطبين من يافع، وصالح عبد الله با حميش من يافع، وسالم علي الفضلي من ال فضل، وأحمد محمد الجبواني من نصاب، ويحيى عبدالقوي ناشر من الضالع، وعلي صالح الكهالي، وعبدالله عبدالرحمن العبادي، وصالح

أحمد العبادي، شعفل الضباعي، وضاح امباخشي، ناجي عثمان، عبدالرب بن عبدالرب، محمد صالح الوالي، العنتري، محمد علي ابوبكر، أحمد محمد شوقي، النسي، عبداللاه عبدالله عبدربه، حسين محمد بن علي جابر، الوحيري، عبدالله عبدالكريم، اضافة إلى عدد من الضباط والجنود الذين لا أتذكر اسماءهم، فلهم كل التقدير والعرفان أحياءً أو أمواتاً.

وعودة إلى العمليات الهجومية تجدر الإشارة إلى أنني ورفاقي استمرينا في المشاركة بالعمليات الفدائية، ففي اليوم الثالث شاركنا بعملية هجوميه ضد القوات المرابطة في معسكر ردفان والصولبان. أما اليوم الرابع فقد كنت مشاركا ضمن مجموعة الفدائيين والعسكريين لإسقاط منطقة كريتر عدن حيث تم الاستيلاء على معسكر الأمن "معسكر عشرين حالياً"، إضافة إلى الاستيلاء على السجن وتحرير السجناء، وبعدها تم قطع الطريق من عقبة عدن والمحكمة حيث كان المناضل المقبلي، من أبناء الضالع، أبرز القادة الذين خططوا وقادوا عملية الاستيلاء على معسكر"٢٠" واسقاطه بيد الثوار، بالإضافة إلى سالم ربيع علي الذي كان مكلفا من قبل القيادة العامة في قيادة عمليات اسقاط عدن. وهناك عدد من أفراد القطاع الفدائي المشاركين سواء مدنيين أو عسكريين أتذكر منهم: سالم عبدالله ياسين والباخشي والمبرقي وغيرهم.

بعدها تمكنت الجبهة القومية من منع دخول القوات الإنكليزية إلى مدينة كريتر لمدة عشرين يوماً، وقد استشهد في هذه المواجهات أحد الفدائيين في عدن، هو الشهيد علي سالم البري من يافع، وكان حينها مسئولاً عن نقطة عقبة عدن. كما استشهد الفدائي عبد النبي مدرم من منطقة امشعه في أبين الذي كان مسئولا عن الفدائيين في كريتر عدن أثناء الفترة الأخيرة من الكفاح المسلح.

وضمن السباق المحموم للاستيلاء على عدن ومحاولة كل طرف ان يثبت وجوده على الأرض أمام بعثة الأمم المتحدة، وقعت مصادمات مسلحة بين الجبهة القومية وجبهة التحرير. لكن الغلبة في الأخير كانت للجبهة القومية التي كان لها ثقل أكثر داخل الجيش والأمن مما ادى في نهاية المطاف إلى سيطرتها على الوضع. وهكذا الحال أيضاً بالنسبة للجماهير التي خرجت في تلك الفترة تندد بالاستعمار البريطاني، كانت هي الأخرى، قد نالت نصيبها من المصادمات في المسيرات والمسيرات المضادة لإثبات الوجود أيضاً.وفي النهاية تمكنت الجبهة القومية من إثبات

سيطرتها على الأرض أمام وفد الأمم المتحدة والصحفيين، مما أدى إلى اعتراف بريطاني بوجود الأزمة السياسية في الجنوب، وعلى إثرها أعلنت أنها ستنسحب، وبدأت بإجراء الترتيبات السرية لذلك، حتى أعلنت الانسحاب النهائي في يوم التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ ليكون يوم الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ هو يوم الاستقلال للجنوب العربي من الاستعمار البريطاني الذي دام ١٢٩ عاماً.



اسقاط المناطق وصراع الجبهتين" القومية والتحرير"

صحيح إننا هنا بصدد سرد دوري في هذه المرحلة، لكنني أرى لزاما عليّ التوطئة لهذا الدور، كي يتعرف القارئ الكريم على خلفية وتاريخ الصراع الذي نشأ بين الجبهة القومية وجبهة التحرير، لا سيما وأن الجيل الذي لم يعاصر تلك المرحلة بحاجة لمزيد من الايضاح حتى يتسنى له معرفة أحداثها.

تأسست الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن في شهر اغسطس عام ١٩٦٣م، بقيادة رموز من حركة القوميين العرب، والضباط الأحرار، ومنظمة أبناء الجنوب المحتل، واتحاد النقابات، والقبائل، وجبهة الإصلاح اليافعية، والجمعيات،وبدعم من الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان رئيسا لجمهورية مصر آنذاك التي كانت تسمى بالجمهورية العربية المتحدة، ولغرض الإسراع في تحقيق مكاسب سياسية للجنوب، اقترحت مصر في عام ١٩٦٦ أن يتولى عبد القوي مكاوي رئاسة الوفد الذي سيناقش قضية الجنوب المحتل مع الأمم المتحدة. لكن القيادي الأبرز في الجبهة القومية قحطان الشعبي رفض ذلك بحجة ان الذي يحق لهم التفاوض هم قادة الميدان، وان التاريخ يُصنع فيه، وليس في الأمم المتحدة. لهذا فكرت القيادة في مصر برد فعل على ذلك الرفض بتشكيل جبهة أخرى أسمتها جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، لتحل محل الجبهة القومية الرافضة للتوجيهات، ولهذا الغرض جرت محادثات سرية بين كل من علي أحمد ناصر السلامي كممثل للجبهة القومية، وعبد الله الأصنج كممثل لجبهة التحرير، هذه المحادثات كانت تحت إشراف

الاستخبارات المصرية، وذلك في مدينة "تعز" في الجمهورية العربية اليمنية وجرت دون علم معظم قادة الجبهة القومية. ففي يوم ١٣ يناير ١٩٦٦ تم إعلان ما يسمى بالاندماج في تنظيم واحد اسمه جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، من خلال بيان أذيع من إذاعة تعز، موقّع من قبل كل من السلامي والأصنج، مما أثار ردود فعل غاضبة لدى قادة الجبهة القومية وأعضائها الذين اعتبروا ذلك عملا قسريا وغير شرعي وانه تم بضغوط من مصر، مما ادى إلى ظهور خلاف صريح بين فصيلين الأول الجبهة القومية التي كانت ترى في الكفاح المسلح وسيلة مثلى للنضال من أجل إخراج الاحتلال بينما كان الفصيل الثاني المسمى جبهة التحرير يفضل العمل السياسي أكثر من العمل المسلح.

وهكذا فقد تمكنت الجبهة القومية في ديسمبر ١٩٦٦م من ترتيب وضعها الذي تأثر بقطع المصريين لكافة المساعدات والسلاح والذخائر على الجبهة القومية، حيث قررت الاعتماد على الذات، بعد ان قررت الخروج رسميا من أي علاقه مع جبهة التحرير في مؤتمر حمر وهو المؤتمر الثالث الذي عقد في الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر ١٩٦٦م، وحمر هو اسم قرية تقع في منطقة قعطبة اليمنية الشمالية المحاذية لمنطقة الضالع الجنوبية. وهكذا لجأت الجبهة القومية إلى الشعب مكثفة نشاطها وتواجدها في كل مناطق الجنوب وبين أوساط الجيش والشرطة والنقابات والمثقفين، وقد زاد من شعبيتها تبنيها للكفاح المسلح وتكثيفها للعمليات الهجومية ضد الاحتلال في المدينة والريف.

وعلى الرغم من ان جبهة التحرير كانت تقوم أيضاً بالكفاح المسلح، إلاّ أنها لم تكن بنفس التأثير الذي أحدثته الجبهة القومية، ونتيجة لذلك كانت بريطانيا قد التزمت للأمم المتحدة بالخروج من عدن في التاسع من يناير عام ١٩٦٨م، إلاّ أنها تحت وطأة الضربات الموجعة للجبهة القومية، التي أدت إلى تسارع الأحداث والتي بدورها أدت إلى تفكك النظام الاتحادي خصوصاً بعد تمرد أفراد الشرطة في عدن بحركة سميت " حركة ٢٠ يونيو ١٩٦٧ " اضطرت بريطانيا إلى تقديم الرحيل من الجنوب وتحقق الجلاء يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧بدلا من ٩ يناير ١٩٦٨م.

وكانت الجبهة القومية قد بدأت ومنذ وقت مبكر في أسقاط المناطق الواحدة تلو الأخرى بدأ بمشيخة خلة في الضالع التي كانت أول منطقة تسقط بيد الجبهة القومية على مستوى الجنوب وما تلاها من مناطق، مستندة إلى الجماهير، إلاّ أنه في الوقت الذي كانت تباشير النصر تلوح في الافق فإن الصراع بين كل من الجبهة

القومية وجبهة التحرير قد عكر صفو تلك الانتصارات والنجاحات، وللأسف فقد دار صراع مسلح في عدد من المناطق التي كانت مجاميع جبهة التحرير تحاول الاستيلاء عليها تمهيدا لدخولها عدن لاستلام السلطة، وفي هذه المرحلة أيضاً كنت مشاركا ضمن مجموعة من رفاقي المناضلين في الجبهة القومية، وعلى اتصال وتنسيق دائم مع القيادة لتنفيذ التوجيهات الخاصة بإسقاط المناطق وصد مجاميع جبهة التحرير من السيطرة على السلطة التي أرادت ان تخطف النصر. فقد توجهت إلى منطقة حالمين بصحبة القائد المعروف سالم ربيع علي، مع عدد من المقاتلين، كانوا بحدود ١٥٠ مقاتلاً، وذلك لإسقاط المنطقة بيد الجبهة القومية، وكان ضمن مرافقينا قائد الأمن في محافظة لحج (القفعي)، وأتذكّر أنه كان يروي لنا أثناء رحلتنا صداقته وزمالته للرئيس معمر القذافي في بريطانيا وانه يطلبه للسفر الى ليبيا لزيارته او حتى الاستقرار هناك، وكان الهدف من مرافقة عدد من رجال أمن المحافظة اسقاط حاليمن بيد الجبهة القومية. وفور وصولنا لم نجد أية مقاومة بل ترحيباً من قبل القائد البارز في جبهة التحرير آنذاك عبد الله مطلق، الذي قال للقائد سالم ربيع:" أنت وعبد الفتاح من كلفنا بالبقاء على علاقة بالمصريين لاستلام الدعم كجزءٍ من توزيع الأدوار، لكن علي عنتر وصالح مصلح جعلوني عدواً، وهذا لا يجوز، كما لا يجوز أن نتقاتل الآن وها أنا سلمت لكم المنطقة طوعاً". وقد رد عليه سالم ربيع بالقول:"الآن سنتعاون جميعاً على حل كل هذه الإشكاليات لنستعد جميعاً من أجل بناء الوطن موحدين". بعدها أُسندت لي وللأخ جعبل الشعوي مهمة التوجه إلى قرى الثمير والملاح والراحة والحرور في منطقة ردفان من قبل سالمين ومقبل، حيث كانت التوجيهات تقضي بإقناع مجاميع جبهة التحرير المتواجدين في كل من الثمير والملاح والراحة بالعودة إلى خارج حدود الجنوب إلى الشمال، مالم سيتم اعتقالهم أو مواجهتهم، لكن ولحسن الحظ فأنهم بمجرد سماعهم بوصول مجاميع الجبهة القومية فضلوا الانسحاب على المواجهة، التي ربما قدّروا أنها غير متكافئة.

إلاّ أن محاولات جبهة التحرير لم تقتصر على منطقة بعينها. فعند عودتنا من ردفان إلى عدن كانت مجموعة من جبهة التحرير أيضاً مرابطة في لحج، منطقة العزيبة، تحاول منعنا وغيرنا من أعضاء الجبهة القومية من الدخول إلى عدن، مما اضطرنا للمواجهة حيث دارت معارك عنيفة ساندتنا فيها مجموعة علي سالم البيض الذي كان متواجدا على رأس مجموعة قتالية للجبهة القومية يقاتل في منطقة دار سعد على مقربة من عدن، إضافة إلى سرية من جيش الليوي "الجيش

العربي"، الذي كان مساندا للجبهة القومية. وقد قتل في هذه المعركة ما يقارب ٧٠ فرداً. وبعد أن تمكنت الجبهة القومية من السيطرة على منطقة لحج صدرت تعليمات قائد القطاع الفدائي سالمين التي تقضي بتمركزي في صبر منطقة لحج، حتى يهدأ الوضع ويستقر الأمن.

وماهي إلاّ أيام حتى استدعاني سالمين أنا وفرقتي للالتحاق بالمجموعة التي كانت تستعد للتحرك لإسقاط منطقة لودر والوضيع بقيادة الشعوي وعشال والقفيش فالتحقت بهذه المجموعة وتم بالفعل إسقاط هاتين المنطقتين فصارتا تحت سيطرة الجبهة القومية ثم واصلت مشواري النضالي مع نفس المجموعة التي استلم قيادتها علي سالم البيض، لإسقاط كل من مناطق شقره وزنجبار. وبعدها كلفني سالمين ومقبل بقيادة مجموعة لاسقاط جعار والحصن وباتيس والروّاء. وبسبب زيادة عدد المشاركين طلبت من مدير الطرقات الأخ حسين عبدالرحمن السلفي مدّنا بسبع سيارات من "كامب شقرة".

وما ان خلصنا من إنجاز هذه المهمة حتى برزت أمامنا مهمة أخرى، فقد أتى كل من علي سالم البيض والحاج صالح با قيس وفيصل العطاس جميعهم من قيادات الجبهة القومية وهم من أبناء حضرموت، كانت مهمتهم حينها الذهاب لإسقاط منطقة حضرموت، وبما ان السلطان القعيطي سلطان حضرموت يافعي الأصل، زد على ذلك أن هناك روابط أسرية وقبلية بين من هاجروا من يافع واستقروا في حضرموت وبين أهالي يافع المقيمين فيه، لذا فقد كان مجيء كل من البيض وباقيس والعطاس إلى محمد صالح مطيع وسالم صالح محمد وسالم ربيع علي وصالح منصر السيلي، لغرض الاستعانة بهم ومن يروه مناسبا من الشخصيات السياسية والاجتماعية في يافع، للذهاب معا إلى حضرموت، لإقناع السلطان القعيطي بالمغادرة سلميا، حيث تم استدعاء عدد من الشخصيات السياسية والوجاهات الاجتماعية من أبناء يافع، وهم محمد عبدالقوي السلفي ومحسن حسين اليزيدي وعلي أحمد بن حطبين وأحمد محمد حاجب الذين شرحوا لهم الوضع والمهمة المراد إنجازها، عندها وافق الجميع وتم اللقاء الأخير قبل التحرك إلى حضرموت، لمناقشة كيفية تنفيذ الخطة، وبما أنني كنت المسئول الأول عن الحرس الشعبي في جعار وزنجبار في أبين، للحفاظ على سيطرة الجبهة القومية هناك واستتباب الأمن، وبما أن ذهابي إلى حضرموت كان ضرورة فقد جرى الاتفاق على بقاء الحاج صالح باقيس في أبين، ليحل محلي في قيادة الحرس

الشعبي، حتى إنجاز المهمة في حضرموت. وهكذا تحركنا ضمن المجموعة بصحبة المناضلين علي سالم البيض وفيصل العطاس إلى حضرموت، وفور وصولنا هناك قمنا بعملية مسح بأسماء الضباط الذين كانوا يعملون ضمن ما كان يسمى بالجيش القعيطي والكثيري، الذين كان معظمهم من أصول يافعية، حيث تم عقد لقاءات منفردة معهم لإقناعهم بعدم المواجهة، كون معظم مناطق الجنوب صارت تحت سيطرة الجبهة القومية، وأن الاستعمار البريطاني سيرحل قريباً، وما عليهم إلاّ التعاون مع قيادة الجبهة القومية المتواجدة هناك وإقناع السلطان بالخروج وسيضمنون له خروجا مشرفا. الجدير بالذكر أن السلطان حينها، قد تم ايقافه في الشاطئ، على متن السفينة التي كان قادما بها من الخارج إلى حضرموت، وبالفعل تم إقناعه بالمغادرة وعزف له النشيد السلطاني لتوديعه في الشاطئ، وخرج بطريقة مشرفة. وهكذا أصبحت حضرموت تحت سيطرة الجبهة القومية، أما أنا فقد عدت إلى أبين وبقيت مسئولا عن الحرس الشعبي هناك حتى الاستقلال.

فكرة شق طريق السيلة البيضا"إلى يافع

بعد ان سقطت جعار وزنجبار في أبين بيد الجبهة القومية، عينت فيها قائداً للحرس الشعبي، في الوقت الذي ما تزال القوات البريطانية في عدن، وبالرغم من أن سيطرة الجبهة القومية كانت غير مكتملة، ولم تستلم السلطة في عدن. إلاّ أن حلمي طوال السنوات الماضية بوصول الطريق والمدرسة والمستشفى إلى مسقط رأسي يافع وإلى كل منطقة في الجنوب كان حافزا لي للبدء في شق الطريق كخطوة أولى من جعار إلى حبيل البرق، يرامس الماجل، السيلة البيضاء، نقيل الدقيق، أهل اِمْشَقّ وذي ناخب ولبعوس.

اختمرت الفكرة في رأسي، وتوجهت إلى كل من الأخوين الشيخ حيدرة منصور وصالح عبد الرب بن طهيف، لعلمي أن لديهما آلة للشق من نوع " D6 " تم شراؤها على حساب دلتا أبين لإنتاج القطن وأقنعتهما بتسليمها ليتم البدء في شق الطريق، وبعد أن وافقا استعنت بشخصين لهما خبرة بمجال الطرقات، هما الأخ قاسم علي السلفي الذي كان يعمل مهندسا في طرقات دلتا أبين، وشخص آخر هو الأخ العاقل من ذي ناخب للإشراف على العمل، ولكن الجرارة وحدها لا تكفي ولابد من توفر معدات العمل، وهنا لم يكن أمامي سوى اللجوء في منطقة صبر إلى الاستيلاء على إحدى الشاحنات "الصهريج" المحملة بالديزل التابعة للقوات البريطانية وذلك بأن أجبرنا سائقها بتسليم المفاتيح ليسلمها لزميلي القديم

الجديد محمد عبدالله الملقب "نُصّ الليل" وهو المرافق الدائم الذي استعين به في مثل هذه المهام، صحيح أن لقبه نصف الليل يعبر عن الظلام الدامس الذي يحل منتصف الليل، إلاّ أنه كان بالنسبة لي خيطا من خيوط النور، فهو رفيقي الوفي الذي يلازمني في الأوقات الصعبة. لقد نفّذ نصف الليل المهمة وأوصل الشاحنة إلى جعار، وسلمها للأخ علي عبد الله بن حطبين، شقيق نصف الليل، ليوصلها إلى السيلة البيضاء.

في هذه المرة ضمنت الشاحنة والديزل، لكنني لم أزل بحاجة إلى سيارة أخرى للحركة، وإلى آلة لتكسير الصخور "كمبريشن" ومواد متفجرة "ديناميت" لتفجير الصخور الكبيرة. ومن أجل توفير ذلك قررت الذهاب إلى مدير الطرقات في أبين الأخ حسين عبد الرحمن السلفي الذي وافق على تقديم الدعم بهذه المواد، لكن حاجتي إلى السيارة جعلتني أبحث عن شخص آخر للمساعدة، وعندها تذكرت أن من يعمل مشرفا على شق طريق ثره المؤدية إلى منطقة مكيراس، هو من منطقة يافع ومن أسرة آل بن صلاح التي انتمي إليها، وهو الأخ محمد عبدالله الصلاحي، لذا توجهت إليه وقابلته وشرحت له عن مشروع طريق يافع ومتطلباته، طالبا منه المساعدة في الحصول على سيارة من مشروع طريق ثره أو غيرها، كما طرحت عليه فكرة انتقاله للإشراف على شق الطريق، وافق الأخ محمد عبدالله الصلاحي على ذلك، لكنه طلب إخراج توجيهات من مدير الطرقات في منطقة أبين الأخ حسين السلفي، عندها عدت إلى السلفي لأبلغه بما توصلت إليه مع محمد عبدالله الصلاحي فرد علي بالموافقة على التفرغ للعمل في طريق يافع، ولكن ليس بشكل رسمي لأنهم لازالوا مرتبطين بالإدارة العامة في عدن، التي لم تزل تحت السيطرة البريطانية، أما موضوع السيارة فقد أبلغه بوجود سيارات خاصة بإزالة الألغام، وحدد مكان تواجدهن في مدينة الشعب في عدن، وشرح لي الطريقة التي يمكن من خلالها إخراج السيارة، انصرفت ثم بلورت الفكرة ونفذتها حيث أحضرت لباس ضابط "بدلة" لأرتديها كتمويه يسهل لي العبور، وتمرير السيارة من نقاط التفتيش، لكني كنت بحاجه لرفيقي محمد عبد الله علوي الذي استدعيته لمرافقتي إلى مدينة الشعب حيث توجد السيارات، وعند وصولنا إلى الموقع طلبت منه أن يحدد السيارة التي يريد ويحفظ رقمها ليتم بعد ذلك ذهابنا إلى الأخ عبيد عوض الميسري، الذي كان يعمل في الطرقات في منطقة شقره في أبين والذي بدوره وافق على الذهاب معي إلى مدينة الشعب، بعد أن استوعب الفكرة، حيث طلب

السيارة بحجة العمل بها في طريق شقرة، وهكذا وافقوا له على ذلك، وتم إخراج السيارة وقيادتها إلى أن وصلنا إلى الجولة الواقعة بين زنجبار وجعار، مفرق الطرق حيث تم انزاله، من السيارة لنتوجه بها إلى السيلة البيضاء، أما الأخ عبيد فقد عاد إلى شقره وأبلغ بأن مسلحين خطفوا السيارة.

توفرت بعض معدات العمل في الطريق، إلاّ أن استمراريته كانت تتطلب بذل المزيد من الجهد لتوفير الديزل ورواتب العمال، لهذا واصلت السعي لتوسيع دائرة المساهمة في هذا المشروع، حيث تمكنت من الحصول على التزام من قيادة جمعية أبناء يافع، الذين ذهبت لمقابلتهم لهذا الغرض في عدن، وأتذكر أسماء ثلاثة أفراد منهم وهم الأخوة محمد ناجي، عمر الأصبحي، وعلي صالح، الذين وافقوا على دعم المشروع بأربعة آلاف شلن شهرياً تقريبا آنذاك، هذا بالإضافة إلى الدعم الذي استطعت توفيره للمشروع من ميزانية الحرس الشعبي الذي كنت مسئولا عنه في أبين، بموافقة سالم ربيع علي وعلي صالح عباد مقبل. خلال تلك الفترة التي كانت فترة صراع بين يسار الجبهة القومية وقيادة الجيش والأمن، تمكنت حينها ان أقنع بعض من ضباط الأمن من أبناء يافع وهم الأخوة الحاج عبد الله الجحزري ومحمد علي بوبك من أولاد سالم عمر بإعطاء جهاز لاسلكي وعامل لاسلكي وخيمة للمشروع، من أجل تأمين الاتصال وقت الضرورة. أردتها كذلك كي يكون هذا الجهاز الذي وضع في مكان آمن في السيلة البيضاء عبارة عن جهاز اتصال تابع لأفراد الجبهة القومية للتواصل حول أي جديد، وهكذا فإنه بفعل التصميم والإرادة تحوّل الحلم إلى حقيقة، بتظافر جهود كل الطيبين أمثال الأخوة ناصر زياد وثابت محمد خضر وقاسم محمد السعدي وعلي عبد الله بن حطبين وآخرين، ممن كانوا يعملون على تفجير الصخور وغير ذلك. وهناك جهود كبيرة بذلت فيما بعد من قبل كثير من أبناء يافع. لهذا اعتذر عن عدم تمكني من تذكّر بعض الأسماء التي شاركت وساهمت في هذا العمل، الذي ربط يافع بالمحافظات الأخرى وبمدينة عدن لأول مرة في التاريخ، بعد أن كانت الجمال والحمير هي الوسيلة الوحيدة للنقل والتواصل بين يافع وبقية المناطق.

الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال الوطني

الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال الوطني وبناء الدولة الجديدة

كان استقلال جنوب اليمن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م من الاحتلال البريطاني نتيجة حتمية لكفاح مسلح خاضه شعب الجنوب خلال أربع سنوات منذ انطلاقة ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م، ذلك الاحتلال الذي بدأ بدخول القوات البريطانية في ١٩ يناير ١٨٣٩م، بقيادة الكابتن هنس وانتهى بخروج آخر ضابط بريطاني من مدينة عدن، هو المقدم "داي مورغان" يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧. وفي يوم ٣٠ من نوفمبر تم إعلان الاستقلال، وهو اليوم الذي استلمت فيه الجبهة القومية السلطة، وأعلنت تشكيل حكومة وطنية برئاسة قحطان الشعبي، سُميت بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وعاصمتها عدن.



الصراع مع قيادة الجيش ونتائجه

بما أن الحكومة المشكلة كانت حديثة العهد، فقد ارتأت التعامل مع المؤسسات الموروثة من الاستعمار البريطاني بحكمة وترو، لاسيّما مع مؤسستي الجيش والأمن اللتان أعلنتا ولاءهما للجبهة القومية. لكن نشوة النصر أفرزت بعض الآراء المتشدّدة والمتسرعة الداعية إلى تصفية قيادة الجيش والأمن، واستبدالها بعناصر من جيش التحرير ومنحهم رتباً عسكرية، وهذا ما أثار حفيظة قيادة الجيش والأمن، كما لم ينل استحسان الرئيس قحطان وعدد من القيادة العامة المعتدلين، الذين رأوا في اتخاذ قرار كهذا بداية الدخول في صراع مع القوات المسلحة، في الوقت الذي لم تتمكن فيه حكومة الجبهة القومية بعد من تثبيت أقدامها.

إلاّ أن الخلاف كان قد اشتد بهذا الخصوص داخل الجبهة القومية، بسبب مشكلة القوات المسلحة وكيفية استمرار العلاقة مع بريطانيا بعد الاستقلال، وكذلك مضمون الميثاق الوطني، الذي كانت مجموعة بقيادة عبد الفتاح إسماعيل تطالب بتغييره، بحجة أن صلاحيته انتهت بانتهاء الكفاح المسلح. كل هذه القضايا أدّت إلى الدعوة لعقد المؤتمر العام الرابع للجبهة القومية، الذي عقد في زنجبار ١٩٦٨م، وبما أني كنت أحد مندوبي المؤتمر حينها، ونظرا لعلاقتي النضالية مع سالم ربيع علي وعلي عنتر المكلفين من القيادة العامة بتحمل مسئولية تأمين المؤتمر، فقد كلفاني بإحضار سرية من المقاتلين لتأمين قاعة المؤتمر التي كانت محاطة بالجيش، لذا أحضرت ما يقارب سرية وأكثر، حيث قمنا بتطويق سرية الجيش المحيطة بقاعة المؤتمر، وهكذا صارت قاعة المؤتمر وسرية الجيش محاطتان ومحاصرتان بمجاميع المقاتلين الموالين لما يسمى بالتيار اليساري للجبهة القومية، مما أدى إلى انسحاب سرية الجيش.

كان الخلاف قد أحتدم بين تيارين، الأول وسُمّي بالتيار اليساري المتشّدد ومن أبرز رموزه: عبد الفتاح إسماعيل، سالم ربيع علي، علي أحمد عنتر، علي ناصر محمد، علي صالح عباد مقبل، محمد صالح مطيع، فضل محسن عبدالله، علي سالم البيض وأحمد عوض الزامكي وعبد الله الأشطل، محمد سعيد عبد الله محسن، فيصل العطاس، سعيد صالح والزومحي وآخرون. أما الثاني فسُمي بالتيار اليميني"المعتدل" وأبرز رموزه الرئيسية قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف الشعبي ومحمد البيشي وسيف الضالعي وعلي عبد العليم ومحمد علي هيثم ومعهم أبرز قادة الجيش، مثل حسين عثمان عشال وأبو زنجبيلة وعلي محمد القفيش والمبرقي. لكن الجناحين المتصارعين داخل المؤتمر تمكنا من وضع الحلول للقضايا المختلف عليها، حيث أقر دخول من يرغب من جيش التحرير التابع للجبهة القومية إلى القوات المسلحة والأمن العام كضابط، شريطة أن يلتحق بالكلية العسكرية لتلقي التدريب العسكري والتخرج منها برتبة ضابط.

لكن قيادة الجيش والأمن نكثت بالعهد حيث أعطيت توجيهات لقيادة معسكر التدريب في مدينة الشعب "معسكر الشهيد علي جاحص" الذي تدرب فيه مجموعة من مناضلي حرب التحرير ليتخرجوا برتبة ضابط تلك التوجيهات نصت على فصلهم وأخذ أسلحتهم، كان ذلك في ٤ مايو ١٩٦٨م عندما استدعاهم قائد التدريب في المعسكر، واسمه أحمد عوض الزامكي، الذي طلب منهم تسليم الأسلحة والمغادرة|، لكن المناضل والقيادي المعروف سعيد صالح سالم كان قد رفض تسليم

السلاح، وعندما أُجبر على ذلك قام بقتل الضابط الزامكي، مما أدى إلى مواجهة بين الطرفين، فتوتر الوضع في مدينة الشعب وفي مدينة عدن بشكل عام.

ما ينبغي الإشارة إليه أن عدداً من طلاب ثانوية مدينة الشعب المجاورين للمعسكر كانوا منظمين بشكل خلايا تابعة للجبهة القومية "يسار الجبهة القومية". وبتحريض من قيادتهم ذهبوا إلى خزنة السلاح في ذلك المعسكر للتسلح والسيطرة على المؤسسات الهامة في مدينة الشعب، مثل وزارة الخارجية ووزارة الداخلية وغيرها. ومن أبرز القيادات الطلابية أذكر: محمد عبد الرحمن العبادي وقاسم عبدالرب وجاعم صالح وصالح الشعملي وهادي أحمد ناصر وحسين علي عليوه وحيدره محمد حيدره. أولئك الذين تم اعتقالهم بعد أن طوق الجيش مدينة الشعب وحررها، حيث تم إقتيادهم إلى السجن الذي مكثوا فيه مدة عام إلى أن قامت حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩م، التي قادها يسار الجبهة القومية فأطلق سراحهم، كما تم اعتقال عدد من المناضلين في ٤ مايو عام ١٩٦٨م ومنهم حسين عبدالله بن علي جابر العمري وعبداللاه عبد الله عبد ربه وسالم عبد الله عبد ربه وهادي أحمد ناصر والكديم وقرعه ومثنى سالم عسكر وغيرهم من الأسماء التي لم أعد أتذكرها.

فيما يتعلق بالميثاق الوطني فقد تم انتخاب لجنة صياغة من الطرفين للتعديل لكن القيادي عبد الفتاح إسماعيل الذي كان يملك قدرا من الثقافة، تمكن ومجموعته من فرض وثيقة سميت مشروع برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني، تلك الوثيقة التي تضمنت نصوصا بإلغاء كل الرموز التي على رأس المؤسسات الموروثة من الاستعمار البريطاني، وهذا ما أثار حفيظة الجيش، ولم ينل استحسان الرئيس قحطان الشعبي وجماعته، ولهذا قام الجيش بحركته التي حاول فيها اعتقال رموز الجبهة القومية يوم ٢٠ مارس ١٩٦٨ وسميت تلك الحركة بحركة مارس، أعتقل فيها عبد الفتاح إسماعيل وعبدالله الخامري وعدد من قياداتها اليساريين، لكننا تمكنا من تخليص المعتقلين والسيطرة على معظم مناطق الريف. وفي ١٤ مايو ١٩٦٨ أعلنا القتال لإسقاط السلطة، وقد وصف الرئيس قحطان الشعبي تلك الحركة بالتمرد. ومعظم أحداث هذه المرحلة كنت حاضراً فيها.

الموقف من حركة ٢٠مارس ١٩٦٨م الانقلابية

كنت حينها أقضي أفراح عيد الأضحى المبارك بين أهل منطقتي آل بن صلاح - يافع، كان ما يميز تلك المناسبة عن غيرها هو أن الجبهة القومية ممثلة بواحدة من أهم تشكيلاتها الأساسية السبعة. "جبهة الإصلاح اليافعية" قد نجحت في تحقيق ما عجزت عنه قبلها مساعي جبهة التحرير، حيث فرضت هدنة تكللت بتوقيع اتفاقية صلح بين القبائل، المراكز والفخائذ المتناحرة فانطفأ معها لهيب كل الفتن التي أحرقت يافع وأحزنتها وأضعفت وحدتها، وما زال جميع الناس في يافع يتذكرون هذا الصلح كعمل إنساني رفيع، نجح في صنعه أفراد جبهة الإصلاح اليافعية بجدارة عالية ومثل تحقيقاً خلاقاً لتطلعات وأهداف الجبهة القومية في أن يعيش الناس على أرضهم بحرية وكرامة وأمن واستقرار.

عدت من منطقة أبين لمشاركة الأهل وأبناء المنطقة أفراح العيد وكلي طموح ورغبة وإصرار بأن أعمل على تدعيم وتأمين استمرارية ذلك الصلح، وأن أستغل فرصة تواجدي في المنطقة للم شمل الناس وإحياء التواصل بينهم وبناء جسور المحبة والإخاء وذلك من خلال تكثيف اللقاءات الودية بيننا والتنقيب عن مشاريع ملحة وضرورية توحدنا فيها المصالح المشتركة. برزت في ذهني فكرة مشروع بناء مدرسة ابتدائية، ولطرح ومناقشة هذه الفكرة دَعَوت كل رجال آل بن صلاح للحضور والمشاركة في الاحتفال بمناسبة عيد الأضحى في بقعة تسمى " تي النقدين" وتم إعداد برنامج ترفيهي تخللته مسرحيات متواضعة قدمها أفراد من القرى المختلفة لآل بن صلاح.

كنت سعيداً جداً لتجاوب الناس في الحضور. وكان الأروع والأجمل أن أرى أبناء القبيلة الواحدة الذين كانت تفصلهم المسافات وتفرقهم المتارس يلتقون اليوم في بقعة واحدة وفي أجواء غامرة بالمودة والألفة يتبادلون التهاني والقبل بسعادة كبيرة، عوضاً عن تبادل الطلقات النارية التي كان يصوبها كل طرف ضد الآخر.

لا يدرك جمال وروعة هذا المنظر وعظمة السلم والطمأنينة، إلاّ من عاش سنوات الفتن والحرب وما ترتب عنها من انعدام الأمن والاستقرار، وحمدت الله كثيرا أن عشت هذه اللحظات التي تحققت بإرادة الأخيار من البشر. وخلال هذا اللقاء تحدثت إليهم عن أهمية العلم مقدماً نفسي كنموذج لجيل أبناء الجنوب الذين حرموا من حق التعليم وكيف أن هذا الحرمان جعل فرص النجاح أمامنا في

الحياة محدودة جداً. مشيراً إلى أن التعليم الذي حاول آباؤنا أن يضمنوه لنا ولم يوفقوا بسبب قوانين الاستعمار وظروف الحياة الصعبة، ينبغي علينا اليوم أن نسعى لتحقيقه لأبنائنا ولأحفادنا؛ خاصة وأن الظروف مهيأة والأمر بيدنا، وعلينا أن نتفق فقط في هذا اليوم على فكرة بناء مدرسة تتبنى المناهج التربوية والدراسية الحديثة، وتحديد موقعها وتشكيل لجنة إشراف وتنفيذ لهذا المشروع.

وفي الحقيقة فقد كان التجاوب مع فكرة بناء المدرسة إيجابياً للغاية، وأبدى الجميع استعداداً منقطع النظير لتقديم المال والوقت والجهد المتمثل بالعمل الطوعي في بناء المدرسة. واتفق الكل على أن تبنى في منطقة " حلحل" وهي المنطقة المتوسطة لقرى آل بن صلاح جميعا.

ومن أجل الإسراع في تحويل تلك الفكرة إلى عمل قررنا أن نلتقي في يوم ١٩٦٨/٣/٢١م باعتبار أن عشرة أيام كافية للتشاور في اختيار أعضاء اللجنة وجمع التبرعات وإعداد مخطط البناء وتكاليف التنفيذ.

بينما كنا في تلك المنطقة الريفية المتواضعة نتبادل الآراء في إقامة المشاريع السلمية وزرع بذور المحبة والإخاء بين الناس وتوحيد صفوفهم، كانت هناك للأسف في عدن عقول سياسية وعسكرية منهمكة في التخطيط لمشاريع انقلابية عسكرية تفتح صفحة جديدة من العنف هدفها الإقصاء أو القضاء على طرف آخر لا يشاطرهم الرأي وخلق حالة من العداء وعدم الاستقرار. لهذا فوجئت عندما سمعت إذاعة عدن تعلن عن حركة ٢٠مارس الانقلابية.. كان وقع ذلك الخبر سيئاً في نفسي وأغضبني كثيراً وأحزنني لأنني لا أعرف مصير رفاق دربي. بالإضافة إلى أن ما أقدمت عليه قيادة الجيش وأفراد من القيادة التاريخية للجبهة القيادية هو جنوح نحو التطرف القاتل في حسم التباينات السياسية عسكرياً لإقصاء وإنهاء من يختلفون معهم سياسياً من أجل الاستحواذ الكلي على مفاصل السلطة فهذا التطرف لن يولد إلا تطرفاً مماثلاً، وهذا يعني بداية النهاية لهذه الثورة ومبادئها.

كان البيان مقتضباً مثل غيره من البيانات التي تصف الانقلابيين بالبراءة وتظهرهم بالمُعتدى عليهم، فيما يصفون ضحايا انقلابهم بالمتمردين على السلطة والقانون وأنهم قد لقوا جزاءهم العادل، وهذا الجزاء يكون عادة السجن أو الإعدام الفوري.

استحضرت ذاكرتي القريبة تفاصيل وقائع المؤتمر العام الرابع وجلساته المشحونة بالتباين والخلاف حول مسار السلطة السياسي الاقتصادي، والإيديولوجي، وانقسام القيادة التاريخية للجبهة القومية تبعاً لذلك إلى قيادات يسارية وقيادات يمينية. لكنني مع ذلك لم أكن مؤمناً بأن لا وسيلة أمام قيادة الجبهة الواحدة والهدف الواحد لتذليل تلك الخلافات أو حسمها إلا قوة السلاح. وبسبب إيماني هذا كنت أسأل نفسي: هل يعقل للقائد التاريخي للجبهة القومية قحطان محمد الشعبي أو عقل الثورة فيصل عبد اللطيف الشعبي أو البيشي، أو محمد علي هيثم، أو سيف الضالعي أو علي عبدالعليم... أن يباركون لقيادات الجيش في تنفيذ ذلك الانقلاب؟!.. أم أن الجيش قد حسم الأمر ولم يكن أمام تلك القيادة إلا أن تقبل بسياسة الأمر الواقع؟!.

السؤال الآخر الذي كان يحيرني وأنا أستعرض ذكريات الأيام الأولى لنوفمبر ٦٧م عندما اندلعت الحرب الأهلية الثانية بين جبهة التحرير والجبهة القومية عندما ساند جيش الجنوب العربي بكل ثقله العسكري لحسم الصراع سريعاً لصالح الجبهة القومية.. هل كان ذلك بوازع من الولاء الحقيقي للجبهة القومية؟، أم من أجل إزالة شوكة من على الطريق وانتظار فرصة أخرى والانقضاض على الجبهة الأخرى "الجبهة القومية"؟، وهل الفرصة الآن قد سنحت له ؟؟ كانت تلك مجرد تساؤلات تشاؤمية أحاول فيها أن أفسر عن بعد ما حدث في عدن.. لقد تمنيت لو أنني حينها في عدن.. فأحياناً أن تعيش عمق الحدث وتتفاعل معه وتواجه نتائجه، أهون ألف مرة من أن تعيش بعيداً عنه فيستهلك عقلك الغضب والأوهام ومشاعر الخوف على مصير الثورة التي آمنت بخياراتها وعلى الرفاق الذين عشت معهم سنوات الثورة التحريرية.

في اليوم الثاني للانقلاب كان موعد اللقاء في منطقة "حلحل" وفي البقعة التي وافق الكل أن تبنى عليها المدرسة. كان الحضور منقطع النظير لسببين، أولاً: لتشكيل اللجنة التي ستتولى الإشراف والتنفيذ. وثانياً: حرص الجميع على عدم التخلف والحضور لسماعهم بيان الانقلاب الذي كان مفاجأة لهم وأبدوا عدم رضاهم بذلك. ولهذا حاولت التركيز أولاً على التفاصيل المتعلقة ببناء المدرسة.

اتفقنا على تشكيل لجنة يرأسها محمد فاضل عبد الله وعضوية كل من عبد الرب صالح، عوض سالم الرسابي، حسين الطماري، عبد الله علي بن مسعد، علي محمد بن شيخ، سالم محمد الخضر، علي عبيد، قاسم فاضل حسين، عبد الكريم بن شائف. مهمتها جمع التبرعات، والإشراف على العمل وتنظيم العمل التطوعي.

ووعدت من جهتي بالسعي لاعتماد تلك المدرسة في وزارة التربية واعتمادها بالمدرسين ومواد المنهج التربوي، وقدمت مبادرة باسم آل بن صلاح العليان في أن تكون البقع الحدودية التي بنيت عليها المتارس ملكاً من أملاك المدرسة تباع حجارها وأرضها لتطوير المدرسة، وبهذا نوظّف البقع التي كانت متارس للقتال والحرب بيننا كأخوة لصالح الخير والصلاح اليوم المتمثل بالمدرسة، وبالمثل بادر إخواننا آل بن صلاح من الخلوة، والقندول في تقديم البقع التي بنيت عليها متارسهم لصالح المدرسة.

بعد ذلك تحدثت إليهم عن الهم الأكبر، وهو ذلك الانقلاب العسكري على أغلب القيادة العامة للجبهة القومية، وما هو الواجب علينا للمشاركة في إيقاف مجزرة محتملة، إن لم تكن قد تمت لأغلبية القيادة العامة، لا لشيء إلا من أجل الاستحواذ على السلطة، مذكراً بأن الأمن والاستقرار الذي ننعم به اليوم هو ثمرة من ثمرات نضال قيادات وفدائي الجبهة القومية الذين بسبب هذا الانقلاب ستكون حياة الجزء الأكبر منهم في خطر، فإذا فضل كل حر منا الصمت والوقوف موقف المتفرج فسيكتب على ثورتنا الزوال.. وبانتكاسة هذه الثورة ستنشأ حالة من الفراغ الأمني والاضطرابات السياسية والعسكرية قد تعيدنا إلى الخلف وترغمنا على إعادة تلك المتارس واستئناف الاقتتال فيما بيننا، لأن من صنعوا أمننا واستقرارنا سيكونون ملاحقين، وستكون البلاد موعودة بانقلابات جديدة من أجل السلطة والجاه، مثل ذلك الذي حصل يوم أمس، ولن يُعطى فيها أيٍ وزن أو أهمية لتاريخ الناس ومبادئهم وتضحياتهم ودرجة ولائهم للوطن، مؤكداً بأن السكوت عما يحصل سيجعلنا نشعر بذنب تاريخي لأننا نكون بذلك قد شجعنا اللجوء إلى السلاح لحسم الخلافات.

كان سؤال الكثيرين هو ماذا علينا أن نعمل؟. أخبرتهم بكل شفافية وصدق عن موقفي من ذلك الحدث وأن الثورة بالنسبة لي هي الشرف الذي يحتم الواجب علي الدفاع عنها وعن الرفاق الذين عشت معهم ظروف ومحن سنوات الكفاح المسلح، وشاركتهم الخندق الواحد والمصير الواحد، وتعلمت معهم في مدرسة النضال ماذا يعني أن تكون رفيق الاستبسال والفداء من أجل كرامة وحرية الإنسان والوطن. هؤلاء أصبحوا يشكلون الجزء الأكبر من هويتي وتاريخي، لهذا لا أتصور أن أعيش حياة كريمة وهم يقتلون أو يقبعون في السجون أو يعيشون مشردين في هامش التاريخ، وهم الصناع الحقيقيون للثورة ويستحقون منا ومن كل وطني حر أن

نصون حياتهم ونحفظ كبريائهم، مثلما عملوا بإخلاص واستبسال لتحقيق استقلال الجنوب وصانوا كبرياء أرضه وشعبه، لذا على الرجال الذين يؤمنون بأن سلامة أغلبية القيادة العامة تهمهم وأن بقاءهم في السلطة هو الضمانة الحقيقة لبقاء وانتصار هذه الثورة والسلطة الوليدة ومقتنعين لحمل السلاح والقتال من أجل إنقاذ من تبقى منهم فليتبعوني غداً. وحددت أن يكون موعد اللقاء في العاشرة صباحاً، وتكون قرية "أهل بن حطبين"محطة اللقاء والتجمع باعتبارها آخر نقطة وصلت إليها طريق السيارات التي تربط أبين بيافع حينها، وهناك سنبحث عن وسائل نقل، واتفقنا أن نحضر معنا الأسلحة الشخصية والذخيرة والغذاء وكذا تجهيز وحمل ما نملكه من اسلحة أخرى "مثل البرنات، البلاندسيت، والقنابل والبوازيك ومدافع تو نش" وكل الأسلحة المتوفرة لدينا في المنطقة، مذكراً إياهم بأن مهمتنا محفوفة بالمخاطر أولاً، لأنني لا أعرف ما هو وضع منطقة أبين بعد الانقلاب وهل الجيش قد أحكم سيطرته عليها أم أن الانقلاب قد انحصر في مدينة عدن. مؤكداً لهم بأن مفتاح تغيير مسار ذلك الانقلاب هو أولاً دخول منطقة أبين وهناك سنشكل مع القوات الشعبية والحرس الشعبي والعناصر التي ستتوافد من المناطق الأخرى قوة نستطيع بعدها أن ندخل عدن أقوياء.

كان يحدُوني أمل كبير في أن سالمين لم يصب بأي أذى وأن يكون متواجداً في منطقة أبين حتى تتسهل مهمتنا في لم شمل الناس تحت قيادته، فبالإضافة إلى أنه أحد العناصر القيادية الأكثر اعتدالاً وواقعية في تصرفاته ومواقفه فهو أيضاً يتمتع بحنكة عسكرية عالية أثبتها في الفترة التي قاد فيها العمل الفدائي، وجعلته محط تقدير واحترام عاليين من قبل القيادات العسكرية في الجيش والأمن، وبحكم علاقتي المميزة بهذا الإنسان فأنا أعرف بأنه لن يساوم أو يتنازل عن الرفاق من أجل الجاه والسلطة. ولهذا فأن وجوده طليقاً، فضلا عن علاقاته وتأثيره، سيجعل من مهمة إنقاذ رفاق الدرب تتم بأقل تضحية.

كنت في نفس يوم اللقاء قد أرسلت إلى القرى المجاورة لآل بن صلاح أفراداً يبلغونهم بأنني أطلب متطوعين لنصرة الثورة، لأنه لم يكن لدي الوقت الكافي للتنقل في قرى يافع المختلفة بل حاولت توظيف وقتي في البحث عن أي أسلحة ثقيلة في المنطقة وأيضاً شراء الذخيرة الكافية والتجهيز السريع للسفر إلى أبين في الصباح الباكر وتحديداً في ١٩٦٨/٣/٢٢م تحركت مع مجموعة من أبناء قريتي مشياً على الأقدام حتى وصلنا أولاً إلى قرية آل منصور، وهناك كان حسين عبد الحبيب مع عدد من أبناء قريته وقرية الديوان وحُبَاط قد تجمعوا، ذهبنا أولاً إلى

مبنى القيادة المحلية في "المعيان" أخذنا ما يوجد فيها من سلاح وبعدها واصلنا المسير حتى وصلنا إلى منطقة " أهل بن حطبين". كان وصولنا هناك في حوالي العاشرة صباحا. ومن محاسن الصُدف إننا وجدنا هناك شاحنتين لنقل الحمول، نوع فيات، تعود ملكية إحداهما للأخوين زيد وعبدالرحمن العوادي والأخرى لأبناء الوالي الحاج صالح ومحمد أحمد وإخوانهم. أخبرتهم بطبيعة مهمتنا وبحاجتنا الماسة لنقلنا إلى مدينة جعار.. فلم نجد منهم أي اعتراض..

توافد الناس أفراداً وجماعات، كانت وجوههم تشع بالإرادة والتصميم، وقد تدججوا بأسلحتهم وتمنطقوا بأشرطة الرصاص المشدودة حول خواصرهم وبدوا في زي موحد بلونه الكاكي، كان قد تأهب جيداً واستعد لتنفيذ المهمة. وفي العاشرة صباحاً كان عدد من وصلوا قد قارب المائتين، وبسبب عدم توفر سيارات أخرى لنقل هذه الأعداد، رأيت أن أتحدث إليهم مرة أخرى شاكراً لهم تلبيتهم لنداء الثورة والوطن، وأن حضورهم بأسلحتهم وذخيرتهم هو موقف لن تنساه لهم هذه الثورة، موضحاً أنه ليس من الحكمة العسكرية أن نحشر هذا العدد الكبير في سَيّارَتي نقل، لأن وقوعنا بأي كمين سيجعلنا أهداف سهلة وسيكلفنا الكثير من الأرواح، ولهذا طلبت من الشباب ممن لم يبلغوا سن الثامنة عشرة وكذا من تجاوزت أعمارهم الخمسين عاماً، أو من كان وحيد الأسرة، أو أحد الأخوين أن يعودوا إلى قراهم، وأنه بعد وصولنا إلى أبين إذا وجدنا ضرورة لنزولهم فسنرسل لهم وسائل لنقلهم، لكن الكل رفض فكرة العودة مؤكدين أنهم جاؤوا بقناعتهم لنصرة الحق ولحماية أمننا واستقرارنا ومقتنعين للقتال حتى يحموا هذه الثورة من شر نفسها، وبدأوا يتدافعون لصعود الناقلتين، و احتشرت أعداد كبيرة منهم في مؤخرتي الناقلتين وتعلق البقية على الجوانب وفي أعلى المقدمة"الكبن" وفي جوانب الأبواب.

ما زلت أتذكر تلك الرحلة التي لم تستطع وعورة والتواء طريق السيلة البيضاء وصعوبتها أن تؤثر على معنوياتهم العالية أو تؤخر سيرهم، فيما تصدح حناجرهم وبأصوات حماسية عالية بزوامل التصميم والإرادة، أتذكر منها هذا الزامل للشاعر عبدالرحمن بن حسين علوي الصلاحي:

سوى نسم يا السَّيلة البيضاء ... للجيش ذي يمشي على الترتيب

شبابنا ما اليوم ما يرضى ... باليد ذي تمشي بالتخريب

وكانت الجبال المحيطة تردد أصداء ذلك النشيد الثوري.

لا شيء أجمل وأروع من أن تجد نفسك في محيط من الرجال الميامين ممن يعبرون بطريقتهم تلك عن تصميمهم وقوة إرادتهم لتحقيق الهدف، وحتى الطبيعة تردد معهم نشيد الوفاء للثورة وخياراتها.

إصرار الرجال وعزيمتهم عمق ثقتي بأن لا شيء سيوقفنا عن تصحيح مسار الثورة، وشعرت بنشوة الاعتزاز والفخر بهؤلاء الرجال الذين ينتصرون للحق عند اقتناعهم بعدالة القضية والهدف. ومع ذلك فأن ما كان يؤرقني ويجعل مسئولية اتخاذ قرار عسكري كبيرة وصعبة هو أن ثمن أي مغامرة عسكرية نقدم عليها، لن أدفعه فقط أنا بل مائتين من خيرة أبناء المنطقة، لكن لم يكن أمامنا من خيار آخر، فهذا الانقلاب قد فرض علينا الاستعداد للحرب كطريق للسلام، وبتحركنا هذا وتحرك أبناء المناطق الأخرى سيجعل من خططوا للانقلاب من قيادات الجيش يدركون بأن المنتصر في الانقلاب خاسر لا محالة، لأن إرادة الشعب لن تثني أو تضعف، والله ناصرها، وأبلغ وأقوى تعبير عن هذه الإرادة هو أن يحمل أبناء الشعب السلاح طواعية ويستعدون للموت، فالشعب المسلح بالقناعات أولاً والسلاح ثانياً حتماً سيكون النصر الأكيد حليفه، فليس من صفات شعب الجنوب الحر الجنوح للصمت أو اللامبالاة إزاء قضاياه المصيرية، والتاريخ القريب يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن أبناء الجنوب قد انتزعوا حريتهم بكفاحهم البطولي، وبقوة الحديد والنار غيبوا شمس الإمبراطورية البريطانية.

كانت تراودني مشاعر بأننا عندما ندخل المدن القريبة من عدن مع بقية أبناء المناطق الأخرى ونحن في جاهزية عسكرية للمقاومة سنجعل قيادة الجيش تعيد النظر في حسابات انقلابها والتعامل بترو ومسئولية مع من تبقى من أفراد القيادة العامة حتى يتحاشوا الاصطدام المسلح مع الشعب.

كانت بداية الرحلة صعبة ومتعبة بسبب وعورة الطريق وزحمة الرجال. كنا نأمل أن نصادف في الطريق أية سيارات لنخفف من الازدحام في سيارتينا، لكننا لم نجد أية سيارة حتى وصلنا إلى عقبة العرقوب القريبة من قرية أمعين، وهناك كانت محطة الأشغال العامة فوجدنا فيها ما كنا نبحث عنه. إذ كانت المحطة مليئة بالسيارات التابعة لمشروع شق الطرقات.

طلبت من المرافقين أن يتبعني أي شخص لديه خبرة في سياقة السيارات، وهناك دخلنا إلى المحطة وقابلنا القائمين عليها وأخبرتهم بصراحة عن وجهتنا وأسبابها، وأن أقل ما يمكن تقديمه هو دعمنا بالسيارات. كان هناك تردد من بعض المسئولين في المحطة، ولم يكن لدينا وقت للتفاوض، فطلبت من أحد أفراد المشروع الذي أظهر

تعاطفه مع الثورة أن يدلنا على المكان الذي يحفظون فيه مفاتيح تشغيل السيارات، فأشار إلى أحد الصناديق ومن هناك أخذت المفاتيح وطلبت منه أن يساعدنا في انتقاء أكثر السيارات صلاحيةٍ وتجهيزها بالوقود. كان ما أخذناه حوالي "١٥" سيارة، وكان هدفنا الوصول أولاً إلى مدينة جعار بأي ثمن.

بحصولنا على وسائل النقل الكافية جعلني أشعر بأن خسائرنا البشرية ستكون أقل في حالة أي مواجهات قادمة سواء في نقاط التفتيش المعروفة أو في أي نقاط مستحدثة من الجيش بسبب ذلك الانقلاب. وتم توزيع القوة مع تعيين قائد لكل سيارة وكذا قائد ثاني وثالث، وأخبرتهم بأننا سنمر في عدد من نقاط التفتيش وظيفة أفراد الأمن الأساسية فيها تفتيش السيارات والمسافرين لمنع دخول الأسلحة إلى المدن، ولذلك فأن الوقوف في تلك النقاط مضيعة للوقت، في ظرف كان لكل ساعة من الزمن ثمنه. أي أنه لا يوجد وقت للتفاوض مع مسئولي النقاط، وإن وُجد فمن المؤكد أنهم لن يسمحوا لنا ونحن مدججين بكل أنواع الأسلحة، ولهذا لم يكن أمامنا إلا خيار واحد، هو عدم التوقف في أي من النقاط، وعلى كلٍ منا أن يحرص لحظة عبور النقاط على إخفاء السلاح لأن إظهاره يعد استفزازاً لرجال الأمن وقد يدفعهم إلى إطلاق النار علينا أو نضطر للاصطدام معهم وهم ليسوا هدفنا، فضلاً عن كون أي إعاقات ستؤخر وصولنا إلى محطتنا الأولى مدينة جعار، وبالتالي دخولٍ عدن. طلبت من سائقي السيارات أن يحافظوا على تحديد سرعة سياراتهم وفقاً لسيارتي التي كانت في مقدمة القافلة وأن تفصل بين كل سيارة وأخرى مسافة ٥٠ متراً.

عبرنا نقطة تفتيش مدينة شقرة، وثم الأخرى في الحزام في أطراف مدينة زنجبار، وحاول من في هاتين النقطتين إيقافنا، لكننا لم ننصاع لأوامرهم، فمررنا النقاط بسرعة عالية، لكن ما أن خرجنا من مدينة زنجبار وتحديداً في جولة مفرق طرق زنجبار - جعار - الكود، حتى كان علينا أن نهدئ من سرعتنا بسبب درجة الانعطاف الحاد، فوجئنا هناك بوجود سرية من رجال الأمن قائدها أحمد عبد الله الجحزري، ولا أعرف هل كان تواجدهم هو بسبب بلاغات وصلت إلى قيادة أمن المحافظة عن عبورنا النقطتين السابقتين دون أي توقف، أم أنه بسبب ظروف الانقلاب. كان واضحاً لهم بأن الجميع مسلحين، لذا أخبرني بأنه لن يسمح لنا بالعبور إلى مدينة جعار مع أسلحتنا وأن علينا أن نعود إلى مركز قيادة أمن المحافظة في مدينة زنجبار للحصول على تصريح مرورنا مع السلاح، مؤكداً بأنه

يتواجد هناك محمد عبد الله البطاني قائد أمن المحافظة ونائبه محمد محسن العمري.

أخبرته بأننا عبرنا النقاط السابقة دون أي اعتراض، موضحاً له صراحة بأن ظروف الانقلاب قد اضطرتنا لحمل السلاح حتى ننقذ هذه الثورة والحفاظ على من تبقى من أغلبية القيادة العامة، وأكدت له بأنه وسريته ليسوا هدفنا، وأنه ليس من مصلحتنا أو من مصلحتهم أن نتقاتل هنا. وبعد المشادات والأخذ والرد اتفقنا مع الجحزري على السماح للقوة بالعبور إلى مدينة جعار، على أن أعود أنا إلى قيادة المحافظة لمقابلة البطاني والعمري. كان ذلك الحل مُنصفاً وجنبنا الاقتتال ومكنني من مقابلة قيادة الأمن في أبين. ذهبت إلى مبنى أمن المحافظة مع من كان يرافقني السفر بسيارتي وهنا وجدت حراسة المبنى من أبناء يافع وأهل فضل وكانوا يعرفونني، لأنني ما أن وصلت إلى البوابة مع مجموعتي وسألتهم أن يدلوني على مكتب البطاني حتى ردوا مخاطبين باسمي وأشاروا إلى الطابق الأعلى، وسألوني عن أخبار سالمين وأغلبية القيادة العامة. قلت لهم هذا ما أتيت من أجل أن أعرفه من قيادتكم. عند ذلك أوضحوا أنه تم حجز بعض العناصر بسبب أنهم تفوهوا بأنهم ضد هذا الانقلاب. قلت لهم: إذا ماذا ننتظر علينا أن نطلق سراحهم. وفعلاً تعاونوا معي لإخراجهم من السجن، بعدها وزعت مرافقي في أماكن مختلفة من البناية لمزيد من الحيطة.

أحسست بأن حجز العناصر الرافضة هو قبول الانقلاب، وترجمت أن مبادرة الحراسة في الإفشاء عن سر تواجد محتجزين بسبب مواقفهم من الانقلاب إنما هو إيحاء غير مباشر يفرض علي مزيد من الحيطة والحذر، فالقيادة إذاً لن تكون مسرورة عندما يعرفون موقفي من هذا الانقلاب. كان هذا مجرد استنتاج بسبب أن الحراسة كانوا متحفظين في كلامهم عن مواقف القيادة. دخلت إلى مكتب القيادة، ووجدت البطاني والعمري يشربان الشاي. سلمت عليهما وأخبرتهما بأنني قد قدمت على رأس مجموعة كبيرة من أبناء يافع محطتنا الأولى مدينة جعار، ومنها إلى عدن، وقد أخبرني أحمد الجحزري بأنكما موجودان هنا فحبيت أن أستأنس برأيكما حول ما يحصل في عدن. لكن البطاني قاطعني بأسلوب فيه حزم العساكر قائلاً :"اذا هو انته ومجموعتك من لم تمتثلون للقانون وقطعتوا النقاط دون توقف ودخلتوا المدينة مع السلاح بدون أخذ أي إذن رسمي وتدخل مكتبي بدون إذن ومع السلاح أيضاً ". رَدَدْتُ عليه:" صحيح ما تقوله فأنا وما يقارب مائتين مقاتل دخلنا مع أسلحتنا وعتادنا ومحددين موقفنا، وهو مع أغلبية القيادة

العامة، وجاهزين للقتال في معركة كان قد فرضها علينا ذلك الانقلاب، ومن اقتنع بالدخول إلى ساحة المعركة ومستعد للموت لن يطلب أي رخصة من أحد، وأنا لم آتِ إلى هنا إلا من أجل أن أعرف موقفكم مما يحصل".

تدخل محمد محسن الذي لم أكن أعرفه كثيراً، لكن كانت تربطني بوالده علاقة صداقة ووفاء، فقال بشيء من الهدوء والرزانة:" يبدو يا صالح بأنك متعب كثيراً من السفر، تفضل اجلس لنشرب الشاي معاً". وعندها أاتضح لي أن موقفهما لا يختلف عن موقفي، وطمنونا بأنها لم تتم أي تصفيات جسدية لقياداتنا، لكن بعضهم أودعوا السجون والآخرين ما يزال البحث جارياً عنهم.

سألتهما: إذاً أين سالمين. فأوضحا أن المعلومات تؤكد أنه ما زال حراً طليقاً ولكنه من الملاحقين، ولا يُعرف أين هو، ووعدا بالبحث عنه وإبلاغه بقدومنا.. بعدها غادرت المكتب إلى مدينة جعار.. وفي وقت متأخر من الليل أتانا سالمين، فتجمع عدد كبير من القادمين حوله، فعبر عن سروره البالغ لوصولنا قائلاً:" أنه لشيء عظيم في هذه المحنة التاريخية التي فرضتها شلة من عقداء الجيش بالتواطؤ مع بعض من القيادات التاريخية للجبهة القومية أن أجد نفسي محاط ومدعوم برجال يافع الأشداء، رجال السلاح والجبال، فيافع هي مخزن الرجال فتاريخكم مشرف إذ أنه تاريخيا لا يوجد فصيل أو جبهة أو منظمة أو تشكيل يؤمن تاريخياً بالكفاح المسلّح والحرية والكرامة إلا وأنتم فيه، وأرضكم هي ملاذ ومرتع الأحرار ومتنفس للجبهات المختلفة أثناء مرحلة الكفاح المسلح واليوم أتيتم بأسلحتكم وذخيرتكم لتؤكدوا نصرتكم لهذه الثورة في أخطر منعطف لها، منكم سنستمد قوتنا وصمودنا ضد الآلة العسكرية ذات الموروث الاستعماري".

كان لكلام سالمين تأثير عظيم في أوساط المقاتلين، ففي مثل تلك اللحظات الحرجة التي يسود الشعور الداخلي بالهزيمة والانكسار، على القائد أن يقدم الخطاب القوي المشبع بالإرادة والتصميم وإظهار جوانب الحق في قضيته حتى يتسلح رجاله بقوة الحق، فالقضية التي يؤمن من تبناها بعدالتها هي قضية سامية وسيحسم خياراتها الرجال بإرادتهم لأن يد الله مع الحق.

ساعدني سالمين في ترتيب السكن لأفراد القوة. الجزء الأكبر في جبل خنفر والآخرون تم ترتيبهم في مساكن المواطنين، وأخبرني بأنه قد طلب من مطعم المُهتجس في أن يجهز ثلاث وجبات يومياً طوال فترة بقائهم في جعار وأن سالمين سيتولى دفع الفواتير نهاية الأسبوع.

في اليوم الثاني سلمني سالمين "٣٠" بدلة عسكرية مع ٣٠ قطعة سلاح عبارة عن" استنيجات ومسدسات"، وطلب مني تشكيل فرق عسكرية وظيفتها الدخول إلى عدن بسيارات عسكرية لمساعدة المناصرين لنا من الجيش والأمن من المعتقلين في مدينة الشعب وحمايتهم حتى الوصول إلى منطقة أبين، بعد تخليص عدد من القيادة المحتجزة في عدن، والنجاح في تهريبهم وتهريب العناصر القيادية المستهدفة، التي كانت متخفية في أحياء مدينة عدن وتجميعهم في منطقة أبين، ولهذا السبب أصبحت أبين هدفاً أساسياً للجيش لإسقاط مدنها الرئيسية، وتحديداً مدينتي زنجبار وجعار التي تجمعت فيهما القيادات والقواعد المناهضة للانقلاب.

ولهذا السبب طلب سالمين مني ومن حسين عبد الحبيب ترتيب قوة عسكرية متقدمة في منطقة المُطَلَّع، يتم انتقاء أفرادها من القوات الشعبية، الحرس الشعبي ومن القوة الوافدة من يافع، كانت وظيفة تلك النقطة هي مقاومة ودحر أي وحدات عسكرية تحاول دخول أبين، ونصب كمائن لمحاولة أسر أي عناصر من قيادات الجيش حتى نقايض بهم مع قيادات الجيش لإطلاق سراح المعتقلين لديهم من القيادات اليسارية. كنت أدرك بأن تكليف سالمين لي بقيادة فرقة المُطَلَّع المؤلفة من ٢٥٠ مقاتلاً، أغلبهم لم يحصلوا على تدريبات عسكرية حقيقية، هي مهمة صعبة ومسئولية كبيرة، وما يُعقد ذلك أكثر، أننا سنواجه قوة عسكرية منظمة وعالية التدريب وتملك أسلحة الدروع والمدفعية، فيما نحن لا نملك شيئاً منها.

في مساء ١٣مايو ١٩٦٨م بدأت تلوح من بعيد أنوار أرتال سيارات وناقلات الجيش، أدركنا بأننا موعودون بمعركة غير متكافئة، ولهذا رأينا ضرورة التقدم إليهم لغرض التفاوض معهم والاستطلاع، ورافقني حسين عبدالحبيب، مبرش، الدبج، فاضل صالح " المعزوب"، محمد قاسم علي. توقف رتل الجيش عندما رأونا قادمين إليهم، وطلبنا الحديث مع قيادتهم، وأوضحت لهم بأن علينا جميعاً أن نتذكر بأن عوامل كثيرة تجمعنا وتمنعنا من القتال منها الدين والوطن الواحد والتاريخ النضالي الواحد في إطار الجبهة القومية، والتي ما كان لها أن تنتصر لولا مؤازرة الجيش العربي لها، محاولاً إقناعهم بأنهم بقتالنا سيرتكبون خطأً تاريخياً فادحاً لأننا نحن وهم سنكون وقود وضحايا هذه الحرب القائمة على أساس باطل، وستخلو الساحة لعشاق الانفراد بالسلطة، وموضحا لهم أنه ليس من العدل أن نساعدهم على إنكار دور الآخرين في تحقيق الاستقلال الوطني.

للأسف أن لغة التفاهم الودية هذه قد قُوبلت بتعالٍ من بعض المتحدثين وقيل لنا:" من أنتم حتى تثنونا عن مهامنا وتتخاطبون معنا وكأنكم الند لنا أنسيتم

بأننا الجيش العربي". هذا الخطاب المتعالي جعلني أتكلم بلغة الواثق، مؤكداً لهم بأننا أتينا ننشد السلم ونحن على استعداد للحرب، فمنطقة أبين تكتظ بأبطال العمل الفدائي وهناك آلاف المتطوعين من أبناء الشعب، ناصحاً إياهم أن يمارسوا شيئاً من الضغط على القيادة العسكرية والسياسية ويبينون للقيادة بأن تلك الحرب عبثية وغير عادلة والمنتصر فيها خاسر..

كل تلك المفاوضات لم تعط نتائج إيجابية للأسف، واتضح أن قادة الوحدات العسكرية ليس أمامهم من خيار سوى التنفيذ الصارم لأوامر القيادة العليا، وهكذا فما أن أتتهم الأوامر بالهجوم حتى بدأوا التقدم باتجاه قواتنا، لكنهم واجهوا مقاومة شرسة اضطرتهم للتوقف للحصول على مزيد من التعزيزات. كان علي سالم البيض، الذي شغل منصب وزير الدفاع في أول حكومة بعد الاستقلال، آخر العناصر القيادية التي غادرت عدن إلى أبين، وبحكم علاقته بالجيش وقياداته كان على اطلاع على التجهيزات العسكرية التي سترسلها قيادة الجيش من بشر وعتاد لإسقاط أبين، وكان يدرك مدى حاجتنا في أبين للسلاح ولهذا طلب من حسن علي الصغير "بدر" أن يبحث عن وسيلة لينقل إلينا عشر قطع رشاشات "كلاشينكوف" مع صناديق الذخيرة. كان بدر ومن معه قد آثروا ركوب البحر في أحد قوارب الصيد بسبب أن وحدات الجيش قد أحكمت تواجدها في كل المنافذ البرية المؤدية إلى أبين. وأنزل بدر الأسلحة والذخيرة في منطقة الشيخ عبدالله "أهل شداد" وهناك قابل سالمين ومطيع فأخبراه عن جبهة المُطَلَّع وعن وجودي هناك.

جاءنا بدر في اليوم الذي سبق المعركة الحاسمة ليخبرني بالتجهيزات العسكرية التي وظفها الجيش بهدف إسقاط أبين في زمن قصير قائلاً:" لقد أدركت خطورة مهمتك ومن معك هنا فقررت أن آتي لأن الرفيق هو رفيق المحن، وأنا لا أريد أن أخسرك في تلك المعركة غير المتكافئة، لذا دعنا نكسب الوقت حتى نحصل على إمدادات أكثر من الرجال والسلاح، وسأبحث مع قيادة الكتائب عن أي حلول أقل تكلفه من هذه الحرب". اخبرته بأنني قد جربت ذلك معهم ولم أفلح، وها نحن في معارك كر وفر، فالتفاوض في أرض المعركة ومع جيش نظامي لن يجدي نفعاً، لأنهم مجرد مُتلقين لأوامر القيادة، لكنه أصر أن يجرب التفاوض مع القيادات العسكرية التي قال بأنها تربطه ببعضهم علاقات نضالية كبيرة. قلت ممازحاً:" سبحان الله الذي أعطى بدر العقل الرزين". أجاب وبشكل تلقائي: من حقك أن تتعجب فأنا هو من تم منحي شهادة وأمام الكل بأنني "أدوع". كان يلمح

بذلك إلى إحدى العمليات الهامة التي طلبنا سالمين لتنفيذها أنا وبدر وعدد من أفراد القطاع الفدائي.

في اللقاء أخذ سالمين يشرح أهمية تنفيذ تلك العملية وخطورتها باعتبارها عملية انتحارية وأن القيادة قررت أن تطلق الأسماء الحركية لمنفذيها على الشوارع القريبة من مسرح العملية حتى وإن لم يستشهدوا.. قاطعت سالمين قبل أن يكمل حديثه ويعطي تفاصيل أكثر عن العملية قائلاً: اعتبرني واحداً من الانتحاريين. لكنه رد علي مباشرة بقوله:" أنت أجلس يا أدوع". وفيما بعد وافق سالمين على أن نكون أنا وبدر من ينفذ تلك العملية.

استشهاد بدر



وبالعودة إلى أحداث المُطَلَّع تركت بدر يبحث عن وسيلة الاتصال حتى تتم عملية التفاوض، وذهبت لأتفقد المجاميع الأخرى المتوزعة في المتارس التي أنشأناها خلال الأسابيع الماضية، وساعدتنا على الصمود. وتجاوبت قيادة الجيش في المُطَلَّع مع طلب بدر في التفاوض، وطلبت منه التقدُّم وكذا تقدُّم من سيقابلونه في مدرعة جنود تحمل في أعلاها سلاح "قرنوف"، اقتربت المدرعة منه. كان واثقاً، كما قال، بأن من كانت تربطه بهم علاقات نضالية كبيرة لن يغدروا به، والأكثر من ذلك أنه كان مترفعاً عن أساليب الدخول بحرب مع أبناء الوطن الواحد والدين الواحد.

هذا الإنسان الذي حاول أن يلعب دور رسول السلام، هو نفسه من دوخ الإنجليز بعملياته الجريئة حتى أصبح بالنسبة للاستعمار من أهم عناصر الجبهة القومية المطلوب تصفيتها، خاصة بعد قتله في كريتر عدن لرئيس المجلس التشريعي آرثر تشارلز؟" Sir.Arthur.Charles " في سبتمبر ١٩٦٥م. لكن هنا في المُطَلَّع -أبين قابله رفاق الأمس ضاربين بالعلاقات النضالية عرض الحائط، وكلما يدور في رؤوسهم هو كيف يتقنون تنفيذ أوامر قادتهم بقتله غدرا، فللسلطة ثمن، وثمن الانفراد في السلطة هو القضاء على أبطال مرحلة الكفاح المسلح. لم أكن لحظتها حاضراً

كان يفصلني عن موقع الجريمة حوالي كيلو متر، لكن ما أن بلغني الخبر حتى عدت مُسرعاً لأجد رفيق الخلية السرية الأولى مضرجاً بالدماء. كانت قد أصابته عدة طلقات من "القرنوف". ومع معرفتي أن الموتى لا يسمعون، لكني قلت وأنا أعيش لحظات من الإنكار والغضب لما حدث وبأعلى صوتي:" ليتك يا بدر لم تأت إلى هنا". شعرت حينها وكأن حزن الدنيا كلها قد سكنني وأنا أرى جسد الرفيق الذي عجزت عن قتله قوات الإنجليز أراه الآن جثة هامدة. وكان ما يؤنب ضميري أكثر أن سبب قدومه إلى جبهة المُطَلَّع كما قال محاولة تجنيبي الموت المحقق، لكن للأسف ها أنا أراه وبسلميته غير المعهودة يسبقني إليه.

نعم.. أتى إلينا بدر ليمثل العقل والمنطق الذي افتقدتهما منذ أكثر من شهر بسبب التوتر والترقب ومعارك اليومين الأخيرين مع وحدات الجيش، بين كر وفر، وها هو قد استشهد.. لكن للأسف على يد عناصر محلية، ليذكرني كيف قتل مدرم، وعبد القوي وعبود وغيرهم.

بعد لحظات من الحزن والألم النفسي، انتابتني نوبة غضب ورغبة في الانتقام، فاشتبكنا مع وحدات الجيش، وأمرت أفراد القوة بالتقدم لزرع الألغام تحت حمايتنا، قائلاً لهم: فليدفع القتلة جزءاً من الثمن، ودعوت الله أن تدوس تلك المدرعة بمن فيها على أحد الألغام الأرضية، لتبتر اليد التي قتلت بطلا عجز الإنجليز عن قلته، ولتحرق نيران اللغم قلب وعقل من خطط وهندس هذا الأسلوب البشع للقتل.

من جانبه كان سالمين يتابع عن قرب أحداث معارك المُطَلَّع ويتنقل بين زنجبار والكود ويرسل إلينا السلاح والذخيرة والغذاء والرجال، وبلغه نبأ مقتل بدر، ويبدو أيضاً أن هناك من أخبره برغبتي في الانتقام وأنه إذا لم يتدخل فإنني قد أقود الناس إلى التهلكة، ولهذا جاء مسرعاً إلى المُطَلَّع للاطلاع على أحوالنا. كانت المعركة في أوجها، طلبت منه إمدادنا بالذخيرة وبالمزيد من الرجال. وأثناء تفقده لعناصرنا وجد أن أغلب الأفراد الذين أرسلهم لمساندتنا لم يكونوا متواجدين هناك. أبلغني بأن أخبار الجبهة تأتيه أولاً بأول بتفاصيلها الدقيقة وأنه على علم بأن المواجهة غير متكافئة، وأوضح بأنه أرسل إلينا حوالي ١٥٠ مقاتلاً، لكن في حقيقة الأمر لم يصل إلينا منهم إلا ٢٠ شخصاً، فعاد إلى زنجبار غاضباً يبحث عن مصير الأفراد الآخرين الذين سبق له أن سلحهم لمساعدتنا في مواجهة الجيش. بيد أنه اكتشف بأن هناك عناصر في أبين تعمل لصالح الجيش، ويتمثل دورها في محاولة إثناء المتطوعين من الوصول إلى الجبهة بذريعة أن القوة غير متكافئة، وأن وحدات

الجيش المنظمة والمزودة بالدروع والمدفعية الثقيلة ستسحق جبهة المُطَلَّع وتسقط أبين وتعتقل أعضاء القيادة العامة، وأن المشاركة في القتال ضد الجيش العربي هو انتحار، كما كانوا يوهمونهم بالبديل الأفضل وقطع الوعود لهم بأنهم سيلحقونهم في صفوف الأجهزة الأمنية والعسكرية حال اكتساح الجيش لنقطة المُطَلَّع وسقوط أبين في أيديهم.

لا شك أن زرع الألغام أعطى ثماره، وأعاق من التقدم الآمن للجيش بآلياته العسكرية، فطلبوا من قادة وحداتهم العسكرية في مكيراس ولودر التقدم لتطويق الجبهة من الجهة الأخرى لزنجبار، فيخلقوا بذلك كماشة عسكرية لمحاصرة أبين من جهتين، ويساعدهم البحر من الجهة الثالثة. وفي اليوم الثاني قدم إلينا سالمين ومطيع وبدت عليهما علامات الإرهاق وعدم الرضا. كان أكثر ما أغضب سالمين هو تسليم المسئولين عن مخزن السلاح في " القرو" التابع للقوات الشعبية كل ما كنا نملكه من سلاح وذخيرة لرجال الأمن المؤيدين للانقلاب العسكري.

كان سالمين قبل أحداث المُطَلَّع يؤمن بأن أبين هي القلعة الآمنة التي ستحتمي بها القيادات والقواعد الرافضة للانقلاب، لكنه اكتشف في تلك الظروف الصعبة أن الخوف من قوة وبطش الجيش قد جعل الكثير من الناس ينفَضُّون من حوله، والأَمَرّ من ذلك أن البعض ممن كان لا يشك بولائهم قد مالوا للجيش، ومنهم من تجرأ وسلم ما كنا نملك من سلاح، ولهذا طلب مننا الانسحاب إلى مدينة جعار، قائلاً لنا:" دعونا نحافظ على الرجال الذي اختبرنا وجربنا ولاءَهُم، فهم من ساعدنا في إنقاذ قيادات الجبهة القومية الملاحقين وتهريب المسجونين، وهم من ثبتوا وأثبتوا استعدادهم لمواجهة الموت معنا في جبهة المُطَلَّع، هؤلاء سيكونون جزءاً كبيراً من قوتنا وسندنا في الأيام الصعبة القادمة، فالمدن لم تعد آمنة، ولهذا ليس أمامنا من خيار سوى الاحتماء بالجبال، ومن معكم هنا في أغلبهم رجال الجبال".

انسحبنا تدريجياً أولاً إلى منطقة الكود، ومنها إلى الجول وهناك التحق بنا مطيع ومعه حوالي ١٥ مقاتلاً، لكن انسحابنا هذا لم يكن آمناً، فقد تعرضنا خلاله لعدة كمائن نصبها المناصرون للجيش في أكثر من موقع، اضطررنا فيها للمواجهة، وكان آخرها المواجهة مع عدد كبير منهم في منطقة المخزن، وبسبب كثرتهم وشدة المواجهة احتمينا في إحدى البنايات القريبة من الطريق واستمرت المعركة حوالي ساعتين، واستشهد فيها زميلي وسائقي الشخصي علي عبد الله "نصف الليل " الذي تمترس وراء إحدى البيوت التي لم يكتمل بناؤها، ومع اشتداد

المعركة اضطر لاستخدام البرن من النوافذ الواسعة والمكشوفة، أي أن نصفه الأعلى كان ظاهراً، وهناك استشهد، وحزنت كثيرا لذلك.

أكملنا انسحابنا إلى مدينة جعار، والتقينا بالقيادة في جبل خنفر، وعرفنا من سالمين ومطيع بأن عدداً من المسلحين من أبناء الضالع والشعيب الذين أرسلهم علي عنتر وزودهم بمدفع قد وصلوا إلينا، وطُلب منا تنظيم صفوف المقاتلين لأي مباغتة مسلحة حتى تتمكن القيادة من التجهيز للهروب إلى الجبال. كان أول ما قمت به هو الاتجاه لفريق المدفع لاختبار مداه ودقة تصويبه. كنت في حقيقة الأمر سعيداً في امتلاكنا للمدفع، لأننا سنربك أفراد الجيش عندما تسقط عليهم قذائف مدفعية لم يكن قد خبروها عنا في مواجهتنا الأولى معهم في المُطَلَّع.

كانت تقديراتي بأن الأرتال الأولى للجيش ستكون على الطريق القريبة من الجول، فطلبت من طاقم المدفع استهداف تلك الطريق، لكن القذائف للأسف الشديد لم تصل إلى الهدف، بل سقطت في المنطقة الواقعة بين جعار والمخزن، والمؤسف أكثر أن إحدى هذه القذائف أصابت أحد أكواخ الفلاحين، فأصابني ذلك بخيبة أمل جعلتني أقلل من الاعتماد على المدفع في ضرب الأهداف البعيدة.

كما أسلفت ذكره لعدم التكافؤ بين الطرفين لجأت مجموعتي للانسحاب التكتيكي وهنا أتذكر بأن المواجهة بيننا وبين الجيش العربي في نقطة المُطَلَّع كانت عنيفة بسبب تقدمه مما أدى إلى سقوط قتلى وجرحى من الطرفين. وأتذكر هنا من الشهداء: حسن علي الصغير "بدر"، محمد حسين السلمي، محسن صالح العودي. ومن بين الجرحى من جانبنا أذكر المناضل حسين شيخ صالح من أهل عياش، وأثناء الانسحاب إلى الكود، جُرح المناضل أحمد صالح الشريف.

وعند تحركنا إلى منطقة المخزن دارت معركه بيننا وبين آل الشدادي الموالين للجيش، واستشهد من جانبنا المناضل علي عبدالله "نصف الليل" وجرح المناضل علي غنيم، وفي جبل خنفر جعار استشهد صالح محمد بن حدي المنصوري، من يافع قرية أهل منصور، كما استشهد شخصان من آل القعيطي في شقرة عندما كانوا ضمن المجموعة التي قامت بمواجهة الجيش القادم من مكيراس ولودر في منطقة شقرة، وهم الشهيد سقاف عبدالقوي جعفر العَدَرِّي والشهيد عبدالله قاسم صالح البعالي. جاءت هذه المعركة متزامنة مع معركة المُطَلَّع، وكان معظم أفرادها من أبناء يافع بقيادة الأخوة المناضلين فضل محسن عبدالله ويوسف عبدالله سعد وناجي بن ناجي وغيرهم.

ولا يفوتني الإشارة هنا إلى أبرز عناصر الجبهة القومية ممن كانوا ضمن مجموعتنا في معركة المُطَلَّع وهم حسب ما أتذكر :حسين عبد الحبيب من يافع، ومبرش من العوالق والدبج من آل فضل -أبين وفاضل صالح المعزوب ومحمد قاسم علي من يافع، وعبدالرحمن محمد علي جعران(الديوان) من أفراد الحرس الشعبي، ومن المشاركين الذين حضروا إلى جبهة المُطَلّع باسلحتهم الشخصية أتذكر: محمد حسين عوض الديواني، عبدالله عزالدين البكري، أحمد صالح الشريف، موسى محمد حسين الخضيري الرّيوي، سقاف بن شائف الصلاحي وحسين شيخ صالح العياشي. تم الانسحاب من جعار إلى منطقة تسمى حبيل البرق وطريق حطاط وحُمّة، وهناك في قرية اسمها العدنة أسفل منطقة القارة، استقرت القيادات المُلاحقة والمجاميع المقاتلة لتدارس الوضع واتخاذ القرار المناسب. واتفق الجميع على النزوح إلى المناطق الجبلية الآمنة حتى يتمكنوا من الإعداد الجيد للمواجهة، كون الوضع القائم آنذاك كان غير متكافئ.

لماذا احتمينا بالجبال؟

(توثيق الأحداث الفاصلة من ١٤ مايو حتى الخطوة التصحيحية)

كما أشرت سابقاً نشأ بيننا وبين القيادة السياسية والعسكرية في البدء اختلافٌ وتباين في وجهات النظر، بدأت بوادره تظهر إلى السطح في وقائع المؤتمر العام الرابع وما تمخض عنه من قرارات، هذ الاختلاف في وجهات النظر لم يتم احتواؤه آنذاك، لذا تعمقت شقته وتحول بسبب تعنت الجانبين إلى خلاف مبدأي وأساسي عميق ثم تناحري. فعلى الواقع مارست القيادات العسكرية والأمنية المستأثرة بالسلطة في ٢٠ مارس ١٩٦٨م حملة مداهمات واسعة في عدن تمَّ على إثرها اعتقال وتعذيب بعض القيادات العسكرية والسياسية وقيادات القطاع الطلابي من أفراد التيار اليساري للجبهة القومية ثم أعقبها ملاحقة الناجين من القيادات السياسية وفدائيي الجبهة القومية في منطقة أبين والتي انتهت بالمواجهة المسلحة في ١٤ مايو ١٩٦٨ في جبهتي المطلع القريبة من منطقة الكود أبين وجبهة شقرة - العرقوب.

بعد حركة ١٤مايو١٩٦٨م وبسبب تفوق القوات المسلحة على قواتنا أفراداً وعتاداً، قررنا الانسحاب من الجبهتين إلى مدينة جعار. وفي الساعات التي كنا نحن نقاوم الطلائع المتقدمة من الجيش لإعاقة تقدمهما كانت القيادة السياسية

(القيادة العامة) تعقد لِقَاءاً طارئاً واستثنائياً في أحد مباني جبل خنفر للوقوف أمام تطورات الأوضاع العسكرية والسياسية، والبحث فيما ينبغي علينا القيام به لإعاقة الجيش الزاحف حتى لا يحقق ما يطمح إليه من انتصار ساحق وحاسم.

خلال هذا الاجتماع اقتنعت القيادة بأن مقاومة الجيش المزود بالمدفعية والدروع في مدن وسهول أبين إنما هو الانتحار بدمه ولحمه، لهذا تم التصويت والموافقة بالإجماع على قرار الانسحاب إلى جبال يافع - وتحديداً إلى منطقة "رُصُد".

هناك عدة عوامل كانت وراء ذلك القرار، أذكر منها:

١ - إدراكنا بأن لنا هناك في الأرياف الكثير من المناصرين والمتعاطفين مع قضيتنا وأهدافنا. والتاريخ القريب يؤكد كيف تسابق الناس من تلك القرى الجبلية ولبوا نداءنا للتصدي لحركة ٢٠ مارس ١٩٦٨م ووقفوا معنا في خطوط المواجهة الأمامية، حتى أن عدداً كبيراً من المشاركين في الخطوط الأولى في جبهتي المطلّع (جبهة مواجهة الجيش القادم من عدن) وجبهة شقرة -العرقوب لمواجهة الوحدات العسكرية القادمة من منطقة العواذل - مدينة مكيراس إلى لحظة قرار الانسحاب هم في أغلبهم من أبناء جبال يافع وواجهوا معنا عدداً من الكمائن التي نصبت لنا في ساعات الانسحاب.

٢ - خبرتنا الكبيرة ومرافقينا من أبناء يافع بالتضاريس الجبلية ومسالك وطرق وشعاب وجبال المنطقة.

٣ - إدراكنا بأن الطبيعة الجغرافية للمنطقة ستعيق الجيش من التقدم بالآليات الثقيلة وخاصة سلاحي المدفعية والدروع، وهي ذات الأسلحة التي جعلت مواجهتنا لهم غير متكافئة وفرضت علينا الانسحاب.

كنا جميعاً نؤمن بأن تلك العوامل مجتمعة وغيرها ستساعدنا كثيرًا في المقاومة والصمود فيما إذا قرر الجيش ملاحقتنا، ناهيك عن أن خروجنا من المدن إلى الأرياف سيمكننا من استعادة الأنفاس وإعادة تنظيم الصفوف، وسنتمكن أكثر من تقييم المرحلة السابقة بسلبياتها وإيجابياتها والاستفادة من أخطائنا التكتيكية، وأخيراً رسم أهدافنا القريبة والبعيدة، إضافة إلى ذلك سيمنحنا الزمان والمكان فرصة تكثيف العمل السياسي الهادف وسط جماهير الأرياف وكسب قناعاتهم بمبادئنا الثورية وقيمنا، مدركين بأنّ التاريخ القريب يؤكد بأن الشرارة الأولى التي فجرت ثورة ١٤ أكتوبر كانت من الريف ومن جبال ردفان الشماء ووقود نارها كانوا الذئاب الحمر، هكذا كُنّا مقتنعين بأن الثورة القادمة ضد من

استأثروا بالسلطة وتنكروا لتاريخ رفاقهم ستكون مرة أخرى من المناطق الريفية وذلك بمؤازرة ساكنيها لتطلعاتنا المشروعة وأن النصر المؤزر سيكون حليفنا.

انسحبت كامل القوة مع رتل من السيارات التي استغلينا بعضها لنقل الأفراد وحمّلنا السيارات الأخرى ما استطعنا أخذه معنا من السلاح.

ابتدأت الرحلة الجماعية من مدينة جعار إلى الحصن "حصن بن عطية" ومنها إلى باتيس "أهل الرهوي" ثم إلى "حبيل البرق"، وهناك قررنا أن ننقسم إلى فرقتين، حتى نقلل من الخسائر البشريّة في حالة تعرضنا لقصف جوي أو أي كمائن تعترض انسحابنا في الطرق التي سنسلكها حتى وصولنا إلى المحطة الأولى التي ستتجمع فيها كامل القوة، أسفل قرية القارة في منطقة "رُصُد".

الفرقة الأولى كانت بقيادة سالمين وكنت أنا أحد مرافقيه. كانت انطلاقتنا من حبيل البرق حتى وصلنا إلى سيلة يرامس ومنها إلى سُلُب حُمَّة، وكانت هي المحطة الأخيرة التي استطاعت السيارات الوصول إليها، وكان علينا بعد ذلك مواصلة السير مشياً على الأقدام حتى وصولنا إلى العدنة في منطقة "رُصُد".

والفرقة الأخرى كانت بقيادة مُقبل (علي صالح عباد) وكان خط سيرها حبيل البرق ثم حطاط ثم سرار ومنها إلى منطقة "رُصُد".

كانت طرق السيارات المعبدة آنذاك تنتهي في مدخل حبيل البرق، وبسبب حاجتنا لنقل السلاح بالسيارات كان على أفراد الفريقين تسوية الطريق والعمل على إزالة العوائق من الصخور والأحجار التي تعترض طريق السيارات وردم الفجوات حتى تتمكن السيارات من العبور بأمان إلى أقرب منطقة ممكنة من القارة، وبعد جهد جهيد وصلت سيارات فريق مقبل إلى نقيل "رَكبْ حطاط"، وكذا سيارات فريق سالمين إلى "سُلُب حُمَّة". وساعد في التعبيد الجزئي والمؤقت للطريق العدد الكبير لأفراد الفريقين الذين يتجاوز عددهم ثلاثمائة مقاتل مفعمين بإرادة وتصميم كبيرين.

حططنا رحالنا في "رُصُد"، في بقعة كانت في السابق مكاناً لتَجَمُّع يافع بني قاصد، اسمها "العَدَنَة"، وتقع أسفل جبل القارة، وهي عبارة عن أطلال بيوت عتيقة، هجرها البشر، لكن المحن والمصائب السياسية والعسكرية فرضت علينا القبول بها وإعادة الحياة إليها، وحفزنا أكثر أن أهلها يناصرون تطلعاتنا.

هناك بنينا سُوراً متواضعاً من حجارة البيوت المهدمة، وداخل السور تم إنشاء معسكر أسميناه معسكر "العدنة". وهناك مكثت القوة ما يقارب أربعة أشهر، اعتمدنا خلالها بشكل أساسي على أنفسنا في طبخ ما توفر لنا من الغذاء "الرز

والخبز"، وكذلك على كرم المواطنين الذين كانوا يقدمون لنا بين حين وآخر وبسخاء الغذاء الجاهز من بيوتهم.

وبسبب عددنا الكبير وشحة إمكانياتنا وإمكانيات مواطني المنطقة وندرة مخزون المعسكر من الرز والدقيق وانعدام الدواء اضطررنا نحن أبناء مناطق يافع إلى مغادرة المعسكر والعودة إلى قرانا، وقد اصطحبت معي علي صالح عُبَاد مقبل إلى منطقتنا "آل بن صلاح" وحلَّ ضيفاً في بيتي لأيام في قرية "البُعلسية"، ثم انتقل للبقاء في مبنى القيادة المحلية في لبعوس "المعيان"، ثم عاد بعد أسابيع إلى "العدنة" في "رُصُد". وخلال تواجدنا في قُرانا قمنا بجمع التبرعات من الناس وإيصالها إلى "سالمين" لدعم من بقي معه في المعسكر لتغطية شراء الغذاء والدواء والملبس.

في تلك الفترة كان هناك تواصل بين سالمين وبين علي عنتر الذي كان قائداً في القوات المسلحة، وكذلك مع عبدالفتاح اسماعيل ومع علي ناصر محمد الذي شغل حينها (محافظ محافظة لحج) ولعب هؤلاء الثلاثة دور الوسيط لرأب الصدع الذي نشأ بيننا وبين القيادة السياسية والعسكرية في عدن، والذي ظهرت بوادره إلى السطح في وقائع المؤتمر العام الرابع وما تمخض عنه من قرارات.

كانت نصيحة علي عنتر أن نرحل من منطقة "رُصُد" إلى الضالع، حيث شعبيته وقوة تأثيره وتواجد عناصر كثيرة تؤمن بأن ما حصل في ٢٠ مارس١٩٦٨ يعتبر انقلاباً على روح القيم التي تؤمن بها الجبهة القومية، لذلك فهم سيدعمون توجهاتنا وجاهزون لمؤازرتنا، وهناك سيكون من السهل عليه تأمين البقاء الآمن لنا، وأوضح لنا أنه على الرغم من وجود كتيبة من الجيش في ضواحي مدينة الضالع إلاَّ أن هناك اتفاقاً على أن يعيش أفراد كتيبة الجيش وكذا مناصرونا والموالون لنا من أبنا الضالع في أمن وسلام، وأن لا يتدخل أي من الفريقين في شئون الآخر بالإضافة إلى تقديم التطمينات بأن عدداً من الضباط والجنود في المعسكر هم الآخرين متعاطفون معنا، بالإضافة إلى أنهم سيرتبون لنا معسكراً متواضعاً في منطقة سناح، وهي منطقة حدودية يسهل لنا التدريب أو الحركة فيها أو عبور الحدود منها إلى الشمال في حالة استشعار أي خطر أو ملاحقتنا من قبل الجيش.

أرسل سالمين في طلبنا بالعودة إلى المعسكر، وهناك تم إبلاغنا حول فكرة الرحيل إلى منطقة الضالع، وتداولنا المشورة حول كيفية ضمان الانتقال السري والآمن للرجال والسلاح. وفي البدء تم الاتفاق على أن تنتقل نصف القوة بقيادة "سالمين" مع أخذ نصف كمية السلاح الذي استطعنا حمله معنا عند الانسحاب من أبين،

وهو ما كنا نملكه من سلاح القوات الشعبية والحرس الشعبي، وأن يبقى في المعسكر النصف الآخر من عدد القوة بقيادة "مقبل" ونترك لهم نصف كمية السلاح. وعند وصول الفرقة الأولى وترتيب أوضاعها في منطقة الضالع سيتم أشعارهم للحاق بنَا، لكننا أبناء منطقة يافع اختلفنا حول ما هي الطرق الآمنة التي علينا أن نسلكها حتى الوصول إلى منطقة الضالع.

كان مقترحي ان نسلك الطريق التي أعرف جيداً بأنها آمنة إلى لبعوس ثم حطيب ثم حالمين ومنها إلى الضالع، لكن بعض من رفاقنا والذين هم أيضاً من أبنا منطقة يافع كان لهم رأي آخر وهو أن تكون الطريق إلى الضالع عبر منطقة يهر ووادي بنَا. حتى أنني أتذكر بأن أحد أصحاب ذلك المقترح قام يخاطبني بأسلوب فيه شيء من الثقة بصحة اختيار طريقه وبُطلان مقترحي قائلاً:" إن مثلك هو مثل من سألوه أين أُذنك القريبة، فقال هذه". ولكي يوصل الفكرة لسالمين وللآخرين قام أمامهم يمثِّل الدور وذلك بأن لوى يده اليمني خلف رأسه حتى لامست أُذنه اليسرى، ويقول: هذه هي الأُذن القريبة، واستحضر بذلك المثل الشعبي الذي يُضرب فيمن يُبعِّد ما هو قريب منه ويمكن الوصول إليه بسهولة.

كان "مطيع" يناصر مقترحي، حتى وان كانت المسافة أطول، لأنه يعرف أنها أكثر أماناً، فضلاً عن أن معرفتنا للناس في تلك المناطق التي اقترحنا عبورها ستضمن لنا مؤازرة وترحيب أبناء تلك القرى بنَا والمشاركة في حمايتنا و تأمين الطريق حتى نعبرها بسلام، وبسبب ذلك الخلاف حول أي الطرق التي سنسلكها انقسم نصف أفراد القوة الذين عليهم أن يغادروا المعسكر إلى فرقتين، إحداهما بقيادة سالمين وستسلك منطقة يهر وادي بنا ثم حالمين، والأخرى بقيادة مطيع وستسلك منطقة الصعيد ثم ذي ناخب ثم لبعوس ثم حطيب وصولاً إلى حالمين .

كأي حدث تاريخي تباينت آراء الناس ومواقفهم من أحداث ٢٠ مارس و١٤ مايو ١٩٦٨م، لذلك فوجئنا بأن بعض العناصر الموالية لمن استأثروا في السلطة قد قاموا بتوزيع منشورات في كل مناطق يافع مذيَّلة باسم القيادة السياسية والعسكرية في عدن تطلب من الناس عدم إيوائنا ونبذنا ومحاربتنا وتتهمنا بأننا متمردون على السلطة الشرعية وخارجون عن القانون. وكانت المنشورات الورقية في ذلك الزمن الوسيلة الأكثر فاعلية بعد الإذاعة في مخاطبة جماهير الريف واستمالتهم وكسب مواقفهم، وهذا ما جعل فرقتنا تغادر المعسكر إلى منطقة لبعوس قبل فرقة سالمين بحوالي خمسة أيّام حتى نضمن العبور الآمن للقوة، ونلتقي بالناس ونوضح لهم عدم واقعية، بل وظلم ما احتواه المنشور من التشويه بتوجهنا، وكذا مواجهة

العناصر التي تحشد الناس وتحرضهم ضدنا، ورافقنا في هذه الرحلة والمهمة علي صالح عُبَاد مقبل، وقد عاد إلى معسكر "العدنة" بعد ثلاثة أيّام لينقل إلى سالمين ما نقوم به من عمل دعائي يخدم أجندتنا ويطمئنه وأفراد القيادة العامة بما التمسه في أرض الواقع من قناعات الناس الإيجابية ودرجة تعاطفهم معنا.

مواقف غيَّرت الحزن والانكسار إلى فرح وتفاؤل

خلال فترة مكوثنا في يافع –لبعوس، بانتظار عبور أعضاء القيادة العامة في حدود مناطقنا، كان وقتنا موزعاً على كثيرٍ من الأمور الإنسانية والثورية الهامة، منهَا القيام بواجب العزاء لشهداء جبهة المُطلَّع وجبهة شقرة –العرقوب، وشهداء الكمائن التي نصبها مناصرو جيش الجنوب العربي لنا أثناء انسحابنا إلى مدينة جعار، وكذا زيارة الجرحى.. تلك التحركات كانت تمنحنا فرصة اللقاء بالناس وتنويرهم حول حقيقة أهدافنا القريبة والبعيدة ونوضح لهم أكثر ظلم ما احتوته تلك المنشورات التي تحمل في أفكار سطورها نقضاً صريحاً للحقائق إلى الدرجة التي تظهر الضحية وكأنما هو الجلاد.

للأسف حصل ما كنا نخشى من وقوعه، حيث وصلتنا أخبار وقوع جزء من فرقة سالمين في كمين، وتلك المجموعة كانت قد اتخذت الطرق السهلة والسالكة لمرافقة وتحميل قافلة الدواب المحملة بالأسلحة والذخيرة، وقد تعرضت لذلك الكمين المدبر في منطقة وادي بنا، وهي منطقة تلتقي فيها حدود ثلاث مناطق رئيسية ردفان وحالمين ويافع.

كانت النتيجة الحزينة والمؤسفة استشهاد ستة من الفريق المسلح المرافق للقافلة، واضطر الناجون من تلك المجموعة إلى ترك الأسلحة المحملة على الدواب والانسحاب إلى الشعاب والجبال المجاورة لوادي بنا حتى تجمعوا أخيراً في إحدى قرى مشألة، وهكذا تم استيلاء المهاجمين على كل الأسلحة والذخيرة. وكنا قد اضطررنا لحظة سماعنا الخبر إلى الإسراع باتجاههم لكي نؤازرهم ونطمئن عليهم ونواجه معهم أي كمين آخر محتمل.

لم يسمح لنا الوقت بالنزول عَلى كل القرى القريبة من قرانا، لذا اكتفينا بحشد وإقناع الناس القريبين منا. كان عدد المرافقين لنا من أبناء المنطقة الذين استطعنا إبلاغهم بما حصل لرفاقنا قد تجاوز الثلاثين مقاتلاً، وفي مقدمتنا كان

القيادي محمد صالح مطيع، ومن فدائيي الجبهة القومية المعروفين في القطاع الفدائي: حسين عبدالحبيب علي، ومحمد صالح العودي، ومحسن حليس (ذي صراء)، ويوسف عبدالله سعد، وناجي بن ناجي ومحمد موسى القعيطي، وعلي محمد المنصوري وعدد من المناصرين للجبهة القومية ممن لم تسعفني الذاكرة في استحضار أسماءهم والذين تجاوبوا سريعاً مع ندائنا، وطلبنا من المواطنين ممن نعرف حبهم وتعاطفهم مع خياراتنا أن يبلغوا الآخرين بتلك التطورات المأساوية وأن يكونوا على أهبة الاستعداد.

التقينا بسالمين ومرافقيه في قرية مشألة ففرح كثيراً بوصولنا وأدهشه وصول ذلك العدد من الرجال المسلحين وبتلك السرعة العجيبة. نحن أولاً وأخيراً بشرٌ تتحكم فينا المشاعر. والفرح والحزن صفتان متأصلتان في وجدان الإنسان، وفي لحظات المصائب والظروف الحزينة التي تواجهنا في مسيرة الحياة والكفاح، والتي يكاد بعضها يسحق النفس، ليس هناك أجمل ممن يتقدمون لمواساتك في محنتك، ويبدون الاستعداد المطلق وغير المشروط لمؤازرتك، وهم بهذا العمل الإنساني الواعي والهادف والجميل إنما يلامسون المشاعر ويغيرون حالة الانكسار النفسي التي تصيبك إلى سلامة، ويبعثون في النفس السكينة والأمل وتتعمق لديك الطمأنينة والإيمان الصادق بأن الله كريم وأن الفرج قادمٌ.

تتنوع مؤازرة الناس ودرجة أهميتها بتنوع المصائب والنكبات التي نواجهها في مسيرة الحياة، فعلى سبيل المثال عندما يتعرض الملتزمون بقضية أو هدف، سواء كانوا أفراداً او تنظيماً للفجائع والمصاعب والانتكاسات التي تسحق النفس، والتي هي في أغلبها نتاج التطرف بسبب تصادم القناعات والمواقف السياسية وتحويلها إلى خلافات تناحرية، هنا يكون لمؤازرة الرجال المؤمنين والصادقين لما عاهدوا الله عليه الأثر الكبير والعميق في نفوس من مسَّهم الضر، وتمنحهم تلك المؤازرة طاقة خلاقة من الشعور القوي بالثقة بعدالة القضية والهدف واستعادة روح التفاؤل بالمستقبل والإصرار على الصمود.

وحينما شاهد سالمين وفرقته ذلك الحشد من الرجال وكل شيء فيهم ينطق بالجاهزية والعزيمة والثقة بالنفس والإصرار على المواجهة غادرت نفوسهم ووجوههم سمات الكآبة والحزن، التي كانت نتاجاً طبيعياً للصدمة النفسية والشعور العميق بعدم الأمان والاعتقاد بأن الجيش ورفاق زمن الجمر ومعهم الأرض والنّاس قد اتفقوا على تضييق الخناق عليه وعلى رفاقه. ولهذا لم يكن غريباً أنه وفرقته خلال الساعات التي سبقت وصولنا إليهم كانوا يشعرون بأن الأرض قد

ضاقت بهم، وسيطر الوهم عليهم في أن يكونوا قد اخطأوا بتَركهم للمدن واحتماءهم بالجبال طلباً للأمن والأمان.

رافقنا أولئك الرجال، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية، وتزين خاصرة كل منهم أحزمة الرصاص (الشكة)، التي كانت في ذلك الزمن سمة من سمات رجال القبائل، وأكدوا بذلك الحضور استعدادهم غير المشروط للقتال إلى جانبنا بقناعة وتوفير الحماية لسالمين ومرافقيه من قيادات الجبهة القوميّة والنضال من أجل تحقيق تطلعاتنا المشروعة.

كان سالمين لا يعرف الكثير منهم، فلم يحصل له أن تعرف أو صادف هذا العدد الكبير من تلك الوجوه التي لوحتها الشمس ومنحتها الصبغة الجبلية البرونزية التي كادت أن تتماهى وتنسجم مع تفاصيل الطبيعة الوعرة والقاسية، وتلك السواعد المفتولة التي صلبها التعامل اليومي مع الصخور والجبال وقسوة الحياة. والأهم من كل ذلك أن حضور هؤلاء الرجال وجاهزيتهم في هذا الظرف العصيب والمنعطف التاريخي الحاد يؤكد له دون شك مواقف الرجال الواضحة من ذلك الانقلاب، ويقدم رسالة معبرة وواضحة بأن تطلعاتنا واقعية وتلامس مشاعر الجماهير إلى الدرجة التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تطلعات وأهداف الجماهير حتى أولئك الذين لم يساهموا أو يكونوا جزءاً من تفاصيل الصراعات الداخلية ولَم يكتووا يوماً بنارها.

عبر سالمين عن امتنانه وتقديره للقادمين معنا قائلاً لهم:"إن موقفكم لمؤازرتنا في مثل هذه الظروف الحرجة والقاسية سيظل راسخاً في ذاكرتي وذاكرة رفاقي وسيدوَّن في تاريخ الثورة فأنتم من يمنحنا القوة والصمود وبكم وبأمثالكم حتماً سننتصر".

من جانبنا أكدنا له بأن ما حصل قد هز مشاعر كل الناس ونَخْوَتهم وزاد أكثر من تعاطفهم معنا، وأن هناك أعداداً كبيرة من المقاتلين المؤمنين بعدالة قضيتنا، منهم من سبقونا إلى وادي بنَا لتعقب القتلة، وذكرنا لسالمين فيما بعد كيف أن محمد مُوسَى وبن مقيدح من قرية اللم – القعيطي، وعدداً آخر من المقاتلين كانوا أول من وصل إلى بنا وأطلقوا النار باتجاه من ساورهم الشك بأن لهم علاقة في القتل وطمئناهم بأن الرجال ما زالوا يتجهزون للحاق بنا.

كان سالمين في حالة تأثر كبير على من استشهد من رفاقه وأقاربه فكل الشهداء الستة من آل فضل وفي مقدمتهم حسين عبدالله الفضلي (ناجي) وهو من

أصغر المرافقين لنا سناً، وكنت بحكم علاقتي بهم جميعاً أعرف بأنه كان يتصدر المراكز الأولى في قائمة المقربين جداً لسالمين. بل يمكنني القول بأن علي صالح عُباد مقبل وحسين عبدالله كانا يحتلان المراتب الأولى لرفاقنا من أبناء أبين المقربين جداً لسالمين بسبب ولائهم المطلق له ولما يتمتعان به من حنكه ثقافية وسياسيه وعسكرية.

إن ذلك الكمين وتلك الخسارة البشرية الكبيرة التي تجرَّع سالمين وتجرعنا معه مرارتها قد هزت شيئاً من ثقته بالأرض والإنسان. ولم تكن آثارها ونتائجها السلبية تقتصر فقط على سحق المشاعر، لكن أثرها المادي كان أفظع، إذ أننا خسرنا في لحظة واحدة عدداً من رفاق السلاح المجربين بإخلاصهم وولائهم وجرأتهم، كما خسرنا السلاح الذي كان يساعدنا على الصمود. لكنه سرعان ما أدرك بالتحري وبالدليل القاطع بأن أبناء جبال يافع بريئين من تلك الفعلة الشنعاء، واعتبرها نتاجاً للوشاية والتآمر من بعض الرفاق.

نعم، يحق لنا أن نصف محصلة النتيجة بالخسارة الكبيرة بسبب أنها أخذت حيزها الزمني في تلك الظروف الحرجة التي وضعتنا فيها الخلافات السياسية، والتي اعتبرتها قيادات أقطاب الصراع السياسي والعسكري والأيديولوجي محورية، ولا تفاوض حولها، فأصبح الاستحواذ على السلطة أو التمسك بكل مفاصلها بأي ثمن، حتى وأن كان التآمر على الرفاق هو الوسيلة الوحيدة لكي يضمن المنتصر البقاء وفرض تطلعاته السياسية الداخلية والخارجية.

وبسبب الحاجة الماسة للسلاح عُدنا أنا وحسين عبدالحبيب وناجي بن ناجي وناصر بن زياد ومحمد العودي ومحمد موسى القعيطي ومحمد قاسم علي إلى معسكر "العدنة" وهناك وجدنا أن عدداً ممن رافقونا من ابنا منطقة أبين قد عادوا إلى مناطقهم بعد مغادرة سالمين للمعسكر.

التقينا مقبل وعبدالباري الفضلي ومن تبقى معهم، ونقلنا لهم قلق سالمين وخشيته من أن يتعرضون هم أيضاً لأي هجوم أو كمين، وطلبنا منهم مرافقتنا مع بقية القوة للحاق بسالمين وفرقته الذين ينتظرونا في مشألة، وأخذنا معنا من السلاح المتبقي ما استطعنا حمله على ظهور الجمال والحمير وتركنا الجزء الآخر في "رُصُد" تحت مسئولية حسين قماطه ومحمد علي القيرحي وعلي محضار.

لماذا اخترنا الاحتماء بجبال يافع ؟

توالت هموم الكفاح والحياة على سالمين فهو ابن أبين، لكن هناك في مسقط رأسه خذله البعض، وانفض من حوله عدد من الرفاق ممن كان لا يراوده أدنى شك في تبنيهم لكل القيم والمبادئ السياسية التي يناضل هو من أجلها، وحتى أن البعض حاربه وحارب رفاقه، وهذا ما ظهر جلياً أثناء حرب "المُطَلَّع" وساعات الانسحاب. ولهذا غادر سهول أبين ليحتمي بالجبال الحصينة ورجالها الذين عُرفوا تاريخياً بإسهاماتهم الثورية الهادفة إلى تحرير الأرض واستعادة حرية وكرامة الإنسان.

إنها ذات الجبال الصلبة والحصينة التي احتضنت قبل ذلك، ووفَّرت - بعد الله - الحماية للسلطان الثائر محمد بن عيدروس من ضربات القوى الجوية الملكية البريطانية، ومعه من المناضلين: محمد صالح المصلي وصالح عبداللاه البادع من قرية (ذي صُرأ) وصالح عبدالقوي من قرية (المحجبة) وعبدالله محمد الصلاحي من قرية (المبعل) والأحرار والمناصرين من أبناء المنطقة، وذلك أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، أي في الفترة التي سبقت ثورة ١٤أكتوبر ١٩٦٣م، وكانوا بانتفاضتهم المبكرة تلك من الطلائع الثورية للانتفاضات والتمردات القبلية الأولى التي برزت بعد ذلك هنا وهناك في أكثر من منطقة من مناطق الجنوب العربي والتي كانت نتاجاً للتوق للحرية والإحساس بالنخوة وعزة النفس والتمسك المطلق بالكبرياء وعدم الرضوخ للمستعمر وأعوانه وللمشاريع الاستعمارية الهادفة إلى بسط النفوذ، وعلى الرغم انها لم تكن عملاً ثورياً منظماً، لكننا نستطيع القول بأنها قد شجعت الناس وبعض التنظيمات السياسية في تبني فكرة الكفاح المسلح لاحقاً كوسيلة أساسية ساهمت في تشكيل أساس صرح العمل الموحد والمنظم الذي كان من ثماره تشكيل كثير من الجبهات وفي مقدمتهما الجبهة القومية وجبهة التحرير.

بمعنى أن الرَّحيل سيكون إلى المناطق التي حتى سلطانها كان ثائراً، وساعدت تضاريسها الجبلية الوعرة وصعوبة مسالكها في صمود الأحرار من أهلها وساكنيها أمام الضربات الجوية البريطانية التي استهدفت منازلهم، وهنا في أرض الصمود اتَّحدت الجبال والرجال فتمت هزيمة الحملة العسكرية الاستعمارية في "سَبِيْح" و "سَبَّاح" التي هدفت إلى الاكتساح البري وإخضاع منطقة يافع عسكرياً في اكتوبر ١٩٦٠م.

كما أن التاريخ القريب يؤكد بأن الكثير من أحرار ردفان "الذئاب الحمر" حينما تعرضت منازلهم ومراكز نشاطاتهم الثورية للضربات الجوية البريطانية احتموا مع عائلاتهم بجبال يافع، فهي أرض تحتضن وتحمي الأحرار، وأتذكر منهم: الزومحي وسعيد صالح ومثنى سالم عسكر ومحمد ثابت الخبجي وحنش ثابت.

كرم المرأة التي ذبحت عجلها

مجموعتنا أنا ومطيع ومقبل تحركنا عبر لبعوس، أما سالمين وعادل خليفة، وعبدالعزيز عبد الولي ومحمد سعيد محسن ومجموعتهم فقد بقوا بضعة أيام في قرية العدنة، بعدها تحركوا عبر يهر إلى وادي بَنَا متجهين نحو الضالع، لكنهم وقعوا في المحذور، فقد اعترضتهم مجموعة من الجيش والأمن كانت تتابع تحركاتهم، حيث نصبت لهم كمينا وأطلقت عليهم النار، مما أدى إلى سقوط ستة شهداء، أتذكر منهم القائد والمناضل المعروف حسين عبدالله الفضلي. وتم الاستيلاء على الأسلحة التي كانت محملة على الحمير. أما سالم ربيع وعادل خليفة وعبد العزيز عبد الولي ومحمد سعيد محسن وآخرون فقد تمكنوا من النجاة بعد أن توجهوا نحو منطقة مشألة في يافع.

لكن رحلتهم تلك كانت مضنية كون الطريق التي سلكوها جبلية وعرة إضافة إلى الوضع الأمني غير المريح في تلك الرحلة، لاسيّما بعد تعرضهم للكمين وفقدان عدد من رفاقهم ونفاذ ذخيرتهم، ولهذا وصلوا إلى منطقة مشألة خائري القوى تبدو عليهم علامات الإرهاق والتعب والجوع، ولم يكن أمامهم سوى التوجه إلى مسجد القرية لينالوا قسطا من الراحة، ولينتظروا من سيأتيهم من سكان القرية بشيء من الطعام والشراب، كي يسدوا رمق جوعهم وجور عطشهم.

وفي تلك اللحظة كانت هناك امرأة من نساء القرية قد رأت ذلك العدد غير المألوف في مسجد القرية فقالت في نفسها هؤلاء غرباء وبالتأكيد سيكونون جائعين وملامحهم تشير إلى ذلك ومن العيب ان نتركهم هكذا وهم في قريتنا. ولهذا عادت لتخبر أهل القرية وتطلب منهم ان يذبحوا العجل الذي تملكه فطبخت اللحم والخبز واستدعتهم إلى المنزل كي يأكلون.

اندهش سالم ربيع ورفاقه لموقف ومبادرة هذه المرأة وحفظها في ذاكرته. وهكذا دارت الأيام والمرأة لا تعرف ان من قدمت لهم الطعام يوما ما سيكونون قادة في الدولة. لكنها عرفت ذلك عندما صار سالم ربيع رئيساً للدولة. وبينما كان

الرئيس في أحد الأيام يعيد ذكريات النضال تذكر ذلك الموقف الذي كاد ان يؤدي بحياته وحياة رفاقه عندما نصب لهم الكمين أثناء الخلاف مع الجيش العربي، فتذكر موقف تلك المرأة التي قدمت لهم الطعام فقرر أن يقوم بزيارة خاصة لها إلى منزلها في جبل يافع قرية مشألة.

وبالفعل تحرك سالمين مع حراسته حتى وصلوا إلى تلك القرية حيث قابلها وسلم عليها قائلا: لقد أتيت إلى هنا بزيارة خاصة لك شخصيا كرد للجميل لذلك الموقف الإنساني الذي تعاملت به معنا دون ان تعرفي من نحن. شكرها وعرض عليها تقديم أي طلبات لكنها لم تطلب سوى شيئاً واحدا، هو إعطاء تأشيرة سفر لولدها للذهاب إلى المملكة العربية السعودية للعمل هناك لإعالة أسرته. وقرر لها الرئيس سالمين راتباً شهريا كمساعدة، وأبدى استعداده لتدريس ولدها على حساب الدولة في أية جامعة في الخارج لكنها رفضت وقالت هذا هو طلبي فما كان من الرئيس إلاّ أن يلبي لها طلبها، في الوقت الذي كان فيه ممنوعا اصدار التأشيرات إلى المملكة العربية السعودية. تلكم هي قصة المرأة الطيبة الكريمة.

وعودة إلى تلك الرحلة التي توقف فيها المناضلون في قرية مشألة، بعد تعرضهم إلى الخطر، فقد اضطررت أنا ومقبل ومطيع ومجموعتنا العودة إلى مشألة، خوفا على رفاقنا المتواجدين هناك وبالفعل تمكنا من الوصول إليهم واصطحابهم نحو طريق آمن عبر منطقة حطيب حالمين إلى منطقة الضالع وهي المحطة الأخيرة لهذه الرحلة. وهناك في الضالع استقبلنا قياديو الجبهة القومية من أبناء المنطقة، وجرى ترتيب اقامتنا في قرية "القرين" إحدى قرى بلاد الشاعري، حتى تم ترتيب وتأمين نقلنا إلى آخر قرية حدودية مع الشمال الجمهورية العربية اليمنية، واسمها قرية العبارى في سناح، تحسبا لأي طارئ أو مكروه قد يطالنا من كتيبة الجيش المرابطة في الضالع. وبعد الانتقال إلى سناح مكثنا فترة، ثم توجه الأخوة سالم ربيع علي وعبد العزيز عبد الولي وعبد الله الخامري ومحمد صالح مطيع مع مجموعة من المقاتلين بحدود ٦٠ فرداً إلى منطقة تعز، وهناك عاد بعض المقاتلين إلى قراهم في الجنوب، أما بعض القيادات مثل سالم ربيع علي ومطيع وعوض الحامد وعادل خليفة وغيرهم فقد رجعوا مجدداً إلى الضالع ليستقروا فيها.

كانت الضالع حينها تحت سيطرة الجبهة القومية، التي اتفقت مع قيادة الجيش المرابط في الضالع بعدم تدخل أي طرف بشؤون الآخر. أما أنا بعد وصولي

مع رفاقي إلى تلك القرية الحدودية، اشتد بي مرض البلهارسيا. وبما انه لا يوجد مستشفى ولا حتى ممرض في تلك المنطقة آنذاك، فقد اضطررت للذهاب مشيا على الأقدام إلى مستشفى الضالع الذي يبعد حوالي ثلاث ساعات عن منطقة سناح، وقد رافقني أحد زملائي ويدعى البيحاني الذي كان متواجدا في الضالع، قبل مجيء سالم ربيع ورفاقه، كونه قد فر بإحدى المدرعات العسكرية من عدن وفور وصولنا المستشفى قابلت الطبيب وشرحت له حالتي فأعطاني العلاج وعندما سألني عن هويتي أجبت: نحن من جماعة سالمين. وعندما سمع الطبيب ذلك التعريف، نهض إلى مدير المستشفى، وعرّفه عليّ فطلبوا مني ومن زميلي الانتظار بعض الوقت، بعدها عاد المدير ومعه جعبة فيها إسعافات أولية كتب عليها طريقة الاستعمال وقال لنا خذو هذه الأدوية معكم كإسعاف أولي وأبلغوا سالمين التحية وكل رفاقكم. وكانت الحقن العضلية من بين تلك الأدوية ولعدم وجود من يمتلك الخبرة في حقن الإبر في فرقتنا فقد تولى محمد سعيد عبدالله هذه المهمة.

خطف سيارة الجيش

تحركت وزميلي عائدين إلى منطقة سناح، وبينما نحن نمشي في وادي قرية الجليلة، كانت إحدى سيارات الجيش المرابط في الضالع واقفة بجانب إحدى مزارع القات، تركها السائق ودخل لشراء القات رأيتها فقلت: يا بيحاني ناضلنا ضد الاستعمار البريطاني لنعيش بأمان وحرية، واليوم صرنا مطاردين في الجبال مرة أخرى بسبب بقايا الاستعمار"اقصد الجيش العربي الذي كان تابعا لبريطانيا"، وها أنا أعاني من المرض وأمشي على الأقدام بينما هم يركبون السيارات ويتمتعون بالحياة، هيا يا أخي أنت سائق ومهندس فلنأخذ هذه السيارة لنركب عليها إلى سناح ثم نخفيها بين الأشجار، وسنقنع سالمين بأن نستخدمها في الحالات المرضية. توجهنا إلى السيارة وفتحناها حيث تمكن البيحاني من تشغيلها بدون المفتاح.

وما ان تنبه السائق حتى اسرعنا بالسيارة باتجاه سناح، وفور وصولنا قمنا بإخفائها وعدنا إلى سكننا، لكن قيادة الجيش في الضالع شكّت أن الذي أختطف السيارة من أفراد الجبهة القومية "جماعة سالمين"، فوجهت رسالة شديدة اللهجة للقيادة المحلية في الضالع، وعلى إثرها تم إبلاغ سالمين بضرورة إعادة سيارة الجيش.

استغرب سالمين من هذه الرسالة كونه لا يعلم أن أحداً من مجموعته كان قد أخذ سيارة، سأل المجموعة مشدداً عليهم أنه يعرف من الذي أخذ السيارة، ولابد من معرفة مكان إخفائها كي لا تتعرض المجموعة إلى مواجهة مع الجيش، عندها سرد

البيحاني القصة وحدد مكان السيارة، ولم يكن أمامي إلاّ أن أواجه سالمين بالقول : نعم لقد أخذتها ولن اسلمها وسأذهب إلى الحبيلين وعدن وأقطع الطريق لأخطف مزيدا من سيارات الجيش الذين أرادوا إهانة كرامتنا وإرجاعنا إلى الجبال من جديد. قلتها بحزم وقهر، عندها صمت سالمين وقال لي: انصرف دعنا نتدبر الأمر.

بعدها رأى سالمين أن ما قلته حقيقة، لذا رد للقيادة المحلية في الضالع أنه لا توجد لديهم سيارة، وما على علي عنتر الاَّ إقناع قيادة الجيش بذلك. وهكذا بقيت السيارة مخبأة لم يعد بإمكاني ولا المجموعة استخدامها، ولكي أتمكن من استخدامها قررت تغيير شكلها من خلال طلائها بلون آخر ونزع لوحاتها، لأنقلها إلى مكان آمن في منطقة يهر، أسفل جبل يافع، لأنه لا توجد طريق للسيارات إلى قمة الجبل آنذاك. ويمكننا القول إن الاستيلاء على السيارة إنما هو تعبير عن حالة السخط والرفض للوضع الذي أرادت أن تفرضه قيادة الجيش على مناضلي الجبهة القومية، وهي في نفس الوقت رسالة لهم، مفادها ان محاولة اقصاء المناضلين والالتفاف على ثورة الشعب لن تنجح وستقابل بالرفض والمواجهة، وقد وصلت بالفعل عدد من رسائل الرفض من عناصر الجبهة القومية إلى قيادة الجيش وإلى الرئيس قحطان الشعبي الذي كان هو ومجموعته على علاقة جيدة مع الجيش العربي الذي كان ينفذ تعليماته.

وعودة إلى السيرة الذاتية، أذكر أنني بقيت خلال تلك الفترة مع زملائي المناضلين المشردين في منطقة الضالع، ولم انقطع عنهم سوى أيام معدودات في عيد الأضحى، عندما قرر ت أنا ورفيقي القيادي محمد صالح مطيع المغامرة بالسفر من الضالع إلى يافع على متن السيارة المخطوفة، حيث تمكنا من التمويه والمرور من نقاط التفتيش حتى وصلنا إلى منطقة يهر لنضع السيارة هناك، ونمشي على أقدامنا حتى قمة الجبل، لزيارة أسرنا والعودة مجددا إلى الضالع. وقد عدنا بالفعل مشيا على الأقدام عن طريق منطقة حطيب في يافع. ولأن قيادات الجبهة القومية حينها كانت تعيش ظروف صعبة، فقد قرروا استخدام العمل السياسي والمرونة للخروج من هذه الأزمة، حتى يتمكنوا من العودة إلى عدن.

جرى تكثيف العمل السياسي والوساطات، وكان علي عنتر لاعباً رئيسياً فيها، كونه كان يمثل يسار الجبهة القومية، و كان له أيضاً ثقل لدى يمين الجبهة القومية كقائد ميداني. وقد لجأ المناضلون النازحون في الضالع وغيرها إلى الشعب مجددا لدعمهم والوقوف بجانبهم، باعتبارهم مناضلين من أجل حريته

واستقراره. وفي ضوء هذه المستجدات كلفت بالعودة إلى يافع للقاء بالمواطنين وشرح أبعاد المؤامرة والقيام بجمع التبرعات للمناضلين المشردين بالجبال.

في يافع بدأت بجمع التبرعات،من خلال جولات في عدد من القرى التي تمكنا فيها من جمع مبالغ مالية جيدة، وتم إرسال الدفعة الأولى منها ٢٠ ألف شلن بواسطة المناضل حسين عبد الحبيب إلى المناضلين المشردين في الضالع بقيادة سالم ربيع علي، ثم لحقته بعد أيام بنفسي إلى الضالع وبحوزتي ١٢ ألف شلن سلمتها للمناضل سالم ربيع علي، وعدت مرة أخرى إلى يافع، التي أصبحت تحت سيطرة الجبهة القومية آنذاك وتشكلت فيها أول قيادة محلية للجبهة القومية، وكنت عضوا فيها لكن نشاطي لم يتوقف عند هذه المحطة، فقد قررت الذهاب أنا ومجموعة من رفاقي في يافع إلى عدن بأي طريقة كانت للقاء بمن تبقى من قيادات الجبهة القومية هناك، لمعرفة الوضع السائد في عدن، وطرح موضوع قيادات وقواعد الجبهة القومية المشردين في الجبال، والبحث عن الحلول التوفيقية التي ستمكن من عودة المناضلين إلى عدن.

أثناء الاستعداد للسفر تذكرت السيارة التي أتيت بها من الضالع ووضعتها في يهر، فقررت إصلاحها والسفر بها، وهكذا تحركنا حتى وصلنا إلى موقع السيارة ومعنا أحد المهندسين الذي فحص السيارة، فوجد أن إطاراتها قد تعطلت، كما لم تعد تعمل لتهالك بطارية التشغيل وغيرها بحكم بقاءها في العراء فترة طويلة، لكننا تمكنا من إحضار بعض القطع وإصلاح الإطارات وبالتالي تم تشغيل السيارة والسفر بها، لكن الطريق كانت وعرة مما أدى إلى عطب بعض الإطارات لتتوقف السيارة من جديد، وتتم محاولة إصلاحها للاستمرار بالرحلة. أنها رحلة مضنية مليئة بالمتاعب والمغامرات، ففي رحلتي هذه إلى عدن أنا ورفاقي في القيادة المحلية في يافع وهم ناجي عثمان والشيخ يحيى قحطان وحسين عبد الحبيب ومحمد عبد الله ومحمد قاسم علي ومحمد صالح العود ومحسن حليس وسائق السيارة المهندس محمد عبد الله بن حطبين الملقب نصف الليل، كنت قد صغت رسالة بإسمي صالح فاضل عضو القيادة المحلية، بالسماح لي ورفاقي بالعبور في كل نقاط التفتيش في عدن دون اعتراض وختمتها بتوقيعي، وتتضمن السماح للقيادة المحلية بالعبور كون لديهم لقاء في عدن لرأب الصدع بين الجيش والجبهة القومية. ولكوني لا أجيد الكتابة فقد كلفت أحد الكتبة بكتابة تلك الرسالة.

لقد صغت الرسالة وأنا أعرف أنها غير معقولة، لكني أردتها عذرا فقط، كوننا لا نعترف بالقائمين على هذه النقاط، ونعتبر أن توقيفنا أو تعرضنا للتفتيش

كمناضلين ساهمنا في تحقيق الاستقلال هو نوع من الإهانة، وأمر غير مقبول. وفي الوقت نفسه قررنا عدم الانصياع في حالة تعرّضنا للاعتقال أو مصادرة السيارة، استمرت الرحلة وتجاوزنا عدداً من نقاط التفتيش ابتداء من الحبيلين حتى دار سعد مدخل مدينة عدن، حيث كنا نعرض الرسالة ونمشي، دون أي اعتراض.

لكن الحظ لم يحالفنا في آخر نقطة للتفتيش، فقد كان المرابطون في النقطة يعرفوني شخصيا، بل أن ثلاثة منهم كانوا ضمن المجاميع التي تم اعتقالها، ومن ثم إطلاق سراحها، من قبل مجموعة مقاتلي الجبهة القومية التي كنت أحد قادتها، وذلك أثناء الصراع مع جبهة التحرير والجيش والأمن. لهذا حاول أولئك الجنود في النقطة اعتقالي ومجموعتي، لكننا رفضنا وواجهنا، فتوتر الموقف مما اضطر الجنود إلى الاتصال بقائد شرطة الشيخ عثمان، ومن حسن الحظ كان قائد الشرطة هو المناضل صالح ملقاط، أحد رفاقي أثناء العمل الفدائي، ربما عين لأنه من مجاميع الرئيس قحطان الشعبي، وعندما عرف إسمي أمر مباشرة بعدم اعتراضنا وأبلغنا بالحضور إلى شرطة الشيخ عثمان. وتحركنا بمرافقة الجنود لنا إلى مقر الشرطة.

وما أن وصلت ورفاقي حتى قوبلنا باستقبال حار واستضافة من قبل صالح ملقاط وضابط المباحث محمد ناجي محمد، وأثار هذا الموقف دهشة الجنود الذين أتوا معنا من نقطة دار سعد، مما أدَّى إلى انصرافهم. بعدها قال لي صالح ملقاط مازحاً: أرني الرسالة التي عرضتها في نقطة دار سعد، قالها وهو يعرف قفشاتي ومغامراتي، منذ أيام العمل الفدائي ضد الاستعمار البريطاني، وعندما قرأها أنفجر ضحكا وقال: أنا أتوقع منك مثل ذلك انه شيء ظريف، بعدها شرحت له الوضع القائم، والخطوات التي تمت للتقارب بين قيادات الجبهة القومية أنفسهم وكذا قيادات الجيش والأمن وأنهم يقدرون أن الوضع الذي يعيشه عدد من قيادات الجبهة القومية ورجالاتها مشردون هو وضع خطأ، مذكراً إياه بأيام النضال ضد الإنجليز، مؤكدا السعي للتقارب.

بعد هذا الحديث الودي والمسئول كتب صالح ملقاط على نفس الورقة: يسمح لصالح فاضل ورفاقه المرور مع أسلحتهم دون تفتيش. ووقّع عليها وختمها بختم الشرطة وودعنا لنواصل مشوارنا إلى مدينة كريتر عدن، حيث يتواجد القيادي البارز في الجبهة القومية عبد الفتاح إسماعيل، وعدد من قيادات الجبهة القومية، الذين كانوا متواجدين في عدن بناءً على مساعي صلح جرت بين يسار ويمين

الجبهة القومية. كان الهدف من وراء رحلتنا إلى عدن هو مقابلة قيادات يسار الجبهة القومية لمعرفة موقفهم إزاء رفاقهم النازحين خارج مدينة عدن، الذين ما زالوا على خلاف حاد مع الرئيس قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف وقيادات الجيش، وقد تمكنا من مقابلة القيادي عبد الفتاح إسماعيل الذي كان ممثلاً للتيار اليساري، كانت تربطه علاقة جيدة مع فيصل عبد اللطيف، مكنته من الحفاظ على شعرة معاوية مع مجموعة ما يسمى التيار اليميني، بقيادة الرئيس قحطان الشعبي ليستمر محاورا من أجل حل الخلاف.

استغرب عبدالفتاح مجيئنا وكيفية وصولنا إلى عدن، كونه يعرف جيداً أنني من مجاميع القيادي البارز سالمين المقيمين في منطقة الضالع. لكنه رحّب بنا وسألنا عن سالمين وبقية القيادات، أما أنا فقد كنت مشحونا بالقهر والغضب من الوضع السائد آنذاك فلم أتمالك نفسي أمام عبد الفتاح فبادرته القول: أتينا إلى هنا لنعرف أماكن تواجدكم حتى نبيدكم كونكم تناسيتم زملاءكم وأتيتم إلى هنا لتعيشوا بالنعيم ونحن في الجحيم، وسردت زاملاً مشهوراً لأحد الشعراء الشعبيين يخاطب فيه محمد علي هيثم أحد قيادات الجبهة القومية قائلا:

يابن علي هيثم زعيم القومية	ياذي تسوي كوت والبدوي جرم
قد كان ساها جرجره من قبلكم	واليوم يشحت بين مكة والحرم

واختتمت قولي: إن ما قاله البدوي عن محمد علي هيثم ينطبق عليكم. وأردفت قائلا: أصبحنا خائفين في وطننا بعد أن حررناه، لديّ سيارة بدون ترقيم ونمشي من نقطة إلى نقطة وكأننا غرباء إذا لم يتم حسم هذا الوضع "سنضحك إبليس"! قلتها بلهجتي. أي أننا سنقوم بعمل يرتاح له الشيطان، وهو المواجهة بين الأخوة ورفاق النضال. لكن عبد الفتاح رد عليّ قائلا: يبدو أنك متوتر ومتعب من السفر والوضع الحالي، حاول امتصاص غضبي ووعدني بأن يرسل مساعدة لسالمين ورفاقه، مؤكدا أن الحوار جارٍ، وأنهم بصدد إقناع القيادة العامة من أجل عودة سالمين ورفاقه، طالبا الهدوء حتى يتمكنوا من كسب القيادة العامة وعلى رأسها الرئيس قحطان للاتفاق حول عودة قيادات الجبهة القومية المشردين خارج عدن. وهنا أود الإشارة أن عبد الفتاح إسماعيل قد أوفى بوعده، وأرسل بالفعل القيادي شوقي إلى الضالع لزيارة المجموعة حيث أوصل مبلغاً من المال وملابس، لأن ذهابه كان قد صادف فترة العيد.

عندما تقسى الظروف نتعظ من الدروس والعبر

في الفترة التي أعقبت ٢٠ مارس ١٩٦٨ كنا مع كل مواجهة عسكرية أو كارثة تحل علينا، أو كمين يعترضنا، أو حتى عندما يصيبنا الجوع أو البرد أو المرض ونحن مشردون في الجبال والشعاب والوديان، نشعر بالغضب من رفاق الأمس، والرغبة في الانتقام منهم، ولكننا أيضاً نقف مع النفس ونقيِّم نهجنا وسلوكياتنا نعيد معها ذكريات العلاقات الرفاقية الحميمة التي ربطتنا يوماً مع من يطاردوننا اليوم ويتعقبونا ليقتلوننا، فيتمكن منا الشعور بالحزن والأسف لما آلت إليه الأمور، ونحاول دراسة وتحليل الأسباب التي قادت إلى تمزيق وحدة الصف كنتاج لجنوح بعض القيادات في عدم الالتزام بقيم وأخلاق الجبهة القومية، ونتساءل كيف كنّا ؟ وكيف أصبحنا ؟. أي كيف كُنّا في الماضي القريب رفاق سلاح، يجمعنا التنظيم الواحد(الجبهة القومية) والمترس الواحد ضد العدو الواحد (الاستعمار) والهدف المقدس الواحد (تحرير الوطن) حتى حققنا بوحدتنا وبتكاتفنا وحفاظنا على بَعضنَا البعض وتضحياتنا ذلك الهدف وهو التحقيق الناجز وغير المشروط للاستقلال الوطني من الاستعمار البريطاني.

كنا نتساءل: لماذا غيرتنا ظروف المرحلة الجديدة التي أعقبت مرحلة الكفاح المسلح؟، أي مرحلة بناء الدولة الوطنية المستقلة والتي كنّا نصِفها ونصنِّفها بأنها غاية حلمنا، وكنا نؤمل بأننا سنودع فيها السلاح ونبدأ مرحلة البناء والتطور، لكن حينما بدأنا نعيش تفاصيل المرحلة ونمارس واجباتنا تجاهها حتى غادر العقل والمنطق بعض من أطلقوا العنان للتصريحات التي زادت من انقباض النفوس، أي أننا لَم نكن حصيفين حتى في أقوالنا وتصريحاتنا.

حينما نختلف يكون للكلام اثره، فالكلمات التي نطلقها أحياناً بعشوائية وبدون تفكير في لحظات الغضب وتفتقد لروح الرصانة واللباقة والمسئولية، حتى وأن كانت مجرد كلمات، إلاّ أن لها معانيها وتأثيرها السلبي في استشعار وإثارة الحقد والكراهية في النفوس.

كان الاختلاف أولاً في الرأي، ثم تطور إلى انعدام الثقة بين رفاق الأمس وعدم المساومة في التوجه السياسي والأيديولوجي والابتعاد عن التفكير العقلاني الهادف إلى خلق أرضية مشتركة تتقاطع عليها مصالحنا حتى نقف جميعنا عليها..هذا التصادم والنفور في التفكير بين قيادات التيار اليساري المتأثر بحركة القوميين

العرب والأفكار الاشتراكية من جهة، وقيادات القوات المسلحة من جهة أخرى، تلك التي كانت قبل الاستقلال مؤسسة عسكرية تخدم الاستعمار البريطاني والمتعاطفين معهم من القيادات اليمينية في الجبهة القومية، أنتج داخل تنظيم الجبهة القومية تيارين أحدهما يساري يؤمن بأنك لن تستطيع أن تبني دولة نظام وقانون وتضمن استمرارها وتطورها في جزيرة معزولة عن العالم، فالصراع العالمي يفرض عليك أن ترتبط بعلاقات استراتيجية سياسية وعسكرية واقتصادية واضحة مع أي من المعسكرين المتصارعين عالمياً.

في لقاءاتنا كان بعض من قيادات التيار اليساري تعبر عن الأفكار التالية :

١ - انهم لا يمقتون فقط الدول الاستعمارية والمؤسسات الاستعمارية، بل تعداه إلى النفور من أي شيء خدم أو له علاقة بالاستعمار.

٢ - لا يؤمنون فقط بالأفكار القومية، بل أن النظرة البعيدة لبعض قياداتنا كانت تتجاوز الحدود القومية إلى الآفاق الرحبة للأممية.

٣ - لم يكن أمام تلك القيادات من قوة عالمية توفر للدولة الفتية الحماية العسكرية والاقتصادية وتناهض معسكر الدول الاستعمارية (الإمبريالية) إلاّ دول المنظومة الاشتراكية .

٤ - أكدوا بأن تلك التطلّعات لم ولن يكون تحقيقها بالأمر الهين، بل يتطلب خلق ثورة في الثورة وفيها سيكون الضمان الأكيد بأن الاستعمار الذي غادر أرضنا من الباب لن يعود إليها ثانية من النافذة.

٥ - كان التاريخ القريب جداً ما زال يؤرق ذاكرتنا ويذكرنا ماذا يعني أن تستعمر أرضك وشعبك قوة استعمارية أجنبية، لهذا كان الارتماء في أحضان المعسكر المناهض لمعسكر الدول الاستعمارية، أي أن المعسكر الاشتراكي هو الخيار الانسب، بل الوحيد في نظر جزء من القيادة اليسارية المتأثرة بالأفكار القومية المشبعة بالنكهة الاشتراكية.

أما التيار الآخر للعناصر القيادية فيشكل بتوجهاته السياسية والاقتصادية اليمين المعتدل، وهو مدعوم من قيادات القوات المسلحة والأمن وله وجهة نظر أخرى ومنها:

- يؤمنونَ بتأسيس دولة عربية تحدد علاقتها مع الدول المصالح المشتركة وعدم التدخل في الشئون الداخلية.

- اتباع نهج سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز في علاقاتها الدولية.

- لا يؤمنون بأن إحدى وسائل التحصين من عودة الاستعمار بأشكال وأساليب جديدة يعتمد أيضاً على إعادة ترتيب البيت الداخلي وتنقيته من العناصر المصابة بحالة من الحنين للزمن الماضي بسبب الاستقلال الوطني وما نتج عنه من ظروف الاعتماد على الذات وأن ذلك التحصين قد يتطلب خلق ثورة داخليّة تساعد في استمرار الدولة الفتية وتطورها.

كانت القيادات العسكرية المؤيدة لهذا التوجه تنظر للمؤسسات العسكرية والأمنية وكأنها موروث شرعي لهم وحدهم، ولا يحق لأحد المشاركة في هذا الإرث، وينظرون بأن تطعيم القوات المسلحة بفدائيي الجبهة القومية هو بداية سحب البساط من تحت أقدامهم، بل أنه انقلاب عليهم .

نتذكر أيضاً - نحن المشردون اليوم — كيف كانت في البارحة تؤذي مسامعنا تلك التصريحات المتطرفة من قبل بعض القيادات العسكرية في الجيش العربي أو ما كنا نصفهم (شلة العقداء) بعبارات الترهيب بحسم الأمور عسكرياً مع من يخالفونهم الرأي والتطلع السياسي أو من يحاول تبني فكرة تغذية الجيش بعناصر القطاع الفدائي.

لكن علينا من أجل تقييم ونقد الذات، أن لا ننسى أيضاً ما قابلها من التطرّف في القول من بعض عناصرنا اليسارية الشابة، التي صعدت التفكير بالعنف دون ان تدرك نتائجه وعواقبه عندما جنح البعض للتطرف في الردود على قيادات الجيش ونشروا شعارات التطرّف ومنها " سنجعل من جماجم العقداء منافل للسجائر".

وباستعراضنا لتاريخنا الشائك هذا والنتائج المأساوية للخلافات وما عانيناه، نصل إلى استنتاج أنه كان من الحكمة علينا جميعاً يساريين ويمينيين أن نتنازل لبعضنا البعض ونلتقي في منتصف الطريق من أجل مستقبل الوطن ووحدة القيادة والشعب .

وها هي النتائج المؤسفة لتبني الطرفين الشطحات والتطرف والتزمت بالرأي ومحاولة إقصاء الآخر، فقد أصبحنا، ونحن جزءاً من صناع التاريخ الجنوبي الحديث، مشردين في الجبال وعرضة للملاحقات والكمائن وأصبح المنتصرون مرحلياً هناك في عدن يحكمون ولكن بضمائر مكسورة بسبب الشعور بأنهم ساهموا في تحويل رفاق الأمس إلى أعداء اليوم، حتى أنه أصابهم شعور بعدم الاستقرار والخوف مما تخبئه لهم قادم الأيام.

وبالعودة إلى تلك الواقعة، كان لحضورنا مع ذلك العدد من المقاتلين والجاهزين بأسلحتهم وذخائرهم بعد ساعات فقط من الكمين، كان له الأثر الكبير في نفس سالمين ومرافقيه وأحيا لديهم الثقة بأن المناصرين لهم كثيرون، وأن الله قد عوضهم في مصيبتهم هذه بأعداد كبيرة من المؤمنين والمتعاطفين مع قضيتهم ومعهم كبشر ومناضلين حقيقيين لا يستحقوا التشرد في الجبال أو استباحة دماءهم.

وحتى نضمن وصولهم الآمن إلى منطقة الضالع، وبحكم معرفتي جيداً لمنطقة يافع وكثرة المناصرين لخياراتنا في المناطق والقرى التي سنختار العبور فيها أخبرتهم بأن طريقنا ستكون عبر الجبل الأعلى ثم منطقة الجربة وعثارة ثم العياسى والروضة ثم جربة الدرج في وادي بنا ثم منطقة خالية تسمى النجاد ومنها سنعبر إلى منطقة حالمين ثم إلى جبل حرير ثم القرين ومنها إلى منطقة سناح في الضالع.

وفي كل منطقة كنا نعبرها وجدنا ترحيباً حاراً من قبل المواطنين عبرُّوا عنه بإطلاقهم الأعيرة النارية في الهواء احتفاءً بنا، ثم بتزويدنا بالغذاء، ومن ثمَّ ازداد عدد من رافقونا من شباب تلك القرى.

عادل محفوظ خليفة وصعود الجبال!!

ما زلت أتذكر كيف طلب مني وترجاني القائد العدني عادل محفوظ خليفة أن اختار الطرق السهلة التي لا تتطلب مشقة عند صعود الجبال أو تسلق الصخور أو كما قال ساخرا: "حتى وأن كانت مليئة بالكمائن". ثم شكى مما عاناه من تعب ومشقة أثناء صعوده للجبال المحيطة بقرية مشألة، وقال مازحاً: " أي أرض هذه التي اختارها لكم الأجداد لتعيشون فيها"، ثم أردف وهو يضحك: " حرام عليكم من أجل المبادئ حولتموني من الوزير الآمر الناهي إلى أبومقص (سرطان البحر) يستخدم كل أطرافه ليتسلق هذه الصخور".

ثم غير أسلوب حديثة إلى النبرة الجادة وأقسم لي بأنه اضطر أن يتسلق الجبال المحيطة بقرية "مشألة" مستخدماً أطرافه الأربعة حتى في بعض الطرق التي تعبرها النساء وهن يحملن على ظهورهن الماء أو أحمال حطب الوقود، وعبَّر لي كيف كان يزعجه كثيراً ضحك الأولاد وشفقة النساء عليه. ثم قال: "كنت انظر إلى القمة وأحس بأن الخوف يذبحني..أتدري لماذا؟..لأنني لم أكن أعرف بأنني مُصاب برهبة المرتفعات حتى واجهت جبالكم الشامخة". ودون ان أطلب منه

ذلك فنّد لي كيف استطاع أن يشخص حالته قائلاً:" من الخوف كنت أصعد الجبل وأقول في نفسي لو كنت اقرأ أحداث المستقبل لاخترت البقاء في عدن لتجنب ما عانيت من متاعب السفر معكم، حتى وأن حصل لي ما حصل لعبدالفتاح من التعذيب أو تكسير أضلاعي مثلما كسروا أضلاعه، أو إذا ما تكرر معي مثلما حصل لعبدالله الخامري، وداهم سكني رجال الأمن لاعتقالي ففي أسوأ الاحوال سأحاول مثله الهروب منهم بالقفز من النافذة الخلفية للشقة إلى الزقاق الخلفي للعمارة(الجَلّي) وأتحمل كل ما ينتج عن هذا من رضوض أو ارتجاج وحتى إذا تمكنوا من اعتقالي سأتحمل الضرب بالهراوات.. كل ذلك سيكون أهون ألف مرة من صعود جبالكم هذه..هل اقتنعت الآن بأني مصاب برهبة المرتفعات ؟ أرجوك أخرجني من هذا الجبال الشاهقة والمخيفة وابحث لي عن السهول والطرق السهلة حتى نصل إلى الضالع"..ثم سألني: وهل في أرض علي عنتر جبال صعبة المرتقى كهذه ؟.

لم أجبه، لكن كلامه هذا جعلني أتعاطف معه كثيراً، ووعدته بأن نسلك أسهل الطرق حتى وأن كانت طويلة، والأهم من ذلك أن تكون آمنة، ووعدته بأن نستأجر له حماراً أو جملاً يمتطيه ليخفف عليه متاعب المشي على الأقدام.

رافقنا – كما أسلفت - عددٌ كبيرٌ من أبناءِ يافع المناصرين لنا حتى تم وصولنا إلى منطقة الضالع، وهناك رُتِّبَ لنا أحد "البُراقات" بواسطة علي عنتر وعلي شائع وذلك في منطقة سناح الحدودية، الواقعة بين قعطبة والضالع، وكنا ننتقل أحياناً إلى تعز والمناطق القريبة منها.

أتذكر عند وصولنا إلى الضالع، أخبرت علي عنتر بكُلِّ ما عاناه عادل خليفة من متاعب السفر في جبال يافع ومسالكها الوعرة التي لم يكن متعوداً عليها من قبل، حتى أنه فكّر أن التعرض للتعذيب من قوة الجيش والأمن في عدن أَهوَن من مشاق ومتاعب السفر في تلك الطرق الجبلية الوعرة، فضحك علي عنتر على تلك التمنيات، وبتعاون منه تم إستثناء عادل خليفة من الانتقال للسكن معنا في منطقة سناح الحدودية ورتَّب له السكن لعدة أيام في فندق الضالع.

كرم أبناء الضالع

في الضالع الأبية، بالإضافة إلى كرم دعم قيادات الجبهة القومية هناك، وعلى رأسهم علي عنتر قائد الجبهة القومية في الضالع، وبقية رفاقه من جبهة الضالع وأتذكر منهم:علي شائع، قائد مثيني، قائد صالح، وأحمد صالح عبده الذي ربطتني به علاقة رفاقية، وهو من الفدائيين المعروفين في جبهة عدن، ولا ننسى أيضاً كرم المواطنين المادي والمعنوي.

تعجبنا كثيراً كيف أنه على الرغم من الظروف المعيشية الصعبة للناس، إلاَّ أنهم كانوا يتسابقون في الترحيب بنا وفي استضافتنا وإكرامنا، وأتذكر كيف أنهم كانوا في كثير من الأحيان يفرضون علينا البقاء ضيوفاً لعدة أيام في القرية الواحدة نتنقل خلالها من منزل إلى آخر كضيوف معززين ومكرمين.. وما زلت حتى اللحظة أتذكر كرم قبيلة السقلدي وأبناء القرين والجليلة وقبيلة المفلحي في قريتي شكع وخلة (خاصة ضيافة يحيى عبِدالقوي ناشر وإخوته). وفي كل تلك الضيافات لا يقتصر الأمر على جُودهم وكرَمهم، لكنه تعدى ذلك إلى أنهم أخذوا يتناوبون الحراسة ويسهرون الليالي من أجل حمايتنا.

إن ذلك الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه لنا الناس أيام انسحابنا إلى يافع ومنها إلى الضالع واستقرارنا في تلك المنطقة الحدودية شكّل حجرة أساس لقلعة صمودنا، وتبعاً لذلك تعمقت ثقتنا بالنفس وترسخت قناعاتنا بعدالة قضيتنا وتمسكنا بأهدافنا السياسية في تحقيق العدالة والمساواة بين الناس في فرص العمل والدراسة والاهتمام بالطبقات الفقيرة، وهي أهداف نستمدها من تطلعات وأشواق الجماهير، وموقف وخيار وطني علينا أن لا نحيد عنه. وكان هذا الالتفاف الشعبي يعني الكثير بالنسبة لنا ويمدنا بعزيمة لا حدود لها في مواصلة الصمود والثبات على مبادئنا وعدم التفريط ببعضنا البعض بغية الجاه أو السلطة أو المصالح الذاتية الضيقة.

أتذكر كيف كانت القيادة السياسية والعسكرية في عدن، رغم أننا اختلفنا معهم، لكن لإنصاف تاريخهم فأن عددا منهم كانوا في قمة هرم القيادات التاريخية للجبهة القومية، فالرئيس قحطان كان القائد السياسي الجبهة القومية، وكان فيصل عبداللطيف عقل الثورة ومؤسس حركة القوميين العرب في جنوب الجزيرة العربية. نعم..كانوا هم قيادتنا قبل أن تفرقنا خلافات المؤتمر العام الرابع للجبهة القومية، ومن القيادات العسكرية التي قدمت الدعم والمواقف الثابتة للجبهة

القومية في مرحلة الكفاح المسلح. وأتذكر كيف بعد أن يأسوا من إقناع سالمين في التنازل عن قناعاته والعودة للمشاركة في السُلطة وبغرض استمالتنا إلى جانبهم أرسلوا لنا من يساومنا على ترك رفاقنا للعودة إلى عدن مقدمين لنا الوعود بمنحنا المناصب السياسية والعسكرية العالية وفقاً لما يعرفونه عن كل فرد منا من إمكانيات وتطلعات. على سبيل المثال أتذكر كيف ارسلوا من عدن صديقاً ورفيقاً لي يعرض عليَّ وعلى رفيقي حسين عبدالحبيب المناصب العسكرية العالية، حتى أنه أحضر معه البزّة العسكرية وتحمل على كتفيها الرتب العالية.

كانت الأيام والأشهر تمر علينا ثقيلة وقاهرة ومؤلمة للنفس، فنحن مثلهم أبناء هذا الوطن ومثلهم أيضا لا نفتقر إلى التاريخ النضالي ولا تنقصنا القدرات السياسية والعسكرية.

رغم نشاط الوساطات الدائب لتقريب وجهات النظر ولَم شمل رفاق الأمس إلاَّ أن بعض من أفراد القيادة العسكرية كانوا يتعمدون الاستمرار في تجاهل حقوقنا، وهذا الأسلوب أحيا لدينا الإحساس بالظلم، وشعرنا أنهم ومن يؤازرهم من القيادة السياسية قد ظلمونا، وأن سبب تماديهم في ذلك كان لامتلاكهم القوة العسكرية.

لقد علمتنا تلك الأيام بأن نتائج أي حوار سلمي في أي قضية لن تكن منصفة وعادلة الاّ اذا تم التجهيز والتلويح باستخدام القوة لدعم من يجلسون حول طاولة المفاوضات وذلك من خلال إظهار قوة وجاهزية الطرف المفاوض على أرض الواقع. وتحقيقاً لتلك القناعات، وبينما كنا نحزم أمرنا ونتأهب للتحرك باتجاه عدن بالتنسيق مع القوات الشعبية والحرس الشعبي ومناصرينا في الجيش والأجهزة الأمنية والمتطوعين من أفراد الشعب بغية تشكيل قوة عسكرية ضاغطة كأسلوب من شأنه أن يعزز قوة وإرادة ممثلينا ممن يفاوضون سلمياً باسمنا، في ذات الوقت كانت هناك في عدن وساطات مكثفة يديرها علي عنتر وعبدالفتاح وعلي ناصر مع القيادة السياسية والعسكرية من أجل نزع فتيل التوتر. وتم الاتفاق مع قيادات الجيش على عودتنا إلى عدن على شرط أن نشارك أولاً نحن رجال القطاع الفدائي والحرس الشعبي والقوات الشعبية في حسم حرب الصعيد –العوالق، وذلك بحجة أن مشاركتنا في حسم تلك الحرب ستخلق حالة من الوحدة والألفة والتفاهم فيما بيننا وهذا سيخدم نتائج المفاوضات السياسية لعودتنا جميعاً للمشاركة في

مؤسسات السلطة السياسية والعسكرية والأمنية، واشترطوا أن تكون فرقتنا بقيادة محمد صالح مطيع وترافقنا فرقة أخرى من أبين بقيادة جعبل الشعوي.

كانت بداية تلك الحرب (حرب الصعيد) تقريباً في يوليو عام ١٩٦٨ وقد تنوعت أهدافها. في البدء كانت هدفها محصوراً على استهداف الأسرة الحاكمة، آل محسن بن فريد (الأمير عبدالله بن محسن بن فريد، ونائبه وشقيقه الشيخ فريد بن محسن بن فريد) وقد اضطرت الأسرة الحاكمة إلى الانسحاب إلى الأراضي السعودية.

لكن الحرب لم تحط أوزارها بعد هذا الانسحاب، إذ أنها استمرت لملاحقة واستهداف زعماء حزب رابطة أبناء الجنوب العربي في العوالق بسبب رفضهم وبعض من قبائلهم الانصياع لنهج الجبهة القومية، وكذا استهداف القبائل التي اتحدت مع قيادات الرابطة من المتعاطفين مع الأسرة الحاكمة - آل بن فريد.

استمرت تلك الحرب بشكل متقطع ما يقارب من عام، ورغم مشاركة وحدات الجيش والطيران في تلك الحملة العسكرية إلاّ أنها لم تؤدي إلى حسم المواجهة وتحقيق الانتصار الكامل وذلك بسبب شراسة رجال القبائل وما توفره لهم الطبيعية الجغرافية من حصانة ومنعة، فقد اضطرت القبائل إلى الانسحاب إلى جبال الكور والتحصن فيها، وهذا ما ساعدهم في الصمود أمام الضربات الجوية، وهكذا أخذت تلك الحرب زمناً أكثر من المخطط لها.

هذا الفشل في حسم الصراع أحرج القيادة العسكرية كثيراً وأضعف موقفها، ورأت القيادة السياسية والعسكرية في عدن ان زجّنا في المشاركة في تلك الحرب خيار يخدم أغراضها المختلفة ومنها:

- مساعدة وحدات الجيش في حسم ذلك الصراع.
- حرف مسار تطلعاتنا في الحشد لدخول عدن واشغالنا في حرب ليست في تلك المرحلة حربنا.
- إن فصلنا عن قيادتنا السياسية وإرهاقنا في تلك الحرب سيحقق للمتنفذين في السلطة الاستقرار والمزيد من إحكام القبضة على مفاصل السلطة.

هكذا كانت قراءتنا لأهداف إقحامنا في تلك الحرب أو على الأقل قراءة بَعضنَا لها.

التجهيز للمشاركة في حرب الصعيد

بالاتفاق مع سالمين تحركنا مع أسلحتنا من الضالع إلى لحج. كنا رغم تفسيرنا غير المُطمَئن لأهداف ذلك الاتفاق، إلاَّ أننا تأملنا خيراً من ذلك وتفاءلنا بأن ذلك التكليف سيكون بداية الانفراج للأزمة التناحرية التي نَشَأَت بيننا، نحن من كنا رفاقاً في الأمس، وأصبحنا اليوم بسبب تمسك بَعضنَا بالسلطة أعداءً، وأن تفتح لنا الأقدار صفحة بيضاء نقية من الشوائب، نرسم ونوثق فيها جميعاً مرحلة جديدة تسودها لغة التسامح والأمل والتفاؤل بمستقبل مشرق، والأهم إحياء العلاقات الرفاقية التاريخية الحميمة والمتميزة التي كانت تربط الجيش العربي والجبهة القومية والتي شكلّت أساساً لصرح انتصاراتنا التي تكللت بانتزاع الحرية وتحقيق الاستقلال الناجز وغير المشروط، وبسبب تلك العلاقة الوثيقة أصبحت الجبهة القومية هي الفصيل الأقوى والبارز.

لكن في الأشهر الأولى لمرحلة ما بعد الاستقلال الوطني وبناء السلطة الوطنية، برزت ظاهرة عشق التمسك بالسلطة والجاه وتغيرت معها وبسببها مفاهيم العلاقات، ولهذا كنا نتعامل مع تلك الوعود بحذر شديد، لا سيّما وأن أثر الفأس ما زال بالرأس، ولم يبارحنا الشك في صدق وحسن نواياهم.

كنا نتساءل لماذا اشترطوا أن يكون مطيع دون غيره مشاركاً في قيادة حرب لم تكن في قائمة أولوياتنا أو تخدم مصالحنا نحن المتضررين حينها من السلطة في عدن. لكن كان علينا رغم النكد وشظف العيش اليومي وحياة التشرد أن نتمسك بأي بارقة أمل والتركيز على الجوانب الإيجابية لأي قرار أو فرصة تُمنح لنا.

كنا ننظر لهذا التكليف بأنه سيخرجنا من حالة القوقعة والسكون التي فرضتها علينا الظروف غير العادلة، ويسهل عَلينا الحركة مع أسلحتنا في المناطق والمدن القريبة من عدن أو في بعض أحياء عدن، ومن ثم في المناطق التي سنعبرها في طريقنا إلى منطقة الصعيد في شبوه. وهكذا سنتمكن من التأثير على جماهير المدن والقرى التي سنتحرك فيها، وكذا على صغار الضباط وصف الضباط وجنود الأمن والجيش ممن كنا نؤمن بأننا خير من يمثل مصالحهم الحقيقية وأن ننقل لهم صورة واضحة وحقيقية عن أسباب تهميش القيادة العسكرية والسياسية لنا ولماذا تتم ملاحقتنا في محاولة للقضاء علينا. أي أن نعرفهم بأهمية دورنا سواء التاريخي منه أو ما تتطلبه المرحلة الراهنة وإقناعهم بأن مكاننا المناسب هو أن نكون

مشاركين فاعلين في رسم الهوية السياسية والاقتصادية والعسكرية وفي صنع القرارات الهادفة إلى بناء صرح الدولة الوطنية المستقلة .

وما أن وصلنا إلى لحج حتى أبلغنا علي عنتر وعلي ناصر بأن القيادة السياسية ممثله في قحطان الشعبي وفيصل عبداللطيف ومحمد علي هيثم قد أخبروهما بأن قيادات الجيش يطلبون مطيع للقاء بهم من أجل تحديد طبيعة وأهداف مهمتنا. وبتشجيع من علي عنتر وعلي ناصر اللذان أكدا ان القيادة السياسية قد التزمت بتوفير الدخول والخروج الآمن لمطيع إلى عدن. شخصياً عبَّرت لهما ولمطيع عن اعتراضي على فكرة الدخول إلى عدن، لأن مهمتنا كانت محدده وواضحة، وهذا الطلب المفاجئ حرك في نفسي الشك أكثر في نوايا القيادة العسكرية، إلاَّ أن مطيع أصرَّ على تلبية تلك الدعوة واعتبرها فرصة لإزالة حاجز عدم الثقة والتباحث مع هذه القيادة حول ماذا سيكون دور من لاذوا بالجبال بعد أن نسهم نحن في حسم معارك الصعيد، وطلب مني قيادة القوة إلى منطقة أبين، واتفقنا على أن يلحق هو بنَا في اليوم الثاني إلى مدينة جعار .

في أبين التقيت انا وحسين عبدالحبيب بجعبل الشعوي الذي كان هو الآخر في انتظار قدوم قوتنا واتفقنا على أن نشكل قيادة عسكرية واحدة وعلينا فقط أن ننتظر قدوم مطيع.

استدراج الجيش لمطيع واعتقاله

في اليوم الثاني كانت القوة جاهزة للتحرك، وكنا فقط ننتظر قدوم مطيع. لكن حضر إلينا بدلاً عنه كل من محمد موسى القعيطي ومحمد صالح أبوقعطة وهما المُكلَّفان بمرافقة وحراسة مطيع وأخبرانا بأن قوة مسلحة من الجيش اعترضتهم وتم اعتقال مطيع واقتادوه إلى مدينة الشعب. هذا الخبر المؤسف الذي نزل علينا كالصاعقة أكد لنا صحة حدسنا في أن القيادة العسكرية كانت تبيِّت أمراً ما من إرسالنا إلى جبهة الصعيد، واعتبرنا ان هذا العمل غير شريف ونقض للعهد والاتفاق بيننا ويعمق حتماً أزمة الثقة فيما بيننا. وهذا التصرف المؤسف أشعل فينا نيران الغضب، ولحظتها التقيت بالقوة وأخبرتهم صراحة بأننا كقيادة عسكرية لم نكن نرغب المشاركة في هذه الحرب، لأنها لا تهمنا في المرحلة الراهنة، وموافقتنا على المشاركة إنما استمديناها من قناعات القيادة السياسية، وها نحن الآن مقتنعين أكثر بأن أعداءنا في هذه المرحلة ليسوا من في جبال كور الصعيد وإنما في عدن، إنهم أولئك الذين اقصونا من السلطة وشردونا في الجبال، وها هم

اليوم لم يفوا حتى بما تعهدوا به البارحة، إن سلوكياتهم وأفعالهم هذه بعيدة عن العمل الجاد والصادق والهادف إلى تقريب وجهات النظر من أجل وحدة الصف ووحدة الشعب الجنوبي. وأكدت لهم بأن اعتقال مطيع بهذه الطريقة إنما هو جس نبض لردود أفعالنا، فإذا لم نفعل شيء على وجه السرعة فقد يعرضوا حياته للخطر وقد يستهدفوا آخرين أيضاً.

مطيع بالنسبة لي رفيق وأخ وصديق حميم لم التمس منه الاّ كل الوفاء. تعرفت عليه في عدن حينما لمع اسمه كفدائي شرس وجريء وقائد معروف في قطاع العمل الفدائي. تميزت عملياته بدقة التنفيذ والنجاح، فظل مطلوباً وملاحقاً من قبل السلطات الأمنية الاستعمارية، حتى أن صوره وُزّعت على كل النقاط العسكرية. وعلى مستوى العمل التنظيمي فهو من القلائل الذي تمتعوا بقدرات قيادية متكاملة، أي سياسية واجتماعية، جعلت كل من رافقه مقتنعاً بأنه سيكون له يوماً ما شأن عظيم، ولذلك اعتبرنا الحفاظ عليه وعلى أمثاله مهمة وطنية وأخلاقية، وهكذا قررت والجزء الأكبر من القوة التي برفقتي عدم الذهاب للمشاركة في حرب الصعيد، وطلبت من أفراد القوة الانتقال بأسلحتهم كأفراد إلى عدن وأن يكونوا على أهبة الاستعداد لأي عمل عسكري طارئ.

هناك جزء من أفراد القوة فضلوا البقاء في أبين لغرض التجهيز للمشاركة مع جعبل الشعوي في حرب الصعيد، أتذكر منهم: محمود سبعة (من حمومة)، وعبدالله عبدالرحمن (اليزيدي)، ومحمد عبدالله صالح (الملقب الحدي)، وحمزة الفضلي (من الوضيع).

كنت أدرك جيداً بأن الظروف الموضوعية والذاتية غير مواتية لأية مواجهة عسكرية في عدن، وأن اقحام القوة المحدودة العدد والعتاد في أي عمل عسكري متهور دون تجهيز حقيقي نستهدف فيه وحدات الجيش التي اعتقلت مطيع إنما هو بمثابة انتحار جماعي، وبنفس الوقت أحسست بأن استهدافنا للجنود أو صغار الضباط عملٌ غير عقلاني وغير هادف، لأنهم لا ذنب لهم في صنع قرار الاعتقال، وإنّما يخضعون لقوانين الضبط والربط العسكري الصِّرْف كسمة أساسية لوحدات الجيش المنظمة التي تلزم ضباط وجنود الوحدات العسكرية في تنفيذ أوامر القيادة العسكرية دون نقاش، حتى وأن لم يقتنعوا بعدالتها، ولهذا طلبت من أفراد فرقتي الاكتفاء فقط بتدبير دخولهم الآمن إلى عدن مع أسلحتهم، وبعدها سننسق مع رفاقنا في عدن ونقرر ما ذَا علينا أن نعمل، ولكن بأسلوب أكثر تنظيماً وتجهيزاً.

ركوب الخطر من أجل الأخ والرفيق

أحياناً تتركنا الظّروف المباغتة والظالمة أمام خيارات صعبة ومسارات عسيرة ونتائج تنفيذ تلك الخيارات أو اختيار المسالك تكون مُكَلِّفة ومؤلمة يتحير أمامها القلب والعقل، وتجعلك تقف مع الذات متسائلاً هل علي الانسياق كلياً وراء العواطف أم أن عليك تحكيم العقل مع الانجرار النسبي وراء العواطف.

هنا تحيرت!.. هل انجرف وراء العواطف لإنقاذ مطيع بتحريك القوة العسكرية وإقحامها لتنفيذ عمل عسكري متهور، أم أن أُمَكِّن العقل من اتخاذ القرار الصائب والمدروس جيداً، وأن أمارس المسئولية تجاه من يثقون بي وأعفيهم من أي عمل انتحاري جماعي، واعتبره واجباً فردياً أنا من يجب عليه تنفيذه. وتحقيقاً لتلك القناعة طلبت من عبدالله عِوَض طاهر، سائق عبدالملك إسماعيل عضو القيادة العامة (وزير العمل والشئون الاجتماعية) أن ينقلني مع سلاحي الشخصي بسيارة عبدالملك من أجل الدخول إلى منطقة الرئاسة.

كنت أدرك بأنني أمام مغامرة حقيقية قد تفقدني حياتي وحياة من أواجههم، لكن في ذلك العمل رسالة لكل المتنفذين في السلطة ومن سيعقبهم بأن التجبر والظلم وإزهاق أرواح البشر في سبيل التمسك بالسلطة والجاه سيحرِّك في الناس الجرأة ويولِّد الرغبة في استهدافهم حتى وأن سكنوا القلاع الحصينة، ناهيك عن كون في ذلك العمل وفاء وحماية لرجل حقيقي وقائد ورفيق معروف بنزاهته وثراء تاريخه النضالي، والأهم أنه اُعتقل ظلماً بسبب أنه من القيادات المؤثرة والبارزة التي تخالفهم الرأي.

كان قرار دخول الرئاسة واحتمال عدم الخروج منها أمراً مقبولاً ولا رجعة عنه، وكنت أحس بأنني قادم عليه بقناعة كاملة عمقتها في النفس المعاناة اليومية القاسية لي ولرفاقي بسبب سياسة الإقصاء والتشريد أكثر من عام كامل منذ ٢٠مارس١٩٦٨، وما استدراج مطيع لغرض اعتقاله الا الشرارة التي اشعلت في النفس نيران الغضب. وأتذكر من المناوبين في حراسة الرئاسة عبدالله محسن بن جبر.

صادف توقيت دخولي إلى مبنى الرئاسة انعقاد اجتماع شارك فيه الرئيس قحطان الشعبي وفيصل عبداللطيف ومحمد علي هيثم وعلي عنتر وحسين عثمان عشال وعلي ناصر وعلي عبدالله ميسري وبعض من أفراد القيادة السياسية والعسكرية. كانت تربطني بالعدد الأكبر من الحاضرين علاقات نضالية في مرحلة الكفاح المسلح وعدد منهم يتذكروني جيداً من أحداث ومواقف المؤتمر العام

الرابع في زنجبار الذي حضرته كمندوب، ولكن عند تشكيل اللجان العاملة في المؤتمر أصرَّت القيادات اليسارية على تكليفي بأمن المؤتمر وحماية المؤتمرين. وكأي مشروع قرار تم إخضاعه للنقاش وتمت المصادقة عليه من كل الأطراف. وفي ضوء ذلك التكليف طلبت حضور سرية من القوات الشعبية والحرس الشعبي، ونظراً للجو العام الذي خلقته التحضيرات للمؤتمر والمشحون بالتوتر الشديد، وبغية سلامة المؤتمرين أمرتُ سرية الحراسة بأن لا يسمحون لأي من أعضاء المؤتمر، مهما كان مركزه السياسي أو العسكري أو تاريخه النضالي، الدخول إلى القاعة إلاَّ بعد التفتيش الدقيق وتسليم السلاح الشخصي. واعتقد أن من كانوا حاضرين حينها ما زالوا يتذكرون كيف اختلفت مع بعض القيادات العسكرية لحظات دخولهم قاعة المؤتمر.

لم يستلطف البعض من القيادات العسكرية العليا منع حراسة المؤتمر لهم من دخول المؤتمر إلاَّ بعد تفتيشهم وتسليم أسلحتهم، وبسبب ذلك حصلت بيني وبين بعضهم مشادات كلامية، حتى أن أحدهم عندما أصر الحارس عليه أن يسلم مسدسه تكلم على الحارس بلغة التعالي والتجريح، وبدلاً من تسليم سلاحه قام بالاعتداء على الحارس محاولاً تجريده من سلاحه. وأمام هذا التصرف الأرعن لم يكن أمامي من خيار، غير أن أوجه نحوه سلاحي حتى يترك الحارس وبندقيته وأن يسلم سلاحه أسوة بغيره.

على الرغم من أننا أخضعنا الكل دون استثناء للتفتيش، وحرصنا على أخذ أي أسلحة شخصية وما تخفيه الأحزمة من مسدسات، إلاَّ أن بعضهم اعتبر ذلك تطاولاً على هيبتهم العسكرية، وراودهم الإحساس بعدم الأمان لكونهم في قاعة يحرسها الحرس الشعبي والقوات الشعبية فيما هم مجردون من السلاح، ولذلك طلبوا من وحدات الجيش تطويق المؤتمر وهذا اضطرني إلى استدعاء سرية أخرى من القوات الشعبية لتطوق سرية الجيش، كل هذا التوتر المسلح جعل القيادات السياسية تتفق على نزع فتيل التوتر، وعلى أن نواصل نحن المختارين بموافقة طرفي الصراع حماية المؤتمر وأن تنسحب سرية الجيش والسرية المطوقة لها.

ويتذكر البعض قيادتي للقوة التي قاومت أرتال الجيش الأولى في جبهة المُطَلَّع، أي أن كل مواقفي من تلك الخلافات كانت ثابتة وواضحة للعيان، ولأنهم يعرفون جيداً بأنني من رفاق سالمين فأن دخولي مع السلاح كان مفاجأة غير سارة أربكتهم ولم تكن في حسبانهم، واستقبلوها، دون شك، كرسالة مفادها بأنهم

جَرَّاء قراراتهم غير العادلة وغير الصائبة ليسوا في أمان حقيقي، وأن المتعاطفين مع تيارنا اليساري يزداد يوماً بعد يوم، سواء وسط جماهير الشعب أو في الأجهزة الأمنية، وحتى في أوساط رجال أمن وحراسة الرئاسة.

أخبرتهم إن إقدامهم على اعتقال مطيع قد حطَّم ما تبقى من جسور الثقة التي كانت تربطنا بهم، وهز كذلك ثقة الناس بوعودهم التي لم يفوا بها، وأوضحت بأن القوة التي في أغلبها من فصائل الفدائيين وأبطال مرحلة الكفاح المسلح ومعها قوات الحرس الشعبي و عدد كبير من رجال الأرياف ممن كانوا جاهزين لحرب الصعيد قد غيروا هدفهم وزحفوا إلى عدن بسبب نكث القيادة العسكرية للعهود واعتقال مطيع.

وتحدث علي عنتر وزاد أن ذكَّرهم بالوعود القاطعة التي قدموها له بإمكانية دخول مطيع إلى عدن بسلام وأمان حتى يبحث مع القيادة العسكرية والسياسية تفاصيل المهمة المكلف بها في الصعيد، ويناقش أيضاً كيفية ترتيب أوضاع المشردين في الجبال من قيادات وقواعد الجبهة القومية، وأكد لهم بأنه إذا لم يتم الإفراج الفوري عن مطيع فأنه هو الآخر سيكون له موقفٌ من القيادة، ومن جانبه أكد علي ناصر بأنه هو الآخر قد حصل منهم على تطمينات بسلامة دخول مطيع إلى عدن وأنه يشعر بالأسف لكونه ساهم في إقناع مطيع بالدخول.

طلب قحطان مني الهدوء وطمئني بأنه سيدعم فكرة إطلاق سراح مطيع. وأمام كل تلك الضغوطات وجد الحاضرون من أفراد القيادة السياسية والعسكرية أن الحل الصائب هو الإفراج عن مطيع من السجن وتسليمه لعلي عنتر، وأخبرونا بأنه في سجن معسكر ٢٠ يونيو بكريتر.

المواقف الصعبة تحدد معدن الإنسان

حينما ترافقنا أنا وعلي عنتر بُغية إخراج مطيع من السجن، سألني: كيف استطعت دخول الرئاسة مع الكلاشينكوف؟!.

لم أجبه بالتفاصيل واكتفيت بالقول:" لقد توكلت على الله فسهل لي أمري". لكنه عاتبني على أسلوبي ووصفه بأنه خالٍ من المرونة، وفيه لغة تهديد ووعيد، وأنه لن يقدم على تصرف كهذا إلاّ من كرهٍ حياته. وقال أنني وضعته هو الآخر في موقف وجد نفسه فيه ملزماً أخلاقياً أن يتكلم بنفس أسلوبي، وأن يحدد موقفاً خالٍ من المرونة لمؤازرتي، وأنه لولا تعقل القيادة العسكرية والحراسة لكنا نحن وبعضهم في العالم الآخر، وسألني: هل نسيت بأن الرئاسة مليئة برجال الحراسة والأمن؟.

أجبته بأنني أعرف ذلك، لكن ما عانيناه خلال العشرة الأشهر الماضية جرّاء تعصب القيادة العسكرية والسياسية، لم يترك لنا عقلاً نفكر فيه، وما أسلوبهم في استدراج مطيع لاعتقاله إلاّ آخر تلك السلوكيات التي دفعتني لأخرج عن طوري، إلى درجة اقتنعت فيها بدخول الرئاسة والتصميم في أن لا أخرج منها الاّ بقرار الإفراج عن مطيع أو مواجهة القيادة المسئولة عن اعتقاله، لأنهم إذا لم نواجههم ونحسسهم بخطورة أعمالهم سيستدرجوننا واحداً بعد الآخر، فاليوم مطيع وغداً أنت وستطول قائمة، وبهذا الأسلوب سيتخلصون من معارضيهم الواحد بعد الآخر. ثم اختتمت كلامي بالسؤال: إذا لم نغامر نحن بحياتنا لحماية رفاقنا ونحن أصحاب حق فمن إذاً سيُقدم على مثل هذا العمل؟.

لكنه لم يعلق على ذلك، وبدلاً من الإجابة آثر الصمت. كنت أتحدث معه ونبرات الحنق ظاهرة في صوتي، وكان الحديث مشبعاً بوصف درجة ظلم رفاق الأمس لرفاقهم وقسوة الظروف التي نعانيها بسبب ذلك والتي امتحنتنا بها الأقدار. وكان يحاول ان يتحاشى الرد أو التعليق على كل سؤال أقدمه له أو عند سرد قناعاتي التي عمقتها في العقل والنفس الأحداث المعقدة، التي لم تكن تداعياتها ونتائجها المؤلمة في حساب أي منا، ومع ذلك اقتنعت في داخلي بأنه حتى في صمتة كان يوحي لي بأنه يُشاطرني الرأي والقناعات، لكنه لا يريد أن يشجعني على الاستمرار في حل الخلافات بهذا الأسلوب المتهور.

كنت مقتنعاً إننا بجُرأتنا واستعدادنا للتضحية في سبيل رفاق الرأي والهدف سنجعل أولئك القادة يشعرون بأنهم ليسوا في أبراج محصنة أو في أمان مطلق، وهناك غيرهم من ذوي الرصيد الوطني والإمكانيات القيادية العسكرية والسياسية مشردون وهائمون في وجه الأرض، ويعانون يومياً من الجوع والبرد والمرض، يحسون بالظلم والمصير المجهول. ولربما بمثل هذا العمل نعيدهم إلى جادة الصواب فالوطن يتسع للجميع.

تعلمت في حياتي بأن أقوى العلاقات الإنسانية هي تلك التي تنشأ في المواقف الحاسمة والظروف الصعبة التي تتطلب تقديم الفعل أو قول الحق أو تحديد موقف واضح وغير متذبذب من المسائل الأساسية والمبدئية مهما كان الثمن. فسلوك ومواقف الناس في هذه الأزمات الحرجة التي نواجهها في الحياة تعكس حقيقة جوهرهم وصفاء سريرتهم وأصالة ونقاء معادنهم، وهنا أستطيع القول بأن

ذلك الموقف قد عمق أكثر علاقتي بعلي عنتر. لم أنسَ أن أشكره على موقفه هذا، ووعدته بأنني سأظل مديناً له حتى نهاية العمر.

ما أن تجاوزنا الشارع الرئيسي – المعلا، حتى طلب من السائق أن ينحرف إلى اليسار ويتجه إلى طريق الدكة - خورمكسر بدلاً من أخذ طريق العقبة عدن. سألته لماذا لا نأخذ طريق العقبة فهي الأقصر إلى حي كريتر -عدن. فقال: إذا تريد مرافقتي إلى معسكر ٢٠ عليك أولاً ان تترك السلاح.

عبَّرت له أنه في هذا الظرف والمحنة ليس من الحكمة ترك السلاح، واقسمت له بأنني مثل بقية البشر أحب السلم وأحب الحياة لي وللآخرين، وأن حملي للسلاح هو فقط للدفاع عن النفس. ثم سألته من يضمن لك الآن بأنك في مأمن من الاعتقال، فمثلما اعتقلوا مطيع فبوسعهم أ، يعتقلونك ويعتقلوني.

توتر الحديث فيما بيننا وارتفعت أصواتنا، لكن عند وصولنا إلى المنازل الواقعة خلف معسكر طارق حتى وقف بنا أمام أحد المنازل وقال مؤشراً إلى المنزل: هذا منزل أحمد صالح عبده، إما أن تترك السلاح وتدخل معي أو تنتظرني هنا. وأردف بصوت خافت نطق به بكل ما يسمح به الظرف من الهدوء والرزانة :"نحن نريد إطلاق سراح مطيع بأقل تكلفة، والموقف متوتر لا يحتمل مزيداً من الإثارة، وأي تصعيد أكثر في هذا الظرف، سنكون نحن الطرف الخاسر في أي صراع لأننا غير جاهزين".

اعترف أن أسلوب اعتقال مطيع جعلني أكثر حذراً ويقظة، وأصابتني حالة من الشك في كل شيء، وتهيأ لي أنهم بعد تلك المشادات الكلامية في الرئاسة يخططون لاعتقالنا أنا وعلي عنتر وإلحاقنا بمطيع..فالمعلومات الأولية المتوفرة لدي تؤكد بأنهم أودعوا مطيع في أحد السجون في مدينة الشعب، فيما يرسلوننا الآن إلى معسكر ٢٠، لهذا عبرت لعلي عنتر عن حقيقة مشاعري، وبأن نصيحته لي بترك السلاح تسهيل مهمة المكلفين باعتقالنا دون أي مقاومة تذكر.

حاولت إقناعه، لكنني لم أستطع ذلك، وأخيراً قال لي:" لك رأيك وقناعاتك في الأمور والأحداث وعليّ لك أن أحترمها وأنت عليك ان تحترم آرائي وقناعاتي في التعامل مع الأمور، وما دمت مُصِراً على أن لا تترك السلاح فانتظرني وسلاحك هنا عند أحمد صالح عبده". ثم تعهد لي قائلاً :"أوعدك بأنه إذا لم يلتزمون بتسليمنا مطيع حسب الأوامر والاتفاق فعندها سأعود إليك وأكون مقتنعاً بحمل الرشاش كلغة وحيدة للتفاهم".

لم تمر الاّ ساعه ونصف فقط، لكنها كانت طويلة بالنسبة لي حتى عاد وبرفقته مطيع.

رحلة العودة إلى الضالع لم تَخْلُ من المخاطر

فرحتُ كثيراً بعودة مطيع سالماً غانما ولَم أنسَ ان أعتابه في كونه لم يَصْغِ للنصائح. وأخبرني بأنهم نقلوه خلال ٤٨ ساعة من سجنه الأول في مدينة الشعب إلى اللواء السادس، وهناك مكث ساعات فقط، ثم نُقل بعدها إلى معسكر عشرين، وكانوا يأتون إليه في كل مرة وهم مدججون بالسلاح فينتابه شعورٌ بأنه يعيش اللحظات الأخيرة من حياته. وعلى سبيل مجاملتي أنهى كلامه بالقول:" كنت في تلك اللحظات أشعر بالندم لأنني لم آخذ بنصيحتك عند معارضتك لموافقتي على الدخول إلى عدن". لكن علي عنتر قال ممازحاً:وصلت رسالتك لكن عليك ان تكملها. فأجاب مطيع: لم أفهمك ؟ أي رسالة تريدني أن أكملها. فقال علي عنتر مخاطبا مطيع:قل أنك ندمت لأنك لم تسمع كلام ابن عمك صالح اليافعي، وندمت أكثر لأنك سمعت نصيحة علي الضالعي في الدخول إلى عدن.. أليس هذا ما تريد أن توصِّله في رسالتك لنا، ولكنك لا تريد قول ذلك في وجهي؟!!.

كان اعتقال مطيع سبباً في أننا أصبحنا لا نثق بحسن نوايا بعض أفراد قيادة الدولة، ولذلك قررنا عدم المشاركة في حرب الصعيد. اقترحت على مطيع أن لا يبقى ولو للحظة واحدة في عدن، وأن نعود معاً إلى أبين ومنها إلى يافع لزيارة الأهل، ثم نلتحق بعدها برفاقنا في سناح، ومن أجل ضمان خروج آمن لنا من عدن طمأنته بأن الأفضل أن ترافقنا نفس المجاميع المسلحة التي دخلت من أبين إلى عدن. لكن علي عنتر أصر أن يرافقه مطيع مباشرة إلى الضالع.وقال معاتباً لي: هل لديك شك بعد هذا الموقف في حرصي أنا الآخر على حياة مطيع، ثق أنه سيكون برفقتي ومسئولية خروجه بأمان من عدن وحتى وصوله إلى الضالع هي مسئوليتي وسترافقنا الحراسة الكافية، وأنت مهمتك الخروج مع القوة التي دخلت عدن إلى أبين فالأمور السياسية والعسكرية هنا متأزمة جداً، لكنها تبشر بالانفراج لصالحنا، ولكن بقاء عناصرنا المسلحة في عدن في هذا الوقت قد لا يخدمنا.

أثناء عودة علي عنتر ومطيع إلى الضالع، وبينما كانوا في "سيلة بله" الواقعة بين لحج وردفان انفجر لغمٌ بسيارة حراسة علي عنتر مما أدى إلى استشهاد أربعة أفراد من الحراسة، لكني لا أستطيع الجزم هل كانت هذه الحادثة مدبرة من قبل الجهة التي أطلقت سراح مطيع لتقضي عليه أو على رفيقه علي عنتر أم أن هناك تفسيراً آخر..!.

التهيئة لخطوة ٢٢ يونيو التصحيحية

بدأت القيادة السياسية في عدن تشعر بأن عدم الوفاء بالوعود والإقصاء لرفاق الأمس يقلل يوماً بعد يوم من رصيد شعبيتها ويضعف ولاء الناس لها، وبالمقابل يزيد من تعاطف الناس مع رفاقهم المشردين في الجبال.

ترافق ذلك بأن عبّر عددٌ من أفراد القيادة السياسية للجبهة القومية من ذوي الميول اليسارية المشاركين في الحكم، وبدون تحفظ، عن استيائهم من سلوكيات المتشددين من القيادات العسكرية وانتقدوا صراحة المواقف غير الحاسمة لبعض القيادات السياسية، أي تلك العناصر التي جنحت إلى ممارسة سياسة مسك العصا من النصف، ودأبوا على نسج علاقات مبدئية مع الأحزاب اليسارية الأخرى المعروفة في الساحة مثل الاتحاد الشعبي الديمقراطي والبعث. وفعلاً استطاعوا كسب أصوات ومواقف تلك الأحزاب وإقناعهم بأن الخيار الأسلم هو العمل على دعم وتقوية دور التيار اليساري المشارك في السلطة الذي كان حينها قليل التأثير في صنع القرارات السياسية والعسكرية لأسباب عدة أهمها قلة عدد ممثليهم في مركز القرار من ناحية وانعدام التنسيق فيما بينهم، بسبب الانتماءات التنظيمية المختلفة، من ناحية أخرى، مقارنةً بممثلي التيار اليميني الذين كانوا متجانسين وموحدين أكثر في الرأي والقرار.

وبمرور الأيام كانت الأحداث المتتابعة كفيلة بأن تقوى جسور العلاقة والثقة بين ممثلينا وممثلي بقية التيارات والأحزاب ذات الميول اليسارية، فاقتنعوا هم الآخرين بحاجتهم الماسة إلى وحدة وتقوية الصف من أجل الاستئثار بمركز القرار السياسي، لإدراكهم بأن هذا لن يتحقق الاّ بعودة كل القيادات اليسارية المشردة في الجبال.

أمام تلك التحالفات الشائكة وما مارسته مجموعة الأحزاب اليسارية من ضغط داخلي، ولكي لا يحصل أي انشقاق آخر أو تصادم جديد، لم يكن أمام القيادة العسكرية والسياسية ذات التوجه اليميني من خيار إلاّ أن يطلبوا منا جميعاً العودة إلى عدن وأن يتم عقد اجتماع استثنائي (كونفرنس) يتم فيه التباحث حول كيفية توزيع الأدوار السياسية والعسكرية.

عدنا إلى عدن وتم التهيئة لاستقبالنا بحشد مسيرات شعبية مهيبة شاركت فيها كل قطاعات الشعب، وكان المسئولون الرئيسيون عن تنظيمها ممثلو التيار اليساري في عدن ومنهم عبدالفتاح اسماعيل وعلي عنتر وعلي ناصر محمد وسالم

صالح محمد، و أتذكر أيضاً مشاركة امذروي في حشد أبناء البريقة والخيسة، وفضل محسن في المنصورة، ولم تسعفني الذاكرة في استحضار بقية اسماء منظمين المسيرات القادمة من كريتر وخورمكسر والتواهي والمعلا.

في تلك المسيرات الجماهيرية لم ترفع الجماهير أية صورة من صور القيادة السياسية والعسكرية للدولة، لكننها رفع وبشكل ملحوظ صور سالمين وارتفعت معها صور لبعض من القيادات العائدة مثل مقبل ومطيع ومحسن وعادل خليفة وآخرين.

كان نقطة التجمع الجماهيري قد بدأت في منطقة الشيخ عثمان، وتفاجأنا، نحن من كنا حتى الأمس مشردون في الجبال، بحفاوة الاستقبال الجماهيري المنقطع النظير، والحشود التي توافدت من كل المدن والأحياء ترحيباً بعودتنا وهم يرفعون ما توفر لديهم من صور العائدين في زمن كان لرفع الصور فيه معنى وتعبير كبير.

لازلت أتذكر كيف عبر محسن عن اندهاشه حينما شاهد الجماهير تستقبلنا وهي ترفع الصور عالياً وقال: أكاد لا أصدق عيني، يبدو أن الجماهير تريد أن تصنع منا زعماء ؟. فرد عليه مقبل قائلاً : نحن لم نطلب ذلك، لكنه الشعب خرج ليعبر عن إرادته وعن اختياره للقيادة التي يرتضيها لنفسه، ولا صوت يعلو فوق صوت الشعب.

خطوة٢٢يونيو وسيطرة يسار الجبهة القومية على السلطة

بعد إطلاق سراح مطيع لم يتوقف الحوار، فقد ظل علي عنتر القيادي البارز في يسار الجبهة القومية يلعب دور الوسيط في هذه الأزمة، حتى التأمت قيادة الجبهة القومية. إلاّ أن أزمة الثقة كانت موجودة، ورياح الثورة الاشتراكية القادمة من الاتحاد السوفيتي كانت موجودة أيضاً، كما ان المشكلة الرئيسية التي أدت إلى الاختلاف، وهي بقاء قيادات الجيش والأمن الذين كانوا جزء من النظام السياسي البريطاني المحتل للجنوب كانت ما تزال قائمة.

كل هذه الأمور جعلت الفترة الواقعة بين ٢٠ مارس ١٩٦٨ حتى ٢٢يونيو ١٩٦٩ فترة احتقان، تطورت إلى أزمة سياسية أدّت إلى سيطرة يسار الجبهة القومية على السلطة وإقالة الرئيس قحطان الشعبي ووضعه تحت الأقامة الجبرية وكذا رئيس

الحكومة فيصل عبد اللطيف، الذي قتل فيما بعد داخل السجن، وتمت تصفية الجيش من الرموز القيادية التي خدمت مع الاستعمار البريطاني في عدن وقد سميت هذه الحركة بحركة ٢٢يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩م، وتم على إثرها تشكيل حكومة جديدة ومجلس رئاسة برئاسة سالم ربيع علي. وعبد الفتاح إسماعيل أمينا عاما للجبهة القومية وعلي ناصر محمد رئيسا للوزراء وعلي عنتر قائدا للجيش ومطيع وزيرا للداخلية.

نموذج من محاولة تدعيم الصف الوطني

في أحد أيام عام ١٩٧٠م أبلغني قائد معسكر العند الرائد صالح مُصلح قاسم بأن سالمين يطلب مقابلتي على وجه السرعة في مكتبه بقصر الرئاسة في التواهي لأمر هام.

كنت حينها أحد الملتحقين في دورة تدريبية في معسكر العند لتأهيل ضباط القوات المسلحة وتشكيل لواء عسكري حديث لرفد القوات المسلحة بدماء جديدة وتأهيل قيادات جديدة للقوات المسلحة من الأفراد المستوعبين جيداً لأهداف المرحلة وخياراتهاالسياسية والأيديولوجية والملتزمين تاريخياً بالتوجه الثوري الجديد لتحل محل القيادات العسكرية التي غادرت الوطن بعد خطوة ٢٢ يونيو. ولتحقيق ذلك الهدف كان غالبية المشاركين في تلك الدورة العسكرية من أفراد القطاع الفدائي لمرحلة الكفاح المسلح.

من حيث المكانه التاريخية تعتبر تلك الدورة التدريبية الأولى للقوات المسلحة الجنوبية التي أعقبت مباشرةً خطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩، وهي الخطوة التي حقق فيها التيار اليساري انتصاراً سياسياً وعسكرياً على التيار اليميني للجبهة القوميّة ونتج عنها اعتقال وإقصاء للقيادات السياسية والعسكرية والأمنية، خاصة تلك التي شاركت بفعالية في تخطيط وتنفيذ حركة ٢٠ مارس ١٩٦٨ "الانقلابية"، والتي تم فيها اعتقال وتعذيب وملاحقة قيادات التيار اليساري للجبهة القومية ومن ناصرهم في المدن والمناطق الجبلية الريفية.

تلك الظروف مجتمعة فرضت التفكير في كيفية إعادة هيكلة وترتيب القوات المسلحة، ولهذا الغرض تحققت على الواقع فكرة إنشاء اللواء العسكري الأول، الذي سُمِّي لواء ٢٢ يونيو، ويُعتبر بحق النواة التي تشكل منها جيش جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. إن تلك التسمية جاءت بسبب الموضوعية التاريخية، ففكرة تشكيلة أخذت مكانها الزمني في المرحلة التي أعقبت حركة ٢٢ يونيو١٩٦٩

"التصحيحية"، التي تُعد محطة تاريخية هامة من تاريخ الصراع الداخلي لمرحلة ما بعد الاستقلال الوطني.

في اللقاء مع سالمين أطلعني على تقارير تؤكد بأن هناك في منطقة الحد - يافع من تم اتهامهم بنشاطات وارتباطات مشبوهة مع أعداء النظام، وأنهم قد لجأوا لممارسة التخريب وعدم الالتزام للأنظمة والقوانين، وبلغ بهم الأمر عدم التجاوب أو الانصياع لأوامر المكلفين من رجال الأمن والشرطه ومسئولي المنطقة. وأبدى قلقة وخوفه من أن تتفشى تلك الظاهرة، وأن يجد نظام صنعاء والمتضررون من نظامنا التقدمي ضالتهم في منطقة الحد -يافع ونخسر ولاء تلك المنطقة وولاء رجالها الأشداء للثورة.

ومن تلك التقارير ما يشير بأن بعض أفراد آل داوود وآل صبر وحصن ابن زعلي اظهروا تمردهم على النظام والقانون، وأن لهم اتصالات مع قيادات المراكز العسكرية التي تم إنشاؤها ودعمها من قبل نظام صنعاء في منطقة البيضاء والمناطق الشمالية المتاخمة لمنطقتي الحد ومكيراس، والتي استحدثها خصيصاً نظام صنعاء ليحشد فيها العسكريين الجنوبيين والمتضررين من خطوة ٢٢يونيو وتجييشهم وتوجيههم لتقويض الأمن والاستقرار في جمهوريتنا الفتية، وعبر عن خشيته من أنه اذا لم نتدخل سريعاً فسنخسر بعض من قرى تلك المنطقة الحدودية (الحد) ونفقد ولاءها لصالح أعداء نظامنا وتوجهنا السياسي.

كانت التقارير الواصلة إليه توضح الصعوبات والعوائق التي يواجهها مسئولو الأمن بسبب ظروف تلك المنطقة الفقيرة والنائية والحدودية، وأبرزها الانعدام الكلي للخدمات العامة والهامة، مثل الطرق والمدارس والعيادات الصحية، فضلا عن شحة إمكانيات الدولة، حتى أنه لا يوجد مبنى حكومي واحد تؤول ملكيته للدولة، وأن مكاتب الإدارات الحكومية المدنية والعسكرية تتخذ من بعض منازل المواطنيين مقراً لها، ومثل هذه الظروف مجتمعة يقرأها البعض ممن لا يروق لهم النظام الديمقراطي الجديد وكأنها انعكاس لهشاشة وضعف الدولة الحديثه ومن يمثلها.

اقترحت التقارير المرفوعة بأن الحل الأمثل هو تجهيز وإرسال قوة عسكرية لمهاجمة المتمردين في قراهم وعلى الأخص آل داوود، التي كانت أكثر تمرداً، وبلغ الأمر أن طلبت تلك التقارير من القيادة في عدن إشراك القوى الجوية في قصف منازل العناصر البارزة التي تقود وتشجع أبناء المنطقة في التمرد على قوانين

الدولة، ليكونوا عبرة لمن اعتبر، والتعامل معهم مثلما تم التعامل مع المتمردين في منطقة الصعيد في شبوة.

بعد استعراض محتوى التقارير عبر سالمين عن أسفه في أن بعض المسئولين من أعضاء القيادة المحلية للمديرية من أبناء المنطقة ومن الرعيل الأول للمناضلين قد تَرَكُوا يافع وفضلوا الاستقرار والعمل في عدن، وكان هذا من وجهة نظره أحد العوامل التي خلقت الفراغ الأمني، وأنه يخشى على من بقي هناك من المسئولين في المنطقة أن يلتحقوا بمن سبقوهم، جراء تعقيد الوضع الأمني والظروف الصعبة الناتجة عن الانعدام الكلي للخدمات العامة في واحدة من المناطق الحدودية الفقيرة والمعزولة، ولا شك أن الأعداء سيستغلون تلك الظروف الصعبة لاستمالة الأهالي للتعاون معهم. ثم سألني عن رأيي في مقترح حسم الأمور عسكرياً.

أخبرت سالمين بأنني أعرف جيداً مراكز وتصنيفات الناس القبلية والاجتماعية وطريقة تفكيرهم، وأن علينا أولاً ان نحاول كسبهم إلى صفنا، ولن يتم ذلك الاّ بمنحهم الأمان والثقة بعدالة النظام، ونشعرهم بأهمية الدور الذي عليهم أن يقومون به من أجل أمن واستقرار الوطن، وأن نتعامل معهم بطريقة نصون فيها كرامتهم وكبرياءهم، وبهذا الأسلوب فقط يمكن أن نكسب ودهم وولائهم.

كنت أدرك أن التطرّف في العنف والاستخدام المفرط للقوة لن يعزز الولاء للوطن والنظام، بل سيؤدي إلى عنف مضاد، قد يستثمره أعداء الثورة والوطن لصالحهم، أما أن يتم اللجوء إلى استخدام الطيران ضد المواطنين، كما أراد البعض، فسيكون ذلك حماقة، ولا فرق بينها وبين الأعمال الإرهابية التي كانت تقوم بها في الماضي الطائرات الحربية التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني واستهدف منازل المواطنين في المنطقة، وتلك الانتهاكات الإنسانية المؤلمة ما زالت آثاراها النفسية تؤرق أبناء قرى منطقة الحد وغيرها من قرى يافع، وما زلت أتذكر يومها كيف كانت ضربات سلاح الجو البريطاني سبباً في تعاطف رجال القبائل مع الثوار الذين كانت منازلهم هدفاً لضربات سلاح الجو الملكي البريطاني، وتبعاً لذلك زادت النقمة الجماهيرية ضد أعوان الاستعمار وركائزه في المنطقة، وانخرط الكثيرون في صفوف المناهضين للاستعمار البريطاني بشكل عام وللتدخلات الاستعمارية في المنطقة بشكل خاص.

طمأنت سالمين بأنني على علاقة جيده منذ الخمسينات مع من وصفتهم تلك التقارير بالمتمردين حينما شاركت في بناء منزلهم، وأعرف جيداً أنهم من بيوت أصيلة ويتصفون بالكرم والشجاعة والوفاء، ولهذا يجب علينا أن نصون كرامتهم

وأن نسعى جاهدين وبكل الطرق لكسبهم إلى الصف الوطني. أستغرب من كلامي هذا الذي لا يتفق، بل ويتناقض في مجمله مع ما قدمته له تلك التقارير من مبالغات في وصف درجة المخالفات والسلوكيات التي سلكها بعض من رجال تلك القرى. ثم قال : إن كلامك هذا هام ويثير فضولي حتى أعرف لماذا تودهم كثيراً، فماهي طبيعة العلاقة التي تربطك بهم.؟

ثم رويت له قصة تعرفي بهم وعلاقتي المبكرة معهم، ولعله من المفيد أن أرويها لكم بتفصيل أدق هنا..ففي النصف الثاني من الخمسينيات، وبسبب انعدام الأمن والأمان الناتج عن فتنة الأهل القبلية في قرى "آل بن صلاح" انعدمت مصادر الرزق في منطقتنا وأصبح غير ممكنٍ بالنسبة لنا حينها ممارسة مهنتنا ومصدر رزقنا المتمثلة في بناء وتشييد البيوت، ولم يعد ممكنا أن نقوم حتى في حرث وزراعة الأرض، ولذلك اضطررنا للبحث عن مصادر رزقٍ أخرى وفي أماكن عمل بعيدة عن منطقتنا، لنضمن الحصول على المال الذي يمكّنا من شراء السلاح للدفاع عن النفس ولتوفير العيش الكريم لأسرنا. وهكذا شددت رحالي مرافقا لعمي وابنه باتجاه منطقة الحد للقيام ببناء منزل الشيخ عمر عبدالله الداوودي وهو شيخ القبيلة التي وصفته تلك التقارير بأنه هو وأبناءه وإخوانه متمردون على القانون. وخلال فترة عملنا هناك التمست بوادر خلاف بين أبناء تلك المنطقة أساسه تباين المواقف فيما بينهم، هل مع الإمام أو ضده أو مع الاستعمار البريطاني أم ضده، وأخذت تلك الخلافات تتعمق يوماً بعد يوم بين أبناء المنطقة.

وحين سافر الشيخ عمرعبدالله الداووي إلى عدن، طلب منا استمرار عملنا في تشييد بيته، وما أن غادر المنطقة حتى جاء إلينا بعض أبناء المنطقة المختلفين مع الشيخ عمر يطلبون من نجله الأكبر (محمد عمر الداوودي) ان نتوقف عن العمل إلى أن تُحسم الخلافات القائمة بينهم، التي كانت تبدو في ظاهرها عائلية، لكنها في باطنها تحمل أبعاداً سياسية. وبعد أن رفض محمد عمر طلبهم في توقيف البناء وجهوا كلامهم إلينا، طالبين منا بأن نتوقف نحن عن العمل. فأوضحت لهم أنهم قد اخطأوا التوقيت فالشيخ صاحب العمل الذي تعاقدنا معه غير موجود ونحن ملزمون له بمواصلة العمل حتى استكمال بناء المنزل في الوقت المحدد في وثيقة الاتفاق، ولذلك فأننا سنواصل العمل ولن نتوقف إلاّ اذا طلب منا الشيخ ذلك بنفسه. وأمام إصرارهم على توقيف العمل توترت الأمور بيننا وبينهم وتحولت إلى

تحدٍ شخصي، وبلغ بهم الأمر إلى درجة تهديدنا بأنهم سيستهدفونا ويطلقون علينا النّار فيما إذا باشرنا العمل.

وهكذا دخل شيطان التحدي بيننا، وأخبرناهم إننا كنا سنحترم موقفهم إذا كان التوقيف قد تم بحضور الشيخ صاحب الشأن، وذكّرتهم كيف أنهم بحضوره كانوا حتى يجاملونه، بل أنهم قاموا بالعمل طوعيا في نقل مواد البناء من التراب والحجارة والأخشاب، ولهذا فأن توقيتهم هذا يدل على بطلان دعواهم وافتقادهم للجرأة.

اعتبروا كلامي، أنا الغريب عنهم، تطاولاً، فأقسم أحدهم بأنه سيجعلني أغادر المنطقة ذليلاً عائداً إلى منطقتي، أو كما قال بلهجته "مثل امّنسانه امحنقة"، أي مثل المرأة التي أغضبها زوجها فعادت إلى أهلها تحمل أغراضها مكسورة الخاطر.

أطلق سالمين ضحكة كبيرة وهو يسمع لغة التحدي، وسألني باختصار: ايش كان ردّك ؟.

قلت له: أقسمت لذلك الرجل الذي يتهددنا أنني وابن عمّي قد تركنا وراءنا هناك حرباً نشبّت نيرانها بين أبناء قبيلتنا، وقد فرضت علينا نتائجها المأساوية المشاركة فيها، وأتينا إلى هنا متحاشين مواصلتها، لكن إذا استكثرتوا علينا هنا التفرغ لعملنا الشريف والعيش بسلام وأرغمتمونا على أن ندخل في حرب جديدة هنا، فثقوا بأن لنا مع السلاح تاريخ طويل ولا تنقصنا الشجاعة وسنكون جاهزين لها. ولم نفق صباح اليوم التالي إلاّ وقد شيدوا المتارس وتوزعوا في الآكام المجاورة، وبالفعل ما أن باشرنا عملنا صباحاً حتى صوبوا نحونا طلقات الرصاص مثلما وعدوا.

هنا شعرت بأنني قد أخذت من وقت سالمين الكثير، وسألته إن كان عليه أية التزامات، حتى لا أكون قد أشغلته أو أخرته بتفاصيل حديثي الطويل. لكنه طلب مواصلة الحديث، قائلا: لقد شوقتني فأنا أريد أن أعرف أيش آخرتها يا "أدوع"!.

انسحبنا، واحتمينا بمنزل الشيخ القديم، ومن هناك بدأنا، أنا وابن عمي ونجل الشيخ الأكبر محمد عمر، نتبادل معهم الطلقات النارية، وفي اليوم الثاني تعرض محمد عمر لبعض الشظايا التي أصابته في منطقة الصدر - وهو هنا أحد المطلوبين في هذا التقرير، وأشرت إلى التقرير الذي أمامه - وكان علينا أنا وابن عمي مواصلة تبادل إطلاق النار مع من أصبحوا اعداءاً لنا.

كانت أم محمد، زوجة الشيخ عمر، امرأة قوية وحكيمة وكريمة وتعرف ما هو الواجب. وفي هذه المِحنة التي فُرضت علينا فَرِحَتْ كثيراً عندما وجدتنا نؤازرهم

ونشاركهم في حرب هي في جوهرها حربهم، ولكننا وجدنا أنفسنا طرفا فيها إلى جانبهم وحاولنا استهداف من صوبوا ابنها، وفي لحظة الغضب الذي سيطر على كيانها بسبب إصابة ابنها فاجأتنا بأن قدَّمت لنا صندوقاً مليئاً بالرصاص، وطمنتنا بأن هناك المزيد من صناديق الذخيرة.

في ظروف حياتنا السابقة، التي اجتمع فيها الفقر المدقع والجوع الظالم والفتن القبلية الداخلية القاسية، كانت تحتل أعلى قائمة أولوياتنا في الحياة ليس تحسين أحوالنا المعيشية والصحية أو التفكير بتعليم أبنائنا، بل شراء البندقية والذخيرة، وهكذا كنا نكد ونكدح لأشهر طوال لكي نحصل على وسائل الموت (السلاح والذخيرة) والتي باقتنائها نشعر بشيء من الثقة والاعتداد بالقوة والحصانة والأمان.

قبل أن تقدم لنا زوجة الشيخ عمر صندوق الذخيرة، كانت الكمية التي بحوزتنا غير كافية وفي طريقها للنفاد، ولذلك تخوفنا من عدم القدرة على الصمود طويلاً، وهذا ما جعلنا نحرص غاية الحرص في تقنين إطلاق الأعيرة النارية عند الرد على الطرف الآخر، وتزاحمت حينها في رأسي الأفكار السوداوية وبتُّ أَرِقاً طوال الوقت أفكر بماذا سيحدث إذا ما نفدت الذخيرة؟، وهل سأغادر القرية مثل ما قال ذلك الرجل لي من قبل "مثل امنسانه امحنقة"، وكنتُ أقول لنفسي لا .. لا.. لن يكون ذلك فالموت أهون.

لكن سرعان ما تغيرت تلك الهواجس الكئيبة إلى ثقة بمجرد أن أكرمتنا تلك الإنسانة بتقديمها لنا صندوقاً مليئاً بالذخيرة، ومن ذلك النوع المشهور حينها (أبو قبة) ووعدتنا بالمزيد من تلك الذخيرة.

أدهشني كثيراً كرمها، وتذكرت كلمات من توعَّدني بالخروج من القرية ذليلاً، فأنتابني شعوران، الأول الشعور بثقة لا حدود لها في أن الأمور أضحت تحت السيطرة ما دام منزل الشيخ مليئاً بالسلاح وبالذخيرة، وأنه أصبح بمقدورنا الصمود وبثبات بامتلاكنا لتلك الكمية الوافرة من الذخيرة، وحتى ولو اجتمع ضدنا كل أبناء القرية لحاربناهم، فالعنصر الأساسي للقوة والصمود متوفر، وبهذا فوَّتنا على من تحدانا تحقيق حلمه في أن نغادر المنطقة أذلاء. والشعور الآخر قناعتنا بأنه قد كُتبت علَيَنا في صحف الأقدار بأن نكون، أنا وابن عمِّي، مشاركين بفعالية في حرب ليس لنا فيها ناقة ولا جمل.

ضحك سالمين وقال:" إن شاء الله إنك ما عطَّلت كثيراً، لأننا سنرسلك هذه المرة للصلاح".

طمأنتة قائلاً:"لا.. فقط إصابات طفيفة هنا وهناك مثل إصابات رفيق المترس محمد عمر الداوودي (ابن الشيخ عمر) ".

قال:" بالله عليك قل لي الحقيقة هل وقفت مع المناصرين للأمام أم مع المناصرين للاستعمار البريطاني".

قلت:"لا مع هذا ولا ذاك لكن مع كرامتي".

لفت باتجاهي باندهاش كأنما لم يتوقع مني تلك الإجابة. ثم قال:" أتدري إنني سأقترح على من زعلك يوماً ما، حينما وصفك بالأدوع ومقرمة بنت الجيران أن يعتذر لك".

كان بذلك يلمح إلى وصفين أطلقهما هو عليّ في السابق ولهما علاقة بتنفيذ عمليتين فدائيتين جرئيتين، وتعمد استخدام اللهجة الشعبية الأبينية في إطلاق تلك الأوصاف عليّ وكان القصد من ورائها إيجابياً، إلاّ أنني فهمت معناها القريب والسلبي، لأنها لم تَرُق لي، فعبرت له عن زعلي الشديد من وصفه لي مرة بـ(الأدوع) وأخرى بـ(مقرمة بنت الجيران). وفي هذه المرَّة قلت له ممازحاً:" لقد وصل اعتذارك". ثم ضحكنا جميعاً.

في نهاية اللقاء اتصل بصالح مصلح يطلب منه تفريغي لمدة أسبوعين، وطلب مني أن أذهب على وجه السرعة لتلمس أوضاع المواطنين والمنطقة واللقاء بالمسئولين هناك، وأن أعود إليه لأقدم له صورة متكاملة عن أوضاع المنطقة والمواطنين والمسئولين بشكل عام والتركيز على الجانب الأمني بشكل خاص.

ودعته وسافرت إلى يافع، ورافقني في هذه المهمة حسين عبدالحبيب ومُحمد قاسم علي، وفي مدينة بني بكر التقينا بمحمد ناصر جابر عضو القيادة المحلية، وأحد مؤسسي جبهة الإصلاح اليافعية، والذي تواجد هناك في بني بكر لنفس الغرض، والتقيت ببعض من قيادات المديرية والمركز المتواجدين في مدينة بني بكر وكذا بأعيان المنطقة ومن يهمهم تثبيت النظام والأمن والاستقرار.

أتذكر بعض من كانوا حينها متواجدين في بني بكر، منهم: محسن سَرَا ومحمد أحمد النجار، وصالح عبدالقادر، وأحمد العوكبي، وعبدالله حسن محمد،وصالح أحمد الفلاحي، وصالح محمد الخلاقي، وعلي عبدالله عبدالقوي الخلاقي، وغيرهم من المسئولين وأعيان المنطقة. كثيرون منهم عبروا عن قناعتهم بأن أبناء عمر عبدالله الداوودي وأبناء أخوته هم من أقدموا على بعض الأعمال

التخريبية، ومنهم من يدعي بأن لديهم الدلائل الكافية لإدانتهم بتهمة التواطؤ مع أعداء الثورة وعدم امتثالهم للقانون، واعتبروهم بسبب شراستهم وقوة تأثيرهم خطراً على النظام في المنطقة، ومن أجل مواجهتهم وفرض هيبة الدولة خطط أولئك لحشد قوة عسكرية ومتطوعين من الناس لتطويق وضرب قرى ومنازل آل داوود، وكانوا فقط بانتظار الموافقة والدعم من الداخل وكذا الإسناد من القوى الجوية.

سألتهم عن درجة المخالفات الأمنية التي ارتكبها آل داوود، ووجدت أن هناك تهويلاً كبيراً. وأخبرتهم بأننا لسنا بحاجة لأي قوة عسكرية، ولا إلى اكتساح عسكري، وبالتأكيد لسنا بحاجة لضربات سلاح الطيران، وأقترحت عليهم بأن أذهب بنفسي وأحضر الأربعة المطلوبين الرئيسين إلى هنا من أجل استجوابهم وبدلاً من حشد قوة عسكرية عليكم فقط أن تجهزوا وتقدموا حال وصولنا كل الشهود وكل الدلائل والإثباتات التي لديكم ضدهم.

قال لي أحدهم:" نحن نعرفهم أكثر منك فهم أبناء منطقتنا، وإذا ذهبت فإنك قد لا تعود إلينا لأنهم يكرهون ويعادون الجبهة القومية ومن يمثلها لعدم اتفاق أهدافها مع تطلعاتهم، بل أنهم حتى يتباهون بالتمرد على القانون".

وللحد من مبالغتهم في التخويف، أوضحت لهم بأنه على الرغم من معرفتي القديمة بهم إلاّ أنني لن أذهب إليهم بصفتي الشخصية، وإنما باسم الجبهة القومية وممثلاً عنها وإنني على ثقة بأنهم سيفرحون ويحتفون بقدومي إليهم، وعليكم أن لا تتعجبوا إن ذبحوا إكراماً لوصولي إليهم، وأوعدكم بأنني لن أعود إليكم الاّ وهم برفقتي.

ضحك أحدهم وقال بطريقة ساخرة:" أخاف أن يجذبهم لمعان هذا الكلاشينكوف الذي تحملة على كتفك (ايه - كيه ٤٧) وأكاد أجزم إنهم إذا سمحوا لك بالعودة سالماً، فستعود إلينا بدونه، فقد ذهب غيرك من ممثلي الجبهة القومية من قبل للمشاركة في أعراسهم فقط، وكان أحدهم يحمل بازوكة فأعتبر آل داوود إن إحضارها يُعد تهديداً مبطناً لهم من قبل أفراد الجبهة القومية، لهذا خيروهم إما أن يغادرون القرية في الحال، وإما سيرغمونهم على مغادرتها بالقوة وبدون البازوكة، فستر الله عليهم في أنهم عادوا إلينا مع أسلحتهم الشخصية ومع البازوكة، أي بكرامتهم.. لكن ما كل مرة تسلم الجرة".

لم استطع هضم تلك التلميحات ولم أعلق عليها لإيماني بأن أية مهمة صعبة تواجهنا في الحياة إذا فشلنا في تحقيقها فلايعني ذلك بأن الفشل سيكون من نصيب كل من يحاول بعدنا، فهناك من يكون بمقدورهم، لأسباب مختلفة، تحقيق النجاح الكامل في أمور أخفقنا نحن في تحقيقها، ولهذا قلت له بنفس أسلوبه الساخر:"اترك أمر حماية بندقيتي لي، وكل ما عليك هو أن تجهز كل الدلائل المادية لديك لمواجهتهم".

قال: إذا احضرتهم إلى هنا أدخلنا نحن بدلاً عنهم السجن واتهمنا بأننا فشلنا في مهمتنا.

أجبته :" لا..لن تدخل السجن بسبب الفشل، فنحن لا نطلب من الناس ان يقدموا أكثر مما بمقدورهم، لكن ستدخل السجن إذا فشلت في تقديم أدلة إدانتكم لهم واثبات تقارير تصنيفكم لهم بالمذنبين وبنشاطهم العدائي للثورة".

في تلك الأثناء تدخل محمد ناصر جابر، كي يخفف من حدة المشادة الكلامية، معبراً عنه ثقته بقدرتنا على إحضارهم، ولكن على سبيل الاحتياط سيكونون جميعهم جاهزين للهجوم إذا ما تأخرنا أو في حالة أن يسمعوا إطلاق نار، وأنه سيرسل إلى هناك أحد أبناء آل داوود ممن يعملون في الشرطة ومهمته إبلاغ القوة في بني بكر عن أي تطورات إيجابية أو سلبية. ومن جانبي أكدت له بأن هناك مبالغةً وتهويلاً للأمور، وإنني أعرفهم جيداً بحكم علاقة الصداقة القديمة التي تربطني بهم، كما أعرف تفاصيل منزلهم جيداً، فأنا من شارك في بنائه في نهاية النصف الثاني من الخمسينات.

رافقني في مهمتي هذه حسين عبدالحبيب علي ومُحمد قاسم علي. وبسبب نصائح المسئولين كان علينا أخذ الاحتياطات الأمنية، لهذا طلبت من مُحمد قاسم أن يقف عند البوابة الرئيسيّة للمنزل. وفي الطابق الأعلى حيث مجلس الضيوف، طلبت أن يقف حسين عبدالحبيب في السلم أمام بوابة المجلس. كنت انظر في وجوه الحاضرين في المجلس لعل من نريدهم بينهم، وأفكر في ذات الوقت بجدوى تلك الترتيبات والاحتياطات الأمنيه في حالة أن إذا ما سارت الأمور بغير الطريقة التي نأملها.

فاجأت من كان بالمجلس بالدخول والسلاح في يدي. كانت توقعاتي أن يكون مجلسه مليئاً بالرجال. لكن على غير العادة كان فيه فقط الشيخ سالم صالح الصبري الذي لم أكن أعرفه من قبل. حاول الشيخ عمر أن ينهض بخفة من

جلسته وهو يسألني بقوله:"من معي ؟". أخبرته أن معه صالح فاضل الصلاحي ممثل عن الجبهة القومية.

قام مبتسماً وفرحاً وهو يردد آيات الترحيب قائلاً: "ما حَيَّا بأبي وأهلي"، وأحتضني بحرارة وسلم عليَّ بشوق، ثم عَرَّفني على الشيخ سالم صالح الصبري. ومع ارتفاع أصوات الترحيب دخل حسين عبدالحبيب وتبعه محمد قاسم علي، وما هي الاّ دقائق معدوده حتى توافد أبناؤه وأبناء عمومته وأعيان المنطقة ليتجمعوا في المجلس.

قام الشيخ عمر يعرِّف الحاضرين بنا، ويؤكد لهم بأن بيننا معرفة قديمة أساسها الوفاء والود والإحترام، وطمأنهم على أسباب حضورنا. ثم قال كلاماً جميلاً وصادقاً، أطرى فيه عليّ، وبنفس الوقت حمَّلني بعض العتاب الهادف إلى تأكيد صداقتنا:"والله يا ابن فاضل إننا نتابع أخبارك أول بأول ونتشرف بها، لكن لي عليك عتاب ليتك أرسلت لي رسالة (سيع ريشة امجرادة)، لكنت أنا ورجالي الذي أمامك الآن وكل قبيلتي نتشرف للوقوف معك في جبهة المطّلع بأبين، لكنك اكتفيت في أن تمنح شرف المشاركة لرجالك ونسيت صديقك الشيخ عمر وقبيلته". ثم وجه كلامه للحاضرين قائلاً:

-الرجال معادن وحتى وأن تغير الزمان والمكان وظروف الحياة، لكن المعادن الأصلية تظل أصيلة وهكذا هم الأصيلين من الرجال لن تتغير مبادئهم ووفائهم رغم تغير الزمان وما تتطلبه ظروف المراحل.

ثم سأل الشيخ ابنه الأكبر محمد هل يتذكر مواقف صالح فاضل إلى جانبهم. فأجاب محمد:" والله لن أنسى أنه وقف إلى جانبنا في أزمتنا أكثر من الكثير من أقاربنا، وعند إصابتي يشهد الله انه حارب حربي". ثم خاطب الشيخ عمر ابنائه وأبناء أخوته قائلاً :

-اذهبوا وقوموا بواجب إكرام الضيف.

لكن رفيقي حسين عبدالحبيب وبدون أي مقدمات أو دبلوماسية قال:" أتيناكم بمهمة احضار من خالفوا القانون ولم نأتِ من أجل العزائم". فقال لي الشيخ:"عرِّفني على هؤلاء الذين جاءوا معك ؟".

قلت :" هؤلاء رفاقي من فدائيي الجبهة القومية حسين عبدالحبيب علي ومُحمد قاسم علي".

ثـم حـرف راسـة باتجاههمـا وواصـل حديثـة وهـو يثبـت نظـره علـى حسـين عبدالحبيب :" أنـتم لا تعرفـون درجـة العلاقـة الـتي تربطنـا بـرفيقكم، منزلـي دائمـاً مفتـوح للضـيوف وعـابري السـبيل فمـا بـالكم عنـدما يحـل ضـيف عزيـز وصـديق حقيقـي مـن أيـام الـزمن القـديم والأهـم أن هـو أيضـاً مـن بنَـى بيـتي هـذا ". ثـم أقسـم قـائلاً :"والله مـا لحمـة بـن فاضـل بنَّـا اخرجهـا مـن بطـن امثـور" أي أنـه إذا لم يجـد مايضـيفنا بـه فانـه سـيذبح الثـور الـذي يعتمـد عليـه كـثيراً في العمـل وفي إصـلاح الأرض وحرثها وسقيها.

من جانبي أكَّدت للشيخ عمر صحة مـا قالـه رفيقـي حسـين وأخبرتـه بـأن هـذا هـو الغـرض الأساسـي مـن زيارتنـا هـذه المرة، وأخبرتـه بكـل وضـوح بـأن المطلـوبين هـم أبنائه وأبناء إخوته.

كان حضـور العـدد الكـبير مـن النـاس في المجلس قد وفر لي الفرصـة في مـنح الناس شيئاً من التطمينات مؤكداً لهم بأننا نطالب ونأمل من كل إنسـان حـريص علـى هـذا الـوطن أن يسـاعد رجـال الأمـن في منطقـة الحـد في تحقيـق الأمـن والاسـتقرار، وأن مـن أهـم أهـداف الجبهـة القوميـة هـو تحقيـق العـدل والمساواة بـين الناس وفرض سيادة القانون على الكل دون استثناء أو تمييز.

أخبرتهم انـه حتـى رئـيس الدولـه نفسـه يتـابع تفاصـيل مـا يحصـل هنـا ويهمـه كثيراً ان ننقل إليه هموم الناس ومعاناتهم بسـبب الـتغيرات الثوريـة المتسـارعة الـتي لم يسـتوعبها كـثيرون منهم لحداثتها أولاً وثانياً لعدم توافقها في بعض الأمـور مـع قناعاتنا السابقة وموروثنا الاجتماعي والثقافي، ونقدِّر بأن ذلـك هـو السـبب في عـدم استيعاب البعض لها بسبب مـا تحملـه في جوهرهـا مـن أفكـار دخيلـة علـى مجتمعنـا وهذا ماجعل بعضهم يعبر عن ذلك الرفض بعدم الامتثال لتوجيهات رجال الأمن.

وأكـدت لهـم بأننـا لـن نسـمح لأي مـن رجـال الدولـة محاولـة اضـطهاد النـاس باسـم القـانون أو اسـتغلال السـلطة لتصـفية حسـابات قديمـة، وبـنفس الدرجـة لـن نسمح لأي فرد مـن المواطنين مهمـا كـان تصـنيفه الاجتمـاعي أن يعتـبر نفسـه فـوق القـانون، وأن المعيـارالحقيقي الـذي نقـيس عليـه المواطنـة الصـالحة ومـا يميـز إنسـان عن آخر هو درجة الولاء للوطن وحجم المشاركة في تثبيت الأمن والاستقرار، وأن قيادة الدولـة تعـير هـذه المنطقـة الحدوديـة أهميـة خاصـة وتـولي أهلـها عنايـة كـبيرة للـدور الـذي يلعبونـه في هـذه المرحلـة الصـعبة،الـتي تتطلـب مـن كـل فـرد في المجتمـع جهداً كبيراً وتضحيات كبيرة مـن أجـل تثبيـت قواعـد السـيادة الوطنيـة علـى كـل شبر من أرض الوطن.

قام الشيخ يرحب بِنَا مرةً أخرى مؤكداً ولاءه وولاء الناس من أبناء القبيلة للوطن قائلاً :" كل ما وصل إليكم عنا هو كلام مبالغ فيه وغير صحيح ولي منكم تنفيذ طلبين، الأول هو ان تقابلوا بين أبنائنا وبين من يرمون التهم جزافاً، وعليهم أن يقدموا لكم الأدلة التي بنوا عليها اتهاماتهم، وأن تمنحوا أبناءنا الحق الكامل في الدفاع عن أنفسهم. والطلب الثاني أنتم الليلة ضيوفنا حتى نجدد الوفاء والثقة التي بيننا، وغداً صباحاً سيكون طلبكم مُجاب". ثم قدَّم مجاملة لطيفة قائلاً:" وفي صباح الغد بالإضافة للمطلوبين حتى لو تريدني أنا وكل أفراد القبيلة سنحظر معك إلى بني بكر فنحن نعرفك جيداً ومطمئنين لك ونحن بوجهك ".

كانوا قد ذبحوا عجلاً لضيافتنا، ومن عاداتهم أن يتم الذّبح على سطوح المنازل (الجُبا)، ثم يتركون دماء الذبيحة تسيل على جدران الوجه الخارجي للمنزل، وكثرة آثار الدماء وتكرارها تحكي الكثير عن جُود وكرم ساكني تلك الحصون.

كان محمد ناصر جابر والحاضرون من أعضاء القيادة المحلية قد حشدوا الرجال لمواجهة أي طارئ، وأرسل مراقبين من أبناء تلك القرى كي يبلغونهم عن نتائج هذا اللقاء. عاد المراقبون وطمّنوا القيادة بأن الشيخ عمر وقومه قد رحبوا بنا وأصروا على استضافتنا، وأنهم قد شاهدوا بأعينهم دم الذبيحة.

في صباح اليوم الثاني، وكما وعد الشيخ عمر جهز المطلوبين من أبنائه وأبناء أخوته، وأثناء وداعه أخبرني أن عليّ الأخذ بعين الاعتبار بأن هناك من يحاول إذلالهم والانتقام منهم بسبب مكانتهم الاجتماعية، ليس إلاّ، وأن من رفعوا التقارير يعتقدون ان النظام الجديد يمنحهم القوة والوسيلة للانتقام. من جانبي تعهدت له بأنني سأشرف شخصياً على التحقيق وستكون المحاكمة عادلة ونزيهة، وإذا وجدت أنهم أبرياء فأنا المسئول عن إعادتهم معززين ومكرمين، ولكن إذا تمت ادانتهم فسيكون مصيرهم السجن وتنفيذ العقوبة القانونية التي تتوافق مع درجة المخالفة.

وعند وصولنا بني بكر، طلب البعض مني إيداعهم السجن مباشرة، لكنني رفضت ذلك إلاّ بعد إدانتهم، وطلبنا مِنْ كل مَنْ قدَّم التهم أو أسهم في كتابة التقارير وأصحاب فكرة الحسم العسكري أن يقدموا لنا كل ما لديهم من أدلة وحيثيات، وبالمقابل يجب أن نمنح المتهمين حق الدفاع عن أنفسهم.

هناك في بني بكر تم التحقيق معهم، فأنكروا كل التهم، وفي ذات الوقت لم يقدِّم مُقدِّمو البلاغات الكيدية ولا أصحاب التقارير أية أدلة قاطعة تثبت تورط المتهمين

في أي عمل يمس أمن الوطن أو أية مخالفة قانونية يستحقون معاقبتهم عليها، واتضح بأن هناك جنوحاً من قبل البعض لتهويل الأمور والمطالبة بالحسم العسكري بالطيران.

الشيء الوحيد الذي اعترفوا به أنهم اخطأوا في التعامل مع رجال الأمن كردّة فعل ليس إلاّ، لأن هناك مِنْ رجال الأمن مَنْ سبق له أن ضايقهم وهدَّد بسَحْلِهم، لمجرد أنهم من بيت مشيخة وزعم أنهم من المتواطئين مع الاستعمار البريطاني. من جانبهم قدموا لنا هذه الرواية:

-حصل ذات يوم في مناسبة زواج عند آل داوود أن حضر عددٌ من رجال الأمن، وتعمد أحدهم الحضور حاملاً سلاح البازوكة محمولة على الكتف. لكن آل داوود، وبسبب من التهديدات السابقة، اعتبروا ذلك استفزازاً لمشاعرهم ومحاولة لتخويفهم. وعلى إثر ذلك حصلت مشادة كلامية سرعان ما تطورت إلى تهديدٍ بعض رجال آل داوود لرجال الأمن بأن عليهم أن يغادروا حفل الزواج والقرية حالاً بالعودة إلى بني بكر ومعهم البازوكة إن كانوا حريصين على الحفاظ على ماء الوجه، أما إذا رفضوا المغادرة فأنهم سيضطرون إلى إخراجهم بالقوة والعودة إلى بني بكر بدون البازوكة.

اختلف آل داوود فيما بينهم وانقسموا بين مؤيد ومعارض لهذا التصرف، فمنهم من رأى أن مجيء رجال الأمن مع البازوكة ليس من أجل المشاركة في الأفراح، بل أنهم، ولأسباب التوتر السابق بينهم وبين آل داوود، يوجهون بذلك رسالة مفادها إننا نملك القوة والوسيلة التي سنخضعكم بها. وعلى النقيض من ذلك رأى آخرون من آل داوود أن ذلك التصرف مع رجال الأمن غير لائق، لأنه ليس من شيمهم طرد الضيوف. وحدث في اليوم الثاني أن صحي أهل القرية على خراب خمسين شجرة قات يملكها أحد المواطنين ممن اعترضوا على طرد رجال الأمن، وربما أن من أقدم على ذلك الفعل أراد أن يلصق تهمة تخريب القات بأبناء الشيخ عمر وأبناء أخويه حسين وعبدالله، لكن حتى في هذا الفعل لايوجد دليل مادي لإدانتهم.

حَلّ من أخذناهم معنا من آل داوود ضيوفاً على أبناء بني بكر، وتعجبت كيف تنافس الناس على ضيافتهم، وبعد ثلاثة أيام، وبسبب تخلف من وجهوا إليهم الاتهام عن إحضار ما لديهم من وثائق وأدلة كافية لإدانتهم، لم يتم باعتقالهم، ومثلما وعدت الشيخ عمر، تم إعادتهم إلى قراهم بعد تعهدهم بالالتزام مثلهم مثل غيرهم من الناس بالقوانين الجديدة والإمتثال لأوامر المسئولين عن أمن المنطقة.

سالمين وأمن الوطن والمواطنين

في أحد اللقاءات التي طلبني إليها سالمين، والتي أخذت مكانها الزمني تقريباً في بداية ١٩٧١م أي بعد حوالي عام ونصف من تسلّمه رئاسة الدّولة. في تلك الفترة كنت قد أكملت مع رفاقي من أفراد القطاع الفدائي عدداً من الدورات والتدريبات العسكرية ابتدأناها في ١أكتوبر ١٩٦٩م، منها دورة ضباط في معسكر الصولبان التابع للأمن العام (الشرطه الشعبية)، وبعدها تم اختيارنا للالتحاق بدورات تدريبية مكثفة ابتدأناها في معسكر سبأ، بين الجبلين، بمنطقة البريقا، ثم انتقلنا إلى معسكر العند لتشكيل لواء ٢٢ يونيو بقيادة صالح مصلح قاسم، كأول لواء تم تشكيله بعد الاستقلال الوطني، وكان نواةً لجيش جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وهناك تم إخضاعنا للمزيد من التأهيل النظري والتدريبات العسكرية وتخرجنا كأول دفعة عسكرية مؤهلة لقيادة الوحدات العسكرية المختلفة.

كان ذلك اللقاء في مكتبة في قصر الرئاسة في مدينة التواهي، وكان يبدو عليه الكثير من التعب والحزن.. سألته ما الذي يكدر صفو حياته وعمله ومهامه؟.

قال لي دون أية مقدمات:"أمور إدارة الدولة لا تسير على ما يرام، فحدودنا غير آمنة، وفي الداخل هناك من سلكوا بوعي أو بدون وعي مسلك التشكيك بولاء بعضناً البعض للوطن والتوجه السياسي والأيديولوجي".

قلت له:" لقد فرحت كثيراً عندما تم اختيارك رئيساً للدولة، وكنت أظن بأن أيامك مع الجاه والسلطة ستكون جميلة وستتزاحم فيها المفاجآت السعيدة، لكنني اليوم أكتشف بأن كل شيء فيك ينطق بالقلق والتعب والإرهاق، ولا أتذكر أن رأيتك بمثل حالك الآن في الأعوام الخمسة المنصرمة ونحن نواجه الكثير من المواقف الصعبة، فحالك هذا لا يسر أي صديق، كل ما أتمناه هو ان تظل واثقاً ومتفائلاً كما عرفناك في الماضي فالقادم سيكون الأفضل".

ثم حاولت أن أُقلِّل من همومه بأن أَعِدت إلى ذاكرتة التاريخ القريب واستأنفت القول:" كنت قائدنا في أصعب الظروف، حينما كُنّا جميعاً مشروع شهادة من أجل تحرير الوطن ووجدناك دائماً صامداً وثابتاً ومتفائلاً، حتى حينما اختلفنا مع رفاقنا في الجيش العربي وبعض من أفراد قيادتنا السياسية عند ما قرروا محاصرتنا في منطقة أبين، حينها أحسسنا بأن البحر والمدن والسهول قد ضاقت بنا ولم نجد في هذه الأرض الاّ الجبال تحتضنا، لكنك كنت تمنحنا جميعاً الأمل

ما دامت تطلعاتنا وطنية وصادقة ومشروعة، وبعد كل ذلك ولحكمة القيادة والتفاف الشعب والإيمان بعدالة قضيتنا عُدنا إلى عدن وإلى السلطة، والآن علينا أن نحمد الله على هذه النعمة، ماذا نريد أكثر من ذلك نحن الآن نتكلم في القاعة الرئيسيّة للقصر المدوّر (البيضاوي)".

ثم قلت له متسائلاً:" ماذا تريد أكثر من ذلك ؟!، لقد أجمع كل الرفاق على أنك الأجدر فاختاروك من بينهم في أهم مركزٍ في هذه الدولة فأصبحت رئيس الدولة ومضى ما يزيد عن العام والشعب يوماً بعد يوم يلتف حولك ويعتبرك القائد الجدير بالمسؤلية والإنسان المحبوب، بل إنك دون منافس أب الكادحين حتى أن صورك أصبحت تُزين المنازل والشوارع والمكاتب، وهم ذاتهم من يرددون عالياً:

سالمين نحن اشبالك وأفكارك لنا مصباح

واشعلناها ثوره حمرا بعنف العامل والفلاح

إنهم يعبرون عن استعدادهم لتحمل ومواجهة الفقر والعوز بالربط على البطون حتى يُسَكِّنُون آلام الجوع، والأهم أنهم مستعدون للتضحية بالروح من أجل نجاح تجربة أنت من يقودها، ناهيك عن أن كل المسئولين في الوزارات وموسسات الدولة أصبحوا يقدرونك وينفذون أوامرك وبذات الوقت يهابك المتقاعسون والفاسدون".

أجابني :" لن يعرف المحنة التي أنا فيها إلاّ من جرَّب تلك المسؤلية وعاش تفاصيل المشاكل والهموم اليومية الكثيرة والمعقدة جداً وأحياناً المحزنة جداً". ثم أكد كلامه بأن أقسم قائلاً:"والله لن تصدقني لو قلت أنني أحياناً أتمنى لو أنني عامل بلدية سيكون أهون على النفس والضمير من أن أتحمل مسؤلية وطن وشعب".

تعجبت وتحيَّرت للأسباب التي جعلته يحاول إثبات وتأكيد مشاعره بهذا القسم، ومعها نفذ صبري في الانتظار، وكي لا يغير مسار الحديث سألته مباشرة أن يخبرني عن الأمور التي أتعبته وشغلت باله.

بدأ حديثه ببساطة ووضوح. أخبرني إن أهم ما يعكر صفو تنفيذ مهامه كرئيس دولة هو الملف الأمني بشقيه الداخلي والخارجي فأعداء الثورة والتوجه السياسي قد تكالبوا علينا، ويؤلمه كثيراً فقدان عدد من المواطنين والرفاق بسبب الهجوم المتكرر للمخربين الذين حشدهم نظام صنعاء في أكثر من منطقة، وأهمها معسكر الحوبان في ضواحي مدينة تعز ومنطقة البيضاء. وأاسهب الوصف حول كيف توظّفهم وتدعمهم الدول المجاورة لزعزعة وتقويض الأمن والاستقرار

في دولة الجنوب الفتية حتى أن أياديهم الغادرة امتدت إلى رفاق حميمين لنا، وأيضاً تطاولهم في نصب نقاط تفتيش في منطقة "العرقوب" بين مدينيتي "شقرة" و"امصرة" يفتشون فيها السيارات ويحتجزون من يعرفون ولاءه للتنظيم السياسي الجبهة القومية والدولة فيحتجزون الناس للتحقق من هويتهم ومن ثم التحقيق معهم وتعذيبهم للاعتراف بدرجة ولائهم للتنظيم السياسي الجبهة القومية ودرجة إسهاماتهم في مقارعة أعداء النظام، وبسبب الاعترافات تم إعدام العناصر الشريفة والفاعلة، كما تطاولوا على قتل طاقم التمريض في المركز الصحي "لودر" ثم قال:" بأي ذنب يُقتلون".

ثم وصف تحركاتهم استناداً على التقارير التي يستلمها من مصادره في الاستخبارات العسكرية، واصفاً المساحة الجغرافية التي يتحركون فيها بقوله:" إن ما ساعدهم في تسهيل تحركهم وتنفيذ كل نشاطاتهم التخريبية هو ارتباط طريق البيضا بمنطقة "امحنو" الواقعة بين "نصبا كساد" و"حيد علي"، وبهذا يتمكنون من الوصول بسهولة إلى "السيلة البيضاء" و"اماجل" ثم "يرامس" وأخيراً "العرقوب"، الواقع بين منطقتي "امصرة" و"شقرة"، وهي مناطق وعرة وبعضها خالية من السكان".

قاطعته بحماس: إذا ماذا ننتظر مادمنا نعرف كل تلك التفاصيل؟.

أجاب: إن ما يؤلمني أكثر هو أنه حتى يومنا هذا لم يتم ردعهم فالتقارير والأحداث تؤكد بأنهم يوسعون نشاطهم التخريبي، الذي لا يقتصر على المناطق الحدودية فقط، بل حتى وصلت أياديهم العابثة إلى عاصمة محافظة أبين، حتى أن أُمِّي لم تسلم من أذاهم نفسياً، ففي إحدى زياراتي لها وجدتها تبكي عندما استهدفوا من كان يساعدها في حرث أرضها الزراعية بمكينة الحراثة فخسر قدمه بسبب لغم أرضي زرعوه هناك في إحدى الأراضي الزراعية الواقعة بين منطقتي "الدرجاج" و"المخزن -مخزن آل شداد". ثم اختتم كلامه بالحديث عن الحادثة التي حصلت في الطريق الواقعة بين سبيح وسباح بيافع والتي راح ضحيتها سته أفراد من يافع منهم مُحُمَّد حسين الأصبحي، مالك السيارة، والحكيم عفيف العمري وابنه من قرية الشَّعراء، وكان من ضمنهم كاتبي الخاص محمد عفيف من قرية (ريد). وقد روى أحد الناجين الذي تظاهر بالموت كيف تسابق القتلة على نهب الأشياء الثمينة التي كانت بحوزة الضحايا المسافرين أو في السيارة، حتى أن أحدهم عندما وجد صعوبة في انتزاع خاتم ذهب من إصبع أحد الضحايا قام

ببترها بشفرته. ولم يسلم من أذاهم أيضاً بعض أفراد القيادة في يافع الذين تقطعوا لهم وأخذوا ماكانوا يحملون من رواتب موظفي المديرية الغربية (يافع). وأشار كذلك إلى ما حدث في دثينة، وانزاعجه لاختلاف أبناء قرية "امشعة" فيما بينهم.

أذهلني الرئيس سالمين في متابعته الدقيقة لكل الأحداث الدائرة في أرجاء البلاد واهتمامه حتى في أصغر وأدق التفاصيل. ثم أنهى كلامه بأن تعمد تأنيبي بقوله:" انظر كيف سعيت أنت لإخراج الكاتب بن عفيف والعمري وابنه من السجن ليلقوا حتفهم.. ليتك لم تطلب مني ذلك، فلربما كانت حياتهم في مأمن في السجن ".

حينما ذكر لي تلك الحادثة وذلك الاستنتاج أحسست بأنه يتعمد إثارة غضبي وحزني وألمي عليهم وعلى معاناته كرفيق ومسئول أول عن أمن الوطن والمواطنين وبذات الوقت يحفزني لعمل شيء ما. وعبّرت له عن اندهاشي في كونه لا تفوته شاردة ولا واردة. وسألته:" بما إنك ملم بكل التفاصيل المتعلقة بالعناصر المُخربة، بما في ذلك نشاطهم ومراكز تواجدهم وعددهم وعتادهم وتحركاتهم، فهل هناك من خطه عسكرية جاهزة للرد عليهِم وشل حركتهم ؟".

قال:" حاولت جاهداً خلال العام الماضي تشكيل فروع للقوات الشعبية والمليشيا الشعبية في مكيراس ويافع ودعمت قيادات تلك الوحدات العسكرية بالمال والسلاح.. وهناك في يافع انشأوا مراكز تدريب ابتدأوها في جبل ثمرٍ وانتقلوا بعدها إلى العر.. لكن رغم دعمنا المباشر للقوتين في مكيراس ويافع إلاّ أن أعداء نظامنا السياسي ما زالوا يمارسون نشاطهم بنفس الوتيرة بل حتى زاد تطاولهم".

أحزنني كثيراً سرده لتلك الوقائع المأساوية والاستنتاج الذي عبر عنه في كلامه، وشخصياً لا أريد لهذا الرفيق الحميم والقائد القوي أن يشعر بالقهر أو الإحساس بأنه يفتقد القدرة على أدارة دفة الحكم والإمساك بزمام أمور الدولة والمبادرة وهو بحق الجدير بذلك.

أحاسيسة ومعاناته التي عبر عنها بأسلوبه هذا جعلتني أشعر بأنها صرخة صريحة وعالية يوجهها رئيس نزيه وصادق لكل الرفاق الأوفياء والمؤمنين بمبادئ الثوره والحريصين على أمن الوطن والمواطنين في أن يقفوا بجانبه ليؤازروه ويعينوه. من جانبي نصحته بأن لا يتحمل على كاهله كل شاردة وواردة، وأن يشرك رئيس الوزراء ووزير الدفاع ووزير الداخلية في مثل تلك الأمور التي تتعلق بتثبيت الأمن الداخلي ومقارعة وصد التدخل الخارجي الهادف إلى زعزعة الأمن، على قاعدة "إذا كان البادئ أظلم كان المجوِّب أكرم."

قال لي:" أتدري.. أن ما يزيد من قلقي حول كيفية احكام السيطرة على زمام الأمور الأمنية الداخلية والخارجية هو أيضا أن مطيع قبل البارحة قدم استقالته، وفي هذا الأمر أريد تدخلك الشخصي لمساعدتي في ثنيه عن قراره هذا". ثم توقف عن الحديث وقام يبحث بين الملفات ليريني استقالة مطيع. لكنني لا إرادياً قاطعته قائلاً له:" عليك أن تمزقها وترميها في تلك السلة". وأشرت إلى سلة المهملات التي كانت بجوار طاولته فأنا لا أريد حتى أن أراها.

ضحك لجوابي السريع والتلقائي هذا، ثم عاد إلى مقعده وواصل حديثه قائلاً:" لقد طلب مني الموافقة السريعة بإعفائه من منصبه، وهو يعيش نفس القلق ويحس بألم في أن تلك الأحداث تدور وهو وزير للداخليّة، وأكثر ما يؤرقه الأخطاء والتجاوزات المؤلمة الداخلية التي يمارسها رفاقنا، فهو يدرك بأن عليه مواجهتها وكشف ومحاسبة المسئولين عنها باعتباره وزيراً للداخليّة، ولكن ما يمنعه هو أن التحديات الداخلية والخارجية لا تسمح بمزيد من انقسام الصف وتصادم الرفاق، وأنا حتى هذه اللحظة لم استطع إقناعه في سحب استقالته، ولأنني أعرف أن مطيع يقدرك كثيراً ويحترم آرائك، لهذا أريدك أن تسعى لإقناعه بأن يخرج فكرة الاستقالة من رأسه، مالم فاحتمال أن تتبعها استقالتي".

قلت له:" إذا أبطال وقيادات الثورة، رغم الالتفاف التنظيمي والشعبي حولهم، يضعفون في أول تجربة قيادية مدنية لهم فهذه كارثة كبيرة، وفيها تقزيم لتاريخنا النضالي، والأسوأ سيكون مثل ذلك القرار محبطاً لآمال الشعب الذي آمن بعدالة قضيتنا الوطنية وأهداف ومبادئ تنظيم الجبهة القومية". واختتمت حديثي بأن حاولت أن أهوِّن وأخفِّف عليه من جُرعة ذلك القلق والهم قائلاً:" اترك أمر مطيع لي فأنا أعرف كيف سأقنعه وإخراج تلك الفكره من رأسه، أما المخربين القادمين من وراء الحدود فثق تماماً إن ردنا عليهم سيكون على قاعدة "إذا كان البادئ أظلم كان المجوب أكرم"، تعمدت أن أقولها بصوتٍ عالٍ مشحون بالثقة المطلقة حتى أوحي له بأن الأمور ستكون تحت السيطرة.

قال:" أحسنت.. ولهذا طلبتك على انفراد وسوف أكلف أيضاً محمد ناصر جابر في مهمة أخرى ولكنها تصب في نفس الهدف وسوف ننسق مع علي ناصر ومطيع وعلي عنتر وصالح مصلح". ثم اختتم كلامه بأن سألني:" ماذا تتمنى لأولادك وبناتك ؟!". أجبته وبشكل تلقائي:" أن يحققوا ما لم استطع أنا تحقيقة، أي أريدهم ان يتعلموا ويحملوا يوماً ما الشهادات الجامعية في حياتي".

طمأنني بقوله:" أنا أقدِّر خطورة مهمتك، لهذا أتعهد لك أنه لو قدر الله واستشهدت يوماً ما، وهذا ما لا أتمناه، فسوف أتولى بنفسي العناية بأبنائك وتعليمهم، واسمح لي أن أرافقك هذه الليلة لزيارتهم والتعرف عليهم وسأوصي أيضاً الرفاق علي ناصر ومطيع وجاعم وعلي عنتر بهذا الخصوص".

الثورة تخدمنا ونحن يجب أن نخدم الثورة

أدركت وهو يقدم لي تلك الالتزامات الشخصية والصادقة درجة تأثير الأوضاع الأمنية عليه، وحتى أخفف من درجة قلقه وعدته بأننا سنقِضُّ مضاجع الأعداء والمتربصين ولن نجعلهم يفلتون من العقاب. وأخبرتة بأننا بحاجة لإنشاء مركز عسكري آخر في منطقة يافع -الحد، وسيتم التنسيق مع قيادات مركز (العر) لتوحيد النشاط العسكري والأمني في الحد وأطلب تفريغ من اختارهم لمساعدتي من العسكريين من رجال الأمن والقوات المسلحة ليعينوننا في مهمتنا العسكرية. وطلبت منه أن يساعدنا أيضاً بدعم المشاريع الحيوية التي معظم مناطق يافع بحاجة ماسة لها، وعلى الأخص المناطق الحدودية، مثل بناء المدارس والمراكز الصحية والتعاونيات وشق الطرقات. مؤكداً له بأن ذلك سيخلق أولاً مفارقة إيجابية ملموسة بين ما يقدمة نظام صنعاء لمناطقه الحدودية وما نقدمه نحن لمواطنينا في المناطق النائية والحدودية. وثانياً سيعمق في عقول أبناء المناطق الجنوبية الحدودية القناعات بخيارات الدولة وبإقامة المشاريع الملموسة، وبهذا سنكسب ولائهم وحرصهم على المساهمة في حماية حدود الوطن والمشاركة بفعالية وقناعة في دعم الأمن والاستقرار. وأنه مثلما نرفع الشعارات التي تؤكد بأن دولتنا هي دولة العمال والفلاحين والشرائح المسحوقة في المجتمع، علينا أن نوازي الأقوال بالأفعال على الواقع لتأكيد حقيقة تلك الشعارات، بحيث يشهد لها ويشاهدها الناس بأعينهم ويلمسونها في واقعهم ويستفيدون من خدماتها.

- قال: أوعدك بأنني سأعمل كل ما بوسعي، ولكن بما تسمح به ميزانية الدولة.

أخبرتة أنني أعرف أن ميزانية الدولة لا تحتمل الكثير من المشاريع، وعبَّرت له في أن كل ما نريد منه هو دعمنا في الحصول على مواد البناء الأساسية من الخشب والاسمنت، وثقتنا كبيرة في أن الناس سيسهمون في العمل التطوعي لتنفيذ أية مشاريع حيوية لم تشملها ميزانية الخطه الخمسية، مؤكداً له بأن الناس لا تؤمن كثيراً بالوعود ولكن بالأفعال، ولهذا علينا أن نسعى لدعم المشاريع

الهامة، والتي بإنجازها وإضافتها إلى تلك المناطق سنكسب مشاعر الناس وودهم ورضاهم وولائهم للنظام وهذا سيساعدنا أكثر في توحيد الصف الداخلي وتثبيت المبادئ والقناعات في عقولهم، وبذات الوقت نفوت الفرصة على أعداء الثوره في اقتناص جوانب تقصيرنا في خدمة المواطنين وسنحصن صفنا من اختراق الأعداء، لأن أساس الهزائم هو تفكك الصف الداخلي واختراقه من قبل الأعداء، والطعنات الغادرة والأشد فتكاً هي تلك التي تأتيك من الظهر وهي أقوى تأثيراً وأكثر إيلاماً من الضربة التي تأتيك من الأمام.

أخطاء الرفاق ودموع سالمين التي لم تغادر ذاكرتي

في ختام اللقاء تعهد لي الرئيس سالمين بتقديم كل التسهيلات وأنه سيوصي رئيس الوزراء علي ناصر محمد بأن يقدم كل شي ممكن لتسهيل مهامي، وسيطلب من قائد سرية اللاسلكي في وزارة الداخلية (النسي) أن يمنحني فريقاً من عمال اللاسلكي لضمان التواصل معه مباشرة وكذا تفريغ بعض العسكريين والمدنيين الذين نحتاج لهم في الأعمال العسكرية، أو في تخطيط وتنفيذالمشاريع المدنية مثل إنشاء تعاونية تطوير البُن في يافع والتعاونيات الاستهلاكية الأخرى، وكذا شق الطرقات وبناء المدارس والمراكز الصحية، بغية خلق حالة من الاستقرار في تلك المنطقة الحدودية وإعادة الناس إلى الصف الوطني وملاحقة المخربين الذي اتخذوا مكيراس ودثينه -قرية (امشعة) والحد يافع أهدافاً لهم. ووعدته إننا سنرد عليه ونقض مضاجعهم، ولكن هناك في معسكراتهم،حتى يعرفوا بأنهم سيدفعون ثمن جرأتهم في التطاول على حرمة الوطن وأمن الناس وأنهم لن يفلتوا من العقاب.

من جانبه أوضح لي بأنه سيهتم بحل أزمة الثقة الداخلية التي بدأت تظهر بوادرها بين رفاق الأمس، والتي هي الهم الجديد الذي يؤرقه ويؤرق ويحرج كثيراً مطيع. وطلبت أن يخبرني أكثر عن تفاصيل الهم الآخر والذي كان سبباً في رفع درجة القلق وأعاق مطيع من القيام بدوره حتى أستطيع تجهيز الحجج لإقناعه في التنازل عن قرار الاستقالة.

قال:" أتدري.. لقد عبَّرت عن حقيقة مشاعري حينما قلت بأن الضربة من الخلف هي أشد إيلاماً وتحمل معها ندوباً وآثاراً عميقة من شأنها أن تأزِّم الثقة

وتفتت صفنا الداخلي التنظيمي والاجتماعي، ويؤلمني إننا نواجه جبهتين إحداهما هي التدخل الخارجي لتقويض الأمن، والأخرى تتمثل بالتجاوزات الداخلية لبعض المتطرفين من رفاقنا أعضاء التنظيم السياسي الجبهه القومية".

قلت له: من تقصد؟

قال:" أقصد من ركبوا موجة الثورة في اللحظات الأخيرة فأصبحوا يشككون بولاء الرعيل الأول من مناضلي ثورتنا، وحتى هذه اللحظة لا أستطيع تفسير دوافع أعمالهم الخاطئة و القاتلة، إنهم يحاولون إقصاء صف الرعيل الأول من المناضلين وإبعادهم من طريقهم حتى يتمكنوا من نسب جزء أو كل التاريخ النضالي النزية لهم، ففي العامين الماضيين خسرنا بسبب التآمر المبني على التشكيك بدرجة الولا للنظام والمبادئ الثورية عدداً من رفاق حقيقين شاركوا مشاركة فعالة في الأعمال الفدائية ضد الاستعمار، ومنهم من خدم أهداف الجبهة القومية التحررية كثيراً بحكم عملهم في جهاز الاستخبارات الاستعمارية والأجهزة الأمنية والعسكرية، وبحكم علاقاتنا السرية بهم في مرحلة الكفاح المسلح سهّلوا علينا النجاح في تنفيذ مهامنا الفدائية بأقل الخسائر، ولولا شجاعتهم ومواقفهم المشرفه وولائهم الصادق للجبهة القومية لما حققنا الاستقلال الناجز وغير المشروط، أذكر منهم رفيقي سالم الناخبي الذي قُتل ظلماً بسبب شطحات الراديكاليين ومن يجهلون التاريخ، ولم أجد له ذنباً إلاّ أنه صاحب موروث نضالي كبير".. ثم صمت وأصابتة موجة حزن مفاجئة كادت أن تنطق بها تقاسيم وجهة ونبرت صوته. واستأنف الحديث بنبرة خافتة وحزينة:"لقد قتلوا سالم الناخبي، ولكي يخفوا جريمتهم تركوه في سيارتة في بقعة مهجورة ومخصصة لرمي النفايات في منطقة كالتكس..فهل هكذا نكافئ صناع التاريخ الحديث بقتلهم ورمي أجسادهم الطاهره بين النفايات ؟!".

كان ذلك السؤال الحائر وتلك الذكريات المؤلمة قد أجّجت في وجدانه نيران الغضب لتشعل هشيم الحزن في نفسه إلى الدرجة التي لم يتمالك حبس مشاعره ومعها دموع الأسى، وهذا ما جعله يحاول ان يشيح بوجهه جانباً حتى يخفى عني تلك النوبة الحادة للمشاعر الإنسانية الحزينة.

لم يكن موفقاً بحركته تلك إلاّ من إخفاء النصف الأيسر من وجهه، الأمر الذي مكنني من مشاهدة دمعةً كبيرةً متماسكة كحبة اللؤلؤة تتدحرج سريعاً من عينه اليمنى، ثم حاول بحركة خفيفة من يده اليمنى أن يمسح وجهه بمنديل من القماش كان قد أخرجه للتو من جيب قميصه كي يجفف عينيه ويخفي

سـريعاً مـن وجهـه مـا تركتـه تلـك الـدموع مـن آثـار.. ثـم دار بوجهـه مـرة أخـرى باتجاهي ظاناً أنني لم اكتشف دموع قهر الرجل الصلب والقائد. فواصل الحديث قـائلاً:" لا أعـرف مـن سـيكون الضـحية القادمـة". ثـم بصـوت هـادئ ومتـزن وبنـبرة امتزجت معها الكثير من المعاني السامية للوفاء والإخلاص قائلاً "عليك أنت أيضاً أن تتوخى الحذر".

أحـزنتني تلـك الدمعـة الـتي حملـت عنـد نزولها التعبير الأعمق والأقوى لمشاعر حزن وقهر الرجال الحقيقين على فقدان رفاقهم في زمـن نحـن بـأمس الحاجـة لهـم.. وبالنسبة لـي أظهـرت تلـك النصـيحة الخاصـة وتلـك الدمعـه علـى كـل مـن غـادر دنيانا من الرفاق الكثير من معاني إخلاص ووفاء هذا الإنسان والقائد وحرصه على حماية كل من شاركوه زمن الجمر وزمن الكفاح المسلح والمقدس من أجل الانعتاق من الاستعمار الأجنبي.

لماذا فكَّر مطيع بالاستقالة من منصبة؟!

تلـك النوبـة العاطفيـة لم تسـتمر طـويلاً، إذ أنـه سـرعان مـا تمالـك نفسـه وأدرك مشاعره تلك التي انهكتهـا عاصـفة الـذكريات الحزينـه والمؤلمة، والـتي لحداثتها لم يخفـف مـن وقعهـا الـزمن، فهـزت لثـوانٍ معـدودة رباطـة جأشـه، فعـاد يسـتدرك نفسـه ويتحدث مرةً أخرى ولكن بصوت متزنٍ وموثوق وعالٍ وكـأن شـيء لم يحصـل قـائلاً : "أتـدري ان تلـك السـلوكيات هـي أكثـر مـا يـؤرقني، وهـي سـبب رئيسـي آخـر جعـل مطيـع يفكـر في اعفائـه مـن منصـبه، فهـو يـدرك إن أي تحقيـق مُنصـف مـن شـأنه ان يدين ليس فقط رفاق الربيع الساعة الأخيرة بل ورفاق الدرب الطويل".

سألته:" ومـا الضـرر في ذلـك ؟ إذا ثبتـت إدانـة أي فـرد علينـا محاكمتـه وتنفيـذ القـانون ومحاسـبته علـى مـا اقترفـه مـن ذنـب، وبهـذا سـنكون صـادقين عنـد مـا نرفـع شعار بأنه لا يوجد في الدولة أحد فوق القانون".

ودون أن يجيب على سؤالي قاطعني قائلاً:" إنـني أقدر موقف مطيـع، فهـو يـرى بأنـه ليسٍ مـن الإنصـاف انتقـاء بعـض المخالفـات القانونيـة واسـتثناء الأخـرى، وهـو يـدرك أيضاً بأن تعميم التحقيقات سيقود إلى إدانة سلوكيات بعض القيادات التاريخيـة، والتي تشير بعض الدلائل للأسف إلى أن أصابع الاتهام ستكون موجهه إليهم، بسـبب استهدافهم لمن ينافسوهم في درجة الرصيد النضالي مـن أبنـاء منـاطقهم. ونحـن في

الظروف الحالية نريد أن نوظف كل إمكانياتنا لتعميق اللحمة الوطنية، بعد ان أضعفتها الصدامات المسلحة مع جبهة التحرير، وما أعقب ذلك من أزمة الثقة مع القيادات السياسية التاريخية وقيادات الجيش العربي والأمن. لهذا فحين نستقرئ أزمات الماضي القريب، نحس بأننا في هذه المرحلة بالذات في محنه حقيقة، لأن فتح باب التحقيق والمحاسبة لكل من تآمر على الرفاق سيعمق الخلاف فيما بيننا وقد يؤدي إلى التصادم مرة أخرى بين رفاق الأمس، وهو ما لا نرجوه، وإذا حدث ذلك ستكون انتكاسة حقيقة قد تعصف بتجربتنا الوطنية الديمقراطية في مهدها، وهذا فعلاً ما يتمناه أعداء الثوره، ولذلك علينا أن نؤمِّن الحدود من الاختراق الخارجي والعمل على تثبيت أركان السلطة الوطنية وتقوية أجهزة الأمن والقوات المسلحة وتنقيتها من تلك العناصر المستفيدة من التآمر على الرفاق، وعندها ستكون الظروف مؤاتية وسيكون من الممكن فتح ملفات التحقيق، وبالتأكيد لن يكون هناك من هو فوق القانون".

واصلنا الحديث في سيارته حتى وصلنا منزلي في خور مكسر -حي السلام، وبعد التعرف على أبنائي ودَّعته في التاسعة والنصف مساءً ووعدته بأن أتصل بمطيع وأذهب لمقابلته لأبحث معه أسباب وأسرار تلك الاستقالة، وأحاول ثنيه عن قرار الاستقالة وتبيين نتائجها السلبية. قال لي:" إذا أقنعته اتصل عليّ في أي وقت سأكون في مكتبي حتى ساعة متأخرة من الليل".

قابلت مطيع وحدَّثني هو الآخر عن الكثير من العوائق والصعوبات التي تمنعه من القيام بدوره كوزير للداخلية، والتي لا تختلف عن ما أسهب في وصفها سالمين. لكننا بعد حديث طويل بما في ذلك تطمينه أن سالمين يقدر كل تلك الصعوبات والعوائق التي يواجهها مطيع في عمله اليومي كوزير للداخلية وأهمها تلك التي تحدث بسببفي التاسعة التجاوزات غير القانونية التي يرتكبها بعض الرفاق القياديين، والتأكيد له أن الرئيس يثق بأن تلك المرحلة تتطلب ان يتمتع شخص وزير الداخلية بنظافة التاريخ وقوة الشخصية والمرونة السياسية، وأن سالمين لا يرى في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا أفضل منه في وزارة الداخلية.

وأكدت له أن سالمين ذاته يعاني من حالة عدم الرضا وخيبة الظن بسبب تلك التجاوزات التي يسلكها البعض من الرفاق والتي تسبب إحراجاً له كمسئول أول في هذه الدولة، وأن إصراره على تقديم الاستقالة، وهو أحد أركان القيادة الجماعية، لن يهز ثقة سالمين فقط في صمود النخبة من الرفاق الحقيقين والمخلصين والمجربين، ولكن خطورة نتائجها ربما ستنتهي باهتزاز شيء من ثقتة بنفسه

وقدراته القيادية وأنها قد تقود إلى أن يقدم سالمين استقالته هو الآخر من رئاسة الجمهوريّة كما ألمح لي بذلك.

اقتنع مطيع في أن يسحب استقالته على الفور، ومن منزله وفي وقت متأخر من الليل، اتصلت بسالمين لأطمئنه بأن اللقاء كان مثمراً، وأن مطيع لن يتخلى عن رفيقه سالمين وعن خدمة الوطن والناس، خاصة وأن الكل يدرك بعمق حجم تداعيات ظاهرة الشطحات والتطرف.

لم يصدق سالمين ماسمعه مني، وأحسست بأنه تقبل الخبر بشيء من الشك، وأن ذلك ليس سوى محاولة مني لتقديم تطمين مؤقت يخفف من حدة الضغط والأزمه النفسية التي أظهرها وعبر عنها في لقائنا، ولقطع دابر الشك طلب مني أن أسلِّم التلفون لمطيع حتى يتلقى ذلك الخبر منه، فأكد له هو الآخر قناعته الكاملة في مواصلة عمله كوزير للداخلية.

حماية أمن المناطق لن يتحقق الاّ بوحدة أبنائها

كما أسلفت ذكره، سافرت إلى يافع في أكثر من مهمة وتكليف. كنت أدرك بأن النجاح في حماية أمن الحدود والمنطقة لن يتحقق الاّ بوحدة أبنائها وتوافق قناعاتهم وإيمانهم بخيارات التنظيم السياسي الجبهة القومية الهادفة إلى تحقيق العدل والمساواة بين الناس ورفع مستوى الفقراء والمسحوقين في المجتمع وتأمين الحصول على الخدمات الأساسية لتسهيل حياة الناس وتأمين تطورهم وازدهارهم من خلال بناء المدارس والمستشفيات وشق الطرقات والمشاريع الخدماتية لصالح كل أفراد المجتمع ودون أي تمييز مناطقي أو استثناءات.

كانت جبهة الإصلاح اليافعية قد نجحت قبل عامين في اخماد الفتن المشتعلة هنا وهناك، وهذا العمل الإنساني والخلاق كان بمثابة القاعدة التي مهَّدت لبناء صرح القلعة الحصينة التي تعكس في تفاصيلها الجميله أسباب وأهمية استمرار الأمن والاستقرار في المنطقة.

تم تشكيل لجان عمل ذات مهام مختلفة، وكنا في القيادة المحلية نشرف عليها، وإحدى تلك اللجان مهمتها التفرغ لحل المشاكل والقضايا العالقة بين القبائل والفخائذ المتناحرة جراء الفتن السابقة فيما بينها، قبل أن تتدخل جبهة الإصلاح اليافعية، ومارسنا العمل الدائم والدؤوب لحسم القضايا اليومية الجديدة دون أي

تأجيل حتى لا تتعقد وتتفاقم أكثر، وأتذكر أن تحركاتنا للوصول إلى قرى الحد ويافع المترامية الأطراف كانت تتم مشياً على الأقدام وبشكل يومي، بسبب انعدام الطرق، كل ذلك من أجل حل القضايا الاجتماعية وإصلاح ذات البين أو متابعة الجناة أو لرفع درجة وعي الناس لاستيعاب أهداف المرحلة وشحذ الهمم للعمل التعاوني لبناء المدارس وشق الطرقات..الخ.

وأنا هنا استعيد شريط الذكريات وأتذكر الظروف الصعبة والقاسية العامة منها والخاصة، وكيف كنا نتعامل معها ونطّوعها ونتغلّب عليها، أقف اليوم، أي بعد أكثر من أربعة عقود من الزمن، أمام مقارنة نزيهة بين تلك المرحلة بظروفها وناسها وما أعقبها من المراحل حتى يومنا هذا، وبكل إنصاف أقول، أنه على الرغم من بعض الأخطاء التي اتسمت بها تلك المرحلة إلاّ أن إيجابياتها كانت كثيرة ومتنوعة، وهي بحق المرحلة الأجمل والأوضح والأكثر تطوراً وفيها برزت المبادئ والمثل الإنسانية، وهذه الحقيقة ترسخت في عقلي ووجداني من خلال ما شاهدته من انهيار للقيم والنزاهة والأخلاق الحميدة في المراحل اللاحقة من تاريخ الإنسان والوطن.

في مرحلة السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي تم الاهتمام بالتعليم وبناء الإنسان الجنوبي الذي يعتبر أساس الحضارة والتطور، وفي تلك الحقبة من الزمن كنا نرسم بإتقان من خلال سلوكياتنا اليومية صوراً جميلة في تفاصيلها، وبرزت بشكل لا نظير له ظاهرة نكران الذات وشيوع الإرادة الإنسانية الجامحة والصلبة لتحقيق كل تطلعات وأشواق الجماهير.

عشقنا القناعة والبساطة في الحياة، وارتقى الحس الوطني واليقظة الجماهيرية إلى أقصى مدى، ونجحنا في توحيد صفوف الجماهير لتحقيق الأهداف والغايات القريبة والبعيدة. كان العدد الكبير من الرعيل الأول من المناضلين في جبهات الكفاح وكذا أعضاء الجبهة القومية مؤسسي جبهة الإصلاح اليافعية من أبناء المنطقة قد انتقلوا إلى عدن، وهناك تبوأوا مناصب سياسية وعسكرية وأذكر منهم: محمد صالح مطيع، سالم صالح محمد، عبدالرب علي مصطفى، فضل محسن عبدالله، محمد ناصر جابر، ناجي عثمان أحمد، محمود حسين سبعة، سالم عبدالله ياسين، سالم عبدالله عبدربه، أحمد محمد حاجب، محمد عبدالرب بن جبر والقائمة تطول.

كان يراودني اليقين بأن المسئولين المحليين، وأغلبهم من شباب المنطقة، سيستفيدون من علاقتي النضالية برفاق الدرب، وفي مقدمتهم الرئيس سالمين

لتسهيل تنفيذ المشاريع المختلفة وإقرارها ضمن الخطة الخمسية، وكذا السعي للحصول على اعتمادات إضافية لتنفيذ مشاريع أخرى، بدعم استثنائي من الرئيس سالمين ورئيس الوزراء علي ناصر محمد ومحمد صالح مطيع وجاعم صالح محمد وعبدالفتاح اسماعيل وعلي صالح عُباد "مقبل" وعلي عنتر وعلي شائع وصالح مصلح وسالم صالح محمد ومحمد سعيد عبدالله وعبدالعزيز عبدالولي وعبدالله الخامري ومحمد علي أحمد... الخ. ولهذا كنت في جميع لقاءاتي بالمسئولين العسكريين والمدنيين أوضح طبيعة مهامنا الهادفه إلى ارساء دعائم الأمن وأطلب مساعدتهم في تسهيل الحصول على الاعتمادات لتنفيذ المشاريع الهامة والمتنوعة والتي كانت مناطق يافع والحد بحاجة ماسة لها.

كنت أوظِّف عملي في اتجاهين، الأول كمسئول عسكري في المنطقة لتحقيق الأمن والاستقرار، والاتجاه الآخر كمسئول مدني لمساعدة المسئولين أعضاء القيادة المحلية في المديرية لتنفيذ المشاريعٍ والحصول على دعم إضافي لبعض المشاريع الخارجة عن الخطه الخمسية. وفعلاً كانت البدايات جيدة، ولكن كبشر لكل منا قناعاته في الحياة والعمل وأسلوب التعامل مع الناس والتي قد تتفق أو تختلف مع قناعات الآخرين، وهذا ما ظهر جلياً في طريقة وأسلوب كلٍ منا في تسيير أمور المديرية والتي شابها شيء من التباين في وجهات النظر يوماً بعد يوم، ومع مرور الزمن تحول إلى خلاف على المسائل التي كانت من وجهة نظر كل منا هامة وأساسية أو لها علاقة بمثلنا ومبادئنا.

جزء من أسباب ذلك الخلاف انحصر في الاختلاف في ترجمة وفهم النظام الداخلي والبرنامج السياسي للتنظيم السياسي الجبهة القومية وكذا القوانين بين فرد وآخر وبين مجموعة وأخرى، وكانت تأويلات وتفسيرات البعض تحمل نزعة التطرّف في إصدار الأحكام وتنفيذها، وظهر ذلك جلياً في الأمور التالية:

- أسلوب التعامل الخاطئ مع السلاطين والمشائخ وأعوانهم ومن خدموا في المؤسسات الاستعمارية العسكرية والمدنية، وذلك بمصادرة ممتلكاتهم وملاحقتهم وسجنهم وإعدام بعضهم. وهنا، ومن أجل الدقة فأن ظهور تلك السلوكيات لم يكن منحصراً على المديرية الغربية من المحافظة الثالثة (يافع -الجبل) بل كانت ظاهرة تطرف عامة شملت أغلب مديريات الجمهورية. تلك الظاهرة أفرزها هوس البعض في تطبيق أفكار الصراع الطبقي، وما يتطلبه من الحسم تحت شعار ما كان البعض يسمية (التجذير الطبقي) الذي يبرر عمل كل شيء من أجل حماية

ما كنا نطلق عليهم "أصحاب المصالح الحقيقية في الثورة"، أي مصالح طبقتي العمال والفلاحين وكذا الشرائح الأخرى الفقيرة والمسحوقة في المجتمع.

- التطرف في تطبيق قانون الإصلاح الزراعي في المديرية الغربية (يافع) والتي في اغلب أراضيها الزراعية عبارة عن مدرجات زراعية في بُطُون الجبال، أي لا توجد فيها إقطاعيات زراعية على غرار الإقطاعيات الزراعية في أبين ولحج وغيرها من بعض مناطق الجمهورية.

- التطرّف في درجة التصنيف والتوصيف الطبقي لملاك المتاجر البسيطة أو من يمتلكون السيارات والآليات، وما نتج عنه من إرهاب تلك الشريحة الاجتماعية ووصفها بالمتربصة بالثورة.

- وهناك أسباب خاصة وذاتية، إذ أن عدداً من مسئولي المديرية من رأوا في وجودي بالمنطقة وعلاقاتي المميزة بقيادة الدولة (رفاق الأمس) يعتبر تهميشاً وابهاتاً لدورهم، ومنهم من كان يؤرقهم أنهم لا يمتلكون رصيداً نضالياً حقيقياً، وإنّما وصلوا إلى مراكز قيادية بسبب إتقانهم لفن الخطابة والكلام والتفوق في المزايدة باسم الفكر الماركسي اللينيني، إلى درجة أن بعض منهم أطلقوا عنان الهوس الفكري فأخذوا يجتهدون ويضيفون أحياناً إلى ما قال ماركس ولينين.

- خطورة ظاهرة الشطحات الفكرية وما يصاحبها من أعمال متطرفة في أي زمان ومكان ليست خافية على أحد، و في حقبة السبعينيات والثمانينيات فأن خطورتها تمثلت في كون طغيان تلك الأفكار قد رسخها الزمن وحولها إلى قناعات عند بعض الأفراد من المسئولين، سواء في مديريتنا أو المديريات الأخرى من مديريات الجمهورية، وتحولت إلى خطر حقيقي هدد استقرار أفراد شرائح اجتماعية، وخاصة عندما جنح المهووسون بممارستها إلى التطرّف في رفع شعار التجذير الطبقي والاجتهاد في تفسير القوانين وتحوير بعضها لتبرر نهجهم وأساليب تطبيقهم لقناعاتهم على الواقع .

أن تلك الظروف التي تصنعها السلوكيات الخاطئة وغير السوية التي يمارسها المتطرفون من الناس في أي زمان ومكان، إنما هي اختبار لقدراتك على الصمود أمامها وإيقاف تأثيرها، وفيها كشف لدرجة حصانة قلعة مبادئك، وحينما تظهر في الزمن الذي يكون لك فيه شيء من السلطة والجاه فأن ذلك اختبار لك من رب العرش، وحينها تجد نفسك أمام محك ديني وأخلاقي وإنساني حقيقي يجعلك تقف أمام خيارين لا ثالث لهما، وهو إما أن تكون مع ذلك التيار المتشدد أوضده، مدركاً بأن لكل موقف ثمناً ستدفعه.

في تلك المرحلة كان الواجب الأخلاقي يفرض علينا الوقوف ضد السلوكيات التي كانت تجنح للتطرف والترهيب حتى نرفع أو نخفف ما نستطيع رفعه أو تخفيفة من ظلم الناس للناس، ومعنا وقف الكثيرون، حتى استطعنا منع أسياد الكلام والتطرُّف من تنفيذ اجتهاداتهم الفكرية الطائشة التي كادت أن تُفقِد الناس استقرار حياتهم أو ان يخسروا أملاكهم وأحياناً حياتهم.

وإنني على يقين بأن تلك النماذج المتطرفة تظهر في كل مرحلة أو تنظيم أو حزب أو دولة بل في كل زمان ومكان، وأنا هنا حريص على أن لا أشير لهم كأفراد، ولكن كظاهرة مؤسفة وسلوك غير سوي وأحياناً غير إنساني، لهذا تُوجب علينا الأمانة التاريخية الاعتراف بوجود تلك الظاهرة في تلك المرحلة وتشخيص أسبابها ودرجة تطرّفها وكيف كنا في ذاك الزمن نتعامل معها ونعالجها.

وبما أن تلك السلوكيات والظواهر بشرية بحتة، فأن حدوثها سيتكرر في أي زمان ومكان والغرض من الإشارة إلى وجودها في تلك المرحلة من التاريخ واظهار الممكن إظهاره من مساوئها هو فقط من أجل أن نوظيف تاريخنا لخدمة حاضرنا ومستقبلنا، حتى تتعلم الأجيال من تجاربنا وتجارب من سبقونا وتتعظ و تأخذ العبرة من أخطاء ونواقص الماضي وتحاشى إعادة استنساخها والعمل بصبر وثبات لتأمين الوقاية منها، وفي حالة اكتشاف بوادرها فأن على الخيرين دراسة أسبابها والعمل الجاد للخلاص منها في حينها لمنع استشرائها، حتى لا تصيب نتائج مضاعفاتها المجتمع بالضعف والخوف والهوان.

كيف تمت حماية الناس من ظلم الناس

في تلك المرحلة وبسبب الزخم الثوري وإيمان عدد من القيادات السياسية العليا والدنيا بالفلسفة الماركسية اللينينية وقانون وحدة وصراع الأضداد، أحد قوانين المادية الجدلية (الديالكتيك)، وكيف فسر البعض ذلك بأنه يعني عدم وجود سلم اجتماعي أو توافق بين الطبقات الاجتماعية وإنما تناقض وتناحر، وكيف حاول البعض تحويل الصراع من صراع غير تناحري يخدم التقدم والتطور إلى صراع تناحري.

إن تَعمُّق تلك الأفكار قد أسس مدماك ظاهرة استهداف الناس بسبب امتلاك رأس المال (البرجوازية) أو بسبب انتماءاتهم العائلية للمشايخ والسلاطين

وأعوانهم، وأطلق البعض العنان لأفكاره الهادفه إلى تخويف النظام من أفراد تلك الشريحة وتصنيفهم بأنهم الخلايا النائمة والمتربصة بالنظام حتى وأن كانوا لا يحملون الاّ تاريخاً وطنياً نظيفاً.

اختلفت مع من يحاولون تضييق الخناق على تلك الشريحة الاجتماعية، وحاولت وإلى جانبي عددٌ من المسئولين حماية المستهدفين من السلوك المتطرّف، ووجدت ان واحدة من أفضل وسائل الحماية للأفراد المستهدفين هو إقناع من لدية القدره مِنْهُم على الالتحاق بنا والعمل معنا في ظروف المناطق الحدودية القاسية، مستوعباً حقيقة إننا بإشراكهم في العمل معنا في تلك المنطقة النائية بظروفها الصعبة سنكسب أمرين اثنين، أولاً ابتعادهم عن دائرة الملاحقات والمضايقات، وثانياً يمنحنا إخلاصهم في الدفاع عن الوطن والنظام قوة الدليل والحجة في الدفاع عَنْهُم، وبهذا سنفوت الفرصة على من يمارسون التشكيك بإخلاصهم ومن يؤمنون أنه لايوجد الاّ صراع طبقي تناحري.

لم يقتنع عدد من قيادة التنظيم السياسي في المديرية، وخاصة المهووسون بالتجذير الطبقي، واعتبروا بأن عملي هذا حماية لمن تم وصفهم بالعناصر الرجعية المتربصة بالنظام الوطني الديمقراطي والتقدمي.

أخبرت الرئيس سالمين،الذي التزم لي بالدعم بالرجال والمال والسلاح لتسهيل مهامي، أن هناك من يحاولون بوعي أو بغير وعي بناء العوائق ووضع العراقيل في طريق عملنا العسكري والمدني مؤكداً له بأن الأمن والاستقرار في مناطق الحدود سيكون شبه مستحيل بدون تدعيم اللُّحمة الوطنية بعيداً عن الأعمال الجانحة للتطرف التي تخلُق من اخواننا وأبنائنا أعداء داخليين، وقد أبدى الرئيس تفهمه لتلك المحاذير وكلّف علي صالح عُباد مقبل الامين العام المساعد للتنظيم السياسي الجبهة القومية في النزول إلى المديرية للقاء بالقيادة المحلية.

في اجتماع أعضاء لجنة المديرية وبحضور علي صالح عُباد مقبل أشرت إلى الوضع الأمني غير المستقر في منطقة الحد بسبب نشاط عناصر نظام صنعاء والمتضررين من توجه نظامنا ممن اتخذوا المناطق الحدودية الشمالية المتاخمة لمنطقة الحد مراكز لنشاطهم العسكري المضاد، واعتبروا أن الحد ومكيراس ستكون بوابتهم لتقويض الأمن، ولهذا فمنطقة الحد تظل مستهدفة وغير آمنه، لأنها شبه معزولة بسبب انعدام الطرق المعبدة للسيارات وظروف العمل فيها أصعب وغير آمنة، والمكلَّفُون في العمل هناك من موظفي الدولة ليس لديهم من وسيلة نقل سوى الاعتماد على السير على الأقدام في حركتهم وتنقلاتهم بين القرى الحدودية

المختلفة لتثبيت الأمن والاستقرار ومحاربة أعداء التوجه السياسي وكذا خلال النزول إلى القرى المتباعدة الأطراف لحل المشاكل التي تنشأ بين الناس والسعي الحثيث لتنفيذ المشاريع الحيوية المتنوعة.

إن تلك الظروف مجتمعه تجعل من الإنصاف ان ننظر لكل من يخدم فيها بجلد وصبر وإخلاص بأنه شديد الإخلاص للوطن والنظام والشعب، وأنه بدلاً من أن نتهم الناس افتراضياً بأنهم أعداء التوجه السياسي و ملاحقتهم بغرض "رَصْد" سلوكياتهم أو تعريضهم للسجون فالأفضل التأثير عليهم وجذبهم للالتحاق بنا والعمل معنا في منطقة الحد، وفقاً لخبرتهم وإمكانيتهم سواء المدنية منها أو العسكرية، واشترطنا بعد ذلك الكف عن التشكيك بولاء من التحقوا للعمل معنا، يصارعون الظروف الصعبة ويعرضون أرواحهم للخطر.

أعجبت تلك الفكرة علي صالح عُباد مقبل وأيَّدها علناً وتبناها، وأمر كل قيادة التنظيم في المديرية بعدم التشكيك جزافاً بولاءات الناس بسبب التصنيف الطبقي أوالمركز الاجتماعي السابق، بل الحُكم على مايقدمه الأشخاص على الواقع من خدمة للوطن.

وكان صالح محمد الحريبي من الرفاق الذي اشترطت أن يكون إلى جانبي، والسبب أن هناك من بعض الرفاق المتطرفين من سعوا لفصله من التنظيم واعتقاله دون أي ذنب حقيقي، سوى أنه ابن شيخ، وهو ومثله كثيرون خدموا الوطن والنّاس بإخلاص في أصعب الظروف وأكثرها تعقيداً.

وما زلت أتذكر كيف ساعدنا لاحقاً كل من كافحوا وعملوا معنا في تلك الظروف الشاقة والصعبة في أن ندافع عنهم بقوة، حتى أنه كان علينا في بعض المواقف مواجهة المتعصبين بمطالبتهم أمام قيادة الدولة بأن يقدموا جرداً بأعمالهم الوطنية وأقدم أنا جرداً مماثلاً بالأعمال الوطنية التي قدمها للوطن من يتهمونهم بالمتربصين.

يوم من أيام الحد- يافع

طلبت مني قيادة معسكر العر حضور مناورة عسكرية ستنفذها الوحدة العسكرية حديثة التخرج من معسكر العر، وتستخدم فيها مختلف الأسلحة وعلى الأخص المدفعية. وحينما بحثنا في تفاصيل المناورة اختلفنا كثيراً حول أين وكيف سنقيم المناورة.

كان سالمين قد عبر في الماضي عن عدم رضاه على أداء بعض القيادات، ولهذا اختمرت في رأسي فكرة لو تم تنفيذها ستغيِّر ايجابياً من قدرات القيادات العسكرية في معسكر العر. ومن دون الإفصاح عن ما دار بيني وبين الرئيس، كان مقترحي هو أن نباغت أحد معسكرات منطقة ذي ناعم، الذي أنشأه أعداء النظام لغرض تقويض الأمن في المناطق الجنوبيه الحدودية (مكيراس والحد -يافع والعواذل) واقترحت عليهم بدلاً من أن نضيع قذائف المدفعية في الشعاب المحيطة بجبل العر علينا أن نجعل هدفنا ذلك المعسكر الذي ينطلق منه أعداء الثوره والنظام، وبهذا سنحول المناورة إلى عمل عسكري حقيقي وسنختبر جاهزية الوحدة العسكرية المتخرجة على الواقع وستكون لمشاركة الوحدة العسكرية رسالة قوية لمن يفكرون بالتطاول على أمن الوطن.

رفض قادة معسكر التدريب ذلك المقترح واعتبروا أنه يفتقد للمنطق والحكمة العسكرية وفيه شيء من المبالغة، بل أن بعضهم اعتبره ضرباً من الخيال، وأطلقوا العنان لسيل من الأسئلة والحجج، ومنها أولاً: كيف علينا ان ننقل المدفع والعتاد الثقيل بسبب بعد المعسكر ووعورة الطرق المؤدي إليه، وثانياً: إن الحكمة تقتضي ان لانقحم القوة في عمل عسكري حقيقي بل علينا أولاً ان نختبر جاهزيتها بمناورات عسكرية تدريبية، وثالثاً: بسبب وعورة الطرق والمسالك وقلة خبرتهم ومعرفتهم بالأرض لأننا سنكون هناك في أرض معركة ليست أرضناً، وحتى وأن توفقنا في ضرب المعسكر سيكون انسحاب المشاه مع المدفعية محفوف بالمخاطر.

كل تلك الحجج والتساؤلات كانت منطقية ومشروعة، ومع ذلك حاولت أن أُقَلِّل من أهمية المحاذير بأن أخبرتهم بأننا خلال الفتره الماضية وبسبب نشاطنا الأمني والعسكري استطعنا أن نتعرَّف، وعلى الواقع، على جغرافية المنطقة وعلى المسالك الآمنة، واستطعنا بالمواجهة وبصدق التعامل والوفاء بالعهود وليس بالغدر أن نكسب مناصرين حقيقين لنا من رجال قبائل تلك المناطق الحدودية الذين استطعنا إقناعهم بأن مناطقهم لن تكن آمنة مادام المخربون يتخذون منها

مراكز انطلاق لهم، وقدمنا لهم نماذج من الأعمال التخريبية التي أُزهقت بسببها أرواح الأبرياء من أبناء المناطق الجنوبية والتي تتنافى مع الدين الإسلامي الحنيف ولن تتقبلها أعراف المنظومة القبلية،وبهذا تمكنا من كسبهم إلى صفنا. وهؤلاء المناصرين جربنا وفاءهم فكانوا نعم الأوفياء، وفي تلك العملية كانوا مستعدين للوقوف معنا إذا طلبنا منهم ذلك، سواء في الهجوم أو في مساعدتنا في تأمين انسحاب آمن.

هذا الخلاف في وجهات النظر تم تداوله في المديرية ولم يحسم، وانتقل إلى مستوى قيادة المحافظة، ثم تدخل جاعم صالح وعلي صالح عُباد مقبل، ومع ذلك لم يحسم الخلاف فتم إحالة قرار حسمه إلى الرئيس سالمين فامر بتفيذ مقترحي.

محن الأيام تحدد صنف الرجال ومعادنهم

فكرت كثيراً كيف علينا ان ننقل المدفع إلى الشعاب القريبة من المعسكر والخالية من السكان (الأخباب). ولهذا الغرض قابلت رجلاً اسمه عبدالله ناصر بن صادق (البزي) من عيال الشيخ علي من قرية حصاحص، وطلبت منه ان يعيريني جَمَله الذي كان موصوفاً بقدرته على حمل الأحمال الثقيلة، فقال لي :" إن هذا الجمَل هو كل ما أملكه، وأعتمد عليه في حرث أرضي وسقيها، وأقوم بتأجيره لنفس الغرض، وأحياناً لنقل السلع والبضائع فهو بحق يساعدني ويسهل عليَّ في ظروفي الصعبة للحصول على الرزق لي ولأولادي". ثم سألني:" لماذا تريده ؟".

تحاشيت في البدء الحديث عن تفاصيل الغرض من طلب استعارتنا للجمل. لكنه أصَّر على أن يعرف ما هو سر أن يطلب مسئول في الدولة ان يستعير جمله؟!. ثم أخبرتة وبدون تحفظ قائلاً:"لكي ننقل عليه مدفعية ونعبر بها الحدود". ضحك وظن بأنني أمازحه ثم سألني:" ولماذا تحمَّله المدفع وتعبر به الحدود؟".

قلت له:" حتى نُسمع المخربين والمعتدين وقطاع الطُّرق صوت المدفع العالي، لأنه يعبر عن صوت الحق وسيدركون بأنه لن يقدم على عمل كهذا الاّ رجال الحق. وتكمن قوة الرسالة في أن يكون الرد عليهم من على أرضهم، ولكن هذه المرة بالمدفعية، لعلنا بذلك نهديهم ونعيدهم إلى الصواب والجنوح إلى السلم كي نعيش نحن وهم بسلام". ثم اختتمت كلامي معه بالقول:" بالتأكيد ان رسالة المدفع أقوى بكثير من الكلاشينكوف".

أجاب مبرراً تحفظه بالقول:" والله لم أفكر يوماً أن يأتي من يطلب أن أعيره الجمل ليحمل على ظهره مدفعية ويدخله في جبهة حرب وفي أرض ليست أرضنا، وما أخشاه أنهم إذا حاصروكم وكثفوا النار عليكم فستضطرون للانسحاب من أجل سلامتكم وقد يستولون على الجمَل أو يقتلوة حتى يحصلوا على حمولته، أي المدفع والذخيرة".

أخبرتة بأننا سنحافظ عليه أثناء ذهابنا أو انسحابنا مثلما نحافظ على أنفسنا لأنه يحمل مدفعيتنا ومن العار ان يستولي عليها أحد ونحن على قيد الحياة. لكنه عاد يسألني:"وكيف لو قتل جَمَلي؟!".

أجبته بأن الحفاظ على الجمل وتأمين الحماية له لن يقل عن حمايتنا لبعضنا لسبب بسيط وهو انه إذا أصابته رصاصة سنضطر مرغمين أن نحمل المدفع على أكتافنا، وفي ذلك معاناة وخطر لا نتمنى ان نواجهه، وحينها سنعوضك عن جملك بجمل مثله.. قلتها هكذا "الميّت جَمَلي والحي سيكون جملك ".

قال لي:" لقد أحرجتني بجوابك هذا، وأعرف إن أسرتك وأولادك مستقرين في في العاصمة عدن، ونحن وأبناؤنا هنا من نعاني من المخربين ومع ذلك أتيت إلى هنا لتحارب حربنا ومن أجلنا وأنني أقدِّر صراحتك وصدقك وثقتك بي، فقد أفصحت عن جزءٍ من أسرار تلك العملية وأن الهدف منها هو الرد على من حاولوا بأعمالهم التخريبية زعزعة الأمن والاستقرار في أراضينا، اتدري والله لن أعيرك جملي !!".. ثم اختار ان يتوقف عن الحديث. فسالته:" ماذا تقصد ؟".

قال:"أقصد لن أعيرك جملي فقط، ولكن أنا من سيشد رحال الجمل وأنا وجملي سنرافق خطواتك إلى أي مكان تريد وفي أي زمان تختار دون أن أسألك كثيراً، وسأحمل مثلك بندقيتي وأصوّبها حيثما تصوِّب بندقيتك". سعدت بموقفه الوطني الغيور وأخبرته بأنني لن أنسى له ذلك الموقف ما حييت.

وفي ليلة العملية شَدّ الرجل المدفعية والقذائف على ظهر جَمَله ورافقنا يقود جمله واستطعنا الوصول عبر (الأخباب) المطلة على ذي ناعم والدَّقيق، وهناك نصبنا المدفعية في موقع نستطيع منه استهداف المعسكر، وعلى المرتفعات المحيطة توزع أفراد الحمايه بالقناصات والرشاشات (البرن) لتأمين حمايتنا من أي مباغتة خلال ساعات الانسحاب. وأتذكر من بين رفاقنا في هذه العملية: محمد حسين شوبة الذي تم تفريغة من القوات المسلحة - سلاح المدفعية، وكل من: صالح محمد الحريبي، حسن محمد عبدالصفي، محمد عبدالرب ناصر، يسلم عبدالله، علي صالح مكسر، صالح علي المخنقي، حسين المصيق، علي عطبوش، عثمان

عطبوش، صالح عطبوش، علي عبدالنبي، حسين عبدالله العقيلي، أحمد صالح غرامة وعدد من المدنيين والعسكريين، ومدفع هاون ٨١، ومدفع ٧٥ مباشر.
بعد ضرب المعسكر قررنا تغيير خطة الانسحاب، لإبلاغنا بأن مجموعة عسكرية ترافقهم مدرعة وحاملات الجنود خرجت من معسكر العد لكي تقطع علينا طريق العودة خلال الانسحاب، لهذا قررنا تغيير مسالك الانسحاب لتكون عبر (الأخباب) وهي مناطق وعرة وخالية من السكان. وعلمنا فيما بعد بأن تلك المدرعة قد وصلت إلى قرية مسورة الحدودية التي تتداخل منازلها الجنوبية مع الأخرى الشمالية، وكانت تحمل مدفعية ثابتة فقامت بالضرب منها إلى قرية صبر في محاولة لاستهداف مركز صبر العسكري.

كان أفراد إحدى المجموعات العسكرية، المكلفة بحمايتنا أثناء الانسحاب، مزودين بمدفع عيار ٧٥ مباشر، ويتمركزون هناك بالقرب من قرية مسورة كوحدة دفاعية لتأمين انسحابنا الآمن وفقاً للخطة التي تم رسمها قبل التنفيذ. ولسبب ما لم يستهدفوا تلك المدرعة على الرغم أنها كانت هدفاً سهلاً ويمكن تدميرها، ولكنهم تركوها وشأنها.

عندما سألت من قابلتهم بعد الانسحاب لماذا عادت المدرعة ومن فيها إلى معسكرها بسلام دون استهدافها، علمت منهم بأن القائد امتنع عن إعطاء الأوامر. اشتد غضبي لهذا الموقف بالنسبة لي، لأن تدمير المدرعة بمن فيها بواسطة مدفعيتنا، كان سيضيف إلى نجاحنا العسكري أهمية أكبر. وعندما التقينا لتقييم سير ونتائج العملية سلباً وايجاباً، لم أتمالك نفسي، فسألت القائد قائلا:" لماذا لم تستهدفوا تلك المدرعة وتركتوها تستهدف مركز صبر وتعود بعد ذلك سالمة".. أجاب:" إن المدفعية أصيبت بعطب ولم نتمكن من إصلاحه".

لكن ذلك المبرر لم اقتنع به، وأحسست بأن من وراء ذلك الموقف أمرٌ خفي آخر، فأنا من وجهة نظرهم من فرض عليهم المشاركة في هذه العملية، ولم يستوعبون إننا بنوايا صادقة نريد أن نغيِّر من فكرة سالمين حول نشاط بعض القيادات العسكرية التي كان يعول عليها كثيراً في يافع ومكيراس.. كل ما أردته هو أن أؤكد له ومن الواقع بأن القيادات التي أشار إليها بالاسم تشارك بنفسها بفعالية وبعمليات جريئة ضد أعداء الوطن وأعداء التوجه السياسي وأعيد ثقته بهم.

صحيح في كل لقاءاتنا أتحدث عن ما يأمله الرئيس من تكاتف الجهود لتثبيت الأمن والاستقرار ومواجهة وشل حركة الأعداء. لكنني لم أفشِ كلما دار بيني

وبين الرئيس حول رأيه بتقصير بعض تلك القيادات، لأنها أولاً ليست للنشر، وثانياً لعدم التشهير بمحدودية أو قصور دور بعض القيادات العسكرية، ولهذا قررت أن أعيد ثقة سالمين في تلك القيادات، ولكن بالحق والفعل على الواقع.

أدرك إننا كبشر لانملك القدرة في قراءة ما يتبلور في عقول الناس ودخائل نفوسهم من أفكار وقناعات، وأحياناً لا نستوعب النوايا الطيبة والصادقة لبعضنا، بل نقرأها قراءة خاصة مبنية على الشك الذي يسهل علينا الأحكام المسبقة، التي تكون في أغلبها خاطئة، ولكن الخطأ الأفضع هو عندما نعبر عن عدم رضانا بردود أفعال غير صائبة، وهذا ما حصل هنا، فعندما تحمست على أن يشاركوننا في هذه العملية فأنهم قرأوا أهدافها ونتائج نجاحها بأسلوب خاطئ. لذا عبَّرت أمام من رافقوني من أبناء المنطقة ومن الجنود والضباط عن غضبي بأن قلت لذلك القائد:" عليك بعد اليوم ان تأخذ المدفع وتستفيد منه في بيتك".

قال: ماذا تقصد ؟.

قلت:" أقصد أعمل ماسورة المدفعية (مسريب للحمام)، حتى لا أكذب إذا طلب سالمين مني ان أحلف له بأنك قد استخدمت ذلك المدفع".. لم يرُق له ذلك الرد واعتبر أن في ذلك إهانة له.

في زمن الحرب، سواء حرب العصابات أو معارك الجبهات المنظمة، فأن الأخطاء التكتيكية والتخاذل في تنفيذ المهام من شأنها أن تحوِّل الانتصارات إلى هزائم ويكون ثمنها أرواح البشر، لهذا لا يوجد في القواعد والضوابط العسكرية الحقيقية شيء اسمه مداهنة أو تقليل من حجم الأخطاء. فأخطاء كهذه يجب أن يكون مرتكبوها عرضة للتحقيق والعقاب الصارم في حالة أن ثبت تخاذلهم في تأدية المهام.

لكن بسبب خلافاتنا السابقة، حول تنفيذ القوانين وكيفية التعامل مع المواطنين، ترفعت عن أن أعمق شرخ الخلاف أو أن يفهمني هو أو غيره بأنني استغل مثل تلك الأخطاء لإضعاف من يخالفونني الرأي، ولهذا السبب لم أطلب أي تحقيق إضافي واكتفيت بأن فجرت غضبي بتعنيفه بالكلام.

إنه لأمر مؤسف عندما تَقْدُم على عمل تحاول فيه أن توظف جزءاً من نتائجه الإيجابية لرفع شأن الآخرين، وتؤمن بأنك على حق فيما تعمله، والأهم إنك صادقٌ في نواياك، ثم تكتشف ان بعض البشر لا يروق لهم ذلك، بل يعملون على تأويله وتصنيفه إلى الدرجة التي يعاكسون فيها حقيقة أهداف ومنافع هذا العمل فيعملون جاهدين على تعطيله وإفشاله.

حملت لذلك الرجل الذي رافقني جميل مشاركته معنا بالسلاح وبجَمَله الذي حمل المدفعية في تلك العملية العسكرية الناجحة معرضاً روحه وماله للخطر.

كنت يوماً في عدن أُتابع بعض متطلبات المنطقة، فأتاني أحد الأخوان إلى عدن ليخبرني بأنه تم اعتقال (البزي) ظُلماً وإيداعه في سجن مركز صبر. سافرت على وجه السرعة إلى المديرية، ثم مشياً على الأقدام إلى مركز الحد، حتى وصلت إلى مركز صبر، وبعد الاطلاع على حيثيات القضية وجدت أن فيها شيئاً من التلفيق، وأحسست بأنه لا وجود لتهمة حقيقية للبزي، غير مؤازرته لنا في تلك العملية ومرافقتة لنا في غيرها والإشادة بما قدمناه في أكثر من موقف.

في أية تجربة يقوم بها البشر يختلف الناس ويتفقون حول الكثير من المسائل الهامة والفاصلة، واعترف هنا بأن تجربتنا الهادفة إلى تثبيت السلطة الوطنية الديمقراطية قد كانت مشبعة بالتباين في وجهات النظر والتي تحولت في المنعطفات الضيقة إلى خلافات أساسية.

علمتنا تجربة الستينيات والسبعينيات والثمانينات من القرن الماضي بأن ثمرة الجنوح لممارسة التعصب الأعمى في القناعات هي ثمرة خبيثة وتجد انعكاساتها في أقوالنا وأفعالنا يوماً بعد يوم. وحينما نتحاشى كأفراد وجماعات الوقوف أمام الذات وتقييم سلوكياتنا سلباً وايجاباً أو البحث في أسباب التباين في وجهات النظر دون أن نعمل على تقريبها، وكذا تحاشى حسم القضايا بأسلوب عقلاني وسلمي، عندها تكون النتيجة الحتمية هي تعقد الخلافات وتعمقها إلى الدرجة التي تصبح من وجهة نظر المجموعتين خلافات أساسية وجوهرية لا تقبل المساومة والتنازل.

وفي المديرية الغربية (يافع)، كما في كل مديريات محافظات الجمهورية، اتفقنا في قيادة المديرية على القضايا الوطنية والخطوط العامة للتوجه السياسي، ولكننا اختلفنا حول تصنيف القوانين وتطبيقها على الواقع، وحول كيفية التعامل مع الناس بشكل عام، وخاصة مع أولئك الذين يخالفوننا في الرأي والقناعات. لهذا اختلفنا، كما أسلفت في السابق، ومع تعمق الخلافات يحاول كل منا الانتقاص والتقليل من دور وأهمية الآخر. وهكذا حينما صعب عليهم التخلص مني أو اضعاف دوري، حاولوا تضييق الخناق على رفاقي بأساليب مختلفة، منها تلفيق تهم باطلة وغير واقعية على بعضهم حتى يتم اعتقالهم وتخويفهم وأحياناً منعهم من ممارسة حقهم كمواطنين في الانتخابات، وهم بتصرفاتهم هذه يأملون

أن يصيبني التعب والإنهاك في الدفاع عن هؤلاء الناس المستهدفين منهم وحينها سينفض الناس من حولي ويقل معها دوري ومهمتي .

إن مشكلتنا الحقيقية مع بعضنا كانت حول الناس ومن أجل الناس. ويمكن لي رصد مئات النماذج. ولكن اسمحوا لي هنا ان أقدم قصة ظريفة وواقعية، وفيها نموذج بسيط لتلك التجاوزات.

كان هناك في منطقة الحد رجل اشتهر باسم (عنيز)، حاول ان ينصح أحد أقربائه "صالح علي المخنقي" بأن يترك مرافقتنا عند ملاحقة المخربين من أعداء الوطن، وأن عليه ان يهتم بعمله وبمصالحه الشخصية ورعاية أسرته، لأن مرافقته لي خطرٌ على حياته، والأفضل أن يظل مواطناً صالحاً، وقال له بالحرف (إن حكومة صالح فاضل لن تفيدك)، وأنه لا توجد ضمانة حقيقية في استمرار تلك الحكومة فهي ليست إلاّحكومه واهية وزائلة ووصفها بأنها (مثل امقازة إذا شبيتها أو شبتها الريح أطفأتها) أي أنها مثل الشمعة الخافته الضوء التي سرعان ما تنطفئ عند تعرضها لنفحة هواء من فمك أو هبوب ريح خفيفة.

هناك من سمع ذلك الحديث الذي عبَّر فيه هذا الإنسان بأسلوب بسيط وبريء عن رأيه، وبسبب ذلك تم استدعاءه إلى المركز العسكري في قرية صبر . وبحكم المواقف الوطنيّة التي تميز بها (البزي) خلال مرافقتة لنا في أكثر من موقف، قرر الذهاب إلى المركز حتى يقنع المسئولين هناك في أن يطلقوا سراح (عنيز) أو تخفيف عقوبته، واثقاً بأن رصيده النضالي ومواقفه المشهودة ستكون محط تقدير الكل في هذا المركز العسكري وأنهم سيرحبون بآرائه ومقترحاته ويأخذونها بعين الاعتبار، لكن للأسف التحقيق معه وانتهى به الأمر إلى إيداعه هو الآخر في السجن.

وهكذا عندما علمت بخبر اعتقاله ذهبت مباشرة إلى مركز صبر، وطلبت من مسئولي المركز، ومنهم محمد محسن الصبري، أن يبينوا أسباب اعتقالهم لعنيز والبزي. فبرروا اعتقال عنيز بحجة أنه مارس الدعاية التحريضية ضد النظام، وقالوا بأنه قد اعترف بذنبه، ولكنّهم لم يبينون أي سبب يبرر حجز البزي واكتفوا بالإشارة إلى أن أوامر أتتهم من قيادة مركز الحد في مدينة بني بكر بحجزهما والتحقيق الأولي معهما وعند استيفاء أركان التحقيق الأولي سيتم نقلهم إلى قيادة مركز الحد في بني بكر وهناك سيواصلون التحقيق معهم.

قابلت المحتجزين، وأخبرني البزي بأن اعتقاله كان باطلاً ودون أي سبب، وربما كان ذنبه الوحيد - كما قال - هو مؤازرته الدائمة لي وأنه قد علم بأن مواقف

الكثيرين إلى جانبي لا يرحب بها بعض المسئولين، وأبدى أسفه حول طريقة تعاملهم معه، وقال بشيء من السخرية المُرَّة:" والله يا صالح إني كنت أفكر إنكم حكومة واحدة".

كان كلامه هذا مقبولاً لدي، والسبب أن لا تهمة حقيقية وجهت له غير أوامر بعض قيادات مركز الحد، ولهذا طمأنته بأني سأعمل على إخلاء سبيله. لكنه قال لي:" لا، أنا أتيت إلى هنا ووعدت أهل القرية وأسرة وأبناء عنيز بأنني لن أعود الاّ برفقته، وللأسف أصبحت أنا الآخر أبحث عن من يعينني في الخروج، لكن ليس من الإنصاف أن أخرج بمفردي وأترُك من أصبح رفيق السجن لحاله".

قلت له: ماذا تعني ؟.

قال: أنا دخلت السجن مع عنيز وعرفت خلال الأيام التي قضيتها هنا الحقيقة، وهي إنَّهُ مثلي لم يقترف ذنباً يستحق سجنه، لهذا قررَّت أن لا أخرج الاّ معه. ثم أخذ يحدثني عن (عنيز) وأنه رجل فقير ومسئول عن عائلة كبيرة، وأوضح بأنه ليس جميلا بحقة أن يعود إلى القرية بمفرده، وأنه يأمل مني أن أطلق سراحه وسراح رفيقه معاً. وقال في محاولة لإقناعي:" إذا أنت واثق مني فأنا أطلب منك أن تطلق أيضاً سراحه، فبهذا ستعيد لنا الاعتبار الذي نستحقة وسترفع رأسي وقيمتي أمام الناس في منطقتنا حينما أعود إليهم به، كما تعهدت لهم، وهو حر طليق يرافقني إلى القرية وأكون بذلك قد وفيت بعهدي لهم". ثم أوجز كلامه بهذه العبارة:"أما إذا كنت غير واثق مني فمكاني هنا مع عنيز في إلسجن".

أخبرته بأن المسئولين في المركز أكدوا بأن عنيز قد اعترف أنه حرض الناس كي لا يهتموا أو يسهموا في حماية حدود الوطن وأمن الناس، ولكن أوعدك بأنه لن يصيبه أي أذى.

قال:" أنا أخاطبك أنت باسم المروة والشهامة وليس باسم القانون، لقد قصدتني يوماً فلم تجد مني الاّ الوفاء لك والولاء الصادق للوطن والنظام، واليوم قصدتك وأجدد لك العهد لك أنا وهذا الإنسان وكل رجالي بالوفاء والتضحية من أجل الوطن، ألم يقولوا يا ابن فاضل، كل البشر خطاؤون وخير الخطائين التوابون. إنك لا تعرف كم هو نادم في كونه قدَّم تلك النصيحة التي اعترف للمحققين ولي بأنه قالها بحسن نية، لكنه لم يدرك بأن هناك من يضخم ما قاله وتأويل قوله كدعاية مضاده تخدم أعداء الثوره والوطن. لقد خوَّفه المحققون، وعليك أن تساعده وأنا من يضمن وفاءه للنظام".

أخبرت المسئول في مركز صبر محمد محسن الصبري بأنه لا وجود لأي تهمة أو قضية ضدا(لبزي) تبرر بقائه في الحجز، ولهذا فاحتجازه كان باطلاً، ومن الإنصاف ان نحقق ونعاقب كل من ساهم في احتجاز الناس بدون ذنب أو جناية واضحة. أما قضية (عنيز) فأنه ببساطة قدَّم النصيحة وبشكل سرِّي لرجلٍ واحد فقط، وهذا الرجل أنا واثق كل الثقة بأنه لم ولن يقتنع بصحة هذه النصيحة الأخوية والبريئة من صديق لصديقة، وبالتأكيد هي من حيث التأثير ليست بالدرجة التي يمكن أن نصفها بالدعاية المضادة.

قال: على أي أساس اقتنعت بذلك ؟.

قلت: إن ما يؤكد ذلك أنه ووفقاً لتاريخ النصيحة الموضحة في التحقيق، ففي الأسابيع التي أعقبت هذه النصيحة رافقني صالح علي المخنقي عدة مرات ليلاً أثناء حراستنا للحدود من تحركات المخربين العابثة، و في تلك الليالي حدثنا حول نصيحة عنيز التي لم يأخذها مأخذ الجد، بل واعتبر جميع من سمعها بأنها مجرد نكتة فقط، أي أنه لم يكن لها أي استقبال جاد أو تأثير حتى من الشخص المتلقي لتلك النصيحة.

قال: إذاً ما تقترح أن أعمله ؟.

أخبرته بأنه إذا هناك من يزعل من عنيز فالمفروض إنني أول من يزعل منه لأنه وصف حكومة صالح فاضل باللَّهبة الضعيفه "لهبة القازة " التي لا تصمد أمام نفخة ريح بسيطة، أي أنه لم يصف حكومة من أعطوكم الأوامر بالهزيلة والضعيفة، وأنا هنا بصفتي الشخصية متنازل عن ما قاله بحقنا وأريدكم ان تطلقوا سراح الاثنين معا وفوراً. ثم انهيت كلامي بالقول:" ومع ذلك إذا ترون بأنهم خالفوا القانون فعليَّ تقع مسوليئة فتح ملف التحقيق أيضاً مع من أودع إلبزي بالسجن بدون ذنب".

تحجج في البدء بأن المسئولين الذين أصدروا الأوامر سيغضبون منه، وذكر بأن أحدهم هو مَنْ انتقدت قصور دوره في التصدي للمدرعة. ثم أخبرته بأن عليه أن يطلق سراحهم ويبلغهم بأنني أنا من أطلق سراحهم وليصبوا جام غضبهم عليَّ. وافق مسئول المركز مشترطاً أن أسجل أوامر كتابية لإطلاق سراحهم موجهة لقائد المركز وأن أذيلها بتوقيعي، وهو ما كان.

أحسست براحة الضمير، وأنا أرد لحظتها بعض الوفاء والعرفان بالجميل لمن يستحق الجميل، وهكذاحققت له ما أراد وأطلقت سراحه مع رفيقه. وكما وعد لم أجد منه ومن رجاله الاّ كل الوفاء والولاء للوطن وأمن الوطن.

كثيرون هم من رافقونا فترة عملنا في يافع عامة والحد خاصة، وهنا سأحاول ان أعصر الذاكرة، وأتمنى ان لا تخذلني كثيراً، وأن تعيد الذكرى الجميلة لرجال تلك المرحلة وليعذرني من لم أذكر أسمه بسبب عدم قدرتي على تذكر كل الأسماء، وممن أتذكرهم: محسن صالح العبادي،محمد عبدالله العبادي، سالم ناجي، قاسم مثنى، صالح محمد الحريبي، سالم صالح الحطيبي، محمود عبدالله الحريري، عبدالله صالح بن عبدربه، محمد حسين شوبة، عبدالقوي مثنى الدبيشي، يسلم عبدالله، حيدره اللحجي، حيدره نصر الضالعي، عواس أحمد حسين، محمد عبدالرب ناصر، علي عبدالرب السلمي، محسن علي العبادي، عبدالرحمن الصومعي، علي شيخ الحميقاني، عبدالله علي حنيش الحبيشي، حسين ناصر عبدالرب، صالح علي مخنقي، علي صالح مكسر، حسين الملجمي، محمد الملجمي، علي عبدالله المخنقي، السيد حسين الجنيدي، حسين الوهبي، صالح أحمد عبد موسى (الصبري)، سالم أحمد الخلاقي (بلد آل امحيد)، عبدالله أحمد الخلاقي (بلد آل امحيد)، مِحِمد (بلد آال امحيد)، صالح أحمد الداو(من المحاجي)، أحمد محمد القوس، أحمد الباكوره، عبدالله الباكورة، محمد الباكورة، عبدالقوي الدبا، عبداللاه بن الشيخ علي، محسن وعبدالله وصالح التيس المحاجي (أصلهم من مرفد). ومن ريشان الجبأنه: أحمد علي (اخوبشلي)وعبدالقادر عبدالله بن فريد. ومن (قرية امدرب): محمد صالح دوعني وأحمد صالح عبسوق. ومن (مَرْوَح): محمد علوي البارق والحاج سالم أحمد البارق. ومن (قريضة): عبدالله أحمد غرامة وحسين عبدالله أحمد الحبيشي. ومن (خربة أهل جوهر) : أحمد علي الحاج وعلي الحاج. ومن (الحصن) محمد أحمد دجران. ومن (الخلقة): حسين قاسم الحداد وعبدالله محمد صالح. ومن قرية (الحضارم): محسن حدحدة وحسين امصيق وحسين عبدالله العقيلي وعلي عبدالرب العقيلي. ومن (امردامـا): عبدربه صالح "مردم جهنم". ومن منطقة (ريشان): صالح الحصني (ساكن ريشان)، حسين عبدالله، عبدالله بن عبدالله، أحمد عبدالله عطبوش،علي عبدالله الفطيسي، عمر علي عبدالحبيب عبدالله، عبدالله محمد عبدالحبيب فرحان، بوبك محمد عبدالحبيب، حسين ناصر عبدالرب، محمد صالح الحريزي. وصالح مصور بن الشيخ علي من(قرية مسوره). ومن (بني بكر): محسن عبدالله سَرَا، عبدالله عز الدين، صالح عبدالقادر، بوبك بن حسن. ومن (خُلاقة): صالح عبدالله الحاج، قاسم حسين الجغماني وعلي عبدالله عبدالقوي

الخلاقي. ومن قرية (خيلة) السيد عبدالرحمن. ومن (شرف ابن عوسان):محمد علي القرادي وأحمد صالح الشرفي. ومن (أهل جوهر ريشان): حسين ختانه وعلوي ختانه ومحمد حسين الجوهري وحسين عبدالرب الجوهري. وفرقة علي عطبوش وعثمان عطبوش وصالح عطبوش وعلي بن علي العواضي وعلي عبدالنبي.

الرئيس سالمين والحنين لخبز أُمِّه

بعد تولي سالم ربيع علي الرئاسة وبحكم العلاقة النضالية التي ربطتني به، كنت أقابله بين الحين والآخر كرفيق وأناقش معه عدداً من القضايا المتعلقة بكيفية النهوض في الوطن، وأتذكر أنه في أحد هذه اللقاءات كان قد كلفني بتشكيل جمعية لتطوير زراعة البن في يافع التي تشتهر كثير من أوديتها بزراعته.

وفي إطار زياراتي الشخصية له كنت قد زرته إلى قصر الرئاسة صباحاً، ولحسن الحظ لم يكن برنامجه في ذلك اليوم مزدحما، دخلت عليه بعد أن أبلغه مدير مكتبه بوجودي، وأثناء دخولي رأيت في يده كتابا كان يقرأه. سلمت عليه فوضع الكتاب جانبا ورد عليّ التحية، ثم أشار لي بالجلوس على الكرسي طلب لنا كأسين من الشاي وبقينا نتحدث حول بعض القضايا التي تهم الوطن ونستعيد ذكريات العمل الفدائي.. الخ. وأثناء الحديث قال لي: يا صالح اليوم لدي فراغ أُريد ان نذهب معا إلى منطقة أبين لنتناول وجبة الغداء عند أُمِّي. قلت مازحا: يا سيادة الرئيس وهل هناك أجمل من أن نتناول الغداء في دار الرئاسة؟. رد عليّ قائلا: الرئاسة بالنسبة لي عبء ثقيل واتمنى ان اخرج منها في أي لحظة دعنا نخرج من جو الرسميات ونذهب إلى أمي نأكل فطيرة الدخن أنا مشتاق لها.



ذهبنا في سيارته ولم يكن معه سوى السائق وجنديين. وصلنا إلى منزل والدته في زنجبار، وسلمنا عليها، ثم قعدنا نتبادل الحديث والذكريات حتى يأتي الغداء، كنت متوقعاً انها ستذبح رأس غنم وتقدم لنا وجبه دسمة، لاسيّما وإنها أُمّ الرئيس، واذا بها تقدم لنا وجبة مكونة من الخبز الناشف المعمول من حبوب الدخن يسمى "فطير" وبجانبه ست حبات سمك صغير يسمى "عيده". أما منزلها فكان عبارة عن عُشّة متواضعة. قلت

للرئيس : يا سيادة الرئيس تتحدث عن التغيير وتحسين معيشة الشعب إبدأ بتغيير معيشة وعُشّة أُمّك، وابني لها بيتاً.

عندها توجه الرئيس سالمين إلى أُمّه بالسؤال قائلا: يا أُمّي هل تريدين ان أبني لك بيتا ؟. قالت: لا، هذه العشة تزوجت فيها وانجبت فيها وسأموت فيها، ما أريده منك فقط أن تبني لي حماماً بجانب العشة. عندها استدعى أحد الجيران وكلفه بإحضار أحد البنائين ليقوم بالبناء ورفع الفاتورة إليه ليسددها من راتبه كما عرفت لاحقاً.

بعدها سألني الرئيس قائلاً يا صالح: ماهي أُمنيتك الآن بعد أن حققنا الاستقلال ؟. قلت: أمنيتي ان تصل الطريق والماء والكهرباء والمدارس والمستشفيات إلى كل مديريات الجمهورية، كما ان أمنيتي وحلمي تحديداً هو وصول المياه إلى منطقتي يافع التي يعاني سكانها من العطش بينما نهر بَنَا يمر أمام أعينهم من أسفل الجبل منساباً نحو البحر، كما أن أمنيتي أن يتم القضاء على الأمية. فرد علي الرئيس قائلا: دعنا نتدبر كيفية البدء بمشروع المياه.

عُدنا إلى عدن، وفي اليوم الثاني كنت قد نسيت ما دار بيننا، لأن حديثي كان عبارة عن أمنيات، لكن الرئيس سالمين لم ينسَ ذلك، فقد اتصل بالمدير العام للمياه حينها الدكتور سالم عبد الرحمن باعباد وطلب منه الحضور إلى دار الرئاسة. شرح له المهمة المراد تنفيذها وطلب منه النزول بصحبتي إلى وادي بَنَا لإعداد دراسة حول إمكانية ايصال المياه إلى جبل يافع، وبالفعل تم النزول إلى مجرى مياه وادى بنا مع فريق من المهندسين، وتم على إثره رفع تقريراً فنياً إلى رئيس الجمهورية، أفاد التقرير بتوفر المياه، لكنه أشار إلى التكلفة الباهظة للمشروع بسبب الارتفاع الشاهق بين موقع مصدر المياه وقمة الجبال حيث المناطق السكنية، والتي تقدر بما يقارب ٢٠٠٠ قدم، أي أن المشروع بحاجة إلى شق طريق لإيصال المعدات وبناء محطة للضخ وإعادة الضخ.

بعد اطلاع الرئيس على تفاصيل ذلك التقرير، وجه الهيئة العامة للمياه بعرض التقرير الفني الخاص بالمشروع على أي من المنظمات الدولية أو الدول التي تقدم لبلدنا قروضا لأنشاء مشاريع في مجال المياه. وهكذا بعد عام أتت بعثة بريطانية لإعداد الدراسات التفصيلية حيث طلب منها النزول إلى وادي بَنَا وقد تضمنت تلك الدراسة تكلفة المشروع ومراحل تنفيذه. إلاّ أن التكلفة كانت حينها خيالية مقارنة بإمكانيات الدولة التي كانت تعيش ظروف اقتصادية صعبة.

عاودنا اللقاء بالرئيس ثانية أنا و مطيع، للبحث في إمكانية البدء في توفير مبلغ أولي لتنفيذ المرحلة الأولى، وقدمنا مقترحاً يقضي باستخدام الوديعة الخاصة بتعاونية يافع للمحروقات، إضافة إلى خصم واحد دينار شهريا على كل موظف من أبناء يافع لصالح المشروع، وقد لاقى المقترح استحسان الرئيس، وكذلك استحسان القادة الآخرين من أبناء يافع مثل سالم صالح وفضل محسن وحسين قماطة ومحمد أحمد سلمان وناجي عثمان، وكل أبناء يافع.

تمت عملية التبرعات وجُمعت مبالغ، وظل البحث عن مصدر أجنبي للتمويل ساري المفعول، حيث طلب من البنك الاسلامي تمويل هذا المشروع، بعد ان سُلّمت له الدراسة البريطانية، لكنه جرى ترحيل التنفيذ من عام إلى آخر حتى عام ١٩٩٠م عندما اتخذ قرار التوحيد بين الدولتين جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية، حيث سحبت الوديعة من البنك الأهلي في عدن إلى البنك المركزي في صنعاء وهناك انتهى أمر هذا المبلغ.

أن الرئيس سالم ربيع كان قد عقد العزم على البدء بالتنمية لتحسين مستوى معيشة الشعب، لكن هذه المرحلة بدأت بقرارات ثورية متأثرة بالتجربة الاشتراكية، التي جرى تناولها وتطبيقها بما لا يتلاءم وواقع بلدنا الفقير المتخلف، مما أدى إلى هروب رؤوس الأموال الذين أممت ممتلكاتهم العقارية، وكذا أغنياء الفلاحين الذين أممت أراضيهم لتتشكل على أنقاضها التعاونيات الزراعية وكذلك البنوك والعقارات، بما فيها ممتلكات السلاطين والأمراء التي أصبحت ملكاً للدولة.

جرى خلاف حول تحديد آفاق تلك المرحلة، وكان هناك فريقان في القيادة يحملان رؤيتين مختلفتين، الفريق الأول كان يمثله سالم ربيع علي وعلي صالح عباد مقبل الذين أرادوا ان تكون تلك المرحلة ببرنامجها هي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية. والفريق الثاني وأبرز رموزه عبدالفتاح إسماعيل وعبدالعزيز عبد الولي وجار الله، وكانوا يرون أن يتم تطبيق برنامج الاشتراكية العلمية.

أحببت أن أذكر هذا كمقدمة للدخول في موضوع تعاونية تطوير زراعة البُن التي أسستها، والتي كان تأسيسها انعكاسا للإجراءات الثورية التي وجدت نفسي وغيري بموجبها ملزمين بتنفيذها في ذلك الظرف الذي ساد فيه الحماس الثوري الزائد عن حده.

تكليفي بإنشاء تعاونية تنمية زراعة البن

كلفني الرئيس بإنشاء تعاونية لتنمية زراعة البن في يافع، وأعطاني صلاحية في تفريغ من أراه مناسبا من الموظفين، سواء مدنياً كان أو عسكريا، ليكونوا إلى جانبي في تبني أنشاء مزيد من التعاونيات. وقد التقيت أولا بالأخ محسن صالح العبادي وهو من منطقة حطيب في يافع، المشهورة بزراعة البن وتوفر المياه، فأبدى استعداده للعمل، وحدد لي عدداً من الأسماء لتفريغهم من أعمالهم وهم : قاسم مثنى وكان يعمل موظفاً في أحواض السفن، وسالم ناجي الذي كان يعمل في الجيش، وكذا أبن عمه محمد عبد الله العبادي، وقد أرسلت هذه الأسماء إلى الرئيس سالمين لإعطاء التوجيهات لتفريغهم من أعمالهم ليلتحقوا معي من أجل تأسيس العمل التعاوني في يافع.

تطوير زراعة البُن والعوائق التي واجهتنا

البُن يعتبر أهم منتوج زراعي تتميز به منطقتنا الجبلية –يافع، وفي عام ١٩٧١ كُلِّفت من الرئيس سالمين بمهمة تطوير زراعة البُن وإنشاء موسسة تعاونية تهتم بتشجيع المزارعين في التوسع في زراعة البن والعمل على تسويقة وتصدير الفائض عن الاستهلاك المحلي.

التجربة العملية علمتنا بأن المزارع الخصبة والمناسبة لزراعة البُن هي تلك التي تحتضنها الجبال وتدفئها من تقلبات المناخ مضافاً إليها العناصر الغذائية للتربة في سفوح الجبال والكفيلة بأن تعطي الثمار الأوفر وتجعل البُن اليافعي من حيث الجوده يتصدر أعلى قائمة البُن على المستوى العالمي.

كانت الآمال كبيرة في العمل على زيادة كمية منتوج البن اليافعي بما يُمكن الدولة من تصدير الكميات الفائضة وبهذا تحصل دولتنا الفتية والفقيرة على العملة الصعبة. كنت حينها مستعداً أن أعمل أي شيء من أجل تحقيق ذلك، وكنت أدرك بأنه حتى تنجح في تحقيق اي عمل عليك أن توفر كل الظروف، الموضوعية منها والذاتية، ذات العلاقة بعوامل الزمان والمكان والبشر والعمل على تطويع ما تصعَّب من تلك العوامل.

تم اختيار منطقة حطيب كمنطقة قابلة لتطوير زراعة البُن بتكاليف أقل من غيرها، ففيها مزارع البن وفيها أيضاً تتوفر المياه من منابع الغيول أو من سيول الأمطار، إلاَّ أن فكرة التوسع والتطوير أوجبت بناء سد يكفي لخزن الكمية الكافية من المياه حتى يتمكن ملاك تلك المزارع من سقي حقول البُن على مدار العام، وهذا سيشجعهم على التوسع في زراعة البن وتحقيق زيادة في المنتوج.. وتطلب الأمر إقناع الناس في الاستعداد للتنازل عن جزء من الممتلكات الخاصة (الأرض أو منابع المياه) من أجل الصالح العام، أي من أجل خدمة مصالح كل أبناء المنطقة، وكان علينا حسم أية خلافات قد تعيقنا في إقامة ما نريده من مشاريع.

على الرغم من الدور الريادي الذي لعبه بشكل أساسي مؤسسو واعضاء جبهة الإصلاح اليافعية في ارساء دعائم الأمن في منطقة يافع في الأعوام الأخيرة من الستينات، وإخمادهم نار الفتن القبلية التي انهكت الناس وأكلت الأخضر واليابس، إلاَّ أن عواقب الماضي وتأثيره ما زالت حينها تعشِّش في نفوس الناس، وتبرز هنا وهناك بأشكال وصور مختلفة في سلوكيات بعض الناس وتعاملاتهم اليومية وخاصة تلك المتعلقة بمصالحهم وأملاكهم وهذا يتطلب تدخلنا المستمر وفرض سلطة القانون على الناس.

كنا جميعاً مستوعبين بأن فرض سيادة القانون لم يكن بالأمر الهيِّن والسهل، خاصة في مجتمع كان حتى الأمس متناحراً وتحكمه الأعراف القبلية المتوارثة لقرون من الزمن. فالمجتمع القبلي وما كان يعتمل فيه من تناحر قد صلَّب مراس الناس وجعلهم يقاومون بشدة وعنف أي إملاءات خارجة عن نطاق المفهوم القبلي، ولايستسيغون أو يهضمون الأفكار الثورية الجديدة التي لا تتفق مع طقوس وأعراف القبيلة، فتجد أن القبيلي يتصف تارةً برفض القوانين الجديدة التي لم يتعلمها ولَم يمارسها في المجتمع القبلي، وتارةً أخرى يجنح إلى التمرد عليها أو يعبر عن ذلك بمواجهة من يحاول أن يطبقها ويفرضها عليه.

لذا تحمل المسئولون في القيادة المحلية للجبهة القومية على عاتقهم مهمة تثبيت واستمرار الأمن التي حققته جبهة الإصلاح اليافعية في العامين السابقين وذلك بالعمل الدائم والدؤوب لحسم الخلافات التي تنشأ هنا أو هناك حال نشوبها، أي قبل أن تتطور وتتعقد نتائجها. وبينما كنا نرسم برنامج العمل ونخطط لمراحل مشروع تطوير زراعة البُن، نشب خلافٌ بين أبناء منطقة حطيب، حول إحدى الشعاب المسماة "المَكْلَة "، وتقع بين منازل آل باعباد وقرية المالكي. وأهمية تلك الشعاب تكمن في توفر ظروف الرعي في المراعي الخضراء وكذالك

السقي لوجود نبع ماء يَصُب إلى حوض يستخدم للسقي، وكانت ملكية ذلك الشعب تعود لرجل معتنق الديانة اليهودية أسمة (دحوك).

في حياة دحوك كانوا جميعهم يستفيدون من ذلك الشعب بالتراضي كمرعى للأغنام والحصول على الماء، ومقابل ذلك كانوا يوفرون الحماية الكاملة له ولأفراد عائلتة وأملاكه، وبمرور الزمن تطورت علاقة الجوار إلى صهارة بين أهل المالكي ودحوك. وعندما توفي دحوك ادَّعى أهل المالكي أنهم بسبب تلك الصهارة يعتبرون الورثة الشرعيين لما يملكة دحوك، بما في ذلك الشعب ونبع الماء. لكنهم تفاجأوا بتقديم آل باعباد وثيقة تؤكد بأن دحوك قد باع لهم الشعب قبل أن يتوفى بأشهر. فاختلفوا فيما بينهم وتطور النزاع إلى الدرجة التي بدأ بعضهم في بناء المتارس.

كنت في القيادة المحلية وأتذكر من الحاضرين، سالم عبدالله عبدربه، محمد ناصر جابر، محمد عبدالرب بن جبر، وهؤلاء يعتبرون تاريخياً من العناصر المؤسسة لجبهة الإصلاح اليافعية التي قامت في ١٣ ابريل ١٩٦٣م، وكان حاضراً أيضاً رجلٌ صالحٌ من أبناء حطيب هو الحاج عبدالرحمن الشعموطي عندما جاء إلينا رجال يمثلون آل باعباد وآخرون يمثلون أهل المالكي وطلبوا منا التدخل في حسم ذلك الخلاف قبل أن تشتعل الفتنة ويحدث القتل.

بعد أن استمعنا لحجج الطرفين وبياناتهم بادر الحاج عبدالرحمن الشعموطي يخبرني بأنه مطلع على تاريخ خلافاتهم، وأن الكثيرين في الماضي قد تدخلوا للإصلاح بينهم، ولكن للأسف هناك من المصلحين من انحاز إلى آل باعباد وآخرين انحازوا إلى آل المالكي، وطلب أن يتم التدخل بالنزول إلى المنطقة والبقاء هناك حتى حسم الخلاف وتجنبهم بوادر الفتنة التي قد تنشأ، ونبهني إن الطرفين عنيدان وصَعْبَا المراس ويجب إحضار قوة من أفراد القوات الشعبية حتى يكون لحضورنا وتدخلنا هيبة لدى الكل.

كنت أدرك بأن حل تلك القضية سيجنبهم الاقتتال فيما بينهم، وثانياً سيخلق لديهم حالة من التقدير لدورنا وسنحسم تلك القضية ومعها أيضاً تذليل أية عوائق أخرى قد تعترضنا في العمل على إنشاء السد، وفرض فكرة أن يستفيد منه كل من لديهم مزارع البن وكذا بناء التعاونية.

ذهبت إليهم، لكن لم أجد ضرورة لإحضار قوة من أفراد القوات الشعبية، وهناك نصبت خيمة متواضعة في الشعب الذي يدور الخلاف حوله، ورافقني الحاج

عبدالرحمن الشعموطي، ومكثنا هناك مايزيد عن شهر كامل، نتفحص كل الوثائق القانونية من أسجال أو مبايعات كتابية ونطلب من أهل العقد والحل وخبراء الإسجال والوثائق القديمة التأكد من صحتها، ونقبل الصحيح منها ونرفض أي إدعاء مشكوك فيه. وخلال تلك الفترة اضطررنا لفرض هيبة الدولة من خلال اعتقال من شرعوا ببناء المتارس أو من جنح منهم للغة التهديد والوعيد حتى التزم الكل بالحلول التي اقتنعنا بأن فيها الإنصاف والفائدة للطرفين ولكل أبناء المنطقة، وفيها تدعيم لأمنهم واستقرارهم حتى نتمكن جميعاً من بناء المشاريع التي اقتنعنا بأنها ستخدم منطقتهم على المدى البعيد مثل توسيع (غيل حجر) وذلك ببناء سد يكفي لري حقول البن وتأسيس التعاونية وبناء المدارس.

أتذكر من بين من أسهموا في تخطيط العمل أو في تقديم الأفكار أو الاشراف أو الادارة التالية أسماؤهم: قاسم مثنى بن حيّان، سالم ناجي، علي صالح العبادي، محسن صالح العبادي، محمد عبدالله العبادي، بوبك صباح (من بني بكر)، صالح علي أحمد العبادي، سالم صالح الحطيبي، صالح ناجي (مدرس).

وهكذا فبعد استكمال الإجراءات الأولية، كانت أول مهمة أمامنا هي تأميم مجرى مياه النبع الجاري المعروف بـ(غيل حَجْر) ليكون ملكا للتعاونية بدلا من كونه ملكا لأسرة آل باعباد وحدهم في حطيب، وقد قررنا أن المياه تكون بدرجة رئيسية لسقي البن، وما فاض عن ذلك تُسقى به الأرض الزراعية الأخرى، بما فيها أرض أسرة آل باعباد. وهكذا تم تأسيس التعاونية الزراعية وجرى انتخاب مجلس إدارة برئاسة علي صالح العبادي حيث كانت هذه التجربة ناجحة أدت إلى التوسع في زراعة البن وكانت النتائج مثمرة.

من القوات المسلّحة إلى مسئولية حرس الحدود في يافع

تحمّلت عدداً من المهام التي كانت تتطلبها تلك المرحلة، ومنها كما أشرت سلفا تكليفي شخصيا من قبل رئيس الجمهورية لتأسيس العمل التعاوني في يافع، الذي أسهمت فيه مع عدد من الشخصيات القيادية في المنطقة. وخلال تلك الفترة شاركت في حل قضايا المواطنين المعقدة وغيرها من المهام التي كانت تقتضيها مصلحة الوطن والنظام الذي نشأ حديثا.

لكن القيادة المنبثقة من يسار الجبهة القومية كانت تحلم بتأسيس جيش تكون نواته من مناضلي الثورة، وسعت لتحقيق ذلك الحلم، وأقرت هيئة رئاسة الجمهورية وعلى رأسها الرئيس سالمين استدعاء مناضلي حرب التحرير لإلحاقهم

في الجيش والأمن، على أن يحصلوا على التدريب العسكري الأولي ليمنحوا رتبا عسكرية تمكنهم من أخذ المناصب الحساسة في مؤسستي الجيش والأمن.

ولأنني ضمن قائمة أولئك المناضلين فقد تم استدعائي إلى عدن لألتحق بالأمن العام كضابط، بعد أن خضعت للتدريب في المعسكر التابع لوزارة أمن الدولة في خور مكسر "معسكر الصولبان"، وأمضيت فيه تحت إشراف الضباط المدربين ستة أشهر، فمُنحت بعدها رتبة ضابط "ملازم ثاني"، لكن الحكومة التي أرادت تأمين مؤسساتها بعناصر موثوقة، أقرت نقل عدد من الضباط الذين كنت منهم لنكون ضمن لواء مستحدث سُمي بلواء ٢٢ يونيو، نسبة إلى يوم استلام هذه الحكومة السلطة، وقد عيّن قائد له من قيادات جيش التحرير، هو المناضل صالح مصلح قاسم، حيث أوكلت لهذا اللواء مهمة حراسة البنوك والوكالات التجارية والمؤسسات الحكومية الهامة مثل دار الرئاسة والإذاعة والتلفزيون وغيرها.

إلاّ أنه وبعد أن استتب الوضع، تم نقل هذا اللواء إلى خارج مدينة عدن، ليتمركز في منطقة تسمى العند، الواقعة في محافظة لحج، وكنت قد انتقلت أيضاً كأحد ضباط هذا اللواء، حيث بقيت هناك لمدة عام بعدها اقتضت الضرورة انتقالي إلى منطقة الضالع، لأكون ضمن ضباط الكتيبة المرابطة هناك، وقد بقيت فيها مدة ستة أشهر، بعدها قابلت صديقي ورفيقي في النضال الرئيس سالم ربيع علي طالبا منه الانتقال إلى سلاح الدروع باعتباره سلاحا متميزا، فوافق الرئيس على ذلك ولكن لم يمض سوى وقت قليل في التدريب على سلاح الدروع حتى استلمت توجيهات من الرئيس سالم ربيع علي، تقضي بتكليفي ورفيقي محمد ناصر الملقب "جابر" بمهام عسكرية استخبارية، خارج حدود الدولة، فكلفت أنا بموجبها بالتحرك إلى منطقة البيضاء، ومحمد ناصر جابر إلى منطقة تعز. وكلا هاتان المنطقتان تعتبران خارج حدود الدولة وتقعان في إطار الدولة المجاورة الجمهورية العربية اليمنية.

كان الغرض من هذه المهمة رصد تحركات العناصر التي نزحت إلى هذه الدولة"الشمال"، والتي اختلفت مع النظام القائم آنذاك، سواء ما قبل الاستقلال مثل جبهة التحرير وحزب الرابطة وغيرها، أو بعد الاستقلال مثل قيادات الجيش الذين كانوا يخدمون مع قوات الاحتلال. تلك المجاميع التي كانت قد شرعت بالفعل بزرع الالغام في المناطق الحدودية، بل والقيام أحياناً ببعض الهجمات الليلية المباغتة على مراكز الأمن الحدودية، وصار لديها خلايا سرية منظمة تتسلل إلى

داخل أراضي الجمهورية للقيام بتفجير المنشآت وغيرها، كل هذا أدى بالضرورة إلى القيام بأعمال احترازية من خلال معرفة هذه النشاطات من مواقع انطلاقها لإحباطها قبل وقوعها.

وبما أنني مكلف بالدخول إلى مدينة البيضاء، فقد قابلت الرئيس سالم ربيع علي قبل سفري، لأوصيه بأسرتي، كون المهمة كانت خطيرة وقد تؤدي لا سمح الله إلى تعرضي للقتل أو السجن أن عُرف أو أنكشف أمري. لقد كانت لحظة مؤثرة وكلمات مؤثرة أيضاً تلك التي سمعتها من الرئيس سالمين، وهو يتصرف معي تصرف القائد المحنك والرفيق الوفي، ويشعرني بالطمأنينة، ويحسسني بمكانتي لديه ويعطيني دعما معنويا، حيث قال لي: هيا أصعد معي إلى السيارة لنذهب إلى منزلك كي أرى أولادك لأطمئنهم بنفسي. وصل الرئيس إلى منزلي وسلم على أولادي، لكنه فوجئ بما رأى فقد وجد المنزل خالٍ من الأثاث، ويفتقر إلى فراش النوم العادي كون الظروف كانت صعبة، فالراتب حينها كان ضئيلا ومصادر الدخل محدودة، تأثر الرئيس لما رأى لكنه كتم ذلك فطمأن الأولاد، وأعطى ابني الأكبر محمد رسالة بخط يده للدخول في أي لحظة إلى دار الرئاسة. ثم ودّعنا وعاد ليأمر بإرسال أثاث منزلية للأسرة، كما وجه أمراً آخر لمدير مكتبه بإيصال راتبي شهريا إلى منزلي.

ما ينبغي قوله، أنه كان بإمكاني تحسين ظروف معيشة أسرتي لأجعلها تعيش في مستوى جيد كان بإمكاني ان أستقل علاقاتي المتميزة برفاق السلاح لأحصل مثل غيري على المركز اللائق بتاريخي وان استقر في العاصمة عدن. لكن عشق الوطن والروح الوطنية الفياضة وشعوري بضرورة المساهمة في بناء المجتمع، قد جعلني أغض الطرف عن تلك الفرص التي ستمنحني الجاه والسلطة والنفوذ في مرحلة ما بعد الاستقلال أو مصادر الدخل المغرية التي أتيحت لي في المملكة العربية السعودية، التي تركتها بمحض إرادتي عائداً إلى وطني، بغرض النضال من أجل تحريره، والعمل موظفاً في إطار الدولة الوليدة، راضياً بالعيش البسيط مع أسرتي، شأننا شأن الغالبية العظمى من الشعب آنذاك، التي عانت من شظف العيش بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي تلاشت فيما بعد تدريجياً.

وعودةً إلى موضوع المهمة التي كلفت بها خارج حدود الجمهورية، فقد غادرت مدينة عدن بعد أن ودّعت أسرتي، وبدأت رحلتي النضالية الجديدة المحفوفة بالمخاطر، والتي تتطلب اليقظة والحذر والجرأة والحنكة معا.

سافرت من عدن وأنا أحمل مهمة عسكرية، ولكي أنفذها بنجاح كان علي أن أعِدّ العُدّة وابتكر الوسائل والحِيَل، من أجل الوصول إلى الهدف المطلوب، وعندما وصلت إلى منطقة يافع، وفي إحدى القرى الواقعة بقرب الحدود مع الشمال باتجاه منطقة البيضاء، قمت بالاستعداد للخروج، وكان لزاماً عليّ هذه المرة أن أقوم بالتمويه، حتى أستطيع عبور الحدود والوصول إلى أراضي الدولة المجاورة، ولذلك اشتريت حماراً وأخذت بندقيتي وسلاحي الأبيض "الجنبية"، وعدت للبس عمامتي القديمة التي كنت ألبسها قبل أن أصير ضابطا، فارتديتها وارتديت قميصاً وكوتاً وفوطة، كي أظهر بمظهر شيخ قبيلة.

ولاستكمال هذه المسرحية، نسقت مع أحد الموثوقين ليكون مرافقا لي في هذه الرحلة، وهو الأخ حسن عبد الصفي ناصر لأسافر راكباً على الحمار الذي يقوده مرافقي، حتى وصلنا إلى البيضاء، وهناك ودّعت مرافقي الذي عاد ومعه الحمار إلى يافع. أما أنا فقد استأجرت غرفة في أحد المقاهي، يدعى مقهى أمهيلة، كما استأجرت مكانا للجلوس في الأوقات التي أريد فيها مقابلة أحد، كان ذلك في منزل شخص يدعى محمد جبر، وكان يملك مطعماً، فعلت ذلك للتمويه على موقع سكني الأصلي للاحتياط، بعدها بدأت البحث عن أماكن تواجد العناصر الفارة من الجنوب، والتعرف عليهم سراً، وعن طبيعة لقاءاتهم.

كنت أتحرك تحت اسم مستعار وحركة مدروسة، وكنت حريصاً على التمويه لشكلي، وخلال فترة وجيزة كنت قد تمكنت من معرفة عدداً منهم بطريقة غير مباشرة، كما استطعت نسج علاقة طيبة مع عدد من أبناء المنطقة مما سهل لي تنفيذ مهمتي. بعدها عدت إلى عدن وقد تزوّدت بمعلومات تحدد أماكن تجمعهم وانطلاقهم وتمويلهم وكيفية منع دخولهم إلى حدود الدولة "الجنوب"، ولهذا الغرض التقيت برئيس الجمهورية سالم ربيع علي الذي اطلعته على تلك التفاصيل، وبموجبها أعطاني التوجيهات الجديدة للاستمرار في هذا العمل.

ولأنني كنت لا أُجيد القراءة والكتابة فقد طلبت من الرئيس أن يكون بجانبي أحد الأفراد يجيد القراءة والكتابة من الموثوقين كي أستعين به لكتابة التقارير، لكن الرئيس رد علي قائلا : لا أريد منك أي تقارير أنا أريد أن أسمع نتائج عملك من إذاعة صنعاء ولندن، الوضع خطير وهذه العناصر تهدد أمن الوطن وتزعزع الاستقرار، العمل الذي قمت به رائع، والأن سيكون باستطاعتك منع حدوث أي

اختراقات في حدودنا باتجاه منطقة يافع، استعن بمن تثق بهم إلى جانبك لتقطعوا دابر الأعمال التخريبية قبل وقوعها.

عدت من جديد إلى البيضاء بعد أن تعرّفت على أماكن الدخول والخروج إليها وربطت علاقة جيّدة مع عدد من المواطنين هناك كما أسلفت، وأخذ ت معي هذه المرة ثلاثة أفراد ممن أثق بهم وهم الأخوة محمد عبد الرب ناصر وعلي عبد الرب السلمي ومحمد حسين شوبة، وقد استطعنا تحقيق هدفنا، حيث تمكنا من إحباط عدد من المحاولات لاختراق الحدود وإدخال المتفجرات والقيام بأعمال التخريب.

لكن الأعمال التخريبية التي كانت تقوم بها هذه العناصر، من الأماكن الأخرى التي لم يتم التمكن من تغطيتها، قد جعلتني أعود لأشرح للقيادة العليا كيف توسع نشاط هذه القوى، في ظل ضعف إمكانية قيادة مديرية يافع المحدودة على تغطية ذلك، مما حَدَا بوزير الدفاع حينها علي عنتر إلى اتخاذ قرار بتشكيل حرس الحدود ومركزه منطقة الحد المحاذية للمناطق الشمالية، أي حدود الجمهورية العربية اليمنية مع منطقة يافع، لتكون تحت مسئوليتي، لاسيّما بعد إشاعة مفادها أن منطقة الحد قد تسقط بيد ما يسمونهم بالمرتزقة، أي العناصر المعارضة للنظام القائم في جنوب اليمن، أولئك الذين تمكنوا في إحدى المرات من اعتقال مساعد المأمور في منطقة يافع، الأخ قاسم عوض، وكذا قائد أمن المديرية في يافع صالح حسين البري، عند مرورهما إلى يافع قادمين من عدن عن طريق مكيراس ثم البيضاء حيث جرى اعتقالهما في البيضاء وبحوزتهم رواتب موظفي مديرية يافع التي سلبوهما إيّاها، وقد كانت هذه القضية نقطة سلبية في حق القيادة المحلية في يافع آنذاك، ورغم أنه تم إطلاق سراحهما بعد استلام تهديدات من القيادة العليا في عدن.

باشرت عملي في منطقة الحد كركن استطلاع عسكري ومسئول لحرس الحدود. حيث استطعنا أن نسد جميع الثغرات التي كانت تأتي منها أعمال التخريب، خصوصا بعد أن زُودنا بمجموعة من المعارضة الشمالية المتواجدة في الجنوب، والتي أطلقت على نفسها اسم منظمة المقاومين الثوريين، أولئك الذين توغلوا في عمق المناطق الشمالية ووجهوا ضربات موجعة لهذه المجاميع ولنظام صنعاء الذي ظلّ يدعم معارضة الجنوب ويمولها بالسلاح لإقلاق الأمن.

خمس عشر عاما قضيتها قائدا لحرس الحدود، كانت خلالها المنطقة الحدودية في يافع من أفضل مناطق الجمهورية أمنا واستقرارا. لم يقتصر الأمر على ذلك بل كنت على رأس المقاتلين الذين شاركوا في المعارك التي نشبت بين

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية "الجنوب" والجمهورية العربية اليمنية "الشمال". ففي عام ١٩٧٢ عندما انفجر الوضع بين الدولتين، وأدى إلى نشوب حرب في جميع جبهات القتال الواقعة على المناطق الحدودية، في هذه المعركة كنت أقود مجموعة مكونة من ثلاثمائة مقاتل، تمكنا بها من دحر العدوان، بل والتوغل إلى داخل حدود الشمال في البيضاء.

وهذا ما جرى أيضاً في عموم الجبهات الجنوبية حيث تمكنت القوات المسلحة والأمن من الدخول إلى العمق والسيطرة على معظم مناطق إب وحريب وتعز وغيرها في عمق أراضي الجمهورية العربية اليمنية، ولم يثنهم عن ذلك الزحف سوى تهديد وتدخل بعض الدول العربية، مما أدى إلى الانسحاب إلى حدود دولة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، لكن النزاع بين الدولتين كان قد تجدد عام ١٩٧٨ مما أدى إلى نشوب الحرب مرة أخرى، وفيها كنت حاضرا أيضاً، في جبهتي القتالية في منطقة يافع مدافعا عن الوطن. كسب الجنوب هذه المعركة أيضاً وتوغلت قواتنا مرة أخرى إلى عمق المناطق الشمالية ولم يمنعها من ذلك سوى تدخل بعض الدول العربية الذي مورس للمرة الثانية.

الصراع بين سالمين وجناح عبدالفتاح إسماعيل

كانت فترة حكم الرئيس سالم ربيع علي التي امتدت من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٨ قد أسست بداية نظام جديد، عُرف بتوجهه الاشتراكي، أخذ على عاتقه توفير التعليم المجاني والصحة المجانية والقضاء على البطالة وتثبيت الأمن والاستقرار في البلد.. الخ. كما شهدت هذه الفترة، إجراءات ثورية متأثرة بتجربة الاتحاد السوفيتي آنذاك، الذي كان يمثل قطبا رئيسيا في الصراع العالمي الذي تمحور في اتجاهين أو معسكرين، هما المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات الأمريكية، تمثلت تلك الإجراءات بالقضاء على القطاع الخاص وتحويل كل شيء إلى ملكية للدولة، كما جرت تعبئة الجماهير وإقناعها بإجراء تخفيض الرواتب، حتى خرجت المسيرات الجماهيرية تهتف "تخفيض الرواتب واجب". كان الغرض من ذلك هو مواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانتها الحكومة بعد الاستقلال من الاستعمار البريطاني.

برزت خلال تلك المرحلة شخصية الرئيس سالم ربيع علي كقائد جماهيري محبوب، وازدادت شعبيته نظرا لإخلاصه وتواضعه وحزمه، حيث شهدت الدولة في عهده النزاهة والشفافية والانضباط في العمل والمبادرات الجماهيرية لبناء المدارس والمستشفيات وشق الطرقات التي كانت شبه معدومة من قبل في كثير من مناطق البلاد. كما أُشركت المرأة في العمل السياسي والجماهيري واستتب الأمن والاستقرار.



بيد أن شخصيه الرئيس القوية ونشاطه الدائم قد جعله، كما قيل، يأخذ صلاحيات عدد من الوزارات والمؤسسات، ربما بحسن نية، فعلى سبيل المثال حوّل مؤسسة النقل البري من مؤسسة تابعة لوزارة النقل إلى مؤسسة تابعة للرئاسة، عندما أدخل نظام النقل بالتاكسي التابع للدولة ليحل محل نشاط القطاع الخاص، وهو ما عُرف لدى الشعب حينها بسيارات "الدّبج" نسبة إلى اسم الشخص الذي عينه الرئيس مسئولا عن هذه المؤسسة، وغير ذلك من المآخذ، وعلى الرغم من أي إخفاقات حدثت، إلاّ أن التاريخ يشهد على نزاهة الرئيس سالم ربيع علي وإخلاصه وحبه لشعبه ووطنه.

كان الرئيس سالم ربيع بالنسبة لي القائد المحبوب الذي لم أُخالف له أمراً، ومع ذلك سأحكي بحيادية، وبعيدا عن عواطفي الشخصية الجياشة تجاه سالمين، قصة تلك الخلافات التي عصفت بحكومة الرئيس سالمين، إنصافا للتاريخ، وعبرة لمن يعتبر.

إن الصراع الذي دار بين الرئيس سالم ربيع علي ومجموعته من جهة، وبين عبد الفتاح إسماعيل ومجموعته من جهة أخرى، كان ظاهره الاتهام للرئيس بمحاولة التخلي عن النظام الاشتراكي السوفيتي، وتوجهه نحو الصين ومغازلة السعودية، وداخليا تعزيز صلاحيات الرئاسة، على حساب تقليص صلاحيات الحكومة. لكن الصراع الحقيقي الخفي هو اختلاف رفاق الأمس ليصبحوا أعداء اليوم، بسبب الغيرة من ازدياد شعبية الرئيس التي طغت في الشارع، مما أدى إلى إبهات وتراجع الشخصيات الأخرى التي كانت توازيه في السابق، زد على ذلك الأنانية المفرطة والتشدد ووجود المستشارين المناطقيين والنفعيين المنافقين الذين كانوا يقفون وراء كل طرف لتأجيج النار بدلا من إخمادها.

خروج الخلاف عن إطاره الصحيح

أخذ الخلاف بين الطرفين يتزايد تدريجيا، حتى أصبحت ما تسمى بمقايل القات التي يلتقي فيها القياديون ساحةً ومكاناً لتبادل الاتهامات والشتائم، حيث كانت كل مجموعة تجلس منفردة لتمارس عملية التحريض ضد الأخرى، ولم يجلسوا يوما سوية مع بعضهم على طاولة الحوار، وبما أنني في تلك الفترة كنت محسوبا على الرئيس سالم ربيع علي فقد كان التعامل معي والحديث يتم على هذا الأساس، دون ان يكلف أحد نفسه عناء معرفة رأيي أو يسعى للحوار معي.

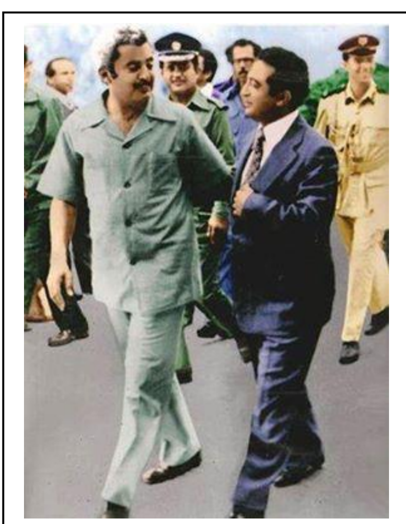
فعلى سبيل المثال أتذكر أنني حضرت لقاءً مع مجموعة من الكوادر دعا له القياديان في الجبهة القومية فضل محسن عبدالله وعبد العزيز عبد الولي ، وعُقد في كريتر في عمارة "الشهداء"، فإذا بي أسمع كلاما غريبا من قبل الرجلين محتواه التحريض ضد الرئيس سالم ربيع علي، قالا فيه إن الرئيس تحول إلى سلطان وانه يتدخل في شؤون الوزارات ويتدخل في صلاحياتها، وأنه أبهت دور الكل، وصار الآمر والناهي،كما قيل انه سعى لإقامة علاقات خفية مع السعودية التي كانت حينها على عداء مع دولة الجنوب، فوجئت بهذا الطرح وحاولت لملمة الموضوع قائلا: إن طرحكم هذا ليس في مكانه وعليكم أن تكونوا عند مستوى المسئولية لتناقشوا أي قضايا من هذا النوع في إطارها "المكتب السياسي" لأن خروجها إلى الشارع لا يؤدي الاّ إلى تأجيج الخلافات والسير بالوطن إلى الهاوية.

لكن الأخ فضل محسن كان قد رد عليّ قائلا: أنا أعرف انك متأثر بالرئيس اذهب وأبلغه بما قلناه. قاطعته بالقول: أنا ليس من طبعي نقل الكلام، ولكن ثق أن من بين الحاضرين من سيوصله، لكنني أود أن أسألك إن كنت مناضلاً حريصاً على الوطن، لماذا لا تواجه الرئيس وجها لوجه وتوجه له هذه الانتقادات، بدلاً من تناولها بهذه الطريقة.

أنهيت كلامي وانسحبت من ذلك اللقاء غاضبا، وتوجهت بنفس اللحظة إلى منطقتي يافع، وفيما أنا في الطريق لم يغادر بالي حديث فضل محسن وعبد العزيز عبد الولي، إذ أحسست أن وراء ذلك شيئاً ما يدور في الكواليس، ما دام قد وصل الأمر إلى هذا المستوى، وأيقنت أن هناك عملاً تآمُريّاً قادماً ضد الرئيس سالم ربيع علي، وصلت إلى منزلي لكني كنت قلقاً، ولم أمكث هناك سوى بضعة أيام، حتى عدت مجدداً إلى مدينة عدن لألتقي بصديقي ورفيقي في النضال محمد صالح

مطيع الذي كان حينها وزيراً للخارجية وتربطني به علاقة ثقة واحترام، قابلته ودخلت معه مباشرة بالحديث حول ما سمعته عن الرئيس، وطلبت رأيه في ذلك لكنه رد عليّ قائلا : لو تمت إقالة أو نهاية الرئيس سالم ربيع علي فإن أمهات الجنوب أعتقد لن ينجبن إنسانا بإخلاصه ونزاهته في جيلنا هذا. واستدرك قائلا : إن لديه قدرة وموهبه قيادية لا يجاريه فيها أحد من هؤلاء القادة، فقد جمع بين الصفات السياسية والعسكرية والأخلاقية، تلك الصفات التي نادرا ما تتوفر في قائد كهذا، هذا إضافة إلى دوره ورصيده النضالي السابق. وفي ختام حديثه أكد مطيع أنه سيحاول إقناع المكتب السياسي "أعلى هيئة سياسية في البلد" كي يغيروا من وجهة نظرهم الخاطئة حول هذا الرجل، وبنفس الوقت سوف ينصح الرئيس سالمين أن يعطي اعتباراً للمكتب السياسي، إلاّ أن مطيع أيضاً استدرك حديثه بالقول : لكن المشكلة الحقيقية التي يتحجج بها المكتب السياسي حول تدخل سالمين في كل صغيرة وكبيرة وفي كل الوزارات حسب زعمهم، سببها تكليفات المكتب السياسي نفسه للرئيس في متابعة تلك الأمور المتعلقة بالوزارات والمؤسسات، فكيف يعتبرون ذلك تدخُلاً.

من خلال حديث مطيع فهمت جوهر المشكلة وأيقنت أن الخلاف سيتطور، وقد يؤدي ربما إلى صراع مسلّح بين الأخوة، وبالفعل ازدادت الأمور سوءا حتى أصبحت هذه الخلافات يتناوله الجميع في الشارع وفي القوات المسلحة وفي الأمن، وكل ينحاز برأيه مع طرف.



وفي الوقت الذي كانت فيه بوادر الأزمة السياسية في الجنوب تلوح في الأفق، فإن العلاقة بين الشمال والجنوب، على العكس من ذلك، كانت قد انتقلت إلى مستوى إيجابي نتيجة للجهود التي بذلها الرئيسين الجنوبي سالم ربيع علي والشمالي ابراهيم الحمدي الذي تميز بشخصيته القيادية واستطاع أن يستلهم بعض التجارب الإيجابية من الجنوب فيما يتعلق ببناء الدولة ليؤسس لبناء دولة نظام وقانون في الشمال آنذاك، كون الوضع حينها كان أكثر سوءاً وتخلفاً من الجنوب، كما ان الحمدي كان تواقا لوحدة حقيقية مع الجنوب وانسجمت

رغبته تلك مع رغبة الرئيس سالمين، زد على ذلك أن الظروف قد تهيأت حينها للنظام في الجنوب لقيام الوحدة لأول مرة،

لكن بينما كان الرئيس الحمدي يستعد لزيارة الجنوب، لغرض التحضير لعملية الوحدة، كانت خيوط المؤامرة تحاك لإحباطها من قبل بعض أركان حكمه الذين كانوا يرون ان الوحدة ستكون مناقضة لمصالحهم، كونهم يرغبون العيش في وضعٍ قبلي وفوضى تمكنهم من الإثراء غير المشروع، وبقاء الشعب جاهلا لا يفقه شيئاً، لأنهم يعرفون أن الوحدة مع الجنوب ستفرض دولة نظام وقانون وستنتهي مصالحهم، ولهذا دُبرت المؤامرة للقضاء على الرئيس الحمدي وأخيه، تلك المؤامرة الشهيرة التي تمثلّت بدعوة كل منهما على انفراد إلى أحد المنازل لتناول وجبة الغداء، وبالتالي تم اغتيالهما بطريقة غادرة وبشعة، بعدها قاموا بعملية إخراج دنيئة للإعلان عن وفاة الرئيس الحمدي وأخيه.

سالمين.. واغتيال الحمدي

هذا الحدث الخطير ادى إلى استشعار الرئيس سالم ربيع ببشاعة الجريمة النكراء، وأحبطت تلك المؤامرة ما أُنجز من نجاحات في سبيل توحيد اليمن، إلاّ أن الرئيس سالمين كتم غيظه ولم يقم بردّ فعل، حتى يتمكن من حضور مراسم الدفن، وبالفعل سافر إلى صنعاء وكنت مرافقا له في تلك الرحلة، حيث عرفت انه عقب مقتل الرئيس الحمدي أرسل الرئيس سالم ربيع علي رسالة إلى قيادة الجمهورية العربية اليمنية "الشمال" يطلب فيها الموافقة لحضور مراسيم الدفن لكنهم لم يردوا على ذلك.

ونظرا لهيبة وقوة النظام في الجنوب وعلاقته الجيدة مع عدد من الرموز السياسية في الشمال قرر الرئيس سالم ربيع علي الذهاب دون استئذان، حيث نسّق مع بعض الضباط من رفاق الحمدي ليبلغوّه عن مكانٍ وزمان الدفن وعندما عرف بذلك أمر حراسته الشخصية بالتوجه إلى صنعاء براً، بعد أن أخبر قيادة صنعاء وهو في طريقه إليهم أنه سيأتي، وأن حراسته قادمة في الطريق، لذا لم يكن أمامهم سوى الموافقة، وغادر الرئيس من عدن إلى صنعاء على متن الطائرة.

عند وصولنا صنعاء استقبلنا عدد من القادة، لكونه لم يتم تسمية الرئيس بعد هذا الانقلاب، ونزلنا فندق "الشيراتون"، ومن الفندق توجهنا إلى المقبرة وهناك

شاركنا في مراسيم الدفن وأدينا الصلاة عليهما، وعقب الانتهاء من ذلك شاهدنا مسيرة جماهيرية غاضبة كانت تقذف قيادة صنعاء بالبيض والطماطم، أما نحن فقد توجهنا مباشرة لتناول وجبة الغداء والعودة إلى عدن في نفس اليوم.

وهكذا بعد عودة الرئيس سالم ربيع من صنعاء عقد المكتب السياسي "القيادة العليا في الجنوب" اجتماعاً لمناقشة التداعيات الجارية في الشمال، وتأثير ذلك الحادث الإجرامي على دولة الجنوب، وأقر رفع الجاهزية القتالية على الحدود، وبحث خلفية وأسباب الانقلاب الدموي.

ملابسات اغتيال الغشمي

قيل ان القيادي المعروف صالح مصلح قاسم الذي كان حينها مكلفا بملف الشمال والمنسّق السري مع القوى الوطنية في الشمال قد توعّد بالثأر للرئيس الحمدي وأخيه، وأن الرئيس سالم ربيع علي كان قد توعّد أيضاً بالثأر للحمدي، ولهذا قرر صالح مصلح قاسم رسم خطة لاغتيال الغشمي الذي عيّن رئيسا خلفاً للحمدي لأنه كان أحد المنفذين لعملية اغتيال الرئيس ابراهيم الحمدي وأخيه. وهكذا قام صالح مصلح قاسم باستدعاء شخصاً من أبناء منطقته الشعيب -الضالع لإقناعه بتنفيذ مهمة اغتيال الرئيس الغشمي، وهذا الشخص أسمه مهدي أحمد صالح الملقّب "دفاريش" حيث أقنعه بالذهاب إلى



صنعاء على اعتبار أنه مبعوثاً رسمياً من قبل الرئيس سالم ربيع علي إلى الرئيس الشمالي أحمد الغمشي ليوصل له رسالة هامة تتعلق بالعلاقات بين البلدين في ضوء التطورات الحاصلة آنذاك. وافق مهدي أحمد صالح بعد أن أوضح له صالح مصلح قاسم أن المهمة انتحارية، وأنه سيحمل حقيبة متفجرة لا يفتحها الاّ أثناء مقابلة الرئيس الغشمي. الجدير بالإشارة أن منفذ العملية كان يعاني من مرض مستعص، كما قيل، وأن صالح مصلح قال له: سيخلدّك التأريخ كبطل أن أخذت بالثأر للشهيد ابراهيم الحمدي. سافر مهدي الملقب دفاريش حاملا حقيبته إلى صنعاء ليستقبل كمبعوث رسمي وقابل الرئيس الغشمي في مكتبه، وما أن فتح الحقيبة حتى انفجرت مباشرة وأردتهما قتيلين.

توالت ردود الأفعال داخليا وخارجيا، وتوتّر الوضع على الحدود بين الدولتين، واستاءت بعض الدول العربية الحليفة للشمال، ووجّهت رسائل شديدة اللهجة

لوزارة الخارجية في الجنوب، وكان وزيرها آنذاك محمد صالح مطيع الذي قام بإبلاغ ذلك الموقف للرئيس سالم ربيع علي وللقيادة السياسية. وهنا تأزم الوضع، وتبادلت القيادة الاتهامات، ووجه الأمين العام للتنظيم الحاكم عبد الفتاح إسماعيل أصابع الاتهام إلى الرئيس سالم ربيع علي، الذي بدوره نفى علمه بذلك مشيراً أن المبعوث كان يحمل رسالة فقط أما خطة الاغتيال فلا علم له بها. من جانبه كان صالح مصلح قاسم قد برأ الرئيس سالم ربيع علي من ذلك وردّ على المكتب السياسي بالقول: أنا مكلّف من قبلكم بملف الشمال وهذا العمل قد عملته بناءً على تكليفكم لي، لكن عبد الفتاح إسماعيل، الرجل الأول في التنظيم السياسي، ردّ علي صالح مصلح قاسم قائلا: مادام أنت الذي فعلت ذلك ما عليك إلاّ أن تدخل السجن لأن عملك هذا سيدخلنا في حرب بين الدولتين والوضع الأن متوّتر على الحدود والدول العربية ضدّنا. لكن لم يحدث أن دخل صالح مصلح السجن بل تطوّر الخلاف داخل القيادة ليصل إلى اتخاذ قرار بإرغام الرئيس سالم ربيع على تقديم الاستقالة. وسأروي تفاصيل ذلك الحدث الذي كنت شاهداً ومشاركا فيه كالتالي:

كنت في مدينة عدن عندما توتّر الوضع داخل القيادة التي انقسمت إلى مجموعتين، مجموعة مؤيدة للرئيس سالم ربيع علي، ومجموعة مؤيدة لعبد الفتاّح إسماعيل، وعقد اجتماع للمكتب السياسي في مكان يسمّى معاشيق في مدينة كريتر عدن لمناقشة الأزمة الحاصلة، حينها كنت أراقب ما يجري، وكان بجانبي زميلي عبد القوي الدبيشي وكنا جاهزين بأسلحتنا، ولاحظنا في تمام الساعة الرابعة عصراً الرئيس سالم ربيع علي وبصحبته مجموعة من القياديين مثل جاعم صالح وعلي سالم الأعور ويتبعهم بسيارته علي صالح عُبَاد مقبل، وقد خرجوا من اجتماع المكتب السياسي مسرعين بسياراتهم، عندها أحسست أنهم اختلفوا وأن الموقف سينفجر.

لحقت بموكب الرئيس مسرعاً حتى دار الرئاسة في مدينة التواهي عدن، وبعد ان دخل مكتبه طلبت من الحراسة الدخول إليه، واستأذنوا من الرئيس فوافق، لكنهم أخبروه بأنني احمل السلاح فوافق على ان أدخل مع سلاحي. دخلت عليه لأجده غاضبا، وبجانبه جاعم صالح وكان يشغل حينها منصب سكرتير التنظيم في محافظة أبين، طلب لنا الرئيس الشاي لكن جاعم صالح كان قد فاجأني

بالسؤال بطريقة مستفزّة قائلا حدّد موقفك الآن هل أنت مع إبن عمك ؟ يقصد مطيع، الذي كان وزير للخارجيه ام مع ابن عمي يقصد سالمين.

كان الاثنان "جاعم وسالمين" جزءاً من القيادة التي أذكت وعمَّقت في عقولنا أن نحافظ وبإخلاص مُطلق على الثورة ومكتسباتها وان نُجذر وحدة الأرض والإنسان باعتبارها من أقدس مهامنا تجاه الشعب والوطن.. ولإيماننا وقناعتنا تلك تنكرنا للذات والقبيلة.. لكن الرفيق جاعم صالح وهو الرصين في كلامه والأممي في تطلعاته لم يستوعب بأنني أتيت حينها جاهزاً بسلاحي للوقوف مع الرئيس ضد من تآمروا عليه، فذهب ظنه بعيداً حينما سألني قائلاً:"هل ستقف مع ابن عمك مطيع أم مع ابن عمي سالمين؟! ".. لقد فاجأني بهذا السؤال غير المتوقع وحيّرني كثيرا، لهذا التفت إلى سالمين مستغرباً لعله يُغَيّر من صيغة السؤال - وكان سالمين شخصياً يصفني من قبل بالقبيلي ويعرف بأنني ما زلت ذاك القبيلي الذي رغم انفتاح أبواب وفرص النجاح بعد الاستقلال للحصول على المناصب العليا إلاّ انني فضلت خدمة المنطقة والدفاع عن ابنائها وحماية حدودها - لكنه وللآسف آثر الصمت والانتظار للجواب وكأنما قد اقتنع بصيغة السؤال، فيما كان جاعم يعيد السؤال ويلح على أن يسمع الجواب لأن الظرف حسب قوله يستدعي تحديد الموقف بوضوح ودون تذبذب.

كان جاعم يعرف جيداً بأنني "سَالِمَيْني" حتى النُّخاع..لكنه ربما لم يدرك أنَّني أُؤمن بعمق بأن من يفرط بإخوته وأبناء عمومته ومنطقته من أجل السلطة أو الجاه أو المال أو أي فيد أو مُسمى آخر يفقد أصله وشرفه..فالإنسان الذي لا يحمي ولا يدافع عن أرضه وناسه لا تتوقع منه أن يحمي الشعب والوطن ومن يسهل عليه التفريط بأخوته أو بأرضه سيُفرِّط بمصالح شعبه وحُرمة وطنه، لهذا أخبرته بوضوح وبقناعه بأنه من الخطأ أن يطلب مني تحديد موقفي على أُسس قبليه وهو "جاعم " من علمنا أن نترفع عن الولاء للقبيلة ليكون ولاؤُنا المطلق للثورة والوطن.. فأجبته منفعلا :"ما دمت أنتَ واقف مع ابن عمك فأنا سأقف مع ابن عمي حتى وان كان امام فوهة المدفع ".

لازلت أتذكر كيف انتفض سالمين واقفاً من مقعده وبتلقائية قال لي وباقتضاب:"موفق !! اذهب وقف مع ابن عمك".. غادرت وأنا غاضبا ليكون ذلك آخر لقاء لي برفيقي الأبدي سالمين.

وفي اليوم الثاني استدعى المكتب السياسي اللجنة المركزية لاتخاذ القرار النهائي بحق الرئيس سالم ربيع علي، وعقد الاجتماع في مقر اللجنة المركزية في

مدينة التواهي، وفيه تباينت فيه الآراء حول أتخاذ القرار بإقالة الرئيس، فقد طرح الأخ مطيع وزير الخارجية مقترحا بأن يتم تجهيز طائرة خاصة للرئيس ومن معه إلى أثيوبيا بعد أن يقدم استقالته، وقد وافق الرئيس وكتب رسالة ورد فيها حسبما أتذكر: بناء على طلب اللجنة المركزية والمكتب السياسي فأنني أتنحى عن منصب رئيس الجمهورية. أرسل هذه الاستقالة إلى الاجتماع وهو في دار الرئاسة، إلاّ أن عدداً من القيادات في هذا الاجتماع كانوا قد رأوا في خروج الرئيس خارج البلدخطراً محتملاً، نظرا لما يتمتع به من شعبية واسعة وكونه سيتمكن من العمل ضد القيادة الحالية من الخارج وسيعود مرة أخرى إلى السلطة وسيحاسب من طرده، ولهذا أتخذ قرار إلقاء القبض عليه وإعدامه، وجرى ترتيب الخطة العسكرية في المساء ليبدأ الهجوم على دار الرئاسة فجرا، وقد كان الهجوم من قبل البحرية والطيران والمشاة من الشرطة العسكرية، الذين تبادلوا إطلاق النار مع حرس الرئاسة بقيادة العقيد امزربة، كما انتشرت في نفس التوقيت نقاط التفتيش في تقاطع الطريق المؤدي إلى المُعَلاّ وخور مكسر وكريتر والتواهي.. الخ.

عندما بدأت المعركة كنت في منزلي، لكن بعد سماعي بانفجار الموقف حملت سلاحي وخرجت، فوجدت الطريق مقطوعة بشاحنات كبيرة بالقرب من جولة سينما ريجل، عندها ذهبت إلى أمام محطة للنفط تسمّى محطة العاقل في منطقة خور مكسر عدن، عسى ان أجد ممراً للعبور إلى كريتر ثم إلى التواهي، فوجدت أيضاً جنود أمن الدولة هناك قد نصبوا نقطة تفتيش، ولكونهم يعرفونني شخصيا فقد سمحوا لي بالدخول إلى منطقة كريتر مع مجموعتي المسلّحة، لكننا واجهنا نقطة تفتيش أخرى في عقبة عدن كريتر ليمنعونا من الدخول إلى منطقة التواهي بحجة أن هناك قصفاً جوّياً بالطيران وقصفاً بحرياً على التواهي من دولة خارجية.

لهذا عدت مجدداً إلى منزلي، وما أن وصلت المنزل حتى اتصل بي علي عنتر ومحمد صالح مطيع يسألاني لماذا لم أتوجه إلى التواهي للمشاركة في المعركة. فأوضحت لهما أن نقاط التفتيش لم تسمح لي بالمرور، وعلى إثر ذلك أبلغا النقاط، فتم السماح لي بالدخول إلى منطقة التواهي التي كانت تشهد معركة بين مجموعة الرئيس سالم ربيع علي من جهة، والأمين العام عبد الفتاّح إسماعيل من جهة أخرى.

تمكنت أنا ومجموعتي من الوصول إلى معسكر "الفتح" الواقع في محيط دار الرئاسة التابع للشرطة العسكرية، وهناك قابلت المقدّم محمود صالح قائد الشرطة العسكرية الذي أوصلني إلى القيادي علي شائع هادي مدير الدائرة السياسية للقوات المسلحة وصالح أبوبكر بن حسينون رئيس هيئة أركان القوات المسلحة والزومحي قيادي في التنظيم السياسي هؤلاء كانوا يقودون المعركة ضد مجموعة الرئيس سالم ربيع، حيث اعطوني مهمة التمركز في موقع قريب ومكشوف لمجموعة الرئيس، لكني والحمد لله لم أُصب بأذى، بعدها أبلغني أحد أفراد مجموعتي وهو الأخ سالم ناجي الحطيبي قائلا ان علي شائع وابن حسينون قد جهزوا لك كمية من المواد الغذائية والذخائر على شاحنه لنقلها إلى منتزه العروسة وهذا الموقع لا يبعد عن معسكر الفتح سوى عدت أمتار، في الوقت الذي ما زال فيه القصف مستمراً من قبل الطيران والبحريه في محيط تلك المنطقة كاملا، عندها قلت لعلي شائع: كيف يمكنني الذهاب إلى موقع العروسة والمعركة بهذا الشكل، انت عسكري وأنا عسكري، وتعرف أنه لا بد من تغطية لذلك أو ننتظر حتى نجد فرصة للعبور، لكنه رد عليّ نحن على مرمى حجر من مجموعة الرئيس، وهم من متارسهم يتعرفون بالنواظير وبالعين المجردة على شخصية كل واحد منا لذا اذهب انت لن يمسك أذى منهم لأنهم بمجرد ان يعرفوك سيكفون عن الرمي كونهم يعرفون علاقتك بسالمين، زد على ذلك أنك إنسان شجاع كما أعرف.

فهمت المغزى وبلعتها قائلاً سأذهب وأمري لله، لأني عرفت في تلك اللحظة أنني في دائرة الشك، لذا تحركت بالسيارة وبسرعه فائقة في الوقت الذي كان إطلاق النار مستمراً عليّ، لكن الحمد لله تمكنت من الدخول إلى منتزه العروسة دون ان أصاب بأذى. وأثناء نزولي من السيارة كنت أطلق النار يسارا ويمينا كتغطية تحسبا لأي مباغتة قد تحصل لي، حتى دخلت المبنى عندها لم أجد أحداً، فازداد قلقي وأحسست بعمل ما مدبر ضدي، ولهذا بحثت عن مخرج آمن إلى ما وراء منتزه العروسة وهي منازل مجاورة، لكني لم أجد سوى فتحه في جدار أحد المباني دخلت منها لأجد أفراد أمن الدولة مختبئين هناك. عرفني بعضهم فدب الخوف في نفوسهم لكني بادرتهم القول لقد أحضرت لكم مواد غذائية وذخائر بحسب تعليمات علي شائع، لكنهم ردوا عليّ: لا نريد أي شيء، اتركنا وشأننا. عندها أيقنت ان مشاركتي في هذه المعركة محفوفة بالخطر من الطرفين المتصارعين، لذا انسحبت بحذر وعدت إلى المنزل ومجموعتي أيضاً كانت قد انسحبت.

في اليوم التالي اتصل بي القائدان المعروفان علي عنتر ومطيع مرة أخرى قائلين لماذا انسحبت من معسكر الفتح، فشرحت لهم القصة. فقالا: حسنا نريدك في مهمة أخرى ضرورية في محافظة أبين بحكم معرفتك هناك لفك الحصار عن مجموعة من رفاقنا. وذكروا لي أسماء قياديين محاصرين هناك، منهم ثابت عبد والقيرحي وغيرهم.

أبديت استعدادي ووجدت بان ذلك التكليف واقعي بسبب علاقتي برفاق سالمين وهذا سيُسهل من مهمتي في فك الحصار وبأقل تضحيه اذ أنه لا يوجد أي سبب عقلاني لسفك مزيد من الدماء فقائد المسيرة سالمين ورفاقه كانوا قد استشهدوا وعليا ايضاً توفير الحماية والحفاظ على من تبقى من رفاق سالمين من اي عناصر انتقاميه في لحظات الانفلات الامني وغياب القانون.

طلبت ذخائر وأسلحة لمجموعتي، لبوا طلبي وأحالوني إلى وزارة الداخلية وهناك قابلت قائد أمن محافظة أبين الذي كان حينها متواجدا في عدن لينضم معي، وجهزنا سرية من الشرطة أيضاً لنتحرك إلى محافظة أبين، وقد تحركنا حتى وصلنا مدخل أبين المسمى المُطَلَّع، عندها وقفت سرية الشرطة هناك، ورفضوا الدخول قائلين لن نتقدم الاّ باستطلاع وأنت ضابط استطلاع تقدم واعطنا المعلومات لنتقدم على ضوء ذلك. فقلت لهم: واذا اصطدمت مع مجموعة سالمين هل ستسندونني ؟، قالوا نريد تعليمات وزير الداخلية، اتصلت مجددا بمطيع لأبلغه بذلك، رد عليّ ان وزير الداخلية موجود بجانبه وسيعطي تعليمات بذلك إلى سرية الشرطة قائلا: أنهم تحت أمرك وأنت القائد، وفعلا وصلت التعليمات لهم ودخلت أنا وقائد أمن محافظة أبين إلى مدخل زنجبار، وكانت تسيطر عليه مجموعة الرئيس سالمين. وعند وصولنا إلى نقطة التفتيش عرفوا قائد أمن المحافظة، فسمحوا لنا بالدخول.

عندها تمكنت من الحركة داخل جعار وزنجبار، لأن كل من يعرفونني ما زالوا يعتقدون أنني معهم إلى جانب سالمين، نظراً لعلاقتي الشخصية المميزة به التي يعرفها كثيرون. وبينما كنت أستطلع الأمور في مدينة زنجبار أنا وفرقتي مر موكب من سيارات القوات الشعبية بقيادة علي مقفع، وهو رفيقي ورفيق سالمين، وكان أفراد الموكب يرددون عاليا:" سالمين نحن أشبالك وأفكارك لنا مصباح". اعترضت الموكب فواجهت علي مقفع بحقيقة أن الرئيس سالمين وجاعم والأعور قد انتهوا ولا داعي لإراقة المزيد من الدماء، ونصحته بأن لا يتورط أو يقحم القوات

الشعبية إذ أنه لا يوجد أي مبرر للقتال بعد حسم الأمور في عدن، وأكدت له بأنني أتيت على رأس قوة مسلحة لتثبيت الأمن والاستقرار في أبين. كانت سيارته تتصدر عدد من سيارات القوات الشعبية وكان يتحدث معي دون ان يخرج من سيارته، فيما كان أفراد مجموعتي موزعين على جوانب الطريق، ففوجئوا بذلك ولم يصدقوا ما قلته لهم، وعلى إثرها ودَّعني وواصل هو وجماعته السير، لكنهم كانوا مذهولين صامتين.

لم أتوقع إن انصرافهم سيؤدي إلى توجههم نحو بعض المجاميع الموالية لعلي عنتر ومطيع لإعدامهم في نفس اللحظة، ولم أعرف ذلك إلاّ فيما بعد. وفي المساء بينما كنت في قيادة أمن المحافظة أقوم بترتيب عملية دخول سرية الشرطة، فوجئت بقدوم الأخ زيد سليمان مدير مكتب الرئيس سالم ربيع، الذي يعرفني وأعرفه ويعرف علاقتي بسالمين، فسألني قائلا: ماذا قلت لعلي مقفع؟. أجبته: لقد أبلغته أن سالم ربيع وجاعم والأعور قد انتهوا ونصحته وانصحك أيضاً بأن علينا أن نحافظ على من تبقى. وبعد أن تأكد له ذلك قال لي: ستسمع الجديد بعد ساعة سنرتب هجوم على عدن.. نصحته مرة أخرى بأن ذلك لن يعيد إلينا سالمين وإنما سيؤدي إلى مزيد من سفك الدماء وخسارة المزيد من الرفاق. ودعني وكنت مؤمِّلاً بأنني قد أقنعته، لكن ما هي إلاَّ ساعة حتى حصلت المعركة في زنجبار بين قوات الجيش من جهة، والمليشيا من جهة أخرى. فتواصلت مع سرية الشرطة لإبلاغهم بالموقف والدخول، وتحركت ومجموعتي إلى منطقة المخزن لفك الحصار على ثابت عبد ومحمد علي القيرحي، أما السَّرية فوصلت إلى قيادة أمن المحافظة.

وصلنا إلى المخزن وهناك وجدنا القياديين محمد علي أحمد وعبد ربه لصور من مجموعة عبد الفتاح وعلي عنتر ومطيع وعلي ناصر، متمركزين لغرض فتح الحصار على قيادة المليشيا، وهي نفس المهمة التي كلفت بها أيضاً من قبل علي عنتر ومطيع، فنفذنا المهمة معاً. وأثناء فتح الحصار وجدنا بعض أفراد من المحاصرين ومعهم القياديين ثابت عبد والقيرحي أحياء، أما الأخ علي مقفع الموالي للرئيس سالمين فقد تمركزت مجموعته في مكان يدعى حبيل البرق، لغرض مواجهة مجموعتنا التي ستنزل من منطقة يافع.

وهكذا فبعد فتح الحصار على قيادة المليشيا، توجهنا أنا والأخ محمد علي أحمد ومجموعة إلى منطقة الدرجاج، لاقتحام مركز القوات الشعبية الذي كان تابعا لمناصري الرئيس سالمين، لكن مع قُرب وصولنا إلى الموقع عرف المتمركزون هناك أن

مجموعة القادمين بقيادة محمد علي أحمد وصالح فاضل، فانسحبوا مباشرة وعادوا إلى بيوتهم. عندها سيطرنا على مقر القوات الشعبية، وتم التحرك بعدها إلى مصنع الذخيرة الواقع في بلدة" الرواء" قرب الحصن، وفور وصولنا قام الأخ محمد علي أحمد، بتوجيه نداء عبر مكبر الصوت للمتواجدين بداخل المصنع، يناديهم بتسليم أنفسهم، لكنني ومجموعتي كنا قد طلعنا مباشرة إلى الجبل المطل على المصنع وقطعنا الشبك ودخلنا إلى المصنع وطلبت من الموجودين الذين تفاجأوا بوجودنا داخل البناية تسليم أنفسهم وضمنت لهم السلامة، فسلمّوا دون مقاومة. كما وجدنا عدداً من المعتقلين والجرحى فأفرجنا عنهم، بعدها ناديت الأخ محمد علي أحمد قائلا له: أوقف النداء بمكبر الصوت، لقد تمكنا من الدخول وكل شيء على ما يرام.

عقب الانتهاء من هذه المهمة واصلت المشوار مع مجموعتي إلى مركز باتيس، وتمكنا من السيطرة عليه، والافراج عن المعتقلين هناك. بعدها بسبب استلامنا اخبار باستشهاد محسن العمودي وفرقته القادمين من سرار طلب مني محمد علي أحمد أن أتَّجه وفرقتي نحو حبيل البرق حيث تتمركز فرقة من القوات الشعبية لدحرها، خوفا من أن تقع أي من الفرق الأخرى القادمة من ابناء يافع في أي من الكمائن التي نُصبت لهم، وفعلا حاصرناهم حتى استسلموا وسلموا أسلحتهم واعتقلنا قيادات المجموعة. اما الفرق التي أتت من يافع فقد استضفناهم وشكرناهم على حضورهم وأبلغناهم ان الموقف قد حسم. ويمكنني القول أنه لم يُصب أحد في هذه الأحداث من مجموعتي التي كان تعدادها ما يقارب مائتي مقاتل، منهم أعداد من أبين كانوا قد التحقوا بمجموعتنا في كل مدينه أو مركز ندخله، وتعمدت أن أستوعب أعداداً من رفاق سالمين حتى لا يتعرضوا للملاحقات.

ان ما استعرضته في هذا الحدث هو مأساة نزلت علينا كالصاعقة، أتذكرها بألم وحسرة، وأدعو لجيلنا بالهداية، وأخذ الدروس والعبر، من تلك الصراعات لتجنبها لأنها تؤدي إلى مزيد من الفرقة وأضعاف الوطن وتأخير تقدمه وازدهاره.

الإطاحة بالرئيس سالمين

طُوِيَت صفحةٌ من تأريخ التآمُر التي حيَّرتني أحداثها ونتائجها كثيراً، وفيها لم يكن أمامي من خيار سوى الوقوف وحمل السلاح مع رفاقي في طرف ضد رفاقي في الطرف الآخر.. آمنت بأن العناية الإلهية هي فقط من وجَّهت مساري واختياراتي في مواقف صعبة كهذه. كنت في الليلة التي سبقت ساعات الانقلاب جاهزا بسلاحي ومحدداً موقفي ضد من حاك التآمُر، وبحُكم العلاقة التي تربطني بالرئيس، التي لا تخفى على أحد دخلت مكتبه وعلى كتفي بندقيتي الامريكية"إف. إن - F.N" لأوحيٍ له بأنني معه بالكلام وبالسلاح، لأن رفاق النضال قد تعودوا حماية بعضهم بعضاً بالسلاح دفاعاً عن النفس ونصرة الحق وضد المتآمرين على الوطن ومبادئ ومُثُل الثورة حتى وان كان الأخ أو ابن العم.

اليوم وبعد عقود من استشهاد الرئيس سالمين أقول له وأنا أكتب مذكرات حياتي بأنك لم ترسلني للاصطفاف مع ابن عمي.. فابن عمي هو الآخر أصبح ضحية تآمر لاحق، لكنك أرسلتني لأكون في حماية الرحمن ورعايته. لقد كنّا رفاق كفاح في السرّاء والضرّاء، حميت ظهري يوماً وحميت ظهرك يوماً آخر في معارك الكرامة والحرية.. وأنني لَمدِينٌ لك عندما انقذتني من الإعدام غدرا حينما اكتشفت إسمي ضمن قوائم الإعدام التي أعدها المزايدون من الرفاق ممن كانوا يستقبلونني بالأحضان ويمجدون أعمالي إلى درجة المبالغة، مثلها مثل سلوكيات بعض من تآمروا عليك. وكنت أنت وحدك، كما أخبرتني يوماً، من رأى اسمي يتوسط قائمة الإعدام وطلبت من جاعم أن يتأكد من هو صالح فاضل، وأدركت حينها أن رفيقك في خطر بفعل تطرف المزايدين قليلي التجربة الثورية والتاريخ النضالي، ممن أرادوا أن يزينوا تاريخهم ويرفعوا من شأنهم، ليس بمواجهه أعداء الوطن، بل بالتخلص من المخلصين للوطن والشعب، حتى ولو كان ذلك بطريقة الغدر والطعن من الخلف، لعلهم بذلك يحققون مآربهم في التخلص ممن وصفوهم برموز العهد البائد ومن المناضلين ممن دافعوا عن كرامة وحق كل الناس في الحياة ويملكون رصيداً نضالياً يفوق رصيدهم بكثير، فحَقّقت أنت معهم في اجتماعٍ علني وبشخصك ومركزك جَرَّمت هذا السلوك واعتبرته لا أخلاقي ووبَّخت وفضَحت تآمرهم.. لم ولن أنسى لك ذلك ما حييت. لهذا أتيتك يومها في ٢٥ يونيو جاهزاً لحمايتك والقتال معك والاستعداد للموت قبلك، لكنك اخترت إعفائي فحميتني مرتين وضاعفت ديني فما أكرمك.

لقد حماني الله وحرسني وحفظني، بعد رحيلك المؤلم.. لكنني عشت ورأيت مآسي تآمر الرفاق على الرفاق حتى خسرنا الثقة ببعضنا فتفككنا وتفرقنا شذر مذر وأصابنا الضعف والهزال، وأصبح الوطن في مهب الريح. سأحاول جاهداً أن أنصفك، وأدوّن كلما أتذكره عنك.. سأروي عن سالمين الفدائي والإنسان، الصديق والرفيق والقائد والرئيس حتى تدرك أجيالنا الجديدة فداحة وعمق الخسارة لفقدانك.. وحتى لا تتكرر فصول التآمر وقتل هامات وعظماء التاريخ فتضيع الأخلاق وتُهدر كرامة الإنسان، ويضيع معها الوطن.

قصة إعدام مُطيع

أثناء فترة حكم الرئيس عبد الفتاح إسماعيل، والرئيس علي ناصر محمد، لم تتوقف دوامة الصراعات السياسية. فلم تمض سوى فترة يسيرة منذ القضاء على الرئيس سالم ربيع علي، حتى نشأ صراع جديد، تم على إثره إقالة عبد الفتاح إسماعيل وترحيله إلى موسكو، ليستقر فيها لاجئاً سياسياً، وقد حل محله علي ناصر محمد الذي صار أمينا عاما للحزب ورئيسا للدولة ورئيسا للوزراء، جمع كل المناصب في يده، فكان ذلك بداية لدورة صراع جديدة أعنف من سابقاتها، وهذا ما سيتم تناوله لاحقاً. وما يهمنا هنا هو تسليط الضوء على قصة اعتقال وإعدام المناضل القيادي البارز محمد صالح مطيع الذي شغل منصب وزير الخارجية أثناء فترة حكم الرئيس علي ناصر، وكما أسلفت، كان مطيع رفيق نضال بالنسبة لي وأحد أبرز الشخصيات السياسية المنتمية إلى منطقة يافع مسقط رأسه.



أتذكر بحسرة وألم فقدان عدد من قادتنا السياسيين والرجال المخلصين، الذين رحلوا في ظروف غامضه و صراعات ذاتية، ما كان يستحق أن يخسرهم الوطن، في ظرف كنا في أمس الحاجة لعطائهم والاستفادة من خبرتهم وإمكانياتهم، لكن نظرية المؤامرة التي عشعشت في عقول تلك القيادات كانت قد حصدت خيرة الرجال، وكلما سقط واحدٌ منهم صرنا نندب حظنا ونتأوه ألماً وحزنا لفقدانه، دون أن نتعظ للأسف، وهكذا فإن ما حصل للمناضل مطيع إنما هو جزء من

مسلسل التصفيات التي أضعفت ثورتنا وأفقدتنا المكتسبات، حتى وصلنا إلى درجة التفريط بالوطن الذي ذهبنا به باحثين عن وحدة وهمية عشوائية قادتنا إلى المجهول وخسرنا فيها كل شئ، وما زلنا ندفع الثمن حتى هذه اللحظة.

كان نجاح مطيع في عمله، وآراؤه الناضجة والجريئة سبباً في نهايته، فقد كان صاحب رأي واضح أثناء الصراع الذي احتدم بين كل من وزير الدفاع، الرجل القوي حينها علي عنتر، وبين وزير أمن الدولة محمد سعيد عبد الله "محسن"، فيما يتعلق بحدود وصلاحيات وزارة الدفاع التي أراد محمد سعيد عبدالله أن ينتزع منها سلاح الدروع من قوام القوات المسلّحة، ليكون تابعاً لأمن الدولة، مُتحججاً بتجربة ألمانيا الشرقية، وهكذا الحال بالنسبة للوزارات الأخرى، التي أراد كل طرف من الأطراف تقويتها أو إضعافها، وفقاً لولاء الوزير القيادي في ذلك الصراع.

كان هناك اتجاهان بَرَزا جلياً، الأول يتمثل بعلي عنتر ومجموعته، والثاني بعبد الفتاح إسماعيل ومحمد سعيد عبد الله ومجموعتهما، وكان محمد صالح مطيع صاحب المقترح المتضمن إحالة كل من محمد سعيد عبد الله من وزارة أمن الدولة وعبد العزيز عبد الولي من وزارة الاقتصاد وصالح مصلح من وزارة الداخلية، كما وأدخل مطيع اسمه أيضاً لإحالتهم جميعاً من وزاراتهم إلى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب، بحجة تقوية دور الحزب في الحياة السياسية، وإخراج القيادة من دائرة الصراع. لكن مقترح مطيع هذا فهم منه بأنه تآمر على عبد الفتاح إسماعيل ومجموعته، كون المقترح لم يتضمن إحالة على عنتر من وزارة الدفاع.


الامير سعود الفيصل يلتقي مع سالمين ومطيع

وهكذا بدأت المكايدات السياسية والتآمر ضد مطيع، وجرى التشكيك فيه لدى الرئيس علي ناصر، بتقديم معلومات مضللة حول زيارته إلى كل من الكويت وأبوظبي والاتحاد السوفيتي وألمانيا والتي كان مطيع مرافقا له فيه، وأوهموه أن مطيع قد نسق كل شيء سلفاً مع تلك الدول وعمل بشكل خفي لكي يهيئ نفسه ليحل محل الرئيس علي ناصر في رئاسة الوزراء.

عندها دب الشك، وسرت نظرية المؤامرة في عقلية الرئيس علي ناصر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تم تسريب معلومات وتقارير مزيفة أيضاً إلى الرئيس علي ناصر تفيد بتنسيق محمد صالح مطيع وزير الخارجية مع قيادة المملكة العربية السعودية لغرض الانقلاب على النظام القائم آنذاك، الذي كان على عداوة مع السعودية، لكي يصير نظاماً تابعاً لها من خلال القضاء على تلك القيادات وعلى رأسها الرئيس علي ناصر محمد.

انطلت هذه اللعبة على الرئيس علي ناصر وآخرين فقرروا اعتقال مطيع، فاستغلوا لتحقيق هذا الغرض طيبة ونزاهة علي عنتر، ليوهموه أن هناك قضية ضد مطيع تستحق أن يمتثل لها أمام لجنة التحقيق، ولأن علي عنتر واثق كل الثقة من مطيع فقد قال له: اذهب حسب قرار اللجنة المركزية واجلس مع لجنة التحقيق لتدافع عن نفسك، وبعدها سيأتي التقرير إلينا لمناقشته، وعندها سيكون لكل حادث حديث. وهكذا تم أخذ مطيع من منزل علي عنتر إلى معسكر الفتح بصحبة قائد الشرطة العسكرية محمود صالح، وجرى التحقيق معه، لكن من قبل لجنة كانت قد أخذت توجيهاتها وقناعاتها من كل من الرئيس علي ناصر محمد، ومن محمد سعيد عبد الله محسن وعبد العزيز عبد الولي وصالح مصلح قاسم أعضاء المكتب السياسي.

وأثناء فترة التحقيق كان علي عنتر قد سافر إلى الاتحاد السوفيتي، فاستغل علي ناصر ذلك، وأمر اللجنة المكلفة بالتحقيق التي كان على رأسها الأخ فرحان مسئول الأمن الخارجي بوزارة أمن الدولة، وكذا الأخوة جميل مشبق وعوض الجحمة قياديان في أمن الدولة، أمرهم بتحويل مطيع من مقر قيادة الشرطة العسكرية إلى معسكر أمن الدولة في الصولبان وهناك تم إعدامه.

بعد هذه الحادثة المؤلمة عاد علي عنتر من الخارج، وأنا قطعت رحلتي العلاجية في الهند عائداً إلى عدن، وقابلت علي عنتر الذي كان حينها غاضباً مما جرى، وأكد لي أن الرئيس علي ناصر طلب منه في وقت سابق الموافقة على إعدام مطيع،

لكنه رفض، وأنه قال لعلي ناصر: إن مطيع رجل مخلص ولا يمكن أن يكون عميلاً، وعليكم إعادة نتائج التحقيق إلى اللجنة المركزية، كما أردف قائلاً: أين سنأتي بوجوهنا من أهل يافع إن أقدمتم على ذلك.

لقد كانت قضية إعدام مطيع بداية الشرخ بين الرئيس علي ناصر ووزير الدفاع علي عنتر، حيث شعر عنتر أن هناك نية لتقليص دوره ومكانته، من خلال قص أجنحته التي كان مطيع أحدها، وبالنسبة لي شخصياً وكذا أبناء يافع فقد شعرنا بأن هذا هو استهداف لنا جميعاً، لكننا كنا حينها في إطار دولة قوية، والقضية قد أخذت بُعداً أكثر من أن نتبناها نحن، كونها أصبحت قضية القيادات المتواجدة على رأس النظام آنذاك ولابد أن تكون لها نتيجة قادمة.

وبهذا الخصوص أتذكر أنني ذات مرة كنت متوجهاً إلى مقر إدارة الطيران المدني "اليمدا" في خور مكسر، وفي بوابة الإدارة كنت قد وجدت سيارات وحرس عرفت حينها أن الرئيس علي ناصر قد أتى للقاء بإدارة الشركة، انتظرت في الباب، وعندما خرج رآني وناداني قائلاً: مرحباً يا صالح فاضل، أين أنت؟، لماذا لا تأتي إلى مكتبي؟. فقلت له أنت لم تعد علي ناصر الذي عرفته أيام الكفاح المسلح، لقد صرت رئيس ولديك حرس ولا نستطيع الدخول إليك، عندها استدعى سكرتيره الخاص وقال له: أشعر الحراسة يوم غد بالسماح لصالح فاضل بالدخول إلى مكتبي.

وبالفعل ذهبت في اليوم الثاني وسُمح لي بالدخول إلى دار الرئاسة، وقابلت الرئيس علي ناصر، وكان غرضي من هذه المقابلة، الحديث عن قضية إعدام مطيع، وكذا زميله الذي ما زال في السجن، وهو مثنى عبدالقوي من أبناء يافع أيضاً، ولهذا فقد وجهت إليه سؤالاً مباشراً: لماذا أعدمتم مطيع؟. قال لي: مطيع اعترف أنه عميل للسعودية هو ومثني عبد القوي وصالح حليس، كما أن لدينا قائمة بستة وثلاثين شخصاً من أبناء يافع كانوا يدبرون للانقلاب على النظام وأنت من ضمنهم، وقد كان إعدام مطيع بقرار من المكتب السياسي.

قلت له: موضوع الانقلاب هذا افتراء وكذب والدليل على ذلك وجود إسمي ضمن المجموعة، بينما كنت شخصياً في الهند، فكيف يعقل أن أُشارك في تنفيذ هذا الانقلاب من الهند، ثم من قال لك هذا الكلام. قال: علي عنتر وصالح شوارب الردفاني، قلت له: قتل مطيع جريمة ستظل وصمة عار تلاحق مرتكبيها وسنتركها للزمن، ولكن ما يهمني الآن هو إطلاق سراح الأخ مثنى عبد القوي، و لن أخرج من هنا إلاّ بأمر الإفراج عنه. عندها أعطاني أمر الإفراج، وحدد لي موعداً للقاء به اليوم الثاني لمناقشة عدد من القضايا التي تخص منطقة يافع وغيرها،

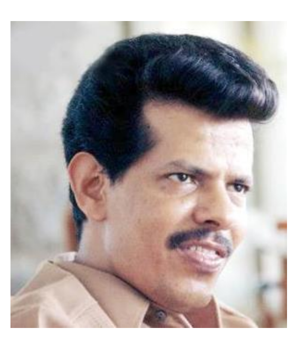
وفي اليوم الثاني حضرت حسب الموعد، وفي رأسي مشروع طريق يافع، لكني أثناء حديثي معه كنت قد عدت به إلى قضية مطيع، كمدخل حيث قلت إن رد الاعتبار الأولي والاعتذار ليافع بالنسبة لهذه القضية هو توفير اعتماد فوري لشق الطريق إلى يافع، وافق على ذلك وحدد موعداً آخر إلى اليوم التالي لحضوري وحضور كل من وزير الأشغال الأخ حيدر العطاس ونائب وزير المالية الأخ محمد صالح الوالي ومحافظ محافظة عدن الأخ ناجي عثمان، وفي هذا اللقاء أبدى الأخ العطاس استعداده قائلاً: لدينا مبلغ مُرَحّل في وزارة المالية سنعتمده لإنشاء جسر في وادي بَنَا، وما تبقي من تكلفة الطريق سنتقدم بطلب قرض من حكومة الصين الشعبية، وسنعقد اتفاقية معهم لبناء الجسر، وإنشاء الطريق حتى منطقة لبعوس في يافع، وهكذا بدأ العمل في بناء الجسر، أما الطريق فقد تأخرت حتى بدأ العمل فيها لاحقاً عند مجيء محمد أحمد سلمان كوزير للإنشاءات بعد أحداث يناير، تلك الطريق التي اقترحنا تسميتها طريق مطيع.

أحداث ١٣ يناير المأساوية ١٩٨٦م

في عام ١٩٨٦ بلغ الصراع الداخلي في إطار القيادة السياسية لدولة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ذروته، مما أدى إلى وجود أزمة سياسية كانت تزداد تشنجاً يوما عن يوم، برز فيها جناحان متصارعان: الأول يقوده علي ناصر محمد الذي كان حينها رئيسا للدولة وأمينا عاما للحزب الحاكم. والثاني: يقوده علي أحمد ناصر عنتر الذي كان نائبا للرئيس ويتمتع بثقل ونفوذ داخل القوات المسلحة والأمن وكذا في الحزب الحاكم.







إن هذه الأزمة التي أدت إلى أحداث ١٣ يناير المأساوية الدموية، كانت أسبابها صراعات ذاتية سلطوية، حيث كانت بداياتها محاولة إقصاء الرجل القوي علي عنتر من وزارة الدفاع، وقد تم ذلك بالفعل مما ولّد ردود أفعال سلبية، أدت إلى تطور الصراع حتى أخذ طابع الاصطفاف المناطقي، وقد تطور ذلك الاصطفاف ليغزو القوات المسلحة والأمن وكل مفاصل الدولة. وعندما نقول المناطقي، لا نقصد منطقتي الرئيس ونائبه، بل الجنوب بشكل عام، كون هذه العدوى قد شملت كل المحافظات التي التحق كل منها مع طرف معين في الصراع. وقد كان للوشاة والمزايدين والنفعيين حينها دور مؤثر في صب الزيت على النار، ليشعلوا الحرائق هنا وهناك، وعلى الرغم من المعالجات المتأخرة، التي تمثلت بتعيين علي عنتر نائبا للرئيس، وإرجاع الأمين العام السابق للحزب عبد الفتاح إسماعيل من المنفى ليتسلم منصب سكرتير الدائرة العامة في الحزب وعضويته في المكتب السياسي، إلاّ أن ذلك لم يضع حدا للصراع المحتدم لأن أزمة الثقة كانت قد سيطرة على الطرفين وبلغت أشدها.

عن بعض فصول هذه المأساة وموقفي منها يمكنني ان أُشير إلى أنه في يوم ١٣ يناير ١٩٨٦م، كان قد حُدد موعدٌ لاجتماع المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني "أعلى هيئه سياسية مقررة لسياسة البلد" في مبنى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب في مدينة التواهي عدن، في الساعة العاشرة صباحا، وكان ينبغي أن يحضر الجميع ذلك الاجتماع ليتم حسم الخلافات فيه واتخاذ قرارات تكون ملزمة للكل، ولهذا فقد حضر كل أعضاء المكتب السياسي بما يسمى جناح علي عنتر في الموعد المحدد، لكن علي ناصر ومجموعته لم يحضروا، كونهم قد قرروا القيام بانقلاب يبدأ باغتيال علي عنتر ومجموعته داخل قاعة الاجتماع، وحسب شهادات من كانوا هناك ونجوا من الموت في ذلك اليوم المشئوم، أنه بعد ان اكتمل حضور مجموعة علي عنتر إلى القاعة، وصل موكب حراسة الرئيس علي ناصر ليوحي بأن الرئيس قادم، نزل قائد حراسته من السيارة وبيده حقيبة الرئيس حسب عادته دائما عند حضور الاجتماعات ليدخل إلى قاعة الاجتماعات ولحقه شخص آخر من حراسة الرئيس ليقف في باب القاعة، عندها وضع المدعو حسان حقيبة الرئيس على الطاولة واستدار إلى خلف علي عنتر ليطلق النار في ظهره، وتمكن من قتله مباشرة، لكن حسان كان قُتل في نفس اللحظة، كما يُقال من قبل عضو المكتب السياسي صالح مصلح، ولكن الضابط الذي كان في باب القاعة باشر إطلاق النار على صالح مصلح وأرداه قتيلا، وقد رد عضو المكتب السياسي علي شائع

بإطلاق النار على هذا الضابط فارداه قتيلا، عندها بدأت المعركة بين أفراد حراسة الرئيس وحراسات علي عنتر وجماعته، وقد حاول علي شايع الخروج من القاعة لرمي المتبقين من حراسة الرئيس المتواجدين في الدرج المجاورة للقاعة، الذين كانوا يحاولون منها القضاء على بقية أعضاء المكتب السياسي، لكنهم أثناء المواجهة معهم أطلقوا النار عليه في رأسه ففارق الحياة في نفس اللحظة.



بعدها انفجر الوضع في كل مكان وجرت اغتيالات مماثلة في عدد من المواقع العسكرية والأمنية، بحجة الدعوة إلى اجتماعات وهمية، مثلما حصل لأعضاء المكتب السياسي وبنفس التوقيت، وهناك نماذج كثيرة، على سبيل المثال، تم استدعاء قيادات القوات المسلحة إلى اجتماع في وزارة الدفاع بنفس التوقيت تمكنت فيه مجاميع علي ناصر من إعدام من حضر من مؤيدي الطرف الآخر، وهكذا الحال في قيادة الأمن، واللجنة المركزية وبعض الألوية.. الخ.

اذاً ما أشبه الليلة بالبارحة. مرة أخرى أعيش حلقة جديدة من حلقات تآمر الرفاق على الرفاق، وأعيش ظروفها وتفاصيلها وتعقيد أحداثها ونتائجها المريرة.. إنها تذكرني بالأحداث الدامية لمؤامرة ٢٦ يونيو ١٩٧٨م، فعلى الرغم من انقضاء قرابة ثمانية أعوام على تلك المأساة، إلا أنها ما زالت تؤلمني وتؤرقني، ولم استوعب بعد أسبابها وفظاعة وهول أحداثها ونتائجها، فقد خسر الوطن والشعب بسببها قافلة كبيرة من الرجال، عُرفوا بحبهم وإخلاصهم للوطن وللشعب وشاركوا في صنع التاريخ الحديث والمُشرّف للجنوب. وشخصياً خسرت فيها نخبةً من رفاق حياتي النضالية، وفي مقدمتهم الرئيس سالمين. حينها كانت المداهمات المسلحة والاعتقالات والتصفيات الجسدية قد أخذت مكانها في الأيام الأولى لتلك الأحداث وحصدت خيرة الرجال.

وها هي الآن تلوح بوادر كارثة جديدة، بدأت فصولها المرعبة تقترب من التنفيذ، وقد علمتنا أحداث المؤامرة الدنيئة ضد سالمين أن نتعلم الحذر وأخذ الحيطة والاستعداد لأي احتمالات.. وها قد بدأت المأساة بأبشع صورها في يوم الأثنين الدامي، ١٣ يناير ١٩٨٦م.

بُنيت المتارس الرملية يونيو٧٨، وها أنا ومن معي نعيد بناءها أيضاً يناير/٨٦. كان عدد من وصل من الرجال الأوفياء إلى منزلي قد قارب ٣٠مقاتلاً وكان لكل فرد منهم قصة مع المواجهات والمخاطر، التي تختلف بين شخص وآخر. لكنهم اجتمعوا هنا على هدف واحد، هو الوقوف إلى جانبي ومؤازرتي.

تعلمت في حياتي أن أروع وأجمل اللحظات، هي تلك التي تأخذ مكانها في المواقف العصيبة التي تواجهك فجأة، فتجد نفسك مدعوماً برجال مُجربين بوفائهم وشجاعتهم وولائهم. وتعلمت أن تلك المواقف هي المعيار الحقيقي لمعرفة معدن وأصالة ووفاء ونقاء الرجال. فمجمل العلاقات التي تنشأ بين الناس تكون ضعيفة وركيكة إذا لم تترفع عن المصالح والمجاملات، فالأزمات والصراعات والمحن التي تواجهنا في الحياة، كفيلة بأن تكشف قوة العلاقات الإنسانية وتبيان درجة صدقها.

كل من وصل إلى منزلي كان مسلحاً، وكان بحوزتي أيضاً عدة قنابل. فأحداث سالمين قد علمتني أن أتجهز لمثل تلك المواقف التي يسود فيها شعار "الغاية تبرر الوسيلة". والغاية هنا هي الاستحواذ على مفاصل السلطة، وإن كانت الوسيلة هي حمل السلاح وقتل كل مخالف في الرأي، بغض النظر عن التاريخ النضالي ودرجة الولاء للوطن. وفي تلك الأوضاع المنفلتة أمنياً، نجد هناك من يمارسون التصفيات على أساس الانتماء المناطقي أو لحسابات شخصية.

كانت كل منافذ الحي الذي أسكن فيه، في خور مكسر، مُشبَّعة بقوات الرئيس علي ناصر محمد، فمبنى إدارة طيران اليمدا ومركز عبود للخضار والفواكه والمطار قد تحولت جميعها إلى مراكز عسكرية أساسية.

استكملنا بناء المتارس على سطح وأمام المنزل وخلفه، بما توفر لدينا من مواد، وكنت حينها مشغولاً بالاتصالات التلفونية، أسأل واطمئن عن مصير الرفاق والأصدقاء. كانت اتصالاتي بكل من: هيثم قاسم طاهر ومحمد ناصر جابر وحسين عبدالحبيب وآخرين. بيد أن الأخبار لم تكن سارة، ويشوبها الغموض وعدم وضوح مصير كثير من الأفراد، على الرغم من تأكيد البعض أن كثيرين قد

تعرضوا للقتل الجماعي في قاعات خُصصت لاجتماعات وهمية، وآخرين تم قتلهم أو اعتقالهم بمداهمات عناصر مسلحة إلى منازلهم أو مكان اختفائهم.

عندها فوجئت بالإخوة: الشيخ أحمد عبدالله عطبوش، وسالم محمد، وثابت محمد خضر يبلغوني بأن هناك ثلاث سيارات لعناصر مسلحة، تقدمت إحداها أمام منزلي، وأن قائد المجموعة أخبرهم بأنني مطلوب للذهاب معهم. هذا الوضع خلق حالة من التوتر جعلت من معي يأخذون أماكنهم وراء المتارس. خرجت إليهم ففوجئت أن من يقود المجموعة المسلحة رفيق أعرفه واسمه "طرموم" واسمع عنه أنه من العناصر الشرسة، فأوضح لي بأنه جاء بأوامر من سليمان ناصر محمد وعوض الجحما لكي أحضر إليهما في مكتب اليمدا، لتفسير أسباب وجود عناصر مسلحة في منزلي. قلت له أنني سأذهب معهم وطلبت منهم الانتظار حتى أبلّغ رجالي بقراري هذا.

اعترض كل من في المنزل على قراري هذا مؤكدين أنهم لم يأتوا إلا بقناعة كاملة ليقاتلوا معي حتى آخر رجل، وأنه بموافقتهم لي بالذهاب، كأنما يسلموني للقتل، وأنها ستكون وصمة عار بالنسبة لهم. وأتذكر أن ناصر علوي وسالم محمد وابني عبدالفتاح قد اعترضوا خروجي بوقوفهم أمام بوابة حديقة منزلي فكانوا بفعلهم هذا قد غلّبوا العاطفة على العقل، وتناسوا أن رفاق الماضي قد أعدّوا القوائم وكلفوا خبراء تسويق الموت للتنفيذ، وأنهم لن يتراجعوا عن التنفيذ الكامل للخطة وإكمال ما بدأوه في صالات الاجتماعات الوهمية.

لحظتها دارت في رأسي فكرة لم أفصح عنها لمن كان معي من الرجال ولا حتى لأسرتي، بسبب ضيق الوقت وعدم رغبتي في إشراكهم في قرارٍ مصيري لن أتراجع عنه، لأن رفاق المراحل الماضية لم يتركوا لي هذه المرة إلاّ خياراً واحداً، هو الانصياع لأوامرهم. لكنني سأكون أكرم منهم وسأمنحهم خيارين، إما العيش معاً، أو الموت معاً. لذا كان عليَّ أن أتجهّز لما هو اسوأ، وذلك بالتفكير بوسيلة تجعل مهمة قتلي مكلفة وصعبة.

لقد اهتديت إلى أنه ليس من الحكمة العسكرية، في هذا الموقف، أن أجعل منزلي ساحة حرب وأعرِّض رجالي للدخول في معركة بأسلحة فردية وذخائر محدودة الكمية، ولا تحمينا سوى متارس رملية وجدران البيت، فيما تنعدم أي منافذ للانسحاب لأن الحي قد تمت السيطرة عليه وإحكام منافذه، بل محافظة عدن بكاملها، بما تحتويه من معسكرات وخزائن أسلحة.

قدرت الموقف جيداً، ورأيت أنه إذا رفضت الذهاب معهم انصياعاً لقناعات رجالي، معناه إعطاء مبرر للمتهورين في تطويق ومهاجمة المنزل، بل وحتى تدميره، لأنهم يملكون العدد الكبير من الرجال والإمكانيات من الأسلحة والذخائر ووسائل التدمير، وستكون النتيجة أن أُقتل ويُقتل معي رجالي وأفراد أسرتي، وهو ما لا أتمناه. لذا كان عليَّ أن أحسم أمري، مقتنعاً أن أقل التضحيات هو أن يضحي الفرد لحماية الجماعة، وقلت في نفسي، أن واجبي تجاه هؤلاء الرجال الذين أبدوا استعدادهم لحمايتي والقتال إلى جانبي، أن أعمل أنا الآخر كل شيء من أجل حمايتهم وأن أضحي في سبيل سلامتهم وسلامة أفراد أسرتي.

وبقرار حاسم طلبت من رجالي أن يفتحوا الطريق لي ففعلوا. كان بيدي اليمنى مسدس "أبو عجلة" مضغوط المهماز إلى آخر درجة، وفي اليد الأخرى قنبلة تعمدت نزع حلقتها أمام رجالي وأنا أقول لهم: إذا سمعتم انفجار هذه القنبلة فأعرفوا أن رفاق الأمس لم يتركوا لي أي خيار آخر، إلاّ خيار الموت، لكن هذه المرة أنا وهم معاً للأسف، وعند ذلك ينتهي دور من جاء لحمايتي والقتال معي، وأن عليهم بعد ذلك العودة إلى بيوتهم، إلاّ من رأى منهم أن نتيجة الحرب تهمه وأنه سيواصل القتال فهذا شأنه، وطلبت منهم أيضاً أن يعملوا على ترحيل الأسرة والأولاد إلى الريف.

فوجئ المكلفون بنقلي إلى مكتب طيران اليمدا بخروجي بالمسدس وبقنبلة منزوعة الخرصة، لا يمنعها من الانفجار سوى قدرة يدي اليسرى على إحكام القبضة عليها. كنت بعملي هذا قد خلقت حالة من السيطرة على الموقف، وكان على من حولي أن يتصرفون بحذر وهدوء. وما أن وقفت بنا السيارة أمام مبنى اليمدا حتى طلبت منهم أن يرافقوني خطوة بخطوة إلى أن نقابل سليمان ناصر وعوض الجحما. هناك دخلنا المكتب سوياً، لم يكن سليمان ناصر موجوداً، لكن عوض الجحما كان قاعداً على الكرسي وراء طاولة المكتب يتحدث مع محمد باشماخ وعوض ناصر مدير إدارة الخضار والفواكه ومعهم مدير اليمدا، وهناك بجانب طاولة الجحما يستند على الجدار قنَّاص تشيكي جديد، ما تزال بقايا الزيوت باديةً عليه.

دخولنا المفاجئ جميعا عليهم جعل عوض الجحما يصيح بتلقائية مخاطباً المرافقين لي: لماذا حضرتم إلى هنا، لماذا لم تأخذوه إلى طارق ؟. فأخبروه بوجود عدد كبير من المقاتلين في منزلي وأن المتارس مشيدة حول وفوق البيت، وأن هذه المظاهر المسلحة تقلقهم. ولهذا سألني عوض الجحما عن موقفي ومن معي من

الرجال، مؤكداً أن ما يحصل الآن يستدعي تحديد مواقف واضحة" وهنا تذكرت جاعم وذات السؤال ".

أخبرته بأنني لم أطمع يوما بأي منصب في السلطة العليا، وهذا ما جعل ويجعل مواقفي دائماً لنصرة وخدمة المبادئ والأهداف التي من أجلها حملنا السلاح أنا وأنت وباشماخ ضد الاستعمار، وساهمنا في بناء دولة النظام والقانون، فإن كان ما يحصل اليوم هو في خدمة المبادئ والتطلعات التي استشهد رفاقنا من أجلها، وهدفها الحفاظ على من تبقى من القيادات التاريخية فسأكون في المقدمة، أما إذا كان ما يحدث الآن على العكس من ذلك فأنا ومن معي ضد من لا يخدم أهداف الثورة.

كان الحديث في طريقه للتوتر، لولا تدخل الأخ محمد باشماخ الذي أخذ يعرّف الحاضرين بتاريخي في الكفاح المسلح وبعلاقتي النضالية فيه. ومن جانبه أكد عوض الجحما أيضاً ما قاله باشماخ وأضاف بأن علي ناصر محمد ومحمد علي أحمد وسليمان ناصر محمد ومحمد ناصر جابر والكثيرين يكنون لي كل التقدير والاحترام. فقاطعه طرموم قائلاً: إذا أنتم تحترمون صالح مرة، أنا أحترمه ألف مرة. عبّرت لهم عن سروري في أن الثقة ما تزال موجودة بيننا، وطلبت أن يصرفوا لي ولرجالي سلاحاً وذخيرة، موضحاً أنه ليس من العدل أن يكون سلاحي في مثل هذه الظروف مسدساً بست طلقات رصاص وقنبلة منزوعة الخرصة، بينما سيارات النقل "نيسان" محملة بالأسلحة واقفة بجوار مكتب اليمدا.

اعتذر عوض الجحما عن تلبية طلبي مبرراً أنه قد استلم أوامر من جهات عليا بأسماء من ينبغي أن تُوزع عليهم الأسلحة، ولكن سيمنحني رسالة إلى سليمان ناصر في مكتب قيادة الشرطة - طارق ليصرف لي طلبي. شكرته على ذلك مؤكدا له أن علاقة متميزة تربطني بسليمان ناصر وأنه ليس هناك من حاجة لأي توصية، ولكن كما ترى الآن فإن هذا المسدس لن يفيدني كثيراً في مثل هذه الظروف.. وبينما أنا أتكلم حشرت المسدس بخاصرتي، وبخفة أخذت القناص الجديد وأنا أخاطب عوض الجحما قائلاً له: هذا ما سأحتاجه، وأظنكم لا ترضون عليَّ في العودة بعد هذا اللقاء الذي طلبتموني إليه دون سلاح، خاصة والثقة ما تزال موجودة. فقال عوض: أنا لا أملك غير هذا السلاح. قلت له: تحت تصرفك خارج المبنى ثلاث سيارات نيسان مليئة بالسلاح.. عند ذلك قال لي:"خُذه وبإمكانك الآن أن تعود إلى منزلك".

قبل خروجي طلبت ممن أحضروني إلى اليمدا أن يعيدوني إلى منزلي وبنفس السيارة، فحاول بعضهم الاعتذار بحجة ان منزلي قريب وبإمكاني أن أعود مشياً على الأقدام، فأزعجني ذلك كثيراً وأخرجني عن طوري، وقلت لهم جازما: إذا رفضتم مرافقتي فأنا لن أخرج ولن يخرج أحد من هذا المكتب. وحينها تدخل عوض الجحما بصوت غاضب قائلا لهم: مثلما أحضرتموه إلى هنا عليكم إعادته.

بيني وبين السلاح علاقة حب وعشق وتقدير لا يمكن لي وصفها أو التعبير عنها، فظروف حياتي وكفاحي جعلت للسلاح مكانة خاصة في قلبي، بل وأصبح رفيقي الدائم الذي لم يخذلني أو أخذله يوماً. وكنت لا أتوانى في عمل كل ما هو ممكن ومقبول للحصول على النوعية الأفضل والأحدث منه، ولهذا كان حصولي على قناص جديد قد أسعدني كثيراً وخاصة في ظروف كهذه، لكن ما أن حملته بيدي اليمنى سرعان ما اكتشفت أن حصولي عليه بهذا الظرف والأسلوب لم يكن إلا بدافع العاطفة المشبَّعة بعشقي لكل جديد وفعال من السلاح وليس بالحكمة والعقل.

لقد وجدت نفسي محدود الحركة أكثر من ذي قبل، فالمسدس مغروس في خاصرتي ومسحوب الزناد إلى الدرجة القصوى، والقنبلة أنهكت يدي اليسرى، والآن أشغَلت يدي اليمنى بحمل القناص بحجمه الطويل. حينها شعرت بأنني قد خذلت السلاح لأول مرة، فهو لم يعد الآن أكثر من عصا. أوصلني نفس الأشخاص وبنفس السيارة إلى منزلي القريب من مبنى اليمدا، وهناك بحثت مع رجالي وأولادي عن حلقة القنبلة المفقودة في حديقة المنزل، وحين حصلنا عليها أعدتها إلى مكانها فأرحت يدي واسترحت.

تغيُّر مجرى سير الأحداث

كانت سيطرة مؤيدي علي عنتر على سلاح الدروع الذي تحرك بنفس الوقت، وكذلك عدد من الوحدات الأخرى وتعطيل مدرج المطار لمنع اقلاع الطيران الحربي الذي كان قائده مواليا لعلي ناصر، ونزول المقاتلين المسلحين من كل من الضالع وردفان ويافع والصبيحة إلى عدن واقتحام نقاط التفتيش بشكل انتحاري، كل ذلك أثّر في تعديل وتغيير موازين المعركة لصالح مؤيدي علي عنتر، ودارت خلالها مواجهات وتصفيات بطريقة دموية عنيفة.

حاولت الخروج حينها، لكن عدن جميعها كانت مقطعة إلى أوصال، بنقاط عسكرية من قبل مجاميع الرئيس علي ناصر، التي سيطرت على الوضع في

اللحظات الأولى، وبدأت عملية الاغتيالات والتصفيات الجسدية، حسب البطاقة الشخصية، التي توضح مكان الميلاد، وكان التركيز بالذات على كل من ينتمي إلى محافظة لحج، التي كانت تضم حينها الضالع، يافع ردفان، الصبيحة.

وفي مساء نفس اليوم وصلت مجاميع المقاتلين الناصرين لعلي عنتر، من محافظة لحج، وتمكنوا من اختراق كل النقاط العسكرية التابعة لمجاميع علي ناصر، في كل من دار سعد، المنصوره، جولة كالتكس في الشيخ عثمان، وجولة خورمكسر، وجولة المُعَلاّ، ووصلوا إلى مشارف التواهي، ثم توقفوا هناك بسبب الرمي المباغت عليهم، وقتل عدد منهم، مما أدى إلى تراجعهم وبقاءهم محاصرين في مقر كهرباء حجيف. وكانت قبائل علي ناصر قد أتت عبر البحر لتصل إلى القوى البحرية، وتدخل التواهي لتخوض معارك ضاريه هناك مع الشرطة العسكرية المرابطة في معسكر الفتح في التواهي، ومع كتيبة سلاح الدروع التي تمكنت من الدخول إلى منطقة التواهي، قادمة من منطقة صلاح الدين في البريقا بنفس اليوم، وتلك التي انتشرت أيضاً في خورمكسر.

في تلك اللحظات كنت على اتصال من منزلي بالقائد العسكري لسلاح المدرعات هيثم قاسم طاهر، الذي صار فيما بعد وزيراً للدفاع، وبارشيد نائب قائد سلاح الدروع، ومع محمد ناصر جابر الذي كان نائبا لوزير الداخلية، كان الموقف معقداً ومن الصعب علينا اتخاذ قرار في وقت كنا فيه مطوّقين في منزلي أنا ومجموعتي المكونة من ٣٠ مقاتلاً، فالمطار وكل الحي المجاور له تحت سيطرة مجموعة علي ناصر، بما في ذلك منزلي مما قيدّ حركتنا، لكنني في اليوم التالي اضطررت للخروج من الباب الخلفي للمنزل مع بعض زملائي المسلحين إلى بقالة الأخ عبد الله عبد الرحمن جارنا في السكن لشراء مواد غذائية، بعد أن نفد كل ما لدينا من مؤن غذائية، ولم يتبقَ لدينا ما نأكله.

في اليوم الثالث ونتيجة للحصار المطبق علينا، بسبب موقع منزلي بجانب المطار، طلبت من هيثم إرسال قوة عسكرية تساندنا، وفعلا تم إرسال عدد من الدبابات التي قطعت مُدرج المطار، لكن للأسف كان أول ما استهدفته تلك الدبابات ضرب العمارة الخشبية المجاورة لمنزلي مما أدى إلى احتراقها بالكامل، ثم استهدف منزلي بقذيفه دمرت جُزءاً من الطابق العلوي، ولحسن الحظ لم يُصب أحدٌ بأذى. وفي ذات الوقت كنّا نتبادل إطلاق النار مع من استهدفونا من القوة المتمركزة في اليمدا.

اتصلت بقيادة سلاح الدروع حتى يعطوا أوامر لمن في الدبابات لوقف استهداف منزلي ومنازل المواطنين الأبرياء، ففعلوا ولم تمر سوى نصف ساعه على المكالمة حتى انسحبت الدبابات. وعلمت فيما بعد أن ضرب العمارة الخشبية كان خطأ وأن الهدف كان ضرب مبنى مكتب اليمدا، كما وعدوا بأن يحققوا مع من استهدف منزلي وبأية أوامر. عندها صار الوضع غير آمن، ففي مثل هذه الظروف لا تدري من يستهدفك، ولأي سبب. فأدركت بأنه ليس من الحكمة أن نبقى بأعدادنا الكبيرة في منزل يسهل استهدافه.

في مساء اليوم الثالث تحركت أنا ومجموعتي التي تضاعف عددها بقدوم مجاميع كبيرة من أبناء يافع، أتذكر منهم المساعد الطبي عواس أحمد حسين، محمد عمر صالح، ناصر علوي، عبدالقوي صلاح خضر، عبدالعزيز صالح، عبد الحكيم احمد عبدالله، عبد المجيد عبيد حسين، فضل بن علي، محسن عبدالله الجحزري وحسين علوي علي، فاتجهنا نحو أحياء خور مكسر، وبحذر قمنا بعملية تمشيط داخل بعض تلك الأحياء التي كنا نشك بوجود قناصة فيها "استشهد من فرقتي في تلك المداهمات ناصر علوي الصلاحي -قرية الخلوه ".

تمكنا خلال عملية التمشيط من اعتقال ١٥ شخصاً من مجاميع علي ناصر، بين جندي وضابط، بجانب خزان المياه في حي السعادة، وبسبب عدم مقاومتهم لنا وتسليم أنفسهم أوصلناهم إلى المنصورة وتركناهم هناك ليذهب كل منهم إلى منزله حتى لا يتم إعدامهم من قبل آخرين على أساس مناطقي، لأن الوضع كان متوتراً جداً، وقد شاركنا فيما بعد باقتحام اليمدا و المطار وسوق الخضار والفواكه وتم إطلاق سراح المحتجزين في هذه المراكز والمواقع التي كانت بيد مجموعة علي ناصر.

في صباح اليوم الرابع اتصلت بالأخ علي صالح محمد، أحد ضباط الأمن، شقيق القيادي سالم صالح محمد عضو المكتب السياسي وسألته عن مصير أخيه، فأجابني بأنه تمكن من الخروج من قاعة المكتب السياسي هو ومجموعة من أعضاء المكتب السياسي وهم جار الله عمر والشامي وأحمد علي السلامي والمحافظ ناجي عثمان، وهم الآن في مدينة الشعب، أخذت رقم الهاتف وتمكنت من الاتصال بسالم صالح. بعدها تركت جزءاً من مجموعتي في منزلي، وتحركت إليهم وبصحبتي ما يقارب ٣٠ مقاتلاً لحمايتهم وإعادتهم إلى كريتر عدن ليتمكنوا من التواصل مع من تبقي حياً من القياديين، ولاستكمال السيطرة على المناطق التي ما زال الوضع فيها متفجرا، عُدت وإياهم، لكننا لم نستطع الدخول إلى منطقة كريتر، فمكثوا

في منزل سالم صالح في خور مكسر، وفي نفس اليوم اتصل بي قائد سلاح الدروع هيثم قاسم وطلب مني إرسال حراسة إلى منزله والبحث في كيفية نقل أسرته إلى منطقة صلاح الدين في البريقة، عندها توجهت إلى منزل هيثم مع مجموعة، أتذكر منهم الشيخ أحمد عبد الله عطبوش والفطيسي وشخص أسمه الداوودي وآخر من أهل امحيد لا أتذكر أسمه، وتحدثت مع هيثم من هاتف منزله قائلا له: سأرسل عائلتك ولكن مع مجموعة عائلات من القيادات العسكرية من الطرف الآخر من أجل سلامتهم وحماية أبناءهم ونساءهم من أي عمليات انتقامية، وسألته هل ستضمن لي سلامتهم. وافق على ذلك، ولهذا ذهبت إلى منزل الأخ محنف مدير شعبة الاستخبارات العسكرية وهناك التقيت بوالده لأخبره بأنه من أجل سلامتهم سأوفر لهم ولأسرة عِوَض الجحما وهيثم واحمد سيف وأي عائلات يعرفها باصاً لنقلهم إلى صلاح الدين تحت حمايتنا، وأن هيثم قد التزم بأنه في حال وصولهم مع أسرته سيوفر لهم كل الحماية. شكرني على هذا ووافق وقام بإشعار أسر من يعرفهم فتمت، تحت حمايتنا، عملية نقل عائلات المتصارعين على السلطة إلى منطقة صلاح الدين التي كانت منطقه آمنة.

في اليوم الخامس تمت السيطرة شبه الكاملة على عدن من قبل مجاميع علي عنتر، وطلب مني سالم صالح وسعيد صالح إجراء مقابلة مع التلفزيون كشاهد عيان على المجزرة التي رأيت آثارها في اليوم الثالث داخل قاعة المكتب السياسي باللجنة المركزية، تحدثت إلى التلفزيون وتم عرض ما كنّا قد صورناه لجثث الشهداء داخل القاعة وخارجها، بواسطة شخص يعمل في دائرة الاستخبارات العسكرية لديه كاميرا فيديو أخذناه من منزله للقيام حينها بالتصوير.

في اليوم السادس تقريبا جاء الأخ سليمان الكثيري "مدير مصنع الإسفنج" برفقة ابنه عمر وأخبرني بأن عدداً من المقاتلين من قوات علي ناصر من الساكنين بجواره قد لاذوا فيه وطلبوا مساعدته وحمايته، منهم من كان في منزله وبعضهم مختفين في مصنع الإسفنج بالدرين، لأن التصفيات أصبحت مناطقية وبدون محاكمة، وطلب مساعدتي لإخراجهم وضمان سلامتهم. وأخرجت من كان في منزله ومن كانوا بالمصنع وأوصلتهم إلى المناطق التي اختاروها ومنحتهم رسائل للعبور دون اعتراض لعدم مشاركتهم في أي عمل إجرامي.

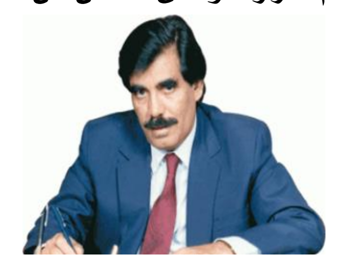
حقاً، كانت تلك الأحداث مأساوية وكارثة كبيرة، وقد قُطعت المياه والكهرباء على العاصمة عدن منذ اليوم الأول للمعارك، مما اضطر السكان إلى حفر آبار

بجانب البيوت ليستخرجوا الماء المالح ويشربوا منه، وظلوا على هذه الحالة ثلاثة أيام متواصلة، حتى وصلت الصهاريج المحملة بالمياه من منطقة الضالع التي كانت تتواجد فيها أعداد كثيرة من الشاحنات المجهزة بصهاريج المياه، لأن المواطنين يستخدمونها لنقل المياه من مكان إلى آخر لري أشجار القات. وكانت هذه الشاحنات الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت الحرج لإسعاف سكان مدينة عدن بمياه الشرب لأن خطوط المياه والخزانات كانت تقريبا شبه مدمرة من جراء الحرب.

نتائج المأساة..الدروس والعبر

انتهت الحرب بعد أن فقدنا أفضل القيادات والكوادر التي جرى تصفيتها بصورة انتقامية من الطرفين، فكان المنتصر خاسراً والمهزوم خاسراً مرتين، والشعب والوطن الضحية، وتعطّلت الحياة العامة بسبب تدمير البنية التحتية. وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس علي ناصر محمد وجماعته بعد هزيمتهم لجأوا إلى الجمهورية العربية اليمنية "الشمال"، إلى صنعاء ليبقوا هناك حتى يوم الوحدة. ولأننا لم نستوعب الدرس فقد دخلنا الوحدة مع الشمال قبل ان نتصالح مع إخواننا الذين تصارعنا معهم في ١٣ يناير، وهذا ما أضعفنا، فقد دخلنا الوحدة ممزقين مما سهل التهامنا بسهولة في الحرب التي شنها نظام صنعاء صيف ١٩٩٤م ضد الجنوب، ولهذا كان القادة العسكريون الجنوبيون الذين نزحوا إلى الشمال في أحداث ١٣ يناير وما وما قبلها على رأس القوات المهاجمة باتجاه الجنوب في تلك الحرب، وأولئك هم الذين تمكنوا من الدخول إلى عدن والضالع وحضرموت وشبوة ولحج وغيرها.

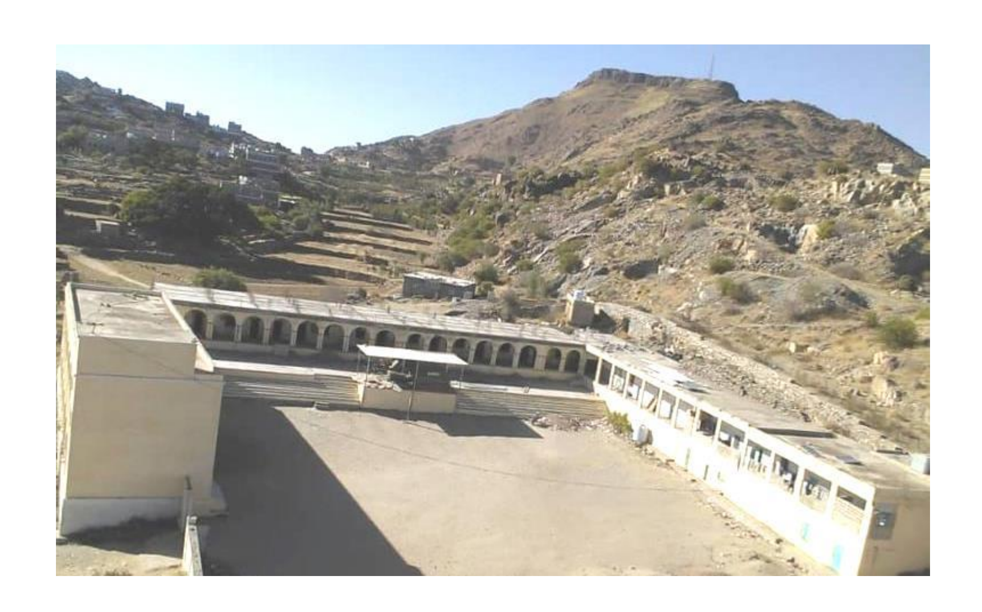
وها نحن اليوم ما زلنا نعاني وندفع الثمن جراء أخطائنا القاتلة.. احتلال.. ونهب.. وسلب.. وتشريد لأبناء الجنوب، ولم نتمكن بعد من توحيد صفوفنا بشكل مكتمل في إطار حراكنا السلمي المطالب باستعادة دولتنا حتى الآن، لذا أدعو أبناء الجنوب ان يتفقوا على كلمة سواء وان يأخذوا الدروس والعبر من مآسي الماضي المريرة لعدم تكرارها وحتى نتمكن من استعادة الحق والحرية والكرامة.



علي سالم البيض- الأمين العام للحزب
الأشتراكي اليمني بعد أحداث ١٣ يناير

الفصل الرابع

مرحلة البناء والعمل الاجتماعي



مدرسة الشهيد بدر – آل بن صلاح (القديمة والجديدة)



الفصل الرابع
مرحلة البناء والعمل الاجتماعي

بناء المدارس والمستشفيات وشق الطرقات وغيرها في يافع

١٥عاماً قضيتها مسئولاً عن حرس الحدود في منطقة الحد، يافع، المتاخمة لحدود الجمهورية العربية اليمنية، وخلال هذه السنوات لم أكن قائداً عسكريا فحسب، بل عضواً فاعلاً في القيادة المحلية للمنطقة، وتمكنت من تبني عدد من المشاريع الخدمية للمنطقة والبحث عن مصادر تمويل لتنفيذها، كما عملت على توفير مواد البناء وبعض المستلزمات، وبحكم تأثيري بين أوساط المواطنين تمكنت من إنجاز هذه المشاريع عن طريق المبادرات الجماهيرية، وكانت هذه الطريقة هي المثلى في إنجاز عدد من المشاريع لأبناء المنطقة، التي كنت اشرف عليها شخصياً، بل وفي معظم المبادرات كنت أشارك في العمل كواحد من أبناء المنطقة لأخلق فيهم روح الحماس وحب العمل، وقد تمكنا بالفعل من إنجاز عدد من المشاريع التي ما زالت شاهدة حتى الآن، ويمكننا هنا ان نستعرضها على النحو التالي:

١. تم بناء اربعة عشر مدرسة ابتدائية ومدرسة إعدادية مع قسم داخلي
٢. إنشاء ثلاث تعاونيات استهلاكية
٣. إنشاء تعاونية زراعية
٤. توفير عدد من المضخات والحراثات التي تم استخراجها كدعم من الدولة
٥. حفر عدةآبار الشرب وبناء خزانات المياه بمبادرات جماهيرية ودعم الدولة.
٦. متابعة اعتماد بناء مستشفى في منطقة بنى بكر في الحد، شُيد بدعم من دولة الكويت الشقيق.
٧. شق طريق لبعوس - الحد، من خلال توفير المواد والآلات وحشد المواطنين للعمل الطوعي من خلال المبادرات الجماهيرية
٨. التبني والبحث عن مصادر التمويل والإشراف على شق الطريق من جعار في أبين إلى منطقة لبعوس في يافع تلك التي أوردنا تفاصيلها سلفاً في هذا الكتاب.

كيف وفقّنا بين المهام العسكرية والمدنية

بعد تعييني مسئولاً في مركز الحد، بصِفَتَيْن عسكرية ومدنية، كانت ضمن أولى اهتماماتي مهمة استكمال الطريق الرئيسي التي تربط مركز لبعوس مع مركز الحد و شق الطرق الفرعية حتى تصل إلى القرى المختلفة، لأنها بحق عَصَب الحياة التي تسهل حياة البشر الاقتصادية والاجتماعية، ويتحقق بوجودها فك العزلة عن القرى النائية وساكنيها وذلك بتأمين نقل الأشخاص ونقل البضائع، وبسبب خصوصية المنطقة الأمنية باعتبارها منطقة حدودية فأن لتعبيد الطريق أهمية عسكرية تتمثل بتسهيل نقل الجنود والسلاح.

إن من عاش الثلاثة العقود التي سبقت مرحلة الاستقلال الوطني مثلي، وعانى مشاق وخطورة السّفر مشياً على الأقدام لأيام متواصلة من جبال يافع إلى مدينة عدن ذهاباً وإياباً لعشرات المرات، وكنا خلالها ننقل البضائع، التي لا نستطيع حملها على ظهورنا واكتافنا، على ظهور الدواب والجمال من عدن إلى يافع فندفع أجرة نقلها بمبالغ تفوق القيمة المالية للسلع الغذائية والاستهلاكية أوالهدايا أوبعض مواد البناء.

لقد عانيت وعانى مثلي الناس من الرجال والنساء من التعب الذي يصعب علينا وصفه، وواجهنا متاعب واخطار نقل مواد البناء كالأخشاب الطويلة والثقيلة التي كنا عادة نحملها مع عدد من الرجال على أكتافنا ونسير بها في المنحدرات الخطره والطرق الجبلية الملتوية والوعرة التي لا تستطع الدواب والجمال السير فيها بأحمالها بسلام، وكنا ننقل المصابين أو المرضى في نقالات خشبية معتمدين على سواعدنا لعشرات الأميال، وهذه الظروف الصعبة التي عشتها بنفسي هي سر حماسي الكبير في السعي الحثيث والمساهمة الفاعلة في شق طرق السيارات ابتداءاً بطريق السيلة البيضاء التي اسلفت الحديث عنها وانتهاءً بربط الطريق العامة بالطرق الداخلية لمنطقة يافع والحد.

كانت طموحاتنا كمسئولين في المنطقة تفوق كثيراً إمكانيات الدولة الفتية، وكنا نسابق الزمن في كل شيء، ونتسابق فيما بيننا في تقديم الأفكار والخطط الهادفة إلى جدولة إنشاء المشاريع الحيوية وفقاً لأهميتهما، فنتنافس فيما بيننا في المديرية، ثم نتنافس مع مسئولي المديريات الأخرى وذلك بتقديم جرد سنوي لما أنجزناه من الأعمال والمشاريع الحيوية نرفعه إلى اللجنة القيادية في المحافظة ونبين فيه عدد وحجم المشاريع التي تم تنفيذه،ا وهذا التنافس لا يقتصر على المديريات بل يتعداه إلى المحافظات.

تعلمنا حينها بأن علينا عدم السكون أو الانتظار حتى يتم الموافقة على الاعتماد المالي من قبل الدولة لتنفيذ ما ينقص المديرية من مشاريع حيوية، بل علينا الحركة والمتابعة الدائمة للحصول حتى على اعتمادات جزئية من الدولة، ثم نطالب أبناء المنطقة المستفيدين مباشرة من ذلك المشروع في تقديم مايستطيعون تقديمة، اي كنا نعتمد على إرادة الجماهير ودرجة حماسهم وإمكانياتهم في المساهمة سواء بالمال والمواد اللازمة لتنفيذ المشاريع وكذا تقديم العمل التطوعي الهادف وغير المشروط.

كانت (الحد) حينها منطقة معزولة لم تصلها بعد طرق السيارات، ولهذا كان توصيل طريق السيارات من لبعوس إلى الحد، عبر جبلي حبة والعر في قائمة المشاريع الحيوية للمنطقة. وكنا في المشاريع التي لم تشملها الموازنة الاقتصادية العامة للخطه الخمسية نسعى نحن جاهدين للحصول عليها معتمدين على إمكانياتنا وقدراتنا وفي تحرك المسئولين لإقناع من هم في مركز القرار في قيادة الدولة في العاصمة عدن بصحة وأهمية المشروع وتقديم ما يلزم من البيانات والحجج التي تؤكد ذلك.

وكما أسلفت كان الرئيس سالمين قد تعهد لنا بالدعم في أي شي يسهل نجاحنا في عملنا العسكري والأمني، وهكذا في الحالات التي لم أتوفق في إقناع أي من الوزراء في العاصمة أو مسئولي المحافظة في الحصول على الدعم في أي من المشاريع الهامة والملحة كنت أطلبٍ من الرئيس سالمين التدخّل لإقناع الجهة المختصة في تبني ذلك المشروع أو جزءاً منه.

لازلت أتذكر أحد لقاءاتي مع سالمين من أجل الحصول على مواد بناء لإحدى مدارس الحد، أخبرته كيف ان الوزير المعني رفض الطلب تحت ذريعة أنها لا توجد أية اعتمادات مالية لذلك المشروع وأنها لم تشمله ميزانية الوزارة للخطه الخمسية الحاليّة، وأخبرته ان عودتي دون حصولي على ذلك الطلب المتواضع سيسبب لي الكثير من الاحراج أمام أبناء المنطقة فقد تعهدت لهم بدعم الدولة لهذا المشروع في مواد البناء اللازمة لتنفيذه من إسمنت وأخشاب وحديد، وبالصدفة كان علي ناصر محمد، رئيس الوزراء، حاضراً معنا في هذا اللقاء.

كتب الرئيس أمراً لصرف مواد البناء اللازمة، وقال لرئيس الوزراء علي ناصر محمد أرجو أن تتعهد لي بأن لا ترد لصالح فاضل أي طلب، وأن تطلب من وزرائك أن يدركوا ظروف المنطقة التي يعمل فيها، وأن عليهم أن يقدّروا بأننا مُدينين لمن

هم في الجبهات الأمامية، وأنه إذا علينا ان ننصف هذا الإنسان فرصيده النضالي يفوق رصيد الكثير من الوزراء والقيادات العسكرية وأن موقعه الطبيعي معنا هنا في عدن في قيادة الأجهزة الأمنية والعسكرية.

كان كلامه هذا قد أثلج صدري، فأنا لا أرغب أن أتردد على الرئيس سالمين في كل صغيرة وكبيرة من الطلبات، وقد تعهد علي ناصر لسالمين بأنه سيسهل لي الحصول على بعض الاعتمادات التي من شانها ان تدعم أساس استقرار المواطنين وترفع من درجة رضاهم على أداء الدولة. وهنا ومن أجل الإنصاف أعترف أن علي ناصر كان وفياً فيما تعهد به وسهَّل لنا كل الطلبات التي لجأنا فيها إليه فيها، حتى بعد استشهاد الرئيس سالمين.

بدأنا العمل في شق الطريق التي تربط مركز لبعوس بمركز الحد، وهنا أتذكر بكل تقدير موقف الأخ حسين عبدالرحمن السلفي الذي كان مسئول الطرقات والاشغال العامة في المحافظة الثالثة والذي سهل مهمتنا وساهم بتقديم دعم استثنائي لتحقيق ذلك الهدف، تمثل بتفريغ عدد من المهندسين وعمال شق الطرقات بشكل استثنائي، وهم من اسهموا بفعالية في تخطيط مشروع الطريق وتنفيذ العمل ودعمنا أيضاً بمكينة شق الطرقات D8 وكمبريشن، وكان تفريغهم للعمل في المديرية لفترة محددة، لارتباطهم بمهام أخرى خارج المديرية لتنفيذ مشاريع تم اعتمادها من قبل.

ومن جانبنا وبسبب ظروفنا وظروف موسسة الأشغال العامة المادية المحدودة التزمنا بتموين مهندسي وعمال الطرقات بما يحتاجونه مِن المواد الغذائية، أي أننا كنّا نتقاسم حصة القوة العسكرية من المواد الغذائية مع المتفرغين للعمل في شق الطرقات، وهذا فرض علينا التقنين والتقشف، ومن أجل تسريع العمل ودفع أجرة العمال الإضافيين كنا نحصل أيضاً على دعم من الاتحاد اليافعي ومن المواطنيين الميسورين من أبناء المنطقة، كما حصلنا على قطع غيار المكائن والمعدات من المغتربين في دولة الكويت.

أتذكر كيف افتقر فريق العمل للديناميت وكبسولات التفجير الضرورية لتسهل وتسريع عملهم، وكان الانتظار سيطول حتى نحصل عليها من وزارة الأشغال العامة والطرقات، فطلبنا من المواطنيين التبرع بمالديهم، وتبرع الكثيرون وأتذكر أن عبدالله سالم الضيآني أكرمنا بكمية كبيرة من كبسولات التفجير.

ولاننا لا نملك المال اللزم، لكننا نملك السلاح والذخيرة لهذا تعهدت لفريق العمل بأنهم إذاجدّوا في عملهم وأكملوا ما تم تخطيطة في الزمن المحدد لهم

فسنكرِّم كل فرد منهم ببندقية مع الذخيرة، وهذا ما تم فعلا بعد أن استكملوا وانجزوا العمل المحدد لهم وفي الوقت المحدد.

وهكذا تم بعون من الله وبجهود الجماهير المتمثل في العمل الطوعي والهادف والمنظم شق الطريق الرئيسي التي تربط لبعوس بالحد وإيصالها إلى صبر وإلى بني بكر وخلاقة وإلى وادي حطيب عبر المحاجي. وفيما بعد تكفل عبدالله علي قاسم سكرتير منظمة الحزب بالحد وموسى محمد الخضيري(المناضل) وآخرين بمواصلة شق الطريق من حطيب إلى ريو.

لقد تعمدت إطلاق لقب (المناضل) على موسى الخضيري لأننا أتذكر حضوره دون طلب منا من منطقة مسقط رأسه ريو إلى جبهة المطلع في ١٤ مايو ١٩٦٧م في الزمن الصعب والحرج، أي الزمن الذي فيه تخلى عنا البعض بسبب المواجهة غير المتكافئة مع الجيش، وعند انسحابنا إلى مدينة جعار عرَّفته على سالمين والحاضرين من القيادة وقدمته كنموذج للمناضلين الصادقين. كنت قد تعمدت اشهار موقفه المشرف أمامهم، خاصة وأن الغضب قد سيطر علينا ونحن ننسحب حينها، وبحضور موسى قدَّمت لسالمين مقارنة بين صدق ووفاء هذا الإنسان الذي جاء من جبال يافع وقطع عشرات الأميال في طرق جبلية مشياً على الأقدام وهو يحمل سلاحه وذخيرتة ومستعد للمقاومة معنا والموت معنا، وبين بعض من كنا نثق بهم لزمن طويل، لكنهم خذلونا في ساعات المواجهة الحقيقية،ومنهم من تجرأوا وسلموا ماكانت تحتويه خزينة سلاح القوات الشعبية في (القرو) للقوى المؤازرة للجيش فأضعفوا موقفنا كثيراً وأصبحنا لا نعرف هل سنواجه الجبهة الأمامية أم الخلفية.

في الحروب وفي لحظات مواجهة العدو في الجبهة الأمامية، ليس هناك ما هو أكثر إيلاماً من اكتشاف أن الأرض من خلفك غير مؤمنة فيسحقك الشعور بالخذلان. والمؤلم أن من اسهموا في خلق تلك الظروف هم من كنت تثق بهم وبأنهم يشاركونك القناعات والهدف. حينها لا تعرف هل ستقتلك رصاصات المواجهة المتوقعة من الإمام، أم رصاصات الغدر من الخلف، وفي مثل هذا الظرف الحرج ياتينا هذا الإنسان وأمثاله من المناضلين يشاركوننا المحنة والألم دون حتى أن نرسل في طلبهم، ومن تلك اللحظة أطلقت عليه صفة (المناضل).

بناء التعاونيات الاستهلاكية والزراعية

في الفترة الممتدة من مايو ١٩٦٨ حتى يونيو ١٩٦٩ وبسبب ظروفنا المادية الصعبة وحاجتنا للغذاء والدواء والسلاح كُنّا نعتمد بشكل أساسي على ما نحصل عليه من جمع التبرعات المالية من الناس، ولهذا الغرض كنت انا أحد المكلفين بجمع التبرعات المالية من أبناء منطقة يافع. وفي الضالع وجدنا أيضاً تجاوباً من علي عنتر وعلي شائع وأحمد صالح عبده وقائد مثيني والقائمين على إدارة التعاونية الدعم السخي والدائم من تعاونية الضالع بما نحتاجه من المواد الغذائية، وهذا وثق علاقتنا أكثر بالمسئولين على إدارة التعاونية، وللاستفادة من تجربتهم المتقدمة قدموا لنا سرداً تفصيلياً عن ظروف ومراحل إنشائهم التعاونية الاستهلاكية وخطوات تأسيسها وتنوع الخدمات التي تقدمها للمواطنين ودرجة نجاحها تجارياً وتوظيف ما تجنية من أرباح في تطوير نفسها والتخطيط لفتح فروع جديدة لها وتنويع مجالات خدماتها للناس.

وكنا نسأل أنفسنا لماذا لا ننقل تلك التجربة الناجحة إلى منطقة يافع، فظروف منطقة يافع الريفية لا تختلف عن منطقة الضالع، بل أن المساحة الجغرافية والكثافة السكانية لمنطقة يافع تفوق كثيراً منطقة الضالع، وهذا يعد عاملاً إيجابياً وحفزنا أكثر لتبني تلك الفكرة وفيه ضمانة لنجاح تلك التجربة.

استوضحنا أكثر، نحن أبناء منطقة يافع، من مسئولي تعاونية الضالع ومؤسسيها عن التفاصيل الدقيقة التي تعيننا لنقل تلك التجربة إلى منطقة يافع. وما أن عدنا إلى يافع -لبعوس مع القيادي محمد صالح مطيع وكنت برفقته مع حسين عبدالحبيب وآخرين حتى بدأنا نحفز الناس ونوضح لهم منافع تأسيس تعاونية استهلاكية يملكها المساهمون من المواطنين في شراء أسهمها، وكنا ننقل لهم تفاصيل نجاح تجربة تعاونية الضالع، وأيضاً تجربتنا الأولى في إنشاء موسسة المحروقات في جعار في الفتره التي سبقت نزوحنا إلى الجبال والتي كان يديرها عبدالرب علي السلفي.

وتعبيراً عن قناعتي بالفكرة، أقنعت أخي الأكبر قاسم أن نشتري حينها ٦٠ سهماً، رغم ظروفنا المادية الصعبة، حتى نقدم النموذج ونحفز بقية الناس لشراء المزيد من الأسهم. وفعلاً حدث تجاوبٌ منقطع النظير من المواطنين، وتم تأسيس تعاونية يافع للمحروقات، كما سُميت في البدء، ثم تطورت لاحقاً إلى تعاونية يافع الاستهلاكية وشارك في ترأس إدارتها وتطويرها وفتح فروع لها محمد بن محمد الرشيدي. كما جرى نقل فكرة إنشاء التعاونية الاستهلاكية إلى مركز "رُصُد"

بواسطة حسين قماطة ومحمد علي القيرحي وحسين ناجي محمد وتم تأسيس التعاونية الاستهلاكية في مركز "رُصُد".

وعلى غِرَار تلك النجاحات ظلت فكرة فتح تعاونية استهلاكية للمواد الغذائية والمحروقات في مركز الحد هاجساً يراودني. وأثناء فترة عملي هناك ساهمت مع المسئولين الآخرين في الترويج لأهمية تأسيس وبناء تلك المؤسسة استعدادنا كمسئولين في المنطقة لمتابعة قيادة الدولة والوزارات المختصة في تقديم العون المادي والمساعدة في تحويل فكرة إنشاء التعاونية الاستهلاكية إلى واقع يجسد بإنشائها العمل المؤسسي المبني على الأسهم.

وفعلاً لقيت تلك الفكرة إقبالاً وترحيباً كبيرين من قبل المواطنين والمغتربين في منطقة الحد، ونجحنا أولاً في تأسيس تعاونية استهلاكية في بني بكر، وأتذكر أن أول من ساهم في ادارتها هو صالح عبدالله الحاج الخلاقي والذي عين رسمياً مديراً للتعاونية، ثم تتإلى بعدها فتح فروع لها في حصن ابن زعلي وفي قطنان الشيوحي ولاحقا في خلاقة، وكذا فروع الوقود والمحروقات التابعة لها في بني بكر وأخرى في حصن ابن زعلي. وهنا علينا الإشارة إلى أنه في فترة تأسيس تلك التعاونيات تم الاستفادة من خبرات الإداريين في التعاونية الاستهلاكية "الام "في لبعوس.

وفي الجانب الزراعي ورغم محدودية مساحات الأرض الزراعية، مقارنةً بمنطقتي لحج وأبين، إلاّ أننا سعينا لنقل تجربة التعاونيات الزراعية وذلك با نشاء تعاونية زراعية مصغرة في منطقة الفيض وتم استصلاح أرض زراعية تابعه للتعاونية.

نموذج من تشجيع الدولة للعمل التعاوني الطوعي

كثيرة هي النماذج التي بإمكاني أن أكتب عنها، لكن هنا سأقدم نموذجاً واحداً ما يزال الناس حتى يومنا هذا ينتفعون به..

حاول أبناء مدينة بني بكر، عاصمة مركز الحد، ترميم وتعميق أحد الآبارالرئيسيّة (بير المجهلة) والتي لغزارتها ووفرة مياهها في كل فصول السنة جعلت الكثير من الأسر يعتمدون عليها في ري الأراضي الزراعية المحيطة بها، وفي الحصول على مياه الشرب النقية لجزء كبير من سُكان المدينة،إلاّ أن الزمن وعوامل التعرية قد أصابت جدران البئر الحجرية القديمة بالتصدع والتشقق،

وبدأت شيئاً فشياً تتساقط جدرانها وارتدم جزءٌ منها، وبسبب ذلك شحت المياه، وحدث هذا بعد أن زادت أعداد المعتمدين عليها كمصدر رئيسي للحصول على ماء الشرب، فضلاً عن ازدياد العدد السكاني للمدينة وأيضاً احتواء المدينة على مكاتب إدارات مركز الحد المدنية منها والعسكرية.

في البدء حاول المنتفعون المباشرون منها العمل على توسيع وتعميق وصيانة البئر معتمدين على العمل الطوعي المنظم والمترافق مع الدعم المالي من المقتربين من أبناء المدينة. لكن وبسبب شحة الإمكانيات وقلة الخبرة لم يتمكنوا من إتقان واستكمال العم،ل ولهذا لم تمر الاّ فتره وجيزة حتى تهاوت بعض جدرانها وارتدم الجزء الأكبر من البئر بالحجارة والتراب، وتسبَّب ذلك تضرر المعتمدون على مياه البئر للشرب وكذلك ملاك الأراضي الزراعية المحيطة بالبئر والتي تعتمد كلياً في ريها على ماء البئر. فأتتنا شكاوي المواطنين المعتمدين عليها سواء للحصول على ماء ألشرب أو الري.

في نهاية عام ١٩٧٨م زارنا جاعم صالح محمد عضو المكتب السياسي والمسئول التنظيمي الأول للمحافظة للقاء بلجنة المديرية وأعضاء التنظيم أولاً في المديرية، ثم بعدها نزلنا سوياً إلى مركز الحد. كانت تربطني فيه علاقات نضالية مميزة امتداداً لعلاقتي بسالمين، وهنا ومن أجل الإنصاف كان يعتبر من أفضل العقول السياسية والاقتصادية والإدارية، وكان يعتبر الشخصية المهابة على مستوى المحافظة لموروثة النضالي ونظافة يده وسلوكياته، مع تميزه بالبساطة والتواضع في تعاملة اليومي مع الناس فأحبه بسطاء الناس وإعضاء التنظيم، وهابه المزايدون والمتقاعسون عن العمل.

عرفناه في الاجتماعات التنظيمية بأنه قوي المنطق والحجة، وعلى الواقع كان يواجه باقتدار وبجراءة نادرة وحسم الأعمال أوالسلوكيات غير السوية التي كان البعض منا يمارسها، أو التي تحمل في جوهرها روح المزايدة على الواقع وعلى النّاس باسم التوجه الأيديولوجي، وخاصة تلك التي تخلق حالة من التصنيف والتمييز بين المواطنين. وكان يحب العمل ويشجع العاملين ويحث على المشاركة الواسعة للناس في تنفيذ المشاريع الحيوية.

بعد ان اكمل اللقاءات الرسمية بقيادة المديرية والمركز وقيادة التنظيم طلبت منه النزول في جولة ميدانية في بعض قرى الحد حتى نعرفه على المشاريع الكثيرة والهامة والملحة التي تم تنفيذها بجهود المواطنين ومن الأموال التي جمعها المغتربون من أبناء المنطقة. وأثنيت حينها على دور المغتربين، لأن هناك من

المسئولين بيننا من كان يشكك بإخلاص المهاجرين من أبناء الوطن تجاه وطنهم وأهلهم ويتهمونهم بأنهم يخدمون أوطان أعداء توجهنا السياسي والأيديولوجي، وعند ما تتم مواجهتهم لإيقاف وتيرة شطحاتهم الفكرية لم يتورعوا في الإشارة إلى ان قناعاتهم غير الواقعية تلك، إنما يستمدونها من قناعات القيادة السياسية للدولة.

انهم لايريدون أن يستوعبوا ان الوطن والحنين إليه تضل متأصلة في كيان الإنسان مهما بعد عن الوطن، وأن شحة موارد الوطن ومايترتب عنها من حياه تسحقها الظروف المعيشية الصعبة هي من فرضت على بعضهم ان يهيمون في قارات وبلدان الأرض بحثاً عن مصدر رزق شريف، فيكدون ويكدحون حتى يؤمِّنُون ليس فقط الحياة الكريمة لأسرهم المعتمدة عليهم، ولكن أيضاً يقومون بواجباتهم تجاه الوطن من خلال دعمهم للمشاريع الحيوية.

كان جاعم صالح على اطلاع بكل تفاصيل وخلفيات الخلاف الدقيقة التي كانت تحدث هنا وهناك بيننا كمسئولين تنظيمين وحزبيين وعسكريين في يافع. لهذا علّق على كلامي هذا وأمام مرافقينا من المسئولين بالتعبير عن سروره لما يقدمه المهاجرون من دعم، وأكد على أهمية ان نشرك ونشجع المهاجرين في المساهمة في تحويل العملة الصعبة التي ما احوج دولتنا الفتية إليها، وكذا المال الذي يساعدنا في تنفيذ المشاريع العامة التي كان المواطنون بحاجة ماسة لتنفيذها.

مشروع مياه بني بكر

ثم أخبرته بأن هناك مشاريع لا يمكن تأجيلها أو الانتظار حتى اعتمادها في الخطة الخمسية، لأنها صغيرة وآنية، ونظراً لأهميتها تم البدء بتنفيذها بتوجية من المسئولين المحليين وبقناعة المواطنين، لكن بعض تلك المشاريع لم يتم استكمالها بسبب شحة الإمكانيات المادية وقلة الخبرة. وبغية اطلاعه على نموذج منها رافقته في زيارة إلى تلك البئر(المُجهلة) التي توقف العمل فيها بسبب شحة الإمكانيات، وطلبت منه مساعدتنا في تفريغ مهندسين وعمال من دلتا أبين من المتخصصين في حفر وصيانة الآبار، وأن يدعمنا أيضاً بالحديد والاسمنت وبمضخه ارتوازية حتى يستفيد منها أبناء مدينة بني بكر.

لحظتها منحني رسالة إلى مدير دلتا أبين وقال وهو يضحك:" هذا كل ما استطيع ان اقدمة وأحققه من قائمة طلباتك أما المكينة الارتوازية ومواد البناء عليك ان تطلبهن مباشرة من صاحبك وأنت لست بحاجة لتوصية مني".

هناك.. في أبين حصلت من مدير الدلتا الموافقة على تفريغ فريق متخصص في حفر وبناء الآبار، وكان على رأس الفريق أحد المهندسين من أبناء منطقة الحد من حصن ابن زعلي، وكان مستقراً واسرتة في منطقة أبين ويعمل في دلتا أبين. كما سهل الرئيس سالمين حصولنا على الإسمنت والحديد والمكينة الارتوازية قوة "٢٤حصان"، وفعلاً تم وبمشاركة المواطنين لفريق المهندسين والعمال تعميق وتوسيع قطر البئر وبناء جدرانها باستخدام البناء المسلح وبالحديد.

وبدعم من المهاجرين والمواطنين تم تنفيذ المرحلة الثانية من المشروع المتمثلة ببناء الخزان الرئيسي في إحدى البقع المرتفعة في رأس المدينة في بقعه تسمى "الضاحة" وتم تشييده بالحجارة المدعمة بالإسمنت ومن أجل توصيل الماء إلى الخزان تم ربط مضخة البئر بالخزان بواسطة انابيب طويلة وواسعة، وتم ذلك بمقاولة عبدالرحمن حسين علوي وصالح حسين علوي. ومن الخزان الرئيسي تم مد الأنابيب الفرعية إلى الحارات المختلفة لمدينة بني بكر وتنتهي بصنابير مياه. وهذا المشروع "مشروع مياه بني بكر" وأن كان بسيطاً، وأخذ زمناً طويلاً لاستكماله، إلاّ أنه عكس نجاح العمل الجماعي الهادف إلى تحسين وتسهيل الخدمة للمواطنين، وسهل هذا الإنجاز كثيراً على الاسر الحصول على الماء باتعاب وجهود أقل من الماضي.

أتذكر من المساهمين في الإشراف المباشر على هذا المشروع أو المساهمين في تحصيل تبرعات من المغتربين كل من: بوبك بن حسن (مدير البلدية)، صالح عبدالقادر البكري، عبدالله عزالدين، محسن عبدالله سَرَا، محمد أحمد النجار، وآخرين لم تسعفني الذاكرة في ذكر أسمائهم.

وأؤكد بأن النجاح في تنفيذ المشاريع العديدة والمتنوعة التي تم تنفيذها في المديرية بشكل عام، ومركز الحد بشكل خاص، لم يكن فقط بسبب دعم الدولة الكامل أو الجزئي أوتشجيعها، ولكن القسط الأكبر في ذلك يعود إلى تكاتف وتشجيع كل المسئولين في المديرية والمركز لتنفيذ تلك المشاريع والدعم السخي من ميسوري الحال والمغتربين، والأهم من كل ذلك هو المشاركة الفاعلة للمواطنين في كل الأعمال الطوعية المنظمة والهادفه إلى استقرار الناس وتطوير حياتهم.

بناء المدارس

لم يقتصر عملنا على بناء المعسكرات والمراكز العسكرية في مناطق الحدود الجنوبية: لبعوس، العر، بني بكر، الحضارم، صبر، ورفع الجاهزية والقدرات الدفاعية لأفرادها ولكننا أيضاً استطعنا بأسلوب مدني وحضاري مد جسور الثقة إلى المناطق الحدودية الشمالية، وذلك من خلال التواصل وتنظيم لقاءات خاصة وسرية مع العناصر المؤثرة هناك في مناطقهم، مؤكدين لهم بأننا نمد أيدينا إليهم في أن نعيش معهم في وئام وسلام وإننا نحترم إرادتهم ويربطنا بهم الدِّين والأخوة والصهارة والأرض الحدودية المتداخلة وأنه لايوجد لدينا أعداء منهم، عدا المخربين والقتلة، مع التاكيد على حقيقة أن السكوت عن الباطل أي كان مصدره هو سلوك باطل.

وبينا لهم بأن المخربين يعبرون أرضهم بين حين وآخر، ذهاباً واياباً، أو يستهدفوننا من مناطقهم، وحتى لا تتحول مناطقهم ومناطقنا الحدودية المتجاورة إلى ساحات حرب عليهم أن يساهموا في الحفاظ على استتاب الأمن والاستقرار، وأن ذلك لن يتم إلى بمشاركتهم الصادقة في حماية حدودهم القبلية من انتهاكات ومحاولات أعداء استقرارنا واستقرارهم، وأن عليهم مسئولية منع تلك العناصر الهادفة إلى زعزعة الأمن في الأراضي الجنوبية من عبور قراهم وحدودهم القبلية، وفي حالة عدم اكتراث المخربين لرغباتهم فأن عليهم فقط إبلاغنا عن تحركاتهم ونشاطاتهم ونحن من سنوقفهم عند حدهم ونعلمهم دروساً لن ينسوها في عواقب انتهاك أرضي الآخرين دون وجه حق.

ومن أجل إثبات اننا لسنا عساكر فقط، جُل همنا هو حمل السلاح واتقان استخدامة لتحقيق الإنتصارات، وأن جوهرنا وحقيقتنا بشرٌ مثلهم نميز الحق ونرفض الباطل، وأن في عقولنا وقلوبنا يسكن الحنين للحياة المدنية ونملك حسن النوايا وأصدقها، وأن كلما نطمح إليه من أجل استقرار أرضنا وتحسين حياة أبنائنا نرتضيه أيضاً لغيرنا حتى وأنا كانوا خارج حدود دولتنا. فما بالكم وهم ةجيراننا الأقرب إلينا. ولإثبات صدق المشاعر والنوايا كنّا نحرص على توظيف جزءاً من لقاءاتنا معهم للحديث عن أهمية العلم، وننقل لهم فكرة عن العمل التعاوني التطوعي الهادف إلى بناء المشاريع الحيوية وفي مقدمتها بناء المدارس

وبيننا لهم كيف تبنّى أبناء قرانا الحدودية الجنوبية العمل التطوعي كأساس لنجاح جملة من المشاريع الهامة والحيوية.

كانت لقاءاتنا مهم متكررة، وأثمرت ببناء مدرستين في حمرة العليا (المساحرة) وحمرة السفلى (القهابة) وأسهمنا بدعمهم مادياً ومعنوياً بحكم الجوار. وبالطبع فأن ذلك التواصل واللقاءات وما قدمناه لهم من توجيه ودعم لمثل تلك المشاريع وأن كان محدوداً إلاَّ أنه غير من انطباعهم المغلوط عنا، الذي ظل إعلام نظام صنعاء يروِّج له زيفاً بأن نهج دولتنا السياسي والأيدولوجي يستهدف تغيير ديننا وقيمنا وأخلاقنا وأننا في نظر ذلك الإعلام المزيف لسنا سوى شيوعيين وراديكاليين.

إن استمرارالتواصل مع مشائخ وأعيان القرى الشمالية المتاخمة لحدونا قد رسَّخ جسور الثقة بيننا، وأدركوا بأننا رجال وقبائل مثلهم نعرف ما لنا من حقوق وما علينا من واجبات، وإننا نواجه الأعداء بحزم واقتدار وجرأة، لكننا لا نغدر بالناس ولا نطعن في الظهر، واعتبروا إننا بتقديم المساعدة المعنوية والمادية لإنشاء المشاريع الإنسانية التي تهمهم قد أثبتنا وعلى الواقع بأننا قبائل ندافع باستماتة عن الحق ونرفض الباطل بكل صوره واشكاله، وإننا من الصنف السباق للخير، وأن سعينا الصادق والحثيث لتحقيق الأمن والاستقرار في مناطق الحدود هو مشروع إنساني ذو منافع مشتركة وأمامهم خيار واحد وهو الوقوف معنا لتحقيقه. كل تلك السلوكيات أثبتت لهم إننا بسعينا لحسن الجوار كنا السباقين، وأثمرت بمرور الزمن في التعاون الأمني، وبنفس الوقت غيرت من مفاهيم الناس غير الحقيقية الهادفة إلى اظهارنا بأننا لا نقيم للدِّين والإنسانية وزناً.

إن حرمان جيلنا من التعليم في سنوات طفولتنا المبكرة، بسبب قوانين التمييز التي صنعها الاستعمار، قد أجَّج في نفوسنا الرغبة في توفير الظروف التي تمكِّن كل أبنائنا من الحصول على التعليم دون تمييز أواستثناء، ولهذا كان من الطبيعي ان نسعى بكل طاقاتنا وإمكانياتنا لدعم الأفكار والمشاريع التربوية في أي زمان ومكان، وكذا المشاركة في النزول للقاء بالمواطنين في أي قرية أو منطقة في يافع بهدف رفع درجة الوعي حول أهمية العلم في بناء الإنسان وفي التقدم الحضاري، وكذا تقديم الدعم وفق إمكانيات الدولة من أجل بناء المدارس في كل منطقة حتى لا يحرم أبناؤنا مما حرمنا نحن منه.. لذا كانت من بين أول المدارس التي شاركنا في النزول إليها أنا وعبدالرب علي مصطفى من أجل التوعية وتحفيز الناس في أهمية بناء المدارس كانت في منطقة العياسى. كما تم نزولنا مع بعض المسئولين عدة

مرات إلى منطقة حطيب بهدف بناء سد للمياه كخطوه هامة لتطوير زراعة البن وكذا تأسيس تعاونية البُن في حطيب، وبذات الوقت لتشجيع المواطنين على بناء المدارس والوحدة الصحية وتم دعمهم بمواد البناء اللازمة أولاً لبناء السد وثانيا لبناء مدرستين في حطيب وأخيراً لبناء وحدة صحية.

بناء المكاتب الحكومية

عندما وصلت المنطقة كانت مراكز الإدارات المدنية والأمنية تُدار من منازل تطوع بها المخلصون وميسورو الحال من أبناء مدينة بني بكر، وخلال الاعوام الثلاثة الأولى تم إنشاء مباني المكاتب الحكومية. وكنت في كل زياراتي إلى عدن التقي الرئيس سالمين وأقدِّم له تقارير عن طبيعة نشاطنا العسكري والمدني وعن المشاريع التي ننفذها وتلك التي نسعى لتنفيذها. كان سعيداً جداً في إننا، في جبهة يافع وجبهة مكيراس، استطعنا تأمين حدودنا من اختراقات الأعداء وحجَّمنا كثيراً من نشاط المخربين، وأشادب روح التنافس فيما بيننا كقيادات عسكرية في توجيه الضربات الدفاعية أو الوقائية الموجعة للأعداء.

لكنه قال لي يوماً:" أتدري.. هناك عمليات ناجحة تبلغني أنت بها بأنك ورجالك من خطط لها ونفذها، ولكن بعد استلامي لتقاريرك تأتيني تقارير أخرى من قيادة المحافظة، تم إعدادها ورفعها في الأساس من بعض القادة المكلفين بأمن الحدود في منطقة مكيراس إلى قيادة المحافظة السياسية والأمنية توضح نشاطاتهم العسكرية والأمنية. وما لفت انتباهي أن ضمن تلك العمليات التي قاموا بتنفيذها هي نفس ما شملتها التقارير التي رفعتها، وبالمثل يطالبون قيادة المحافظة بالمزيد من الدعم المادي والعسكري، ولا أريد أي منكم أن يدَّعي تنفيذ عمل لم ينفذه فعلاً!". ومعروف أن الرئيس يطلع على كل التقارير التي تصل إليه من المسئولين في المحافظة والتي يطلبون فيها المصادقة على الدعم الذي تم اقتراحه والذي يفوق إمكانيات المحافظة، وأشار أن ما حيره كثيراً هو ذلك "التشابه في العمليات " حسب التقارير المرفوعة.

أحياناً نخطئ عندما نركز على الجوانب السلبية من تصريحات رفاقنا ونهمل الإيجابي منها ونبني عليها ردودنا، وهذا ما حصل هنا. وما أن أكمل الرئيس سالمين كلامه حتى عبرت له عن انزعاجي من تلك التلميحات التي فيها

تشـكيك بمصـداقية مـا أرفعـه إليـه مـن تقـارير عـن نشـاطي العسـكري والأمني.وصارحته بأن إيحاءاته تلك ازعجتني كثيراً، وخاصة عندما أسمعها اليوم من رفيق يعرف أكثر من غيره عن أخلاقي وخصالي النضالية. وأكدت له بأننا لم ولن نقلل أو نشكك بدور القيادات العسكرية، فجميعناً في كل المناطق الحدودية للجمهورية نواجه أعداء النظام في أكثر من جبهة ومنطقة، ولهذا نسعى جاهدين كقيادات عسكرية، سواء في مكيراس أو يافع، لتثبيت دعائم الأمن، وأحياناً يتطلب ذلك الأمر القيام بضربات استباقية ووقائية، واقترحت عليه من أجل العدل والإنصاف أن يستدعي من كتبوا تلك التقارير ومعهم المسئول التنظيمي ومحافظ المحافظة ويتم التحقيق في الأمر وأنا على استعداد أن لا أعود إلى المنطقة الاّ بعد استكمال التحقيق.

لكنه قاطعني ليقول لي: "انا لم أقُل إنك أنت من نسب عمليات غيرك له". قلت:" صحيح لم تقل ذلك مباشرة لكن الرصاصة التي لاتصيب الرأس تدوش". ضحك على هذا المثل وقال:" أتدري لماذا حصل ذلك الالتباس ولماذا لم يكتفشوه في المحافظة وأن انا فقط من اكتشفه؟". ودون ان يسمح لي بالإجابة التي لن تكون الاّ تخمينية قدَّم لي الإجابة على هذه الأسئلة قائلاً:

- أنا من طلب منك أن يكون تعاملك معي مباشرة، وأن ترسل إليَّ تقارير مفصلة عن طبيعة النشاط العسكري والأمني، وهذه حاله استثنائية فرضتها ظروف المنطقة وعلاقتي وثقتي فيك، لكن علينا أن نعترف بأن كل المسئولين العسكريين في الجمهورية يتبعون القنوات الصحيحة في رفع التقارير وأن المسئول التنظيمي للمحافظة الثالثة والمحافظ والوزراء المعنيين يعرفون بأنني أنا من طلب منك ذلك، وعندما قدمت لهم تقارير نشاطك العسكري، أوضحوا لي بأنهم لن يستطعون أن يشككوا في صحة التقارير الأخرى لأنهم في المحافظة لم يستلموا أي شيء منك، وأن نصيحة جاعم تؤكد بأنه إذا تشكلت لجنة تحقيق في هذا الأمر فأنا وأنت سنكون مخالفين لقوانين التعامل السليم عبر القنوات الأمنية والتنظيمية، من المركز إلى المديرية ثم المحافظة ومنها إلى وزارة الدفاع وأمن الدولة، وحتى أن بعض المسئولين في المحافظة والوزراء ينظرون لتواصلك المباشر معي تجاوزاً لا يحبذونه، بل أن بعضهم ذهب بعيداً ليقول بأنك تتعمد أنت تجاوزهم، لذا فهم يؤكدون في أكثر من لقاء على أهمية ان يلتزم الكل في رفع التقارير عبر القنوات الصحيحة..

اضاف قائلاً:" أطمئنك بأنه مهما كانت النتيجة، أنا لا أريد أن تمر أي تقارير غير دقيقة دون الوقوف أمام أخطائها..لهذا بدلاً من فتح بوابة التحقيق، التي قد تظهرنا بأننا نخالف قواعد التعامل الإداري والأمني السليم، بدلاً من ذلك أنا سوف أكلِّف مدير الاستخبارات العسكرية (باصهيب) وعدداً من ضباط الاستخبارات لمرافقتك إلى منطقة الحد لأيام دون أن نخبر أحداً حول أهداف تلك الزياره".

ونصحني قائلاً: هناك عليك أن تخطط أمامهم لعمل عسكري يستهدف عدداً من المراكز العسكرية النشطة التي تهدد أمننا، وتوضِّح لفريق الاستخبارات بإسهاب طبيعة العملية العسكرية التي ستقومون بها، مثل عددالقوة المشاركة ونوعية الأسلحة المستخدمة مع تحديد أماكن وعدد الأهداف المستهدفة والزمان المتوقع للعملية بالدقيقة، وبهذا سيكون مدير الاستخبارات والفريق المرافق له شاهد عيان، وهم من سيرفعون لي تفاصيل تلك العملية ونتائجها وسأعتبرهم طرفاً محايداً ثالثاً وهم من سينقل لي حقيقة ما يجري هناك، وإذا ادَّعى أي طرف آخر في أن ذلك العمل من تخطيطية وتنفيذه حينها سوف أطلبهم للحضور وسأقدم لهم تقاريرهم وتقرير مدير الاستخبارات وحينها لن يفلتوا من المسألة والعقاب حتى لا نشجع مثل تلك الظاهرة.

وفعلاً وبحضور مدير الاستخبارات وفريقه أتذكر منهم "امجذارة" تم التخطيط لعملية كبيرة تستهدف أكثر من موقع عسكري في رقعة جغرافية واسعه، تم تنفيذها في وقت واحد وشارك فيها أغلب العناصر الموالية لنا في الداخل والخارج.

رفع باصهيب تقارير تفصيلية للرئيس عن طبيعة العملية.. ولم يمر سوى أسبوع حتى أتت التقارير الأخرى التي يدعي الآخرون بأنهم من نفذوا أجزاء منها.. التقى فيهم الرئيس سالمين، وبحضور فريق الاستخبارات اعترفوا بأنهم فعلا لم يشاركون بأنفسهم في تنفيذ بعض من تلك العمليات، وأنهم لم يخططوا لها ولكنهم استلموا تلك المعلومات من بعض عناصرهم المكلفين في توجيه ضربات وقائية ضد العدو وتعهدوا بأنهم سيتوخون في المستقبل الدقة في صحة التقارير.

كيف مارس سالمين الاعتذار

طلبني الرئيس سالمين بعدها للحضور ليستعرض نتائج التحقيق، وسألني ماذا أريد منه أن يقدمه لتسهل عملنا أكثر؟.. أحسست أنه بسؤاله هذا يجدد ثقته بي، ووجدتها فرصة سانحة فقدمت له طلباً لدعم عدد من المشاريع التي هي حلمي وحلم المسئولين وأبناء المنطقة في أن تتحقق.

أخبرتة أن أغلب الرجال الذين نعتمد عليهم في عملنا هم من رجال القبائل، أي أنهم غير موظفين مع الدولة لكنهم جاهزون ومتأهبون دائماً وكأنما هم جنود في القوات المسلحة. وعندما نرسل في طلبهم في أي وقت يأتوننا دون تأخير، رغم معرفتهم إنناعندما نطلبهم ليس من أجل التسلية ولكن من أجل ركوب خطر مطاردة المتسللين من المخربين والمتسترين تحت جنح الليل، وقدمت له أدق تفاصيل نشاطنا، حتى كيف نقضي ساعات طوال في الوديان والشعاب والآكام التي يعبر منها من يستهدفون أمننا، وأحياناً كيف نتصدى لهم أو نربكهم بضربات استباقية عندما نحصل على معلومات استخبارية عن نشاطاتهم التخريبية قبل قطعهم للحدود ونلاحقهم هناك حتى مراكز تواجدهم في المناطق التي ينطلقون منها، وبهذا العمل الدائم حققنا الأمن في مناطقنا ونقلنا ساحة المعركة إلى هناك.. إلى أرضهم، وأصبحوا يفكرون ألف مرة في اجتياز الحدود، وبهذا أصبحت حدودنا وأرضنا آمنة، وهذا ما كان له أن يتحقق الاّ بكفاح وشجاعة واستبسال هؤلاء الرجال المخلصين لأمن الوطن.

حتى أنني ذكرت له كيف اجتمعت فيهم صفات الكرم والشجاعة والبساطة، وهذا ما شدني إليهم كثيراً.. كانوا يأتوننا ببنادقهم وذخيرتهم ويحملون معهم الخبز الجاف (الفدرة اليابسة)لهم ولنا.. وذكرت له حينها، وسأظل أذكر ما تبقى من عمري، كيف كان يحدث لنا في الكثير من المرات وبعد ساعات طوال من المشي، في الليالي الباردة، في طريق العودة حينما نجتاز الحدود وقد تمكن منا التعب والجوع، وما أن تطأ اقدامنا داخل حدودنا، فنبحث عن مكان غير مكشوف لنأخذ قسطاً من الرّاحة، فكان يفاجئنا بعض مرافقينا من أولئك الرجال بإخراج الخبز الجاف الذي أخفاه طوال الرحلة في خاصرتة تحت عطفات الفوطة، ويقدم لنا كسرة من ذلك الخبز فنأكلها بنهم وبشهية الجائع الذي كاد أن ينهكة ثلاثي البرد والتعب والجوع ووصفت له استمتاعي بمذاقها الخاص في مثل تلك اللحظات الصعبة.

إنهم بعملهم هذا يحرصون على اطعامنا بما يُمسك قوّتنا ويسكّن آلام جوعنا، ولكنهم لا يعرفون كم كانوا بفعلهم هذا وببساطتهم تلك يوقدون في نفوسنا مشاعر لا متناهية من الاحترام والتقدير والوفاء لهم، ومنهم أتذكر: حسن محمد عبدالصفي وعلي صالح قريضة.

قلت له:" أنه بسبب ظروف ميزانية المركز العسكري لا نستطيع مساعدتهم الاّ بالسلاح وبالذخيرة وأحياناً نقدِّم لهم المواد الغذائية الفائضة عن حاجة جنود المركز.. لكنني أخبرتهم بأنك وبقية أفراد القيادة في عدن تثمنون عالياً إخلاصهم وولائهم للوطن وأفعالهم الجرئية ويقظتهم الأمنية وأبلغتهم أنكم أيضاً تقدرون عالياً الأعمال التطوعية في بنا المدارس وشق الطرقات وبناء التعاونيات والمراكز الثقافية.. وهذا بالضبط ما أعيد تكراره على مسامعهم.. واليوم سوف أقول لك بأن هؤلاء الرجال المخلصين والناكرين للذات يستحقون من الدولة أن تبني لهم مستشفى، وهذا ما يأمله مسئولو المديرية والمركز وكل النّاس، وقد رفعنا نحن أعضاء لجنة المديرية دراسة حول جدوى تنفيذ تلك المشاريع.. لقد دعمتنا باعتماد جزءٍ من مواد البناء التي ساعدتنا في بناء ١٤ مدرسة في الحد وشق الطرقات، ولكن العبء الأكبر في تنفيذ تلك المشاريع تحمله المواطنون من خلال المشاركة في المال والعمل التطوعي الواعي.. هناك أصبحنا نواجه مشكلة تربوية، وهي أنه عندما يتخرج التلاميذ من الابتدائية لا توجد مدرسة إعدادية في منطقة الحد، لذلك نأمل أن تساعدنا في بناء مدرسة إعدادية في مدينة بني بكر وكذا اعتماد الأسر الفقيرة والشهداء والجرحى برواتب أو مساعدات مالية شهرية".

أخبرني أنه في الجانب التربوي تم اعتماد ميزانية لبناء مدرسة في منطقة أحور لكن المسئولين هناك اعتبروا بأن المنحة المالية المعتمدة لن تكون كافية لتنفيذ كامل المشروع وتعمدوا عدم سحبها حتى يمارسوا الضغط في الحصول على الاعتماد المالي الكافي والكامل لتنفيذ المشروع ولأننا أشرفنا على نهاية العام فستعود تلك الميزانية إلى الخزينة العامة للدولة. ثم قال بأسلوب امتزج فيه الجد مع السخرية:

-أمامي نموذجان :الأول استعداد تام لتنفيذ المشاريع الهامة بدعم محدود وغير مشروط، والثاني يفضّل الانتظار ويقدم الشروط. إذاً لا يوجد أمامي من خيار إلاّ أن ادعم من ينفذون المشاريع بأي إمكانيات، وعلى النموذج الثاني المزيد من الانتظار، لكنهم لا يعرفون بأنهم الان سينتظرون طويلاً. وما أن اكمل تعليقة

هذاحتى أخذ بيده اليسرى سماعة التلفون وبسبابة اليد اليمنى اخذ يحرك قرص التلفون.اتصل بجاعم صالح وطلب منه أن يتصل بمدير الدائرة المالية في المحافظة لكي لا يعيد اعتماد مدرسة أحور إلى الخزينة العامة وأن يحوله مباشرة إلى مشروع بناء إعدادية في بني بكر الحد - يافع.

وطلبت منه باسم أبناء المنطقة ان يزورنا حتى يطلع على ظروف الناس والمنطقة وحاجتهم لكثير من الخدمات، وأن زيارته وتفقده أوضاع الناس ستترك أثراً طيباً في نفوس أبناء المنطقة. وعدني بأنه سيقوم بزيارة للمنطقة، وفعلاً أوفى بوعده وزار منطقة الحد مرتين.

وبتكاتف المسئولين في المنطقة ودعم الدولة ومساهمة المواطنين رأت النور الكثير من المشاريع في فترات مختلفة، نذكرمنها:

- تم إنشاء ١٤ مدرسة ابتدائية في مناطق الحد المختلفة، بدعم من الدولة وبالاعتماد على المبادرات والعمل التطوعي.

- بناء عدد من المراكز الثقافية التي كانت توظف لعقد اللقاءات الاجتماعية والسياسية والتربوية وكذا في محو أمية الكبار.

- بناء مدرسة إعدادية في بني بكر وتم تنفيذ البنّا مقاول من أبين "العريفة".

- بناء مقر للتنظيم السياسي في بني بكر.

- بناء مكتب لمساعد المأمور الحد.

- بناء مقر لقيادة المليشيا الشعبية.

- بناء مستشفى بني بكر بدعم من دولة الكويت الشقيقة، واشترطنا على المقاول الأحمدي أن يبني داراً للضيافة.

- انجاز مشروع مياه بني بكر، وتعثر لاحقا لنضوب كمية المياه في البئر بسبب الجفاف وكثرة الاستهلاك.

- دعم الأسر الفقيرة، فبعد التحري تم رفع قائمه بالشهداء والجرحى والأسر المعدمة والفقيرة في منطقة يافع وتم رفع قائمة بما يقارب ٢٥٠ أسرة فقيرة في يافع والحد براتب شهري، وهذا الاعتماد تم بموافقة سالمين وعلي ناصر وجاعم صالح ومحمد علي أحمد وتم اعتماد تلك الأسر واعتماد رواتبهم، وفي الفترات الأولى كانت تقدم لهم عبر محاسب المديرية حسين عبدالحبيب ثم بعدها عبر محاسب المديرية محمد عبدالرحمن الكرني وناصر عبيد.

عوامل نجاح عملنا في منطقة يافع

كان مجتمعنا وما زال قبلياً، وأعترف بأن من العوامل التي ساعدتنا في خدمة الوطن والمواطنين في منطقة يافع والحد وسهلت عملنا، هو كسب ثقتهم، لأننا من طينتهم، نشأنا وترعرنا وسطهم وانصهرنا مثلهم في أتون الحياة القبلية القاسية والصعبة التي تميزت بها عقود الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وعلمتنا الحياة جيداً الأعراف القَبَلِيّة التي يؤمنون بها والتي مارستاها في حياتنا المبكرة، فكانت المرشد والدليل لسلوكياتنا وتعاملاتنا اليومية مع الناس، وهكذا ففي السبعينيات والثمانينات وأنا أحد المسئولين في المنطقة لم نجد أية صعوبة تذكر في التقرب والتعامل مع الناس وفقاً لمكانتهم وتصنيفاتهم الاجتماعية وقناعاتهم.

عرفنا رجالاً يميزون الحق ويعملون على تثبيته ولا يخضعون للباطل، بل يلفظونه من حياتهم ويصونون كرامة الإنسان ويحفظون كبريائه، ويتوقون أن يولّى عليهم رجالٌ يحترمون كل تلك القيم الجميلة والمثل والعادات القبلية الأصيلة التي هي نتائج لموروثهم الثقافي والإنساني العريق.

عندما شاهد المواطنون بأم أعينهم كيف نقطع الشعاب والآكام والوديان سيراً على الأقدام، ونعبر الحدود ونتعرَّض ونواجه الخطر بقناعة مطلقة، ونسهر الليالي من أجل أمنهم وأمن الوطن، نترصَّد ونتابع من تحدوا إرادتنا أو حاولوا النيل من أمن الوطن واستقرار وازدهار حياة الإنسان الجنوبي على أرضه، عندما تحقق المواطنون من كل ذلك وجدناهم إلى جانبا مؤازرين ومساندين في السَّراء والضراء، وأصبحوا أكثر إخلاصاً للنظام ورفاق سلاح صادقين يشاركوننا حتى في تنفيذ المهام الأمنية والعسكرية، ومنها ملاحقة ومهاجمة من المتطاولين على أمن الوطن والمواطنين، وبهذا التلاحم المكين والعزيمة القوية ثَبَّتنا قواعد الحق وازهقنا الباطل بكل صوره واشكاله.

وفي مجال الحياة المدنية ساهمنا مع أبناء المنطقة بالعمل دون كلل أو ملل لكي يحصل كل فرد في المجتمع على فرص الدراسة والعمل، فتم إنشاء المدارس والمراكز الثقافية وفتحنا صفوف محو الأمية الأبجدية لكبار السن رجالاً كانوا أم نساءً.

وبسبب ترفعنا كمسئولين عن المصالح الشخصية الضيقة وممارستنا البساطة ونكران الذات والصدق في التعامل وجدنا كل الدعم ليس فقط من كثير من رجال الحد ويافع ولكن حتى من أبناء المناطق الحدودية الشمالية. وبمشاركة الرجال الأوفياء والأبطال كُنّا موفقين في الرد السريع على تطاولات الأعداء وإلحاق الضربات المتتالية بهم حتى حجَّمناهم واشعلنا تحتهم الأرض التي بنوا عليها معسكراتهم ناراً فأصبحت غير آمنة لهم.

كانت مسئولياتي العسكرية كقائد حرس الحدود، ومسئولياتي المدنية مرتبطة مباشرة بالرئاسة واستخبارات الجيش، وبعدها وزارة أمن الدولة، ومع توسع النشاط العسكري تم تشكيل منظمة المقاومين الثوريين وتم تحديد ثلاثة مراكز رئيسية تختص بأمن الحدود. الأول في منطقة دمث وآل سرحان، والمسئولون عنها علي عنتر وصالح مصلح بالاضافة إلى مسئولياتهم في وزارتي الدفاع والداخلية. والثاني في الحد - يافع وعيِّنت أنا كمسئول لمنظمة المقاومين الثوريين في مركز الحد –يافع، بالإضافة إلى مسئولياتي العسكرية والمدنية هناك. والثالث تم تحديده في منطقة مكيراس وتم تعيين مسئولين عنه أتذكر منهم صيوع وجحلان.

كلمة إنصاف

الحقيقة التي أريد أن اقولها، وهي شهادة للتاريخ، وهذه الشهاده تحكي أسرار جمال وقوة وكبرياء حقبة السبعينيات والثمانينات وهي بأننا كمسئولين حتى وأن اختلفنا يوماً في وجهات النظر وفي قراءة وتأويل القوانين العامة منها أو القوانين المحلية، إلاَّ أنها كانت تجمعنا القضايا الاستراتيجية الأساسية المتعلقة بسيادة الوطن أرضاً وشعباً وتحقيق الأمن والاستقرار والتطور الإنساني.

هنا يجب الإشارة إلى أنه رغم الاختلاف في كيفية تطبيق القوانين والتباين في ترجمة أفكار التوجه الايديولوجي والسياسي للدولة فيما بيننا كمسئولين إلاَّ أننا كنا متفقين حول قضيتين أساسيتين وهي :

أولاً: أمن المنطقة بشكل خاص كجز لا يتجزأ من أمن الوطن بشكل عام : فقد كُنّا جميعاً، مسئولون ومواطنون، دون استثناء مخلصين ومتفانين في هذه المسألة وموحدين في الصف ضد أعداء الوطن والنظام السياسي. وكُنّا كمسئولين بسيطين في حياتنا، غيورين على الوطن أرضاً وإنساناً، موحَّدي الصف والعزيمة أمام أي ظاهرة داخلية أو خارجية تهدف إلى تقويض أمن الناس أو المساس بسيادة الوطن، أي أننا لم نساوم في مواقفنا أو نخضعها لخلافتنا، ولهذا استطعنا تثبيت

الأمن الداخلي للدولة، وفرضنا على الكل دون استثناء احترام سيادة القانون، وشاركنا في العمل يداً بيد مع المواطنين في تنفيذ المشاريع الهامة التي تدعم استقرارهم وتطورهم رافعين شعار "يدٌ تعمل ويدٌ تحمل السلاح "، فزاد بذلك تقدير المواطنين للمسئولين وزادت عندهم القناعه التامة بتوجه الدولة، وأقنعنا بأعمالنا وأخلاقنا وسلوكنا اليومي الكثيرين من مواطني القبائل في مؤازرتنا في حربنا العادلة ضد المخربين من أعداء النظام.

وثانياً: على الرغم من اختلاف القدرات والتاريخ النضالي للمسئولين، إلاَّ أننا جميعنا عملنا بإخلاص وفق إمكانيات كل منا وقوة تأثيره، وبكل الطرق والوسائل القانونية على تطوير المنطقة وتنفيذ كل المشاريع الحيوية والهامة.

أخيراً أقول ليس هناك أجمل من أن يكون لك رفاق صادقون فيما عاهدوا الله عليه، مخلصون للوطن ومقتنعون بعدالة القضية التي تتبناها والهدف الذي تسعى إليه ومستعدون لمشاركتك المحنة والمصير في أي زمان ومكان، يصمدون معك في مترسك ويصوبون بنادقهم حيثما تصوب، والأهم إنهم مستعدون للتضحية قبلك، إنهم الرجال الحقيقون الذين وأن تقلبت الظروف فإنك تارة تنصرهم وتارة ينصروك وتحميهم دائما ودائماً يحمُوك.

وبمشاركة الكثيرين من المسئولين والمواطنين حققنا بكفاحنا وتكاتفنا جميعاً ما قلته يوماً لسالمين"إذا كان البادئ أظلم كان المجوب أكرم."

ختامــاً أقــول شـكراً لكـل مــن شــاركني مـن الرجـال الأبطـال والكـرام في زمـن البساطة والتواضع والترفع عن الذات ممن بادلونا بصدق كل الثقة وكل الوفاء.

صعوبات ومواقف

هناك عدد من المواقف الصعبة والمشاكل التي اعترضت حياتي العملية سواء كانت سياسيه أو اجتماعية، لكن ذلك أمر طبيعي حدوثه لرجل مثلي عايش أحداثاً هامة ومصيرية ومؤلمة، وكنت أخرج منها منتصرا بقوة الحق. كل هذا بالتأكيد لا بد أن ترافقه بعض المشاكل، وقد قيل: إن النجاح يصنع اعداءه. وللأمانة فان ما واجهت من مشاكل كان سببها غالباً سوء فهم الآخرين، أو بدافع من نزعة الأنانية وغريزة الحسد.

فتنـة الأهل

وإذا مـا استعرضـت سلسـلة تلـك المشـاكل لوجـدت اختلافـا في أهميـة وطبيعـة كل منها، وفي الأسباب والبواعث التي دفعتني لأكون موجوداً في معمعتها. فمثلاً، قضية الحـرب القبليـة "الفتنـة" الـتي اشـتعلت عـام ١٩٥٤تقريبـاً في مسـقط رأسـي بـين أبناء الأسـرة الواحـدة "آل بن صلاح"، فقد وجدت نفسـي مجبراً للـدخول طرفـاً فيهـا، حسـبما رويـت تفاصـيلها في الجـزء الأول مـن هـذا الكتـاب. كانـت هـذه الفتنـة مـن أقسى وأصعب المشـاكل في حيـاتي، وأتـذكرها بـألم ونـدم وحسـرة. فقـد خلقـت هـذه الفتنـة جـداراً مـن التفرقـة والعـداء، بـين الأهـل والأقربـاء، وتسـببت في إهـراق دمـاء بريئـة، وسـاد خلالهـا الخـوف والقلـق علـى مسـتقبل حياتنـا، واسـتبدل الـود بالعـداء، والأمـن بـالرعـب، وكـان اشـعال النـور في أي منـزل في الليـل ممنوعـا، لأنـه سـيعقبه اشـعال نـار الرصـاص، وحُرمـت الأرض مـن الحراثـة والزراعـة، والنسـاء والأطفـال مـن الزيـارة واللعـب معـاً، ولم تعـد هنـاك إمكانيـة لكبـح الحقـد أو وقـف الخـراب والـدمار المادي والنفسـي الـذي صـار يتراكـم شـيئاً فشـيئاً، فقطـع حبـل الـود والأخـوة بأنيـاب الفتنـة والثـأر، ومزقتـه شـر ممـزق. كـان أولادي وعـائلتي قـد عاشـوا هـول المأسـاة وشـهدوا فصـول تلـك الفتنـة الـتي امتـد لهيبهـا ليشـمل القبيلـة كلـها، وأسـتطيع القول ان تلك الفتنة قد سيطرت على جميع مفاصل تفكيرنا وحياتنـا كاملـة، بمـا في ذلك أكلنا ونومنا وحركتنا.

أتـذكر ذات ليلـة أن ابـني الـدكتور محمـد، وكـان حينهـا طفـلا، قـد ذهـب مـن غرفته إلى المرحاض "المطهار" لقضاء الحاجة حسب عادته ليلاً، في الظلام الحالـك، لان أي إضـاءة حينهـا سـتؤدي إلى تعرضـه للرمـي، فاضـطر أن يشـعل المصـباح داخـل الحمـام مطمئنـاً لعـدم وجـود نافـذة فيـه يتسـرب منهـا الضـوء إلى الخـارج. لكنـه لم ينتبـه ان فتحـة ميـزاب دورة الميـاه "المسـريب" الممتـدة حتـى خـارج الجـدار سـتؤدي إلى خروج الضوء، وهكذا، فلم تمضِ سوى ثوانٍ محدودة حتى دوى صوت الطلقـة الناريـة التي قد وقعت في جدار الحمـام الخـارجي، فأطفـأ النـور وأصابه الخـوف، فيمـا جرينـا مسـرعين نحـوه لنطمـئن عليّـه ونهـدئ مـن روعـه. والحمـد لله لم يصـب بـأذى، وهـذا مثال بسيط من ذاكرة الألم.

لقد ولدت تلك الفتنة في نفوس الأطفال الخوف والقلق حينها وأحـرمتهم مـن متعـة الطفولـة ببراءتهـا وألعابهـا، وكـانوا يتخيلـون الوضـع القـائم آنـذاك أشـبه بمعركـة بـين دولـتين، حـدود فاصـله بينهمـا، وأرض مهجـورة، وإطـلاق نـار، وحرمـان من التعليم في شكله البسيط آنذاك. كنت، كغيري مـن النـاس، مضـطرا لتعلـيم

أولادي الرماية وتمرينهم على دقة التصويب على الأهداف "النّصع"حتى يكونوا جاهزين ومدربين لمواجهة ظروف الحرب المفروضة ومترتباتها. ومن الذكريات الأليمة والمحزنة عن تلك الفتنة البغيضة أن حاجة التزود بالذخيرة كانت تفوق حاجة التزود بالغذاء والملبس، أضعافا مضاعفة. وكان اقتناء السلاح قضية ملحة لا تقبل النقاش آنذاك.

أعترف بعد انقضاء عدة عقود على نهاية تلك الفتنة، أنها كانت أبرز وأهم المشاكل التي عانيتها في حياتي. صحيح إننا تغلبنا عليها فيما بعد، لكن بعد ان فقدنا اعز رجالنا من الطرفين. تصالحنا، وتحديداً يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٧م ضمن جهود جبهة الإصلاح اليافعية لوضع حد للفتن القبلية في يافع وضمن ذلك فتنة آل بن صلاح، وكان ذلك اليوم يوما تاريخيا في حياتنا جميعا، كما كان أيضاً يوما لإطلاق النيران، ولكن هذه المرة ضد الفتنة البغيضة لإصابتها بمقتل وإخمادها إلى الابد بإذن الله. والحمد لله كتبنا الصلح وتعانقنا عناق الأحبّة، ليختلط الدمع بالمداد، فكانت تلك اللحظات، أفضل وأجمل لحظات حياتي.

مكايدات وتُهم ملفقة

يمكن القول أن الحياة لا تخلو من المشاكل والاخفاقات، طالما إن الإنسان في حركة ونشاط مستمرين، وأستعرض هنا بعض المشاكل والمواقف الصعبة التي واجهتها أثناء فترة عملي كمسئول لحرس الحدود في منطقة يافع، وكعضو في القيادة المحلية، منوها أنني لا أود تناولها هنا بدافع التشهير بأحد أو محاولة لنبش الماضي الكئيب. لكنني أرى في استعراضها درساً للأجيال الحالية والقادمة، ينبغي استحضاره لتجنب تلك الأخطاء وعدم تكرارها في المستقبل.

أشرت سلفا أنني حرمت من التعليم، فكان من الضروري، أثناء فترة عملي كمسئول لحرس الحدود في منطقة يافع، أن يكون بجانبي موظف يجيد القراءة والكتابة، يقوم بصياغة الرسائل التي أريد إرسالها، ويبلغني بمضمون أي رسائل قادمة إليّ، وقد كان معي شخص موثوق للقيام بذلك، هو محمد عفيف من قرية "رِيْد". لكن حصل ذات مرة أن أتاه مواطن يتاجر بالذخيرة اسمه عفيف العُمري من قرية "الشَّعراء"، اشترى كمية الذخائر من شخص آخر يُدعى الحريبي بالآجل، لأنه لا يملك قيمتها حينها، وحُرِّرت وثيقة بيد الحريبي تتضمن التزام

عفيف العُمري بتسليم أرضه الزراعية إذا لم يتمكن من إعادة قيمة الذخيرة، ومن سوء حظ العُمري، أنه بعد شراء تلك الذخيرة صدر قرار من القيادة المحلية في يافع يمنع بيع الذخيرة، مما جعله في ورطة حقيقية، ولهذا لجأ إلى الكاتب الذي يعمل معي وبعد أن أوضح له الأمر طلب منه التعاون بصياغة رسالة لحرس الحدود، تمكنه من العبور إلى منطقة البيضاء خارج حدود الجمهورية "شمال اليمن"، كي يتمكن من بيع الذخيرة هناك، فقام الكاتب بصياغة تلك الرسالة باسمي دون علمي، بدافع التعاطف مع الرجل الذي رأى أن أرضه ستضيع منه إذا لم يتعاون معه، لكن الطريقة كانت خاطئة كونه زوّر توقيعي واستغل ثقتي.

وبعد ان تمكن العفيفي من بيع تلك الكمية من الذخيرة في البيضاء حاول ان يستأنف السفر ثانية ليبيع ما تبقى لديه من ذخيرة، لكنه ذهب من طريق آخر، فأُلقي القبض عليه، عندها أبرز لهم رسالة بإسمي تسمح له ببيع الذخيرة، فأخذوا منه هذه الرسالة، لتحتفظ بها القيادة المحلية في يافع، كوثيقة إدانة ضدي، وتم إبلاغ محافظ محافظة أبين امذروي، وهو رفيقي في مرحلة النضال ضد الاستعمار البريطاني، وقد رد على القيادة المحلية في يافع أن يعتقلوني والشخص الذي باع الذخيرة. لكن القيادة المحلية ردت عليه أننا لا نستطيع اعتقال صالح فاضل.

كل هذا جرى وأنا لا أعلم شيئاً عن هذه القضية، الاّ بعد أن وصل المحافظ بنفسه إلينا إلى يافع، واستدعاني بحضور بعض أعضاء القيادة المحلية، وأثناء اللقاء فاجأني بالقول:" أنت تبيع ذخائر.. كيف سيكون الأمر إذا كنت مسئولاً على مصنع للذخيرة تابع للدولة، معنى هذا إنك ستبيع الدولة".

استفزني جداً هذا الكلام الغريب والمفاجئ الذي سمعته، وكان وقعه عليّ كالصاعقة، ومع ذلك رَدَدْتُ بلهجة الواثق من نفسه:" هذا لم يحصل، وعليك أن تتوخّ الدقة وأن لا تصدق الوشاة، نحن رفاق نضال، من أين أتيت بهذه المعلومات؟!". لكن أحد أعضاء القيادة المحلية قاطعني بإخراج رسالة ليقول لي: هذه رسالتك. وعندها فقط اتضح لي ان الكاتب الذي يعمل معي قد زوّر رسالة بإسمي، ولكن حديث المحافظ الحاد دفعني لأن أقول له:" أنت الآن ضيف لدينا وعليك أن تلزم حدودك وتعود بشرفك، أنت اعتمدت على وثيقة مزوّرة، ومن أبلغوك هم غير جديرين بتحمل المسئولية، ويريدون إلحاق الأذى بي وخلق المشاكل".

وبالفعل عاد المحافظ لكنه ذهب يشكي ما حصل للرئيس سالم ربيع، الذي قام بدوره بتكليف كل من الأمين العام للتنظيم السياسي عبد الفتاح إسماعيل،

وجاعم صالح سكرتير التنظيم في محافظة أبين، بالنزول إلى منطقة يافع، للجلوس مع القيادة المحلية للتحقيق في الملابسات الحاصلة في هذه القضية وغيرها، التي أعطت مؤشراً لوجود خلافات خفية داخل القيادة المحلية في يافع.

لكنني قبل وصول عبد الفتاح وجاعم التقيت بالكاتب الشخصي لمعرفة ملابسات منحه ذلك الترخيص بإسمي ودون معرفتي، فأكد لي انه سبق وان اعترف للمحققين قبل مجيء المحافظ، أنه عمل تلك الرسالة شخصيا دون علمي، وأنه يتحمل المسئولية عنها لوحده، هذا بعد ان اعتذر لي عمّا بدر منه بدافع التعاطف مع ذلك الشخص ليس إلاّ.

تجدر الإشارة أنه قد تم نقل الكاتب وبائع الذخيرة من سجن يافع إلى سجن أبين وحُكم عليهما ستة أشهر سجن، وقبل مجيء عبد الفتاح وجاعم إلينا كانا قد التقيا بهاذين المتهمين وتكونت لديهما فكرة كامله حول الموضوع، لهذا حاولا جمعنا كقيادة محلية للاعتذار لي وإعلان براءتي، كما سَعَيَا للبحث عن مخرجٍ للأخويين في القيادة المحلية اللذان وجها التهمة لي جزافاً، والذي لا أرى داعياً لذكر اسميهما في هذه السيرة.

وهكذا انتهت هذه القضية، لكنها أوجدت عدم الثقة فيما بيننا لاحقاً، وفتحت الباب لمشاكل أكبر، إذ أن أولئك الأخوة في القيادة المحلية بعد فشلهم في هذه القضية، لجأوا إلى طريقة أخرى أسوأ من سابقتها، تمثلت برفع تقارير سرية خطيرة إلى الجهات القيادية العليا، وصلت إلى حد التخوين والمطالبة بإعدام عدد من الشخصيات، وقد وصلت تلك التقارير إلى يد الرئيس سالم ربيع علي الذي وجد اسمي ضمن هذه القائمة التي يطلبون فيها الموافقة على تصفيتنا جسديا بتهمة خيانة الوطن. والتصفية الجسدية في ذلك الوقت لم تكن تتم بموجب حكم صادر عن محكمة قانونية، وإنما إذا حصلوا على الموافقة من القيادة العليا فسينفذون ذلك باغتيالات عن طريق الغدر أو حوادث مدبرة.

عندما وصلت الرسالة إلى الرئيس سالم ربيع اندهش عندما رأى اسمي، وأيقن أن هناك مشكلة عويصة وخطيرة في منطقة يافع، ولذلك استدعانا كقيادة محلية إلى عدن، وعند اجتماعه معنا بدأ حديثه بهجوم كلامي لاذع ضدنا جميعاً قائلاً:"يا قيادة يافع انتم مزايدون وتسيرون في الطريق الخطأ، والدليل على مزايدتكم انكم قمتم بتأميم المدرجات في الجبال التي هي عبارة عن كراسي سينما، كما قمتم بأعمال لا تتوافق والقرارات الصادرة من قبل الدولة وغيرها من الأعمال

الغير معقوله وأنا أريد الآن أن أعرف ما هو سر المشاكل بينكم وعلى ماذا انتم مختلفون ولماذا تطبقون الإجراءات بطريقة خاطئة؟".

بعد سماع هذا الكلام القاسي والخطير من الرئيس اندهشت وانزعجت، فقلت له بحماس:" يا سيادة الرئيس إذا ترى بأننا غير صالحين عليك باستبدالنا". كنت أتكلم بنية صادقة، وأنا لا أدري أن لديه تقارير مرفوعة، بضمنها قائمة بإعدام عدد من الشخصيات واسمي من ضمنهم. ولهذا رد عليّ الرئيس قائلاً :" أنت اصمُت لا تتكلم"، قالها بغضب. عندها أحسست بالإهانة فرَدَدْتُ عليه قائلاً:" يا سالمين يقولون أخرس للكلب وليس لرفيق النضال لا تفتكر انك رئيس بإمكانك ان تتكلم بهذه الطريقة، انا وأنت مناضلان لا فضل لأحد على الآخر، كنت تغسل الصحون وانا أطبخ، أو العكس وقد دافعت عنك في أكثر من عملية فدائية ودافعت عني أيضاً، اقول لك بصراحة لا توجد بيننا مشكلة". صَمَتُ قليلاً، ورَدّ أعضاء القيادة المحلية بالمثل مؤكدين عدم وجود أية مشكلة.

وعندما سمع سالمين حديثهم هذا استشاط غضباً، وقال : نلتقي غداً وسأستدعي سكرتير التنظيم السياسي في أبين جاعم صالح ومحافظ محافظة أبين محمد علي أحمد، وموعد اللقاء الرابعة عصراً في دار الرئاسة. لكنه استدعى قائد الشرطة العسكرية وأمره بأن يأخذنا معه إلى قيادة الشرطة العسكرية حتى اليوم الثاني.

وعندها، وقبيل مغادرتنا، أشار لي أحد أفراد القيادة المحلية المتآمرين ضدي قائلاً :" يا صالح معنى هذا أننا معتقلين في الشرطة العسكرية". قالها وهو يعرف أنه لن يتجرأ أحد ان يكلم الرئيس ليثنيه عن قراره غيري، فخاطبت الرئيس ثانية وقلت له:" يا سيادة الرئيس نحن قياديين، ولا ترضى علينا بالإهانة، نرجو أن لا تحجزنا بالشرطة العسكرية سنحضر غداً حسب الموعد". لكن الرئيس رَدّ على بقوله:" يا صالح انا أعرف ان مجموعتك اذا غادروا هذا المكان لن يأتوا غداً". ففهمت ان في الأمر شيء ما، لكنني ترجيته بعدها فسمح لنا بالخروج ولم نذهب إلى الشرطة العسكرية.

في اليوم الثاني عُدنا حسب الموعد، لكن اثنين من أعضاء القيادة المحلية، وهما الرأس فيها، لم يحضرا، إذ ذهب أحدهما ليستنجد بالأمين العام للتنظيم السياسي عبد الفتاح إسماعيل، فيما ذهب الآخر ليستنجد بقائد اللواء حينها والشخصية القيادية المعروفة صالح مصلح قاسم، لإدراكهما أن الرئيس سيكشف في هذا اللقاء كل التقارير، وسينفضح أمرهم أمامي، ويتم التحقيق معهما في ذلك.

وبالفعل عند حضور سكرتير التنظيم جاعم صالح والمحافظ محمد علي أحمد أحضرا معهما التقارير للرئيس ففوجئت بقائمة بمن طلبوا فيها الموافقة على اعدامهم وبضمنهم اسمي، وقد كانت الحجة المفبركة بالنسبة لي، أنني ادافع عن المشايخ والسلاطين في يافع، وأن لي اتصالات مع الهاربين وكذا المشايخ في شمال اليمن. هنا أدركت غضب الرئيس واسكاته لي وتهكمه علينا جميعاً.

في تلك اللحظة افتضح أمرهم وطلبت التحقيق الفوري، بعد ان رَدَدْتُ فاضحاً أساليبهم، وأوضحت الكثير من نقاط الخلاف والمخالفات التي ارتكبوها، حيث قلت للرئيس: أنهم يحتجزون المواطنين بدون حق وبمزاجية ومزايدة وتهم واهية بحجة أنهم كانوا مشايخ أو وجاهات اجتماعية، وبالتالي يعدمونهم دون محاكمة، فقد حصل إن اعتقلوا عدداً من الشخصيات مثل الأخوة: محمد فاضل عبد الله ومحمد أحمد الوالي وعبد الرحمن الشريف والحاج عبد الله الجحزري، وقد قلت لهذه القيادة التي أمامك، والذين لم يحضرون، أنتم تعتقلون الناس بطريقة همجية وبالتالي تذبحونهم، واعترف بأنني قد قلت لهم أي شخص تذبحوه بعد الآن سنذبحكم، يكفي ما عملتموه بعدد من المشايخ والسلاطين الذين أخذتموهم من سجن المنصورة وأعدمتموهم في الطريق دون محاكمة، وهذا هو سر إيراد اسمي ضمن القائمة، وسر النزاع يا سيادة الرئيس، مشكلتي معهم هي المواطنين وتشويه سمعة الثورة، وقد أدركت الآن لماذا قلت أنتم مزايدين ولكني هنا سأضطر لأن ابلغك بأنهم اعدموا مجموعة من الاشخاص الذين نتعامل معهم في الشمال، وهم معنا مناصرين يأتونا بالمعلومات، عندما عرفت القيادة المحلية بنجاحي في هذا العمل المرتبط بكم شخصياً وأنت مطلع عليه ذهبوا وقتلوهم في الحدود التابعة لنا ولدي الإثبات ومواقع جثثهم شاهدة على ذلك".

عندها كلف الرئيس قائد حراسته، علوي علي، بالتحرك إلى يافع بصحبتي، لكي يتأكد من صحة المعلومات التي أوردتها بخصوص جثث القتلى في منطقة الحد، قرب الحدود مع الجمهورية العربية اليمنية، وقد أمر حضور اثنين من القيادة المحلية في يافع إلى موقع الحادث، وعند حضورهما وحضور قائد حراسة الرئيس أخذتهم إلى الجبل، وأطلعتهم على جثث القتلى، وأحضرت أفراد الحرس الشعبي الذين كانوا شهوداً أثناء قتلهم بأمر من القيادة المحلية، وهنا ثبتت إدانتهم، ولم يكن أمامهم إلاّ اللجوء إلى بعض القيادات الكبيرة للتوسط لهم

بمغادرة يافع والذهاب إلى الخارج للدراسة، قبل ان يتخذ الرئيس ضدهم اجراءً، وهذا هو ما حصل بالفعل.

ان سرد هذه القصة، ليس بدافع التشهير بأحد، فأنا أترفع عن ذكر الاسماء، وإنما أردت ان أُقدم نماذج للأخطاء الفظيعة التي ارتكبت في تلك الفترة بدافع من الحماس الثوري الزائد والتطبيق الخاطئ للقرارات، بما فيها التأميم بالنسبة للأرض الزراعية تلك القرارات التي نصت على تأميم ما يزيد عن الاربعين فداناً بعلية، بينما الإجراءات التي اتخذت في يافع وغيرها تجاوزت ذلك القرار وجري تأميم ما يساوي نصف فدان من المدرجات الزراعية الصغيرة في الجبال، أي أن التأميم وقع من فلاح إلى فلاح، زد على ذلك تلك الممارسات التي تمت ضد عدد من المواطنين بحكم انتماءهم السياسي، والمتمثلة بحالات السجن والتشريد..الخ.

كل هذه التصرفات الحقت ضرراً بالنظام، وتركت أثرها السلبي إلى يومنا هذا، كما لا تخلو سيرة حياتي من المواقف الصعبة والحرجة التي تعرضت لها، فأنا أعترف ان عدم إجادتي للقراءة والكتابة كانت واحدة من المشاكل المحرجة التي لازمتني في حياتي واستدل على ذلك بقضية التزوير التي مارسها الكاتب بإسمي، ثم حاجتي لكاتب يدوّن قضايا سرية وخطيرة عندما كنت أعمل في المخابرات العسكرية خارج حدود الدولة، أي في المناطق الشمالية.

لهذا السبب كنت حريصاً على تدريس أولادي وبناء المدارس والمشاركة في محو الأمية، وقد تمكنت والحمد لله أن أوصل اثنين من أولادي إلى المرحلة الجامعية، الأول الدكتور محمد صالح الصلاحي، أخصّائي باطني ومستشار في أمراض الجهاز الهضمي والكبد في الولايات المتحدة الأمريكية، والثاني الدكتور عادل الصلاحي أخصّائي أُذن وأنف وحنجرة في عدن، إضافة إلى تبني عدد من الكوادر الذين وصلوا إلى درجات علمية ممتازة مثل الدكتور أحمد حسين عبدالحبيب والمهندس أحمد عبد الله الوحيري والدكتور علي حسن عاطف وغيرهم.

أصعب موقف في حياتي

هناك مواقف صعبة تطلبت مني اتخاذ قرارات ضرورية وحاسمة أدت إلى قطع العلاقة مع رفاق أعزاء في النضال. من أصعبها وأشدها ألماً في نفسي حتى اليوم وقوفي في وجه رفيق دربي الرئيس سالم ربيع، عندما وُضعت أمام خيار صعب مستفز من قبل جاعم صالح أمام الرئيس، ليجبرني على الخيار للانحياز بطريقة قبلية، عندما قال لي: حدد موقفك هل أنت مع إبن عمك"ويقصد مطيع"، أو مع ابن

عمي "ويقصد سالمين"، في الوقت الذي كان الرئيس صامتاً وكأنه موافق على ما يقوله جاعم.

هذا الموقف الصعب استفزني وجعلني مجبراً للانحياز إلى صف ابن منطقتي، وهو موقف لم أكن أفكر فيه لحظتها وما كنت أحبذ أن أصل إليه لأنني كنت أحب سالمين، والأسوأ من ذلك أنني ذهبت إلى الطرف الآخر الذي كان مطيع من أبرز رموزه، فوجدت أنني مثار شك بسبب ولائي المعروف للرئيس سالمين، ليس الشك من قبل مطيع، ولكن من قبل قيادات أخرى، وهو ما حصل بالذات أثناء المواجهة مع مجموعة الرئيس سالم ربيع، مما جعلني في موقف أصعب من السابق، اضطررت فيه إلى الانسحاب من مكان المعركة بعد أن شعرت أنني في وضع حرج ومستهدف من الطرفين.

وفي قائمة المواقف الحرجة والصعبة تأتي قضية انفصالي عن المناضلَين محمد صالح المصلي والسلطان محمد عيدروس، وأعترف أنهما كانا قدوتي في النضال وربطتني بكل منهما علاقة متينة قائمة على رابطة النضال الوطني ضد الاستعمار وعملائه. وقد تمثل ذلك الموقف الصعب في اتخاذي قرار الالتحاق بالجبهة القومية خلافاً لموقف ورغبة الرجلين اللذان رفضا ذلك بحجة أنهما قد سبقا أولئك المؤسسين للجبهة القومية، وأن على الآخرين الالتحاق بهم وليس العكس، تفاصيل ذلك سبق ذكرها في فصل سابق.

تلكم هي أبرز المشاكل والمواقف الصعبة التي واجهتها. ومنها نستدل على أن المواقف والأحداث تجعل الرفاق السائرين في طريق واحد أحياناً قد يصلون إلى مفترق الطرق، وربما يختلفون ولكن الخلاف لا يفسد للود قضية، فلا زلت أحتفظ بمشاعر الاحترام والوفاء للرئيس الشهيد سالم ربيع وعائلته حتى اللحظة، كما جمعتني لقاءات ودية مع زميلي ورفيقي في النضال محمد صالح المصلي، وبقيت وفياً معه حتى اللحظة، ولم أزل كذلك مع كل زملائي الذين كانوا في القيادة المحلية في منطقة يافع آنذاك أو غيرهم.

إن هذه القصص والأحداث المأساوية سواء تلك التي أشرت إليها، أو غيرها ترشدنا إلى مدى حاجتنا إلى التمسك بالقوانين وتطبيقها بصرامه على الجميع، وضرورة استقلال القضاء وتقويته، ليكون ضمانة دائمة لحياة حرة كريمة، يعيش فيها أفراد الشعب آمنين متساوين في الحقوق والواجبات، حياة خالية من القرارات الارتجالية والتخوين والإقصاء واحتكار الحقيقة.

كما تعلمنا هذه الأخطاء والأحداث المأساوية، إننا بحاجة ماسة لتثبيت مبدأ الديمقراطية والحرية والشفافية في حياتنا، كحاجتنا للماء والهواء، كما أن الضمانة الاكيدة أيضاً لعدم تكرار أخطاء الماضي، هو التمسك والتطبيق لهذه المبادئ في الحياة اليومية لكي نرى مساحة للرأي والرأي الآخر ولتستمر ديمومة الحياة دون معوقات.

أبرز المواقف الإنسانية

لا يستطيع الإنسان ان يعرف قيمة الحرية، ومعنى الإنسانية، الاَّ عندما يعاني من القهر والظلم، كما ان القدرة والإرادة على اتخاذ مواقف إنسانية تهدف إلى مساعدة الآخرين بغض النظر عن النتائج المترتبة عن ذلك، لا تتأتي إلاَّ عندما يصل المرء إلى ذروة حريته، متشبعاً بالقيم الإنسانية النبيلة.

وأقولها بثقة وراحة ضمير، أنه بتوفيق من الله، آثرت الوقوف إلى جانب المحتاجين والضعفاء والمظلومين، قدر الاستطاعة، وقد سبق وأن أشرت إلى قصة عبدالقادر العفيفي الذي أنقذته عندما كان معرضاً للإعدام، وكذا العبد الذي حررته، وصديقي الرسابي الذي ساعدته حتى صار من أشهر تجار الذهب، وهناك مواقف كثيرة وقصص أتذكر منها انه ذات مرة جاءت امرأة تشكي أنه تم أخذ ابنها الوحيد وإلحاقه قسراً في الجيش ونفيه إلى جزيرة سقطرى، بحجة أنه قُبض عليه أثناء محاولته الخروج عبر الحدود إلى الجمهورية العربية اليمنية لغرض الاغتراب في المملكة العربية السعودية، وقد رثيت لحالها وذهبت بنفسي لمقابلة الرئيس سالم ربيع لاستخراج أمر الإعفاء لابنها، ولهذا الغرض أيضاً سافرت في إحدى الطائرات العسكرية إلى جزيرة سقطرى لأخذ الولد معي حتى أوصلته إلى منزله وسلمته لأمه، وقد فرحت فرحا شديدا بعودة ابنّها، كما شعرت شخصيا بسعادة كبيرة، كون ما قمت به عملا إنسانيا يرضي الله.

وهناك قصة أخرى أتذكرها، فذات مرة جاء رجل عجوز إلى منزلي وهو يبكي، شارحاً قصة ابنه الذي تم اعتقاله وإيداعه السجن دون سبب يُذكر، وفي تلك الأثناء قام الرجل بقص لحيته أمامي. وقص اللحية معناه في العرف القبلي والإنساني أنه جاء مستنجداً وينبغي نصرته. كان ذلك الموقف مؤثراً جداً بالنسبة لي، هز مشاعري ووجداني الإنساني، فتوجهت مباشرة إلى سجن محافظة أبين، لأعرف الجهة التي احتجزته، وبعد ان عرفت، تابعت قضيته، حتى أخرجته من السجن. ولكن، كما يقال، يا فرحة ما تمت، فقد قُتل في الطريق وهو عائد إلى

منزله ضمن مجموعة كانوا راكبين في السيارة، حيث اعترضتهم مجموعة من المرتزقة القادمين من الحدود الشمالية في السيلة البيضاء.

وهناك قصة أخرى لإنسان آخر، كان ملاحقاً بتهمة الانتماء لتنظيم سياسي غير الحزب الحاكم، وهو ما كان شبه محضور، ولهذا السبب اتُخُذ بحقه قرار الإعدام من قبل القيادة المحلية في يافع، ولم يكن أمامه سوى اللجوء إليّ، طالباً منّي انقاذ حياته، ولأن التهمة باطلة، ومسألة بقائه في يافع تحت حمايتي سيسبب مشكلة مع القيادة المحلية، لذا قمت بإخراجه إلى خارج حدود الجمهورية، بعدها أعلنت موقفي المعارض لمثل هذه التصرفات، وحذّرت أعضاء القيادة المحلية في يافع، من مغبة الاستمرار في مثل هذه الأعمال غير الإنسانية والمسيئة لسمعة الدولة.

بعد مرور زمن طويل عاد الرجل إلى الوطن، وكنت قد نسيته ولم أعد أتذكر صورته، وفي ذات يوم كنت واقفاً أمام مركز صرافة في مدينة كريتر عدن، وإذا بشخص يحدق بعينيه نحوي عدة مرات، ثم توجه اليّ قائلاً:" هل انت صالح فاضل؟". قلت: نعم. عندها لم يتمالك نفسه فاحتضنني بقوة، قائلا:" هل تذكرني؟".

قلت له: أعذرني ربما صار لنا زمن طويل فلم اعد أتذكرك، من انت؟. قال: أنا عبد الله صالح عبدربه الذي كنت متهم بالانتماء لتنظيم سياسي آخر غير الحزب الاشتراكي، وكنت ملاحقاً ومطلوباً للإعدام فلجأت إليك وأعتقت رقبتي من الإعدام، وسهّلت سفري إلى خارج الحدود. كان منتشياً حينها، وفي يده كيس مليء بالنقود ناولني إياه قائلاً: خُذ هذه النقود، أنا في حالة ميسورة والحمد لله، ربما هذا جزء من رد الجميل الذي لا أستطيع أن اجازيك على ما قدمته معي. لكنني أعدت إليه الكيس، وشكرته، وقلت له: الحمد لله الذي كتب لك السلامة ولم أكن حينها سوى سببا لإنقاذ حياتك، أشكرك على مشاعرك الطيبة فأنا أيضاً حالتي ميسورة ولله الحمد، وما قمت به حينها كان إرضاءً لله ولضميري. غادر الأخ عبد الله المكان وهو ينظر إليّ بدهشة ومحبة طالباً أن يلتقى بي مرة أخرى، لقد شعرت حينها كم هي الأعمال الإنسانية رائعة تبعث الراحة والرضى في النفس والمسرة للأخريين.

وهناك قصة أخرى تتعلق بأحد المغتربين في الولايات المتحدة الأمريكية، سافر لقضاء الإجازة في منطقته يافع، في فترة السبعينات، التي اتسمت بالحماس الثوري الزائد والتعبئة ضد أميركا، وكان هذا المغترب البريء، واسمه صالح عبد

الرب العبادي، قد ذهب في أحد الأيام إلى مكان عام يسمى "مقيل القات" وعلى سبيل الدردشة أراد أن يظهر للحاضرين أنه رجل مهم له علاقات مع شخصيات سياسيه أمريكية وأن أمريكا بلد ديمقراطي، وأشار أنه تمكن من مقابلة الرئيس الأمريكي، وهو في الحقيقة لم يقابله، وعلى إثر ذلك تم اعتقاله والتحقيق معه واعتباره جاسوساً. وعندما عرفت بهذه القصة ذهبت لمقابلة الرجل في السجن لأسأله عن قضيته، فأكد لي أن كل ما قاله كان مجرد مزح في جلسة قات، ولا اساس له من الصحة، وأنه لم يكن يتوقع أن يؤخذ كلامه ويؤول بهذه الطريقة، ولم يدري انه سيعاقب بسببه. بعدها أخرجته من السجن، وقد ظل الرجل يتذكر هذا الموقف الإنساني دائماً كلما قابلته. وهذه واحدة من الأخطاء التي ارتكبت بسبب المزايدات، وكنت كلما رأيت هذا الرجل أشعر بالسعادة كونني تمكنت من مساعدته واشعر بالألم كونني أتذكر تلك التصرفات الخاطئة التي أضرت بدولتنا ونظامنا.

لوحة د. الخلاقي..وذكرى افتتاح سالمين لنقيل الخلاء

في المراحل الأخيرة لاستكمال كتابة مذكرات حياتي فيها، وفيما كنت أعصر ذاكرتي عصراً لعلها تقدم لي شيئاً من الأحداث التي شاركت فيها أو كنت شاهداً عليها، ففوجئت بأحد أبنائي يقدم لي صفحة الدكتور علي صالح الخلاقي في الفيسبوك وفيها لوحة تعبيرية عن افتتاح طريق نقيل الخلاء رسمها حينما كان طالبا في أول مدرسة إعدادية على مستوى يافع، قبل أكثر من أربعين عاماً، لغلاف مجلة (الشباب والطلاب) التي كانت تصدر حينها بالاستنسل(انظر الصورة أدناة).

فأستعادت ذاكرتي حدثا تناسته ولم أكتب عنه، فقررت أن أقدم هنا تعليقاً مختصراً حول ظروف تلك المناسبة، لكي أُساعد في وصف وإنصاف تلك المرحلة. لازلت أتذكر جيداً بأنه بعد استكمال شق طريق نقيل الخلاء طلبت لجنة المديرية للتنظيم السياسي الجبهة القومية مني أن أُسافر إلى عدن لإقناع الرئيس سالمين في أن يكون هو من يُشَرِّف أبناء المديرية في يافع في افتتاح ذلك المشروع. كانوا يدركون العلاقات الرفاقية التي تربطني بالرئيس سالم ربيع علي، التي عمقتها سنوات مرحلة الكفاح المسلح وما بعدها ولهذا تم اختياري لهذه المهمة.. قابلته وكنت ادرك بان المشروع ليس بالحجم الذي يستدعي ان يحضر الرئيس بشخصه. لكن أهمية المشروع كان بسبب ان اعتمادات الدولة لم تكن كافيه لوحدها في

استكمال شق الطريق لذا كان على أبناء المنطقة ان يقدموا نموذجاً راقيا في العمل الطوعي المبرمج في المساعدة لاستكمال تنفيذ المشروع.

في فترة السبعينات كان اخلاص الرجال والنساء بمختلف انتماءاتهم الطبقية بما فيها القطاع الطلابي للعمل الطوعي قد جعل كثيراً من المشاريع العامة ترى النور. لهذا اقنعت الرئيس سالم ربيع بأن قدومه ومشاركته الشخصية بالحضور سيكون له وقعاً جميلاً في نفوس أبناء المنطقة وسيمنحهم هذا الاهتمام زخماً جديداً لمزيد من المشاركة الفاعلة في المشاريع الخدماتية القادمة. كان رده ايجابياً مؤكداً أنهم يستحقون كل الوفاء والتقدير وأن حضوره لتهنئتهم بإنجازهم هذا هو أقل ما يمكن أن يقدمه، كما أشار إلى أن هناك سبب آخر يجعل لزيارته تلك معنى وسعادة وهو أنه سيقطع تلك الطريق على ظهر سيارة بعد أن أدمَت قدميه حين كان يقطعها مشياً على الأقدام في بداية مرحلة الكفاح المسلح. كان يلمح بذلك إلى الفترة التي أعقبت انطلاقة ثورة ١٤ اكتوبر عندما كلف بحل الخلافات التي نشبت بين قبائل ردفان، وكان عليه حينها أن يسافر من مكتب الجبهة القومية في تعز إلى ذي ناعم في محافظة البيضاء ثم يافع قاطعاً تلك الطرق الوعرة مشياً على الأقدام حتى وصوله إلى ردفان.

كان افتتاح طريق نقيل الخلاء في ٢٠ يوليو ١٩٧٤م، يوماً مشهوداً وبحضور شعبي منقطع النظير، تجسدت فيه معاني وحدة الناس وتلاحمهم وحبهم لقائد مسيرتهم الرئيس سالم ربيع علي رحمة الله عليه.

الدكتور علي الخلاقي يمثل نموذجاً لما كنا نطلق عليهم جيل الثورة الصاعد، ذلك الجيل الذي نمى وترعرع في كنف التجربة الثورية. كان حينها شاباً فتياً لكنه متحدثاً لبقاً وخطيباً بارعا ولهذا كنا نوكل اليه تقديم المهرجانات والاحتفالات العامة، وهكذا كان أحد مقدمي ذلك المهرجان.

علينا أن نفتخر به وبأمثاله فبالإضافة إلى نجاحاته الأكاديمية وعمله استاذاً في جامعة عدن - كلية التربية يافع، فأنه يقوم بجهود متميزة في توثيق وتأليف ونشر عشرات المؤلفات في التاريخ والتراث والترجمة، وعلى الأخص توثيق تاريخ وتراث يافع الضائع، ويقدم بعمله هذا خدمة إنسانيه لجيلنا وللأجيال القادمة.

اليوم أقول للدكتور علي بأنه رمزٌ جميلٍ لجيل عظيم عاش وأثَّر وتأثَّر واستفاد من مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني وبناء دولة النّظام والقانون.



الشباب والطلاب

مجلة سياسية ثقافية شهرية تصدر عن : اتحاد الشباب اليمني الديمقراطي والاتحاد العام لطلبة اليمن ، م/ الغربيه — م/ الثالثه ..

السنة : الأولى — العدد (الخامس) يوليو ١٩٧٤م . الثمن (٥٠) فلسا



الشباب والطلاب

سياسية ، اجتماعية ، ثقافية ، شهرية — الثمن (٥٠) فلسا

تصدر عن :

اتحاد الشباب اليمني الديمقراطي والاتحاد الوطني العام لطلبة اليمن م/ الغربية

المحافظه ، الثالثه ... العدد (السابع) اغسطس ١٩٧٤م (السنه ، الأولى) ..

((عنوان المراسلات))

مجلة الشباب والطلاب ، م/ الغربيه ، م/ الأول (لبعوس)

مقر اتحاد الشباب اليمني الديمقراطي ، وباسم هيئة

تحرير المجله ....

مجلة(الشباب والطلاب) وتبدو بصمات علي الخلاقي في الرسم والإخراج منذ المرحلة الإعدادية

الخـــاتمـــة

بعد تحقيق الاستقلال الوطني كانت الفرصة متاحة أمامي لأن أتبوأ المنصب العسكري أو الإداري اللائق بدوري في مرحلة الكفاح المسلح، وأن أعيش وأستقر في وطني مثل غيري من رفاق المرحلة المناضلين، فدوري النضالي لم يكن بأقل من دور كثير من الرفاق الذين رأوا أنهم يستحقون المراكز العليا في السلطة، سواء العسكرية منها أو المدنية.

بيد أن حبي ووفائي للوطن كان أقوى من رغباتي الشخصية في الحصول على وظيفة عسكرية أو إدارية تبعدني عن الذود عن حياض الوطن وتحقيق الأمن والاستقرار في المناطق الحدودية أحمي حدودها و أساعد في حل المشاكل العالقة القديمة والحديثة بين المواطنين، وأعمل مع المسئولين الآخرين على إعادة عُرى الوحدة والألفة بين الناس وخلق حالة من الأمن والاستقرار للمواطنين.

اليوم وأنا أكتب مذكراتي، أشعر بالرضا التام والطمأنينة في أنني لم أستغل يوماً سلطتي أو هيبتي، إلاّ لمصلحة الناس وللحفاظ على سلامتهم وكبريائهم. صحيح أن الحظ لم يساعدني أن أحصل على أي قسط من التعليم، لكن الحياة علّمتني الكثير من الدروس والتجارب وكانت مدرستي الحقيقية. فقد علمتني بقسوتها و تنوعها واختلاف محطاتها وناسها كيف أتعامل مع الناس بالأسلوب والطريقة التي يستحقونها.

كان لكل مرحلة في حياتي قسطها في إثراء وتراكم خبراتي الإنسانية. عشت جزءاً من طفولتي في عدن، التي أحببتها، وعرفت فيها كيف يعيش الأطفال من أبناء الوطن حالات التشرد وملاحقات الشرطة والبلدية والحرمان من الدراسة. جرّبت حياة الغربة وعرفت الأسباب التي تدفع لكثيرين إلى مغادرة وطنهم وفراق أهلهم وأحبابهم مرغمين، وعشت وعايش معاناة المغتربين وظروف معيشتهم وعملهم القاسية في الغربة حتى يؤمنوا لأهلهم الحياة الكريمة. وعشت الحياة القبلية وتعلمت قوانينها وأعرافها وماذا يعني أن تحفظ للإنسان الكريم والعزيز كرامته وقدره، وبالقدر ذاته اِكتويت بمآسي الفتن القبلية البغيضة وعرفت قيمة وأهمية الخلاص منها واستئصال شأفتها.

وفي مرحلة الكفاح المسلح تعلمت العمل السري المنظم والهادف، والحب والإخلاص للوطن وللشعب، وكيف تنشأ علاقة أخوية يضحى الرفيق بماله ودمه

لنصرة أو حماية رفيقه في الكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن، وسأظل أفتخر بأنني احد المساهمين في الكفاح المسلح وصُناع فجر الاستقلال الوطني.

هذه التجارب الإنسانية مجتمعة ألهمتني فن التعامل مع الناس وفقاً لتصنيفهم الاجتماعي، القبلي والأسري. فالمعادن الأصيلة والنقية تحتفظ أبداً بأصالتها ونقائها، مهما تقلبت الظروف والمراحل. وأمثال هؤلاء يستحقون أن نصون كرامتهم ونحفظ كبريائهم حتى وإن اختلفوا معنا بالرأي أو التوجه. وعلينا دائماً أن تبحث عن قواسم وقناعات مشتركة تكون أرضية يمكن أن نقف عليها معهم، حتى تمد وتترسخ جسور الثقة والحوار.

لقد عملت كل ما أستطيع لرفع الظلم عن الناس. أنصفت المهاجر الذي كان البعض ينظر له وكأنه جاحد لوطنه ومتهرب من خدمته ليخدم أرض وطن غيره، متجاهلين الظروف التي قادت أعداد كبيرة من أبناء الجنوب العربي للهجرة. تلك الظروف عشتها أنا شخصيا وتجرعت مرارتها وهاجرت في يوم من الأيام بسببها. لقد أيقنت منذ بداية السبعينات أن تعييني كمسئول عسكري في المنطقة هو عمل نبيل حققت من خلاله أهدافا نبيلة سأظل أفتخر بدوري فيها مع بقية زملائي. فالجمهورية الفتية تبنت حينها إيديولوجية جديدة أساسها الفكر الماركسي اللينيني، ذلك الفكر الذي آمن الناس بنجاحة في الاتحاد السوفيتي وبعض دول أوروبا. لهذا فإن أسياد الكلام وبعض المزايدين، ممن كانوا يضيفون إلى ما قاله ماركس ولينين، قد أرادوا أن يخلقوا ثورة حمراء في جبال يافع، يطبقون قانون الإصلاح الزراعي على المدرجات الزراعية الصغيرة، تلك التي وصفها الرئيس سالمين بأنها أشبه بكراسي السينما، والتي لا يسد محصولها رمق جوع العائلات المالكة. ومنهم من رأي إن الضمانة الحقيقية لتثبيت هذا النظام وترسيخ هذه الايدلوجية لن يأتي إلاّ بالقضاء على أي شيء له صلة بالماضي، بما في ذلك عادات وتقاليد ونواميس المجتمع، بل تعدّى ذلك إلى ملاحقة وإذلال وسجن، بل وتجهيز قوائم الإعدام لكل من له صلة بما كان يسمى بالعهد البائد عهد الاستعمار والسلاطين والمشايخ.

وكان يحتم عليّ واجبي الدفاع عن هؤلاء الناس وحمايتهم من تهور وشطحات الراديكاليين، الذين لم يعيشوا أو يستوعبوا الظروف الحقيقية للناس قبل الثورة، ولم يفقهوا الجوانب الجميلة للكثير من أعراف وقوانين المنظومة القبلية. فهم ينظرون بسوداوية إلى كل طقوس وعادات ونواميس المجتمع وأنها، حسب رأيهم، موروث استعماري يكون من يمارسه أو يدافع عنه عرضة للملاحقة، أو السجن

وأحياناً الإعدام بدون محاكمة. بعض هؤلاء ايضاً لم يكن لهم رصيد أو دور فعال في مرحلة الكفاح المسلح، وقلة منهم ممن ركبوا قطار الثورة في المحطات الأخيرة، ومنهم من انتظر طويلاً وصول القطار إلى آخر موقف له، يحسِنُون التنظير فقط وفقاً لما تعلموه من الكتب، لكنهم سَيّئُون عند التطبيق على الواقع، لأنهم لم يتعلموا من تجارب الحياة بتعقيداتها وظروفها إلاّ النزر اليسير.

رغم أن مسئولياتي الرسمية كانت عسكريه إلاّ انني ساهمت في شق الطرقات وبناء المدارس وقيام التعاونيات وتشييد السدود، وأغلبها لم تكن مدرجة ضمن الخطط الخمسية لمشاريع المنطقة، معتمداً على علاقتي المميزة برفاق الدرب الطويل من القيادة التاريخية وفي مقدمتهم سالم ربيع علي. عبد الفتاح إسماعيل. علي ناصر محمد. علي سالم البيض. محمد صالح مطيع. جاعم صالح. علي صالح عباد مقبل. علي عنتر. صالح مصلح. سالم صالح محمد. محمد سعيد عبدالله. عبد العزيز عبد الولي..الخ.

إن العلاقة النضالية التي توحدها القضية الواحدة والهدف الواحد والمترس الواحد، والخالية من المصالح الضيقة، تتبين فيها معادن الرجال ومعاييرهم، ويصل فيها الرجال الحقيقيون إلى أقصى درجات نكران الذات، التي يصبح فيها تقديم الروح لتحرير الوطن وحماية الرفاق أمراً لا تردد فيه، وهذا النوع يعتبر بحق من أقوى العلاقات الإنسانية وأكثرها استمرارية، وهي العلاقات التي سهلت عليّ مساعدة البعض والدفاع عنهم وحمايتهم وتخفيف العقوبات على البعض ممن كان ذنبه فقط علاقته القديمة بالمشايخ والسلاطين أو مع المؤسسات الاستعمارية.

بيد أن كل ما تقدم ذكره، لم يرق لأولئك الذين كان يؤرقهم نفسياً انعدام أي تاريخ نضالي حقيقي لهم وأي علاقات حقيقية مع قيادات السلطة من الرعيل الأول من المناضلين، فسلكوا مسلك الإرهاب الفكري وخلق حالة من التجبر والهيمنة على المواطنين حتى يعوضوا شعورهم بمُركب النقص، فخلقوا بتصرفاتهم الهوجاء تلك حالة من الخوف والذعر.

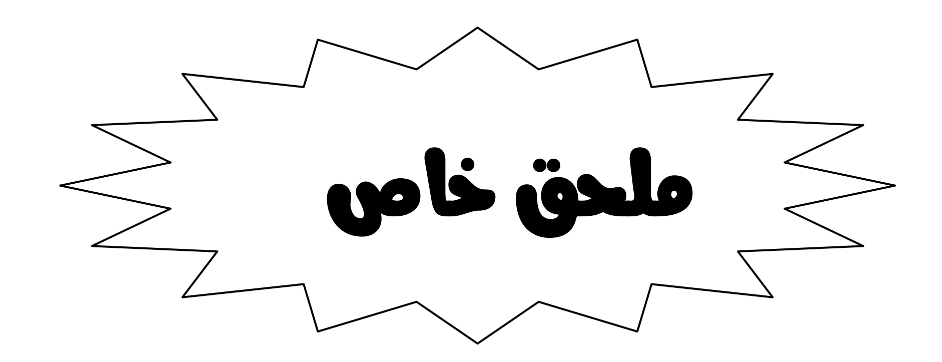
لقد ترددت كثيراً في الكتابة عن أخطائنا في الفتن القبلية، وفي مرحلة ما بعد الاستقلال، لكنني شعرت أن من الواجب أن اكتب قصة تجربة حياتي كما هي وليس كما أحب أن تكون. وقد حاولت الكتابة عن هاتين المرحلتين باقتضاب وبعمومية، لأن الغرض ليس فتح الملفات لمحاكمة التاريخ أو المشاركين فيه أو توجيه أصابع الاتهام لأشخاص بعينهم دون غيرهم، فالكل منا له أخطاء، وإن

تفاوتت درجات وأحجام تلك الأخطاء. وبنفس الوقت لا أريد أن يفهم أو يترجم البعض بأنني أحاول أن أُبرئ نفسي، من خلال كتابي المتواضع هذا، من أخطاء تلك المرحلتين، بل أعترف أنني في الحياة القبلية واحداً من أبناء القبيلة الذين جرفتهم كوارث وعواقب فتنة الأهل لأكون طرفاً مساهماً فيها.

وفي مرحلة ما بعد الاستقلال واصلت حمل السلاح للمشاركة في حماية أمن وسيادة النظام، واقتنعت، مثلما اقتنع السواد الأعظم من الناس، بالخيار والتوجهات السياسية والإيديولوجية للتنظيم السياسي الجبهة القومية ثم التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية وأخيراً الحزب الاشتراكي اليمني ودافعت عن كل هذه الخيارات.

إنني أؤمن بحقيقة أنه لا توجد على هذه الأرض أي حضارة أو تجربة أو مرحلة إنسانية، إلاّ ولها سلبياتها وإيجابياتها. فالبشر صناع التجارب والحضارات ليسوا ملائكة معصومون من الخطأ، حتى وإن تفوقت عقولهم في التنظير السياسي الاقتصادي والعلمي. لذا حتى يكون نقد ومحاكمة المراحل السابقة صادقاً وأميناً ومحايداً ينبغي على الراغبين من الناس أو التنظيمات الجديدة تحليل ودراسة الظروف المحلية لتلك المرحلة وتأثير التجارب الإنسانية الإقليمية والعالمية على تبني خيارات التوجه السياسي والاقتصادي في سياقها التاريخي. لأنه لا يمكن أن تنجح أية تجربة في البناء بمعزل عن العالم. فالإنسان بطبيعته يتعلم من التجارب الإنسانية على اختلاف مشاربها. والتأثُر والتأثير صفة بشرية بحته.

إن الهدف الحقيقي والوحيد من الإشارة إلى بعض سلبيات الماضي هو تحفيز الأجيال الجديدة لأن تدرس بموضوعية تجارب وأحداث الماضي لتتعلم منها، تأخذ الإيجابيات فتتبناها وتطورها، وتدرس أيضاً الظروف والعوامل والأسباب التي قادت إلى الانتكاسات والاخفاقات والانحرافات السلبية فتعمل على تهيئة كل الظروف التي تؤمن عدم تبنيها أو تكرارها، لأن المجتمع الذي لا يستفيد من خبرات وتجارب ماضية ومن تجارب الأقوام التي سبقته، ويعود لممارسة وتكرار نفس أخطاء الماضي، هو مجتمع ظلامي سيظل أفراده أسرى الماضي، وستلفظهم وتهمشهم عجلة تاريخ التطور الإنساني كما يلفظ البحر الأسماك الميته وجُثَث الغرقى.



شهادة للتاريخ عن مواقف "عِمْرَان" الإنسانية

ونحن في الأيام الأخيرة لإنجاز مذكرات حياة الوالد صالح فاضل، وفيما كنا نضفي اللمسات الأخيرة على الكتاب، شاءت الصدف أن التقي بالأخ عبدالحافظ علي محسن العبادي، وهو أحد رجال الأعمال اليمنيين الأمريكيين، ويقيم في مدينة "بفلو - نيويورك"، فبادرني بالسؤال قائلا: سمعت بأن والدك يكتب مذكراته عن تاريخه السياسي والعسكري؟. أجبته: صحيح، لكن ليس فقط تاريخه السياسي والعسكري، بل تطرق إلى مرحلتي الطفولة والشباب في العهد القبلي. فقال: هل ترغب أن أسرد بعض الجوانب الإنسانية التي تميز بها هذا الرجل وهي كثيرة، لكنني سأكتفي بالحديث فقط عن واقعة إنسانية كنت شاهداً عليها، واستطرد قائلا:"عليكم أن تدركوا أن ما يميز إنسان عن آخر هي درجة آدميته وإنسانيته، والمحك لذلك هو الزمن الذي يكون للمرء فيه الجاه والسلطة، فالسلب والإيجاب يظهران جلياً في ممارساته وسلوكياته ومواقفه بشكل عام، وتستحق الأعمال الإنسانية التي تلامس قلوب البسطاء التوقف عندها وتوثيقها، لأنها تعكس أصالة ومعدن الرجال ودرجة حبهم للخير ورفضهم للظلم والشر، وهذه الصفات ينبغي أن تظل نماذج أبدية للسلوك الإنساني البحت، حتى وأن تغيرت مراحل المجتمع البشري وتبدلت الأنظمة والأيدلوجيات في المجتمعات والدول".

قاطعته قائلا:" كلما تقوله كلام جميل، لكن حدثني عن القصة التي عايشت وقائعها وبنيت عليها تلك القناعات". فأخذ يسرد تلك القصة على النحو التالي:

هناك في يافع، وتحديداً في مسقط رأسي قرية "رباط العبادي" كانت تعيش امرأة قست عليها ظروف الحياة ونوائب الدهر، فبالإضافة إلى حالة العوز والفقر، فُجعت أيضاً بوفاة زوجها، وكانت أم لولد وبنتين. ورغم أن ابنها لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره فقد كان متزوجاً ولديه بنتين أيضاً، إذ أن أبويه أحبا تزويجه صغيرا حتى ينعما بتربية الأحفاد، داعين الله أن يرزقه بالرجال ليرثوا اسمه واسم العائلة.

وهكذا أصبحت الأم هي المعيلة الوحيدة للأسرة، تحرث الأرض وتساعد الآخرين مقابل أجر زهيد لا يسد رمق جوع الأسرة. ولأنهم يسكنون في منزل عتيق مهترئ فقد تصدعت جدرانه وآل سقفه للسقوط، فانتقلوا للعيش في منزل صهرهم، الأخ قاسم علي، زوج بنتها.

هذه الحياة الصعبة والفقر الرهيب، في زمن شَحَّت فيه فرص العمل وانعدمت أسباب النجاح، دفعت ابنها الوحيد، الذي صار هو الآخر أباً لبنتين، لأن يقدم على مغامرة اجتياز الحدود عن طريق التهريب، ليلتحق بمن سبقه من أبناء منطقته للعمل في المملكة العربية السعودية، بغرض الحصول على مصدر عيش يحسن فيه من أحوال أسرته المعيشية، ويحقق الحلم الذي يسطر على عقله ووجدانه في بناء مسكن بسيط يأوي أسرته ويوفر لها العيش الكريم الآمن.

كانت نصيحة خبراء التهريب أن أسهل منطقة لاجتياز الحدود هي الضالع – قعطبة، فأخذ بهذه النصيحة واتجه إلى الضالع، لكن للأسف فهناك اشتبه رجال الأمن في تصرفاته، وتم القبض عليه بسبب النوايا فقط، وليس الفعل، لأنه لم يكن فعليا قد حاول الهروب. وقد كان عبور الحدور حينها بدون تصريح رسمي، يُنظر له أحياناً وكأنه أشبه بخيانة للوطن، فضلا عن كون التوجه للعمل في بلد تُصنف بالمعادية للثورة وللنظام القائم حينها يعتبر تنصلا من خدمة الوطن، ولهذا تم القبض عليه وسجنه وترحيله كعقوبة له ولأمثاله إلى أحد المعسكرات في جزيرة سقطرى، فهناك وحتى أن فكر بالهروب من المعسكر فعليه أن يركب البحر.

مَرّ عامان أو يزيد والأم المسكينة لا تعرف شيئا مما حدث لابنها الوحيد، وظلت تعيش في هم وقلق وخوف بسبب انقطاع أخباره. وفجأة جاءتها رسالة منه يفيد فيها بمكان تواجده في سقطرى ويوضح فيها كل ما حدث له منذ مغادرته للقرية.

قضت الأم أشهراً عديدة في متابعة إخلاء سبيله تتقاذفها مكاتب المسئولين والوزراء في عدن، يساعدها في تنقلاتها زوج ابنتها الأخ قاسم علي، ووصل بها الأمر أخيرا لمقابلة رئيس الوزراء علي ناصر محمد. كانت في كل مرة تعود خائبة، لأنها

تحصل فقط على وعود تشابه بعضها، مفادها أنهم سيتواصلون مع الجهات المسئولة عن حجزه وترحيله وسينظرون في الأمر. وكانت غير مرة قد تلقت تلميحات هنا وهناك بإن ما أقدم عليه ابنها يرتقي إلى درجة خيانة الوطن، فزاد بذلك خوفها على مصير ابنها، وشعرت بأن متابعاتها تلك قد تفتح أعين السلطة أكثر على ابنها، وقد تضر بسلامة حياته، فاستسلمت لليأس أو كادت، واكتفت بالدعاء لله في صلواتها وفي كل حين، أن ينقذها من محنتها تلك وأن يعود إليها ابنها سالماً غانما.

كان كل أبناء قريتنا يتعاطفون معها، ويرثون لحالها وما آلت إليه ظروف أسرتها المعيشية، بسبب انشغالها وتفرغها لمتابعة قضية ابنها، مضافا لذلك النتائج غير المبشرة والمخيبة لتلك المتابعات التي حطمتها نفسيا. وفي ذات يوم حَلّ الأخ صالح فاضل ضيفا على الأخ عبيد حسين الصلاحي، في قرية القندول، المجاورة لقريتنا "رباط العبادي". كان الوقت عصراً، وكانت الأم حينها منهمكة في حراثة الأرض، ولأن معاناتها قد أصبحت معاناة كل فرد من أفراد قريتنا، فقد جاء إليها الأخ محمد حسين محمد العبادي ليخبرها بوجود صالح فاضل الآن في قرية "القندول"، ونصحها بأن تذهب لتعرض عليه قضية ابنها لعله يساعد في حلها. في البدء ترددت في الأمر، معللة ذلك بفشل محاولاتها السابقة مع كبار المسئولين للافراج عنه، ثم أن اعتقاله كان في الضالع وليس في يافع حيث سلطة وتأثير صالح فاضل، وأن ابنها ليس في سجن يافع أو المحافظة وإنما في سقطرى. لكنه ألحّ عليها أن تجرب حظها وتذهب فهي لن تخسر شيئا، وإذا لم ينفعها صالح فاضل فلن يضرها، ونصحها أيضاً أن تأخذ معها حفيدتيها، ابنتي ولدها، وحفيدها الصغير الذي ولد بعد مغادرة ابنها، وتشرح له كيف أن سجن ابنها هذه المدة في الجزيرة قد أحرمه أن يفرح برؤية ابنه الصغير الذي يمثل حلمه وحلم الأسرة وكان ينتظر اليوم الذي يكحل فيه عينيه برؤيته، وتوضح له أيضاً ظروف الأسرة وحالتها المعيشية الصعبة التي دفعت ابنها لمحاولة الهجرة وفراق الأسرة والوطن. المهم أنه أقنعها بأنها قد تحصل على المساعدة المطلوبة لما سمعه عن صالح فاضل وما عرفه عنه من مساعدة آخرين في مشاكل عديدة أكثر تعقيدا من مشكلة ابنها.

وقد روت لنا هذه الأم كيف تعاطف معها الناس، وسهلوا لها دخول مجلس الرجال، وكيف قصَّت خصلة من شعر ها ورمتها إلى صالح فاضل وهي تقول

مخاطبة إياه:" أني عروة الله وعروتك يا صالح فاضل، إذا أنت عادك تعرف العروة، لقد تأرملت، وقاسيت الكثير، ولم أشكي الاّ على الله، ولكن ما أعانيه الآن هو ظلم البشر، لقد أخذت حكومتك ابني الوحيد الذي تأرملت من أجله، ثم اعتقلوه ورموه في سجن بجزيرة سقطرى، وليس له من ذنب سوى أنه أراد أن يساعدني في توفير لقمة عيش نظيفة ورزق حلال للأسرة، وقد رموا به بعيدا، فعاقبوه وعاقبونا بدون ذنب، بحيث لا نستطيع الوصول إليه أو زيارته...وهو أملي الوحيد وأمل الأسرة كلها، فهل يرضيك هذا أو يرضيك أن أهمل الأسرة هنا وأذهب إلى عدن للتنقل من جديد من مكتب إلى مكتب بدون فائدة، ومصير ابني مجهول"..

المهم أنها سردت كلاما كثيراً أثار تعاطف الجميع معها، وسمعت كلاما أطيب من صالح فاضل، الذي طمأنها بأن عليها أن تهتم بشئون الأسرة وأنه سيتابع الأمر بنفسه، وإذا كانت قضية ابنها هي محاولة اجتياز الحدود لغرض الهجرة للعمل، فأنه خلال أسبوعين إن شاء الله سيكون عندها. وفي اليوم الثاني أرسل سيارة محملة بمواد غذائية للأسرة، لم تكن تحلم يوماً أن تدخل بيتها بتلك الكمية دفعة واحدة، وهي التي بالكاد تحصل على ما يسد رمق أفراد الأسرة.

وكانت المفاجأة السارة، حينما وفى بوعده، فلم تنقض فترة الأسبوعين إلاّ وكان ابنها عندها في البيت، وما زلت أتذكر فرحة الناس الغامرة بعودة ابن هذه الإنسانة المكافحة والبسيطة، وكيف كانت الأم ترد على تهاني نساء ورجال القرية بعودة ابنها، برفع يديها إلى السماء تدعو الله أن ينصر من كان وراء عودته وأن يحميه من كل شر، وسمعتها تقول:"سأظل أدعي له حتى آخر يوم من حياتي".

واختتم روايته بالقول: إن إدخال السرور إلى قلوب المظلومين والفوز بدعواتهم الصادقة والنابعة من القلب تجعل أبواب السماء مفتوحة لها، وهي السر في بقاء هذا الإنسان حيّاً معززاً ومكرماً. وبهذا أنهى الأخ العبادي روايته.

وعندما سألت الوالد عن هذه الحادثة، حاول في البدء أن يقلل من دوره في مثل هذه الأعمال الإنسانية، قائلاً:" لقد كنت مسئولاً في المنطقة، ومثل تلك الأعمال هي جزء لا يتجزأ من واجبي اليومي، لذلك لا أرى ضرورة لتوثيق تفاصيلها في الكتاب، وقد ساعدت ودافعت عن كثير ممن فُرض عليهم الظلم بسبب سوء استخدام بعضنا للسلطة المحلية، وكان ما قمت به في تقديري واجبا فرضته مسئولياتي في زمن كانت فيه كلمتي مسموعة، لهذا إذا كان هناك ضرورة للتوثيق فهم من يكتب وليس أنا.

أما عن قصة هذه الإنسانة – والحديث للوالد صالح فاضل -فأنا أتذكر مفاجـأة دخولها مجلس الرجال، وكيف تصرفت بثقة، وكأنها تخاطب شيخاً قبلياً، مستخدمة المفهوم القبلي عن العروة، ومثل تلك المفاهيم والأعراف تلاشت وذهبت أدراج الرياح بسبب الثورة الثقافية الجديدة، وتحاشى الناس لها وعدم ممارستها خوفا أن يوصموا بأنهم يتمسكون بما كان يطلق عليه ثقافة العهد القبلي البائد والمتخلف.

كان كلامها قد أحيا عندي الرغبة والشوق للتمسك بالصفات القبلية النبيلة، التي كنت قد تعلمتها ومارستها وآمنت بها وما زالت حية تعيش في داخلي توجه تصرفاتي وسلوكياتي اليومية، وأدافع عن من يتمسك بها لأنها في حقيقتها الأصل المتوارث عن الآباء والأجداد، وليس التقليد الأعمى لأفكار وسلوكيات دخيلة، لا تمت لواقعنا بأي صلة تذكر.

كان في صوت تلك المرأة قصة من الألم والمعاناة، وكل شيء فيها يحكي عن كفاحها وصراعها من أجل البقاء، فخشونة يديها ولون وجهها الذي لوَّحته الشمس وملابسها البسيطة المكتسية بطبقة خفيفة من غبار العمل، كل ذلك يحكي عن ارتباطها الوثيق والدائم بالأرض والشمس.

ورغم محاولة الحاضرين تأكيد ما كانت تقوله، فقد كنت قبلهم مقتنعا بصدق ما تقول، وأحزنتني بحق قصتها والتعب الذي عانته من المتابعات وخيبة أملها من النظام، أو كما فضلّت أن توصفه بقولها"حكومتك" حينما كانت تخاطبني، وساءني أكثر استغلال بساطة هذه الإنسانة وبراءتها بالتهويل في وصف درجة المخالفة القانونية لابنها التي جعلوها ترتقي إلى خيانة الوطن.

إنني أومن أن للظروف أحكامها وأن الرحمة فوق القانون، وأن التطرف في تنفيذ القوانين لن يخدم التوجه الحقيقي لدولة كنا نؤمن بشكل عميق أنها تحمي حقوق ومصالح الكادحين من العمال والفلاحين، أي بسطاء القوم والأكثر المسحوقين منهم، وتصون كرامتهم وكبرياءهم.

لهذا قطعت على نفسي عهداً أمامها أن أعيد إليها ابنها خلال أسبوعين، فسافرت لهذا الغرض إلى عدن وقابلت الرئيس سالمين، وكانت هذه القضية واحدة من المسائل التي بحثتها معه، وصارحته بأن ظاهرة التطرف في تطبيق القوانين والقرارات قد استشرت وأن نتائجها ستخلق حالة من الشعور بالظلم وعدم الأمان لدى بسطاء الناس في دولة نطلق عليها صفة دولة العمال والفلاحين، وقدمت له

قصة هذه المرأة وابنها كنموذج، فأحب أن يسمع كل التفاصيل، وشعرت بتعاطفه معها وشعوره بالحزن والأسف لكل ما جرى لها ولابنها، ووعدني بأنه سيتابع بنفسه مع الجهات القانونية تلك التجاوزات والافراط الشديد في تنفيذ القوانين كوسيلة لظلم الناس وليس لإنصافهم، وطلبت منه بأن يكتب رسالة لإطلاق سراح هذا الشاب وتسليمي إياه. فقال لي:" سأكتب الأمر بناء على طلبك، رغم أنني متأكد أنك لن تحتاج إليه لأن قائد الحامية هو صديقك أحمد عوض معرج".

ذهبت إلى وزارة الدفاع أبحث عن واسطة نقل بحري، فأخبروني أنه بسبب هيجان البحر في ذلك الموسم فإن كل الامدادات والتنقل بين عدن وسقطرى يتم فقط بواسطة الطيران، لكني لم أجد إلا طائرة حمول، مقررا لها أن تغادر بعد خمسة أيام، وقالوا أنها ليست مخصصة لنقل المسافرين، فأصررت على ركوبها واقفا طوال الرحلة وأنا أمسك بأحد المقابض الحديدية، حتى أوازن نفسي عند المطبات الجوية.

في سقطرى التقيت بصديقي أحمد عوض معرج، وفرح بزيارتي للحامية، وأخبرني أنه سيرتب لي برنامجا لزيارة الأماكن الجميلة التي تتميز بها هذه الجزيرة الساحرة، لكنه أصيب بخيبة أمل عندما أخبرته أنني يجب أن أعود اليوم التالي على نفس الطائرة، وأنني أتيت فقط من أجل أن يسلمني الشاب محمد علي العبادي. قال معاتبا:" يؤسفني أن تقابل الرئيس حتى تحصل على هذه الرسالة، وأن تتحمل متاعب ومخاطر ركوب طائرة الشحن هذه، وكان عليك فقط أن ترسل طلبا شخصيا لي وكنت سأهتم بإرساله إليك. لكن من الواضح أن هذا الشاب يهمك كثيراً". قلت له:" نعم، ويهمني أن أعيده إلى أهله خلال أيام".

د. محمد صالح فاضل الصلاحي

النجم الذي أفل..ولم يتلاشَ ضياؤه

هذه المقالة كتبها المناضل صالح فاضل "عمران" في وداع رفيق دربه وصديقه الصدوق حسين عبدالحبيب "شعيفان" الذي توفي في ١٤ديسمبر ١٩٩٢م، ونُشرت في كُتّيب التأبين الذي حمل عنوانه اسم هذه المقالة.



لم يَدُر في خَلَدِي يوماً أن أروي أو أكتب عن رحيل حسين عبدالحبيب علي المنصوري كما يرحل عامة الناس.. غير أني لم أتوقع له طول العُمر أيضاً.. فقدٍ كان منذ أن عرفته عام ١٩٥٨م في جعار جذوةٍ حماس ملتهبة، متفجرة ثورةً وإقداماً، صيداً لمدفع رشاش انجليزي.. أو هدفاً لسهم عميل أو تحت وابل من الرصاص الطائش في عملية ليلية أو في أسوأ الأحوال جثة مرمية في إحدى زوايا السجون البريطانية بعد أن يلقى عليه القبض في نقطة تفتيش وهو متلبس بسلاح أو قنابل أو منشورات.

فمنذ عام ١٩٥٨م وحتى عام ١٩٦٧م وهذا الرجل لا يهدأ له بال ولا يستكين له نبض، يناضل في كل الاتجاهات.. فحيناً المقاتل في صفوف الفدائيين وتارة الإداري لمخزوناتهم وتارة أخرى الممون لجبهات قتالهم.

فماذا عساي أقول؟ وماذا تراني أشرح؟ عن رفيق عمري ومساير خطواتي وملازم حركاتي وسكناتي من جعار إلى سباح..إلى لبعوس..إلى الحد.. إلى عدن..إلى أي جهة في الوطن.. قاتلنا سوياوتعرضنا للموت سوياً..جعنا..تعبنا..وفرحنا سوياً.

بداية المعرفة

في عام ١٩٥٨م عُدت في إحدى الليالي من عملية فدائية مختاراً أحد سطوح الدكاكين التي يملكها المعاريف في جعار للاختفاء ولأقضي ما تبقى من الليل، فإذا بشخص ما ينهض من فراشه ويمد يده لي ليساعدني على الطلوع. وعندما اطمأننت إليه طلب منّي سلاحي كي يخفيه في الدكان الذي كان يعمل فيه - وكان ذلك الموقف - هو بداية المشوار لتعارفنا.

تواصل المشوار

واستمرت العلاقات تدريجياً وتكاشفنا الأسرار حتى أصبح حسين عبدالحبيب أحد أفراد فرقتي الفدائية..

وحين كلفت بالسفر إلى يافع "سَبَّاح، الحد" للحيلولة دون تحقيق أهداف البريطانيين بالتوسع في تلك المناطق كان حسين عبدالحبيب أحد الأفراد الذين اعتمدنا عليهم في حماية المنطقة. وعند توزيع المهام وحين كانت بريطانيا تقصف مناطق يافع كان حسين من ضمن المجموعة المساندة للفرقة التي ذهبت إلى "حبيلة الحبيل" التي جاء إليها حسين في خامس يوم من المعارك يحمل إلينا الذخائر والغذاء، وطلب منّي حينها أن نتبادل المواقع فأعود إلى الفرقة المساندة وهو يحل محلّي كي يخفف عني العبء، غير أني رفضت ذلك وآثرت عودته هو لتنظيم قواتنا الأخرى استعداداً لصد أية محاولات مفاجئة.

وبإعجاب شديد كنت أنظر إلى مواقف هذا الشبل، وتلازمنا طوال تلك الفترة المريرة حتى عُدنا سَالِمِين إلى جعار، ولم نفترق إلاّ حين لبيت نداء الواجب للدفاع عن ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م، وبعد أن تفجرت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م انضم حسين عبدالحبيب إلى تنظيم الجبهة القومية باعتباره أحد مؤسسي جبهة أبناء يافع الإصلاحية التي أصبحت فصيلاً من فصائل الجبهة القومية.

وكم كنت سعيداً حين اعتبر حسين عبدالحبيب أحد أفراد فرقتي الفدائية في تنظيم الجبهة القومية، وأذكر موقفاً شجاعاً لحسين عندما قررنا الهجوم على أحد المعسكرات التي كان يوجد فيها خزنة للسلاح في جعار، وكان عملنا تغطية لهجومنا بحيث حركنا الشارع للقيام بمظاهرة في

اتجاه المعسكر، وتحت ستارها تحركنا وطوقنا غرفة العمليات وارغمنا الضباط المناوبين على تسليم السلاح، وأثناء ذلك قمت أنا ونفر معي في احتجاز الضباط في غرفة العمليات بينما ذهب حسين يكسِّر أقفال الخزنة ويدخل إليها لإخراج السلاح منها مع الأفراد المكلفين معه.. هذا السلاح كان بعد ذلك رافداً كبيراً لإسقاط جعار وشبوة وعدن بعد توزيعه بإشراف سالمين والخامري وعبدالملك إسماعيل وبن شنظور والميسري.

ومن البطولات التي قام بها حسين عبدالحبيب أنه حسين اشترينا سلاح "دوشكا" من عتق مع ٥٠٠ طلقة رصاص وحصلنا على لغم.. فكان ينبغي ادخاله إلى عدن.. وعلى خطورة عمل كهذا تحمس حسين ومعه الرفيق محمد عبدالله "نص الليل" وصالح محسن "مدرم" اللذان نجحا في ادخاله بين الأعلاف مخترقين كل نقاط التفتيش الكبيرة والمُحكمَة وبذلك يكون أول من زود الجبهة بسلاح فتاك كهذا أستخدم في ضرب المطار والطائرات وسبب رعبا شديداً في نفوس البريطانيين وعملائهم.

وكان حسين من الشخصيات التي يركن إليها، فقد تحمّل مسئوليات نضالية عدة إبَّان الكفاح المسلح منها مسئولاً عن التسليح ومسئولاً عن الجانب الإداري للقوات الشعبية في أبين، وكان من أعدّ أول خطاب باسم الجبهة القومية في أبين عوضاً عن كونه نائباً لي، وكان من العناصر التي تحملت مسئولية حماية المؤتمر الرابع للجبهة القومية في أبين.

وفي ٢٠ مارس ١٩٦٨م كان من أحد الرجال الذين حموا الشخصيات القيادية في مدينة الشعب. أما في ١٤مايو١٩٦٨م فقد تحمّل مسئولية قيادية في تأمين انسحاب القيادة العامة من عدن إلى أبين وأبلى بلاءً حَسَنًا في معارك المُطلّع.. وربط حسين مصيره بمصير الثورة وقيادتها ناكراً للذات متنزهاً عن الجاه والمنصب، زاهداً في ملذات الحياة، مكرساً كل وقته لصالح الثورة ومنجزاتها، وبعد هدوء العاصفة واعتلاء الثورة منبر قيادة البلاد ظل حسين مواصلاً مسيرة تعزيز سلطة الدولة الجديدة مشاركاً في بناء صرح الانجازات في مواقفه المختلفة في إطار السلطة المحلية في يافع كمحاسب مالي، ثم سكرتيراً للمأمور هناك، ومأموراً فيها، ثم مديراً عاماً لشركة الأقمشة والكهربائيات في محافظة لحج حتى آخر رمق له.

ويشهد لحسين عبدالحبيب كل الذين عرفوه أنه كان دائماً في مقدمة الصفوف المدافعة عن المكاسب الثورية وذوادا مخلصا وشجاعاً ومقداماً على أمن الوطن وسلامته ورقيه وازهاره.

إن آخر ما يسجله له التاريخ أنه كان من أبرز الداعين والمنظمين لقيام منظمة المناضلين اليمنيين والتي دعي إلى حضور مؤتمرها التأسيسي في صنعاء مؤخراً.. حيث حضر حسين هذا اللقاء وكان من أبرز نشطائه.

الفراق المحتوم

مات حسين وسجله النضالي مليء بالبطولات، وملفه الوطني غني بالمواقف البطولية المشرفة، وسيرته فوّاحة تملأ جوانح كل من عرفه بالخير والعطاء والبذل.. فكان صديقاً صادقاً لكل من له خيط العلاقة.. ورجل مواقف عند كل حاجة.. أباً للصغير ونداً وفيّاً للزميل.. وإنساناً عطوفاً للشيخ الكبير.. مقداماً في نضاله.. ناجحاً في عمله.. عظيماً في وسط أسرته.. كبيراً فيى أوساط أصدقائه ومعاريفه.

أما بالنسبة لي فهو فوق كل وصف.. وقد ترك فراقه في نفسي أثراً كبيراً تعجز لساني عن شرحه.. فقدت به رفيقاً حميماً وكنزاً ثميناً وسنداً قوياً وصديقاً حقيقياً لا يملأ مكانه في قلبي أحد.

لك يا حسين اسمى آيات العرفان.. لك المجد والخلود.. وليس لي ما أجزيك عن صفاء وصدق علاقاتنا الأخوية إلاّ أن أدعو الله أن يجزيك ثواب أعمالك الطيبة بفسيح جناته وأن يحيطك بعطفه وحنانه، إنه سميع الدعاء وخير من يجزي الأوفياء.. ولنا الصبر والسلوان.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

العقيد المناضل: صالح فاضل "عِمْرَان"

عِمْرَان وشعيفان

نُشرت في كُتّيب تأبين الفقيد حسين عبدالحبيب "شعيفان" الذي توفي يوم ١٤/١٢/ ١٩٩٢م.

محمد حسين محمد الجياشي
مأمور مديرية يافع

تشرفت إلى جانب بعض الإخوان في الإشراف وإبداء الرأي في طريقة إصدار كُتَيِّب التأبين هذا الذي بين ايدينا وعلى طبيعة المواد المنشورة فيه.. علماً بأني لم أبذل في سبيله أي جهد يستحق الذكر، إلاّ أن ما دفعني لذكره يرجع إلى تأثري البالغ بما كتبه المناضل الجسور صالح فاضل – الملقب "عِمْرَان"، عن أخيه ورفيق نضاله وصديق حياته حسين عبدالحبيب الملقب "شعيفان".

فحين تصفحّت ما كتبه المناضل عِمْرَان وجدت نفسي أمام بوابة مدرسة عريقة تشع منها إضاءات تاريخية لمسيرة كفاح مرير وأنشطة متعددة الجوانب لأعمال عظيمة من صنع رجال عظام، كادت عوامل تقدمها أن تطمرها، وشاءت النفوس المريضة لأصحاب الربع الساعة الأخيرة في الثورة ممن جنوا ثمار الزُرَّاع الحقيقيين وبسبق إصرار وترصد إلى إطفاء مشاعلها وتذويبها في ثنايا المنعطفات المرحلية المتتالية لما بعد المرحلة الأساسية الأم "مرحلة الكفاح المساح".

وحيث أن كل ما سجله المناضل صالح فاضل على السجية إيَّاها التي عُرف بها جديرة بالاهتمام والاطلاع، إلاّ أن مجاله ليس في هذا الكُتَيِّب، لذا اقترحنا على الأخ صالح فاضل إرجاء معظمها والاكتفاء بملخص موجز وقصير بما يتناسب ومضمون الحدث الآني والمتصل بذات حسين عبدالحبيب فقط، وكانت الحصيلة ما نُشر.

وبما أن تاريخ المناضل صالح فاضل جزء لا يتجزأ من تاريخ الثورة نفسها، لكون بن فاضل أحد رموزها المخضرمين، فأن تاريخ حسين عبدالحبيب هو تاريخ صالح فاضل إلى درجة أن لا يمكن ذكر أحدهم إلا بالآخر.. فما أن تقول عن صالح فاضل حتى تجد نفسك تدغم حسين عبدالحبيب به والعكس صحيح.

وصالح فاضل المناضل -هو الذي اكتشف حسين.. وصالح فاضل القائد الميداني هو مَنْ جعل مِنْ حسين عبدالحبيب فدائياً.. وصالح فاضل السياسي هو الذي ضم حسين إلى التنظيم السياسي.. وصالح فاضل هو الذي دفع بحسين إلى

جبهات القتال.. فكان حسين نِعْم المناضل الفدائي ونِعْم المتحزّب ونعم المقاتل "لثلت" أنعام المربي والقائد شيخه في الإقدام والبطولة والرجولة صالح فاضل "عِمْرَان".

لعِمْرَان طول العُمر.. له العرفان بجميل الصنع وحسن العمل.. لهذا الوفي كل حبنا وتقديرينا.

ولشعيفان دعواتنا بالغفران وحسن الجزاء والذكرى العطرة.



صالح فاضل مع حسين عبدالحبيب ومحمد بن أحمد صالح
عام ١٩٦٧م بعد سقوط أبين بيد الجبهة القومية

خاطرة إنسانية

فرحة الجد بنجاح أحفاده واعترافهم بفضله في نجاحهم

د.محمد صالح فاضل الصلاحي

كان الوقت عصراً عندما اعتذرت وتركت والدي ووالدتي يواصلان مشاهدة الأخبار التي تنقلها القنوات العربية عن الوطن الجريح "الجنوب العربي"، التي كدرت خاطري، ورفعت درجة حُزن وغضب والدي.. اتجهت إلى غرفة نومي في الطابق العلوي وهناك استلقيت على فراشي لدقائق بغية السكينة والاسترخاء.. فجأة تعالت أصوات أبنائي أعقبها أصوات والدتي وزوجتي كاسرةً صمت لحظات القيلولة.. انتفضت من فراشي مهرولاً باتجاه مصدر الأصوات التي أدركت بأنها من هناك.. من حيث تركت والدي ووالدتي..كانت ضربات قلبي تتسارع من الخوف، متوقعا الأسوأ وأقلها سوءًا احتمالية انجرار أبنائي (عمران ٢٤ عاماً، وعمار٢٣ عاماً) مرة أُخرى لممارسة شقاوة ومهاترات وعراك سنوات الثانوية فاشتبكوا في عراك عنيف.

وصلت بخفه إلى السُلّم المشرف على قاعة الضيوف.. صمت الجميع عندما سمعوا صوتي الغاضب على أبنائي متسائلاً عن سبب هذه الضوضاء والأصوات الصاخبة.. لكنني اكتشفت أن وراء هذا الضجيج أمراً ساراً، فوالدي الجالس في ذات المقعد الذي تركته عليه كان مستبشراً للغاية. لم يَجب أبنائي "عمران وعمار" عن سؤالي، بل طلبا من والدي أن يخبرني شخصياً عن سر هذه الجَلَبَة والضوضاء، ودون مقدمات زفّ والدي بشرى قبول أبنائي، عمران وعمار، بحمد الله، في كليات الطب.

كان حصول ابني الأكبر عمران على رسالة القبول في كلية الطب (شرق فرجينيا) أجمل خبر ويستحق أن ترتفع الأصوات من أجله. أما عن ابني عمار فلم يكن الخبر جديداً بالنسبة لي شخصياً، فقد أبلغني به عند قبوله قبل ثلاثة أشهر،

لكنه فضَّل أن يبقى سراً وطي الكتمان، واشترط عليّ أن لا أعلن عنه أو أفشيه لأحد حتى لا يسبب شيئا من الاحراج لأخيه الأكبر.

عمران بالنسبة لي قصة من قصص الإصرار والصمود من أجل تحقيق هدفه الذي رسمه واختاره لنفسه، المتمثل بدراسة الطب البشري.. لكن ما عقّد وصوله إلى هدفه أنه لا يريد الالتحاق إلاّ بكليّة الطب (شرق فرجينيا) دون سواها من كليات الطب الامريكية الكثيرة، متحمِّلاً شروط القبول المتنوعة والكثيرة والمعقدة.. فبعد أربع سنوات من دراسة العلوم في كلية (جنسيو – نيويورك) وحصوله على شهادة البكلاريوس، أدرك أن عليه من أجل تحقيق آماله وتطلعاته أن يثري تأريخه الأكاديمي والعلمي بأبحاث وشهادات علمية ليتأهل بجدارة للمنافسة على مقاعد كلية الطب، ولهذا التحق في العمل التطوعي في جامعة (روتشستر - نيويورك) في قسم جراحة الصدر، وهناك تفرغ للمشاركة في أبحاث تتركز في كشف أسباب سرطان المريء. وتوج هذا العمل البحثي بنشره في صحيفة الأبحاث الأمريكية في الجراحة (Surgery 2013). التحق بعدها في جامعة (جنوب كاليفورنيا) ومنها حصل على شهادة في الطب العالمي (Global Medicine).

وهكذا، فبسبب قناعاته بأن كلية طب فرجينيا هي الهدف المرتجى والمفضل له، صَبَرَ وبَحَثَ كثيراً في البرامج العلمية التي تقدمها تلك الجامعة والمرتبطة مباشرة في كلية الطب، متوخياً أمرين اثنين، الاول: إضافة شهاده علميه تُزَيِّن أكثر تأريخه الأكاديمي، وثانياً: الحصول على الرسائل الداعمة له من أساتذة الجامعة نفسها.

أكمل عاماً من الدراسة وحصل على شهادة الماجستير في العلوم الطبية بتفوق. وخلال تلك الفترة استطاع ان يطوّر من أبحاثه وأخذ يتعمَّق في دراسة العوامل والأسباب التي أدت إلى ظاهرة الارتفاع الملحوظ في أعداد المصابين في سرطان المريء في أمريكا التي اتسمت فيها العقود الثلاثة الأخيرة، وبدأ يبحث التغيرات في السلوكيات الصحية للأفراد والمجتمع التي مَيَّزت تلك العقود الثلاثة عن غيرها، فقدَّم بحثاً علمياً افترض فيه أن تفاعل صادَّات الأحماض مع العصارة الصفراوية عامل من العوامل الأساسية التي تزيد من الاصابة بسرطان الجزء الأسفل من المريء..

تم قبول بحثه الفريد ونُشر في إحدى الصحف العلمية الشهيرة " Frontiers in Oncology " في عددها الصادر في تاريخ ٩ يناير٢٠١٥م. هذا الاصدار كان مثار اهتمام الكثيرين من الباحثين في ذلك المجال لتميزه في فتح آفاق جديدة في البحث

في التغيرات الخلوية بسبب الأدوية الصَّادة والمانعة للأحماض التي أسرف الأطباء في وصفها لمرضاهم خلال الثلاثة العقود الماضية. ونشر أي بحث في أيٍّ من المجلات الطبية الشهيرة هو بحد ذاته عملٌ مميز يرفع من شأن صاحب البحث والجامعة التي ينتمي إليها..

على ما يبدو أن نشر ذلك البحث قد أضاف إلى تاريخه الأكاديمي شيئاً هاماً للغاية، نال فيه رضا أساتذته ولجنة القبول وميّزته عن بعض منافسيه، فلم يمر سوى أسبوع واحد فقط من تاريخ النشر، حتى حصل على رسالة القبول المفرحة تلك التي انتظرها بفارغ الصَّبر، لأنها تمثل بالنسبة له النتيجة الجميلة لكفاح حقيقي جعل للنجاح في تحقيق هدفه الأول نكهة ومذاقاً خاصاً.

إنه لشيء رائع وإنساني وجميل أن تعيش لحظة بلحظة تجارب أبنائك مع الحياة والدراسة بكل دقائقها وتفاصيلها، والمشبَّعة بدرجات مختلفة من الصعوبات والعقبات ويتزاحم فيها الفشل مع النجاح فتجد أن تجاربهم قد أصبحت جزءًا من تجربتك، تنجح بنجاحهم وتنكسر بانكساراتهم.. أحياناً تكون عوناً لهم، وأحياناً أُخرى تشعر بأن أبواب النجاح قد أُوصدت وأنك لا تستطيع أن تقدم شيئاً سوى الدعاء.. فتتركهم يبحثون لوحدهم عن الوسائل والحلول دون كلل أو يأس فيفاجئوك بفتح أبواب مغلقة واكتشاف مسالك جديدة، غير مطروقة، وإن كانت طويله وشاقه إلاّ إنها تقودهم نحو الهدف المنشود.

أما ابني الثاني عمار، فكما أسلفت، كان قد حصل على رسالة القبول من كلية طب (جنوب فلوريدا - تامبا) بوقت مُبَكِّر وبصورة استثنائية. أسباب كثيرة هي التي جعلت لجنة القبول تمنحه القرار مُبَكِّراً، منها تفوقه الأكاديمي، إذ حصل على شهادة البكلاريوس في العلوم بامتياز من برنامج المتفوقين أو ما يسمى ببرنامج الشرف من كلية (كنيشس نيويورك)، واجتاز امتحان القبول لكليات الطب بأعلى الدرجات في المواد العلمية وبنسبة ٩٨٪ - ٩٩٪. ثم حصل على الماجستير في العلوم الطبية من جامعة (جنوب فلوريدا — تامبا) وتم اختياره وتكريمه باعتباره طالب الماجستير الوحيد الذي أكمل جميع امتحانات الماجستير بالعلامة الكاملة ١٠٠٪.

كان من حق عمارٍ مباشرة أن يفتخر بما حققه من تفوق ونجاحات أكاديمية وان ينتشي طرباً لقبوله الاستثنائي والمبكر وان يسارع في إعلان نجاحه وتفوقه هذا والاحتفاء بذلك مع كل الأهل والمحبين، لكنه آثَر الاّ أن يكبح جماح

رغبات الزهو والافتخار صوناً وحماية لمشاعر أخيه الأكبر، فاختار تأجيل فرحة إلى الوقت المناسب، وأبلغني أنا فقط بذلك مشترطاً أن يظل هذا السر بيني وبينه حتى يستلم أخيه الأكبر رسالة القبول مهما طال الانتظار.

لا أخفي أن ذلك التصرف لامس شغاف قلبي لأنه يعكس صفة إنسانية جميلة وراقية ويظهر الجمال الحقيقي لمشاعر الوفاء للأخوة وضبط النفس والسمو فوق الأنانية والمصالح الذاتية.

في لحظات نشوة فرح الابن الأكبر بحصوله على رسالة الموافقة، والابن الثاني في أن يعلن لكل محبيه عن الخبر الجميل الذي احتفظ فيه طوال ثلاثة أشهر، لم ينسيا بأن يضبطا مشاعرهما فَصَمَتَا ومارسا الطاعة المطلقة لكبير العائلة، قدوتهم ونموذجهم وفخرهم جَدَّهما صالح فاضل، فطلبا منه نقل ذلك الخبر الجميل بلسانه مباشرةً لي ولبقية أخوتي الذين كانوا الداعمين الأساسيين مادياً ومعنوياً لي في المراحل السابقة، وكذا لتوجهات عمران وعمار الدراسية الحاليّة، ثم نقل الخبر لكل الأهل والأقرباء والأصدقاء ممن أسعدهم سماعه.

سألت عمران وعمار ممازحا وأمام جَدَّهما: لماذا لا تزفان لي ذلك الخبر مباشرة قبل جدكما صالح، لأنه كما تعرفان سيلزمني بدفع بشارة لكونه أول من نقله لي؟! أجاب عمار:" إن جدي صالح يستأهل أن يكون أول من يستبشر ويفرح بنجاحات أحفاده، فقد استلهمنا من تاريخ حياته معاني الإصرار والصمود لتحقيق اهدافنا في الحياة، فتاريخ حياته الحافل وصموده أمام صعوبات وأهوال الحياه واجتيازه عقباتها بصبرٍ وجَلَدٍ واصرار، ورفضه لأي شيء يقوده إلى الرضوخ أو الاستسلام قد جعلنا نعتبره، مثلما اعتبرته أنتَ قبلنا، قدوتنا ومعلمنا في الحياة والنموذج الأعلى الذي نحتذيه في الصمود والثبات. فنحن نتذكر كيف كان يروى لنا بألم وحسرة قصة حرمانه من الدراسة، ثم كيف شعر بالسعادة في كون الله قد عوضه فحقق جزءاً من حلمه بتعليم ابنائه، وأنه سيكون أكثر سعادة اذا شهد نجاح أحفاده في دراستهم، وهكذا كان وما زال يشجعنا على الصمود للنجاح في الجبهة التعليمية، وأنت تذكر دائماً بأنه كان الموجه والداعم لك والمحفز الأساسي لنجاحاتك العلمية". واختتم عمار حديثه الحماسي بالقول:" إن علينا نحن وأنت أن نكَرِّمه تقديراً واعترافاً بفضله علينا فهو أساس العائلة ونبراسها وفخرها، ناهيك عما قدمه لوطننا وشعبنا".

قد يبدوا للوهلة الاولى أن ضبط النفس " في حالة عمار " وتنازل الاثنين "عمران وعمار" لكبير العائلة، الأب والجد صالح، ليزف ذلك الخبر السار تصرفاً

غير ذي أهمية، لكنني كأب أنظر إلى ذلك التصرف بعين الرضا والارتياح، وحمدت الله وشكرته كثيراً لأنه قد وفقني في غرس حُبِّ الوالدين في عقل ووجدان أبنائي وتمسكهم بكُل القيم النبيلة والجميلة في عاداتنا وتقاليدنا الشرقية التي تربيت أنا عليها ومارستها واقتنعت بها و بنتائجها.

اثبت عمار وعمران أن قلعة المبادئ الإسلامية والعادات الشرقية ما زالت مُحصنّه، على الرغم من أنهما قد قضيا ما يقارب عشرين عاماً في مجتمع متقدم يؤثران ويتأثران في كل ما يعتمل فيه في جميع نواحي ومجالات الحياه، إلاّ أن الحضارة والعصرنة في تلك المجتمعات قد أفرزت عوامل وأسباب ضمور وضعف عَصب العلاقات الأُسرية والاجتماعية.

لقد اقتنعت بأن علينا أن نستفيد ونتعلم من كل شيء تقدمه لنا الحضارة في مجالات الاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا، ولكن علينا أن نحافظ على ديننا ونصون ونطور كل جميل في موروثنا الشرقي لأنه، بدون أدنى شك، مصدر حقيقي وفعال لتدعيم روابط الأُسرة ووحدة المجتمع وواحد من العوامل الأساسية لنجاحاتنا في الحياه في أي زمان ومكان.



عمار وعمران وبينهما الجد والأب

السؤال الذي أغضب الجنرال

الدكتور محمد صالح فاضل الصلاحي

روتشستر - نيويورك

٢٠١٥/٦/٢٠م

في السنوات الماضية، كانت الأيام والشهور والسنوات تمر ونحن بعيدون عن وطننا الأول دون أن نشعر بالزمن.. ومع هذا يرافقنا في حلنا وترحالنا شي اسمه (الحنين) لسنوات الطفولة والشباب وللأماكن التي كانت لنا فيها أجمل الذكريات.. السبب في سهولة مرور الزمن بسلاسة هو أن أهل الوطن رغم المعاناة والتهميش كانوا يمارسون جزءاً من حقهم في الحياة والتطور، فالله قد أحبهم ومنحهم القناعة والرضا وهما كنزان ليس لهما ثمن.. عندما تَحّنْ إليهم وتسألهم عن أحوالهم، تكون إجاباتهم "مستورة والحمد لله". والسبب الآخر الذي جعل السنين تمر بهدوء ودون ضجيج هو أننا منقمسون في تطوير معارفنا وقدراتنا في الأداء والمنافسة في العمل وفرص الحياة وتأدية الواجبات تجاه الأسرة والمجتمع، وهذه العوامل كانت كفيلة في أن تقلل الإحساس بدرجة الفراغ الذي خلقه البعد عن الأهل والوطن..

لسنا عرافين، ولا نؤمن بالتنجيم، لذا كنّا لا نعرف ماذا يخفي لنا القدر والأيام، فعانينا وما زلنا نعاني من ظلمٍ صناعيٍّ تفنن في تقديمه شياطين الإنس، فعشنا ظروف محنة الوطن والإنسان، وأصبحت أيامنا تسير ببطء وبألم يسحق النفس.. نتابع تقارير الجبهات.. نتألم يوماً بعد يوم لسقوط الشهيد تلو الشهيد.. نتابع تقارير اللجنة الطبية اليومية التي تعكس عمق المعاناة الإنسانية للمناطق المنكوبة وفي مقدمتها عدن التي أحكموا تطويقها و أغلقوا منافذها الآمنة للخروج، و حرموا السكان من الماء والكهرباء والغذاء والدواء، فخلقوا بيئة ملائمة لانتشار الحشرات والأوبئة، فانتشرت الملاريا وحمى الضنك والتيفوئيد وكل الأمراض الوبائية فقتلوا الانسان.. كأنما لسان أعداء الإنسانية يقول اختاروا الطريقة

الأسهل للموت، إما بالقذائف اللعينة والمغلفة بغلاف الصرخة أو بالجوع والعطش أو بالأمراض المعدية التي وفروا لها شروط وأسباب الانتشار.

بسبب كل ذلك أصبحنا نبحث ونفتش في كل شيء وعن أي شيء يعيد إلينا بعض من الهدوء والسكينة.. كنّا نأمل ونرجو الله أن يحل على عدن الأمن والسلام في الشهر الكريم، وأن يتلاشى وينحسر فيها قتل النفس البشرية بدون ذنب، وأن يُسمح للجان الإغاثة الطبية أداء دورها في محاربة الأمراض المعدية.. ما اقنعني أن ذلك أمر معقول التنفيذ هو أنّ رسولنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا بوصف قلوب وأفئدة أهل اليمن بالرقة واللين..هذه المنزلة الرفيعة جعلت من حق أهل اليمن التباهي فيها أمام الأقوام الأخرى..وكان يحدوني أمل وتفاؤل عميقان بأن شهر رمضان الكريم شهر العبادة ونقاء النفس البشرية كفيل بأن يُلين قلوب وأفئدة الطغاة والظالمين.. لكنهم اختاروا ان يخذلون حتى الأنبياء، فأثبتوا أن قلوبهم قد تعرضت لعوامل عديدة من التعرية حتى خسروا الكثير من الأخلاق الإنسانية والرحمة، بل والمكانة الرفيعة التي منحها الحبيب المصطفى للأجداد..

يوم أمس استقبلت والدي ووالدتي فور وصولهما من مدينة شيكاغو، وفي حضورهم تعود إلى قلبي السكينة التي أبحث عنها في ظروف معاناة الوطن ومعاناتي النفسية من الشوق والحنين للوطن وساكنيه.

حضور والدي في هذه الظروف جعلني أستانس بثمانين عاماً من خبرة الجنرال مع الحياه والكفاح والبناء.. أشعر بأنني محظوظ، فبحضور الجنرال يحضر زخم من الفراسة والخبرة والتاريخ.

سألته ما الجديد في أخبار الوطن قال بإيجاز:" اتحدت قوى الشر والهدم والقتل والعدوان فسوقت لأهلنا الأذى والمكر والذل والهوان، وأدى ذلك إلى استشراء وتعميم الظلم على الكل والشعور بالقهر من تجبر الغزاة في أرجاء الوطن، أما النتيجة الجميلة التي أعلق عليها الأمل فهي أن وحدة قوى الخير والبّر والتقوى من أجل الحرية والكرامة والاستقلال قد انتجت صموداً أسطورياً في الجبهات التي وحدت أبناء الوطن في الداخل والخارج..

من تجربتي مع الكفاح أقول لك يا بُنَي، ما أشبه الليلة بالبارحة، في جنيف أعادت غيرة وغضب بنت عدن ذكرى العراسي إلى ذاكرتي المناضلة العدنية نجوى مكاوي.. كنت يوماً أرافقها لأحميها وهي توزع منشورات الجبهة القومية في مدينة

الشيخ عثمان.. اعترضها ضابط إنجليزي والمنشور بيدها..كان علي أن أستعد لحمايتها فالمسدس في خاصرتي كان جاهزاً ومسحوب الزناد ما ينقصني هو انتظار اللحظة التي يسيء الضابط الإنجليزي التصرف معها أو محاولة اعتقالها، وفوجئت بها وبسبب الشعور بالقهر والظلم - ذات القهر والظلم التي أحست بهما ذكرى العراسي - وبجرأة عجيبة تدس المنشور في فمه.. يبدو أنه انتبه لحركة استعدادي وهو يدرك نتائج هتك العرض، ففضل أن يتحمل الإهانة فُيسَلِّم حياته وحياتي.. هنا أقول للمناضلة العدنية نجوى نامي قريرة العين فبناتك وحفيداتك سيواصلن النضال ضد المستعمر الثاني، وأمهات الوطن قد أنجبن ألف نجوى وألف ذكرى.

كنّا في الجبهة القومية.في مرحلة الكفاح المسلح وتحديداً بعد الدمج القسري ١٩٦٦/٠١/١٣نعتمد كليا على التفاف كل طبقات وقطاعات الشعب في الدعم المالي تجاراً كانوا أو عمال أو فلاحين من أجل شراء السلاح والذخيرة، حتى نضمن الاستمرار والصمود لتحقيق أهدافنا التحررية من الاستعمار البريطاني، وبسبب ذلك الدعم انتصرنا للحق والحياة، فغيبنا شمس الإمبراطورية، ورفعنا عالياً علم الحرية والاستقلال، والآن وفي ظل الاستعمار المتخلف والهمجي الثاني أنه لشيء إنساني وجميل أن نرى التاريخ يعيد نفسه، فأنين الوطن ومعاناة أبنائه قد نشَّط وحرَّك عقل وضمير المواطنين فتوحدوا في الداخل والخارج وتنافسوا على الخير والبر والتقوى.. وهذا ماتجسد بدور أبناء يافع في المملكة العربية السعودية في الدعم الإغاثي والإنساني، فتحية للقائمين على جمعية احمد بن عبدالحكيم السعدي (رحمه الله) الخيرية في توحيد وتوجيه مساعي الخير والعمل الصالح، ونأمل من عاصفة الحزم وإعادة الأمل أن تدعم الأبطال في ميادين الكرامة والحرية والشرف بالسلاح والذخيرة والمال لكي يخوضون معارك متكافئة، وعندها سيعيد التاريخ نفسه وستشاهدون كيف سيفر الحوثيون كالجرذان عائدين الى كهوفهم.

مواقف أبناء يافع المشرفة وثباتهم في مختلف الجبهات وتلازمها مع مواقف أبناء يافع من كل بقاع الأرض في دعم المجهود الحربي والإنساني بسخاء يجعلني أفخر في الانتماء لأرض رجال الشهامة والكرم والرجولة والحق..

أقول لكم أنتم لستم بحاجه لأي شهادة من أحد، ولكن أتذكر أيضاً ما قاله عنكم قائد القطاع الفدائي للجبهة القومية ورفيقي (سالمين) بعد انقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨وهذا ما أشرت إليه في كتابي الذي هو جاهز للتوزيع. حينها كنت قد نزلت

على رأس قوة من أبناء يافع فاق عددها المائتين مقاتل إلى منطقة أبين مُلَبِّين نداء الثورة ومحددين موقفنا ضد الانقلابيين.. وفي مدينة جعار اجتمع سالمين بالمقاتلين من أبناء يافع، وعبر عن سروره البالغ لوصولنا قائلاً:" أنه لشيء عظيم في هذه المحنة التاريخية أن أجد نفسي محاطاً ومدعوماً برجال يافع الأشداء، رجال السلاح والجبال، فيافع هي مخزن الرجال، فتاريخكم مشرف ولا يوجد فصيل أو جبهة أو منظمة أو تشكيل يؤمن تاريخياً بالكفاح المسلّح والحرية إلاّ وأنتم فيه، وأرضكم هي ملاذ ومرتع الأحرار ومتنفس للجبهات المختلفة أثناء مرحلة الكفاح المسلح واليوم أتيتم بأسلحتكم وذخيرتكم لتأكدوا نصرتكم لهذه الثورة وهي في أخطر منعطف لها، منكم سنستمد قوتنا وصمودنا ضد الآلة العسكرية ذات الموروث الاستعماري".

قضيتنا الحاليّة هي قضية وطن مُحتل والكفاح المسلح ضد من اغتصب الأرض حق مشروع، وعلينا أن نتذكر أن القضية التي يؤمن من تبناها من الرجال بقداستها وعدالتها وحقيقتها هي قضية سامية وسيحسم خياراتها الرجال، لأن يد الله تكون مع الحق وإرادة الرجال.

سألته أخيراً ماذا ستنصح القيادات الشرعية التي تركت الوطن وحطت رحالها في المملكة تقود العمليات وتصدر التوجيهات للجبهات المختلفة.. لكن الجنرال لم يرق له سؤالي فانفجر غاضباً قائلاً:" دعهم يكشفون درجة ولائهم للوطن المُغتصب والشعب الجريح، فظروف الحرب كفيلة بأن تكشف معادن الرجال وقدرتهم على الاستمرار والقيادة، وعلى القائد الحقيقي أحياناً أن يتعلم من خُطط واستراتيجية وتكتيك العدو فيسأل نفسه لماذا لم يغادر اليمن سيد الحوثيين والرئيس المخلوع عفاش؟ فيغير من خططه وفقاً لذلك أو يحاكي تكتيك العدو. لكن القائد الضعيف هو من يترك وطنه وشعبه ويحتمي بدولة أخرى فيتوهم بأنه يقود الجبهات بآلة التحكم عن بعد أو بالآيفون ويظن بأنه يخدم وطنه ويحمي شعبه".

ثم صب علي جام غضبه على سكان الفنادق من المسئولين قائلاً:" ألا تعرف بأن من يتحاشى أن تلفح جبهته الشمس هم ساكنو الفنادق الفارهة، ولن تنتصر بهم أبداً جبهات القتال، لكن ما أرجوه أن تفهم القيادات الميدانية هذه الحقيقة".

كفى أسئلة وكفى هذيان.

حوار ساخن مع الجنرال

الدكتور محمد صالح فاضل الصلاحي
روتشستر -نيويورك
٢٠١٥/٠٥/١٨م

علمتنا تجارب الحياه بأن كل شيء نكسبه أو نحصل عليه في مسيرة حياتنا له ثمن.. ولكن الثمن لا يقتصر على المال بل يشمل أيضاً تقديم الوقت والجهد والكفاح والمعاناة الجسدية أو الروحية، وأحياناً يكون الثمن هز قلعة الثقة بالنفس وبالقدرات...الخ. كما أشرت في مقالي السابق (السؤال الذي أغضب الجنرال) بأن حضور والدي للسكن والبقاء معي، وتحديداً في هذه الظروف يجعلني أستأنس بثمانين عاماً من خبرة الأب، الإنسان والجنرال، مع الحياة والكفاح والبناء.. فأشعر بالفرح والاطمئنان وبأنني محظوظ..فبحضور الجنرال يحضر زخم من الفراسة والخبرة والتاريخ.

لكنني لم أتحدث عن الثمن الذي ينبغي أن أدفعه أو أتحمله حتى يكون هناك مرجع إنساني موثوق يحلل ويُبسط ما عقدته ظروف وأسباب ونتائج حرب اكتساح قوات القتل والتخلف والفساد للأرض الجنوبية وتبسيط الأمور الشائكة التي يصعب عليّ فهمها واستيعابها، فأنا كما تعرفون لم أكن يوماً رجل حرب أو سياسة، ولم تتنوع محطات حياتي وتجاربي كما هو الحال مع الجنرال، لذا قررت أن أنصف هذا الإنسان بتقديم شيئٍ من فراسته ومعها أؤكد الحقيقه بأن لكل شيء في الحياة ثمن.

سألت الجنرال ما رأيه في هذه الحرب؟. قال:"يا بُنَي شاركت في الكثير من الحروب واستنتجت بأن الحرب هي فاجعة إنسانية وأمرٌ مهول يتعارض مع طبيعة العالم الحضاري والإنساني والروحي، وفيها يُصادَر حق الإنسان في الحياة والعيش بكرامة. لكن مأساة هذه الحرب تحديداً أعظم وأظلم لأنها أخذت مكانها في الزمن الغلط، فنحن لسنا في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر "يقصد زمن التتار"، الاّ أن سلوكيات الغزاة تتارية بامتياز، بل وأفظع اذا اعتمدنا الحقيقة في أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين، أي في زمن يتنافس فيه المتنافسون على السيطرة، ليس على المدن بل على مفاصل الاقتصاد الدولي والريادة في العلوم الطبية والإلكترونية

وتكنولوجيا المعلومات وعلى الفضاء والتسابق في اكتشاف مجرات الكون... إلخ والأهم من ذلك إننا في زمن أصبح للإنسان فيها ثمن.. ثم دعك من كل ذلك، فهي من وجهة نظري حرب لا أخلاقية وتتعارض مع ديننا الإسلامي السمح، فهم وللأسف يمارسون الكبائر بقتل الأبرياء المؤمنين الآمنين في بيوتهم من الأطفال والنساء والشيوخ.. فبأي ذنب قتلت؟، بل وفي أي شهر يرتكبون أفظع المجازر الجماعية..أنهم يرتكبون تلك الجرائم في شهر الصيام والقيام والطاعات وتطهير النفس من الذنوب".

أعجبتني فلسفة الجنرال فقررت أن أجازف بسؤالٍ ثانٍ، لكنه سهل، وأنا أعرف بأنه يكره الأسئلة التي تكون إجابتها من البديهيات.. سألت الجنرال: ماذا تنصحنا أن نعمل في مثل هذه الظروف التي أصبح فيها أبناء الوطن موزعون في الجبهات المختلفة كلاً يواجه في جبهته؟. وعرضت عليه رسالة رئيس اللجنة الطبية الشعبية الشعبيه –عدن، التي قرأت فيها الإصرار والصمود ولكنها تمتزج بصرخات استغاثة عالية وعميقة. أجاب باقتضاب وبشيء من السخرية ولكن مع شطر من مثل شعبي :" يا له من سؤال لم أتوقع أن يأتي من طبيب يدعي بأنه عدني من بلد الأبطال، وتعرف أنه في عُرفنا حتى من لجأ إليك من وراء الحدود (رَبِيْعَك) نقول قاتِل معه قبل يُقتَلْ.. هل فهمت؟ ثم صمت يحدق في وجهي وكأنما لسان حاله يقول لن تفلت مني أيها الضابط الذي لَبْس يوماً بدلة الشرف الجنوبي والذي لم تلفح وجهه الشمس".

هم هكذا جنرالات الحرب حصيفون في الكلام، يتكلمون بغضب وباختصار، لكنهم يعنون ما يقولون.. يتكلمون بلغة الأمر وينتظرون منك التنفيذ ويفضلون أن لا تناقش.. وإذا رأوا بأنك لم تستوعب قواعد الواجب وبدأت تلوك الكلام لن يتورعوا في أن يقولوا لك كفى ثرثرة وكفى هذياناً..

أعترف لكم بأن هذا الجنرال قد أسمعنيها كثيراً.. أتذكر بأنني في هذه المرة أجبته على سؤاله مسهباً في تفنيد ما اجتزأه من المثلالشعبي، إذ قلت له وبثقة عالية:"طبعاً يا سيدي لقد فهمت كل ما تقصده، وهو أن علينا أن نقف مع زملائنا وزميلاتنا الذين قدموا للعالم أجمل وأقوى صور التماسك والوحدة، والأهم الرحمة الإنسانية كما وصفها واختصرها رئيس اللجنة الطبية الشعبية في عدن د. عبدالناصر الوالي بـ(الصمودالخرافي والأسطوري) رغم ظروف الحرب والحصار والمخاطر المترتبة عنها، حتى نشد من أزرهم ومعنوياتهم ليواصلوا ذلك الصمود

المنقطع النظير في تقديم العناية الطبية النوعية والراقية التي يستحقها ليس فقط أبناء الوطن والمدافعين عنه، ولكن حتى جرحى العدو من الأسرى، دون أي تمييز في درجة العناية والاهتمام.. انهم زملائي الذين افتخر بهم، وهم يمارسون الطب في عدن تحت قصف المدافع وآليات الدمار. أتدري يا سيادة الجنرال إننا أقسمنا، نحن الأطباء، بأننا لن نُمَيّز في خدماتنا الإنسانية والطبية بين الصديق والعدو، رغم أن عدونا الحالي قد تجرد من إنسانيته، فجنوده يقتلوننا في بيوتنا ومدننا بسبب تمسكنا بحقنا المشروع في الحياة وبهويتنا الجنوبية وبثروة أرضنا وجمال واستراتيجية موقع عاصمتنا عدن..أليس من الإنصاف أن نسميها حرب شمالية - جنوبية؟.

ظننت بأن الجنرال راضٍ عن الاستفاضة في تحليلي لهذا المثل المقطع الأوصال، بل أن نشوة الثقة بقدراتي في التحليل قد قادتني للعب دور المحلل السياسي لما يجري في أرض الوطن..لكنه فاجأني بقوله:"يوماً بعد يوم وأنا أكتشف ضعف فراستك..أنت تهتم دائما بالمعنى القريب غير المقصود وتتجاهل المعاني البعيدة والمقصودة، وقد بدأت أشفق عليك.. لقد نسيت المهم وهو أنه عندما تقومون بواجبكم تجاه الوطن وأبنائه وتجاه زملائكم فأنكم تجعلونهم يثقون بأنهم ليسوا وحيدين في عالمنا هذا، وأن من في خارج الوطن لم يتخلوا عنهم مثلما تخلت عنهم القيادة الشرعية ". ثم أضاف وهو الحصيف بالكلام:" دعك من الشرعية وما أدراك ما الشرعية..إنها الحلقه الضعيفة في كل المعادلة..علينا جميعاً أن ندرك بأن صوتنا سيكون مسموعاً وصداه أقوى إذا ترفعنا وسَمَونا على خلافات الماضي، وأعدنا الثقة ببَعضنا وشكلنا القيادات من أبطال الجبهات وليس من قاعات الفنادق الوثيرة، ووحّدنا المتارس وقدمنا الولاء المطلق للوطن ورسمنا خططاً واضحة تكتيكية واستراتيجية، وتحقيق كل تلك العوامل يشكل طوّق نجاة، ويرسم خارطة طريق الانعتاق من المستعمر المتخلف والغاصب، فالثورات تُصنع ولا تُصدر، ثم ان على الكل أن يفقه حقيقة أن القوى الظلامية كرَّست وقتها ولعقدين ونصف من الزمن في دراسة تاريخ الخلافات واستثمرتها واتحدت علينا ودقت على أوتار المناطقية والحزبية فمزقت أوتاد مفاصل وحدة أبناء الجنوب العربي وجعلتنا حتى نختلف ونتنافر فيما بيننا ".

لم يكتفِ الجنرال بذلك، بل أضاف قوله:"أما مداخلتك حول طبيعة الصراع فأقول لك أنك سطحيٌّ في تحليلك فأنت لم تلامس الاّ قشور الحقيقة.. فالأسباب الحقيقية للصراع أعقد مما تتصور، ففي هذه الحرب فإن بعض من

أصدقائك وحلفائك ليسوا أصدقاء حقيقيين، فعلاقة الصداقة والتحالف ليست الاّ نسبيه فرضتها المصالح فقط، وهم من سيقف ضد تقرير مصيرك..وبعض من أعدائك ليسوا أعداء مطلقين، فالمصالح الداخلية والإقليمية والعالمية تطغي على الحق والواجب والأخلاق هذا إن كان هناك في السياسة والمصالح أي أخلاق. هل فهمت؟!".ثم حدق في وجهي مرة أخرى بنظرات ثابتة.

تحاشيت الإجابة واكتفيت بأن تمتمت بـ"نعم". وخوفاً من أن يسألني عَمَّا فهمته فَيُدَفّعني الثمن مرةً أخرى ويهز ثقتي بقدراتي في التحليل العسكري والسياسي. غادرت المجلس بخفة وأنا أعتذر له بأن عليّ الذهاب إلى المستشفى لعلاج حالة مرضية طارئة، وفي قلبي أدعو أن يغفر الله لي هذه الكذبة البيضاء وفي هذا الشهر الفضيل التي فرضتها عليّ ظروف وقوفي أمام جنرال يتكلم كلمات تورية تحمل معانٍ قريبة وبعيدة ويصعب على عقلي تحليلها ففضلت النفوذ بجلدي.. لكنني حتى بعد الاعتذار له لم أسلم من كلامه اللاذع.. إذ ودَّعني قائلاً:"لقد تأكد لي أكثر بأنك لا تتقن الاّ حَقْن الإبر وعمل المناظير"..

ألم أقل لكم بأنكم محظوظون لأنكم تسكنون في بيوت خالية من الجنرالات.

رسالة وفاء لمناضل في وعكته الصحية

الدكتور محمد صالح فاضل الصلاحي
روتشستر نيويورك
٢٠١٥/٩/٢٥م

وأنا أتصفح الفيسبوك.. ولأنني من المعجبين بكتابات صديقي الباحث والكاتب المبدع الدكتور علي صالح الخلاقي.. فإن صفحته من أولى الصفحات التي أتصفحها.. وقد شاهدت فيها صورةً لفتت انتباهي لرفيق درب والدي، اللواء أحمد محمد حسين الضباعي (شوقي) وهو يحتضن في يده اليمنى كتاب رفيقه في النضال والبناء "عمران.. الفدائي والانسان"..لكنني حزنت حين علمت من مضمون المقال أنه أُصيب بجلطة في الدماغ. ورغم حالته المَرَضية فقد وعد بأنه سيقرأ كتاب رفيقه عند تماثله للشفاء..شفاه الله وعافاه.

أعرف جيداً بأن نقل ذلك الخبر سيكون وَقَعُه مؤلما على والدي، ومن الصعب عليه تقبله، فقد عرفته وفياً وصادقاً في علاقاته مع كل رفاق حياته، وعلى الأخص رفاق زمن الجمر والكفاح، حتى أنه في كتاب ذكرياته الذي صدر للتو أكد عن تلك القناعة عندما كتب يقول:" إن العلاقة النضالية التي توحدها القضية الواحدة والهدف الواحد والمترس الواحد، والخالية من المصالح الضيقة، تتبين فيها معادن الرجال ومعاييرهم، ويصل فيها الرجال الحقيقيون إلى أقصى درجات نكران الذات، التي يصبح فيها تقديم الروح لتحرير الوطن وحماية الرفاق أمراً لا تردد فيه، وهذا النوع يعتبر بحق من أقوى العلاقات الإنسانية وأكثرها استمرارية".

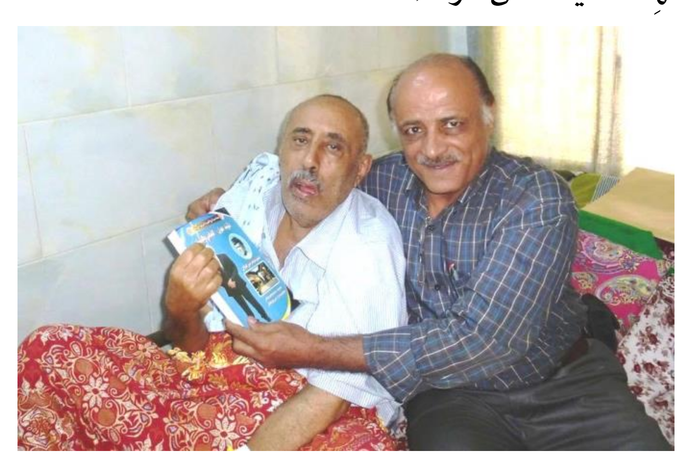
لم يكن أمامي من خيار الاّ أن أُقدِّم للوالد الخبر، وأعرض عليه الصور وأقرأ له المقال..فحزن كثيراً وزاد من تأثره حين رأى صديقه شوقي ممسكاً بالكتاب، فطلب مني أن انقل هذه الكلمات لرفيقه العزيز شوقي وللكاتب الدكتور الخلاقي، وهذا نص كلماته:

" صديقي العزيز شوقي.. قبل عشر سنوات تعرضت أنا لنفس الوعكة الصحية التي يحزنني الآن أن أقرأ بأنك قد تعرضت لها.. أتذكر حينها أنني استلمت منك أيها الأخ والرفيق رسالة معبرة وجميلة وصفت فيها مدى حزنك لتعرضي لتلك الوعكة الصحية وكتبت عنّي كلاماً جميلاً وأنت تتحدث عن مناقبي كإنسان

ومناضل، وكم كُنت أنت والرفاق والوطن بحاجة لعودتي سالماً غانماً.. أتذكر أن ما كتبته يا رفيقي حينها كان أجمل مواساة استلمها من إنسان شاركني محطات حياتي في الكفاح والعمل وسابقني على الإخلاص للوطن وللشعب.. نَحنُ رفاق الدرب الطويل سنظل أوفياء لبعضنا.. سأعود في الأشهر القادمة وسأبحث بين مستقبليني لحظة الوصول عن رفيقي شوقي.. أنت تتذكر جيداً بأنني لم أخذلك.. حينها بمشيئة الله وبدعواتكم ودعمكم المعنوي عُدت الى الوطن والتقينا.. لذا أجدني اليوم في نفس الموقف الذي وقفته أنت حينها.. سأمنحك كل الدعاء وكل الإخلاص والوفاء، وحتما سأسعد باللقاء بك من جديد، وسنواصل كتابة مذكرات حياتنا خدمة للأجيال ووفاءً للشهداء.

وأخيراً كلمة حق تقال وتوجه للابن الذي نعتز فيه جميعاً، الدكتور علي صالح الخلاقي باعتباره نموذجاً راقياً للجيل الذي تربى في كنف مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني.. مرحلة الشموخ الجنوبي والكبرياء..وأقول له: أثبت بكل أعمالك وكتاباتك بأنك ابن الجنوب البار، تُمارس الوفاء للوطن وللشعب وللتاريخ والحديث عن صناع الاستقلال وبناة الدولة الجنوبية، ممن تم تهميشهم في ظل الوحدة المغدورة بسبب رفضهم لمظاهر التسلط والفساد. فليبارك الله في عملك يا ابن الخلاقي.. ونتضرّع إلى الله أن يشفي صديقي اللواء (شوقي) من وعكته، وأن يستعيد صحته وعافيته، أنه سميع مجيب"..

انتهت رسالة الوالد صالح فاضل الصلاحي (عمران)، ويلزمني الوفاء نقلها هنا.. فقد عهِد صديقه على الوفاء.



رأس الجنرال.. وحكاية التدخين واليقظة الأمنية!!

الدكتور محمد صالح فاضل الصلاحي
روتشستر -نيويورك

الجنرال يحمل تاريخاً طويلاً مع التدخين، أو كما حدثني يوماً بأن بينه وبين التدخين علاقة وفاء امتدادها الزمني خمسه عقود بالوفاء والكمال. على الرغم من أنه قد أقلع عن تلك العادة المُضرّة منذ خمس سنوات مضت إلاَّ ان الحنين إليها، أو كما يسميها العودة لممارسة الوفاء مع معشوقته القديمة ما زال يعشش في داخله.

ما زلت أتذكر كيف كانت تؤذي مسامعه نصائحي المتكررة للإقلاع عن التدخين، فكان يتجاهل بعضها ويشكك بالبعض الآخر، حتى أنه سألني يوماً:"هل يرضيك ان يقولوا إنَّك ابن رجل تنصَّل عن الوفاء".

قلت له: جميل جداً أن نعيش حياتنا ونمارس الوفاء، لكن كل الأبحاث العلمية يا أبي تؤكد بأن التدخين أحد الاسباب الرئيسيّة للأمراض السرطانية وأمراض الرئة والقلب والأوعية الدموية وان مهنتي الطبية لاتسمح لي في هذا الجانب ان أشجعك على ممارسة ذلك النوع من الوفاء الذي لا تستحقه ولا تحس به تلك المعشوقة المقيتة، بل يجلب لصاحبه الضرر فقط.

اليوم وبعد خمسة أعوام من مفارقته لها عاد شوقه وحنينه إليها بعد أن زاره أحد أصدقائه المدخنين، وكررت مجدداً نصائحي له في وصف مضار التدخين، ومع ذلك يتهمني بأنني أبالغ في وصف تلك الأضرار، بل أنَّني أتجنى عليها -حسب قوله!!.

في تلك الأثناء قطع حديثنا اتصال من جنوبنا الحبيب الذي نحمله في جوانحنا وفي نياط قلوبنا من الشيخ علي احمد عطبوش يشكو للجنرال حالة التسيب الأمني في بعض مناطق الحد -يافع عامة ويطلب منه النصيحة.

على المستوى العام الشيخ علي احمد عطبوش من الناس الأوفياء للوطن والناس، وعلى المستوى الخاص هو من الاوفياء والحريصين على استمرار تلك العلاقة الصادقة والجميله بينه وبين الجنرال كامتداد للعلاقة الأخوية الحميمة التي ربطت الجنرال بوالده المغفور له بإذن الله الشيخ احمد عبدالله عطبوش.

اتعَمَّدُ عندما يتصل الأصدقاء أن أترك التلفون على مكبر الصوت حتى أسمع الحديث واشترك معهم. ابتدأ الجنرال حديثه بالقول:" ابني محمد كان قبل لحظات يبالغ في وصف أضرار التدخين على الصحة، ويحاول جاهداً ان يحمِّل تلك السجارة كل عاهات الدنيا، وحاولت أن أنوِّرهُ بأن بيني وبينها وفاء، فأنا أهتم بصرف المال لاقتنائها وأحرص أن يكون مكانها هنا في الجيب الأيسر من قميصي، أي قريبة من القلب، لكنني على الرغم من ذلك التمييز أعترف بأنها أكثر كرماً ووفاءً منِّي فهي تحترق وتتحول إلى دخان ورماد لتسعدني وتعدِّل مزاجي وتخفِّف عليَّ بعض هموم الأيام..هل شاهدت يا شيخ علي في حياتك وفاءً أكثر من ذلك؟".

واصل الجنرال حديثة قائلاً:" أتدري.. لقد نسي الدكتور محمد بأنه من الجيل الذي أعقبنا وتربَّى في كنف الثورة. حمل جيلنا السلاح يوماً من أجل تحرير الوطن أولاً ثم تثبيت السلطة الوطنية الديمقراطية، وعلى الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي اتسمت بها مرحلة السبعينيات والثمانينات الاّ أن النظام اتبع سياسة التقنين الاقتصادي وشد البطون من أجل التعليم حتى يحصل هو وأمثاله من أبناء جيله على الدراسات العليا، فعادوا يعلموننا قلّة الوفاء..أنصفني هنا في أمر التدخين وأنا أوعدك بأن أقدم لكم النصيحة الأمنية وسأستشهد بحادثة حصلت معي فاجتمعت فيها بقدرة قادر السيجارة وأمن المنطقة".

أطلق الشيخ عطبوش ضحكة طويلة بطول هذه المقدمة عن السيجارة وقال للجنرال:" ياعم صالح أنت من علّمت ابنك محمد حتى أصبح طبيباً، لذا ما علينا الاّ أن نسمع لإرشاداته، وأنت مثال الوفاء في حياتك كلها ولست بحاجة إلى أن تثبت مرة أخرى بأنك الوفي، خاصة في مثل هذا الموقف الضار بصحتك. وشخصياً ما زلت حتى يومنا هذا أتذكر موقفاً كان لك فيه الشيء الكثير من الوفاء تجاه والدي وتجاهي.. أتذكر كيف ترجَّيت والدي في منتصف السبعينيات من القرن الماضي وأنت معه في منزلنا، في ريشان بالحد -يافع، أن تأخذني معك إلى القسم الداخلي في مدينة جعار أبين كي التحق بالمدرسة مع ابنك محمد. وكيف توسل إليك أبي في أن لا تكرر عليه ذلك الطلب، وقال بأنك بمحاولتك إبعادي عنه يحس وكأنما تحاول ان تكسر ظهره.. أنا لم يعلمني والدي الطب، ولهذا كنت سأسمح له أن يمارس الوفاء مع السيجارة حتى آخر أيامه، لكن من حسن الطالع أنه ظل على علاقة جفاء معها ولم يقربها حتى آخر حياته، رحمه الله".

ثم اختتم الشيخ علي كلامه قائلاً:" هكذا هي الحياة وأنت من علمنا بأن لكل شيء في حياتنا ثَمَناً، وثَمَن شهادة الدكتوراة في الطب هي النصائح التي تفرض عليك للمرة الأولى في حياتك أن لا تمارس ماتسميه أنت بالوفاء.. لكن قل لي ماعلاقة السيجارة بالموضوع المتعلق بأمن المنطقة والناس؟!! ".

أطلق الجنرال العنان لذاكرته فروى تفاصيل ذلك قائلاً:

"ما زلت أتذكر كيف امتنعت ذات ليلة عن التدخين لأكثر من خمس ساعات عند توغلنا في الحدود الشمالية لتأديب من حاولوا زعزعة الأمن في منطقة الحد - يافع، وكل ما كنت أتمناه حينها هو أن أصل إلى أول منطقة جنوبية آمنة كي أشعل فيها سيجارة واحدة على الفور بأمان واستمتع بتدخينها. وهذا ما كان، فما أن عُدنا إلى الحدود الجنوبية المشرفة على منطقة ريشان الحد، وتحديداً في وادي (ذامجانن) القريب من المثور في حيد يافع، مقابل قرية العقّيلة وآل غرامة، وهناك ووراء إحدى الآكام طلبت من المرافقين التوقف لنلتقط أنفاسنا بعد أن أصبحنا في حدودنا آمنين.. قعدت على إحدى الصخور وأشعلت أول سيجارة وفيما أخذت أمتص دخانها بشراهة وبِنَفَس عميق وطويل يعوضني حرمان خمس ساعات من التوقف القسري حتى فوجئت بأزيز رصاصة كادت أن تصيب رأسي وارتطمت بصخور التلة خلفي مباشرةً ثم أعقبتها طلقات عشوائية، والحمد لله أن من أطلق الرصاص لم يتوفق في إصابتي، لكنه نجح في إفساد لحظة انتشائي ودفعتني تلك المباغتة غير السارة إلى القفز لا إرادياً لتغيير مكاني على وجه السرعة.. حينها سألني رفاقي: هل أنت بخير؟.. أجبتهم بنعم، لكن تلك الرصاصة "أدوشت" رأسي وقررت الانسحاب السريع وأكدت لهم بأن مصدر الرصاصة من نيران صديقة، وتحديداً من تلك القرية المقابلة لنا.. كان ذلك اليوم الوحيد في تاريخ علاقتي بالتدخين الذي كرهت فيه السيجارة ودستها بنعلي وبطريقة تدل على حقد دفين كامن في داخلي وكأن بيني وبينها عداءٌ أبدي، حتى أنني في لحظة الغضب تلك رميت بعلبة السيجارة قائلاً لرفاقي: لقد كشفتني تلك السيجارة اللعينة وعرضتني للموت المحقق.

بعد خطوات قليلة قطعناها في سيرنا سألني رفيقي محمد حسين شَوْبَة:"هل أنت متاكد من صحة ما فعلته؟ ". ويقصد بذلك رميي لعلبة الدخان.. وسرعان ما تبدد وتلاشى غضبي فندمت على فعلتي تلك وعُدتُ لالتقاط العلبة وما تناثر منها من سجائر من على الأرض...ألم أقُل لك بأنه الوفاء يا شيخ علي!!.

عُدنا الى مركز الحضارم، وفي اليوم الثاني أرسلت الجنود ليتحققوا مَنْ هو ذلك الشخص الذي أطلق الرصاص وان يحضروه معهم. وتعمدت ان أطلب حضور بعض أبناء القرى الحدودية حتى أقدم لهم النموذج الذي عليهم أن يحتذوا به.

عاد الجنود ومعهم "العم" حسين عبدالله العقيلي. قلت له: لقد وصلني بلاغ أنه حدث إطلاق رصاص من منازلكم في فجر ليلة البارحة، فهل أنت فعلاً من أطلق الرصاص ولماذا؟

أجابني بثقة وببراءة: نعم.. لقد نفذت توجيهاتكم..ألم تؤكد علينا في كل اللقاءات الاجتماعية والشعبية بأن أمن الحدود والمنطقة وقرانا ليست فقط مسوليئة رجال الأمن بل مسئولية كل المواطنين.. وفي ليلة البارحة كان هناك من تستروا بجنح الليل وتسللوا عبر الحدود كي يزرعون الألغام الارضيّة -كما زرعوها في السابق - أو يطلقون الرصاص أو يأخذون مكائن مضخات المياه التي يتركها المواطنون في الآبار، وذلك بهدف زعزعة الأمن والاستقرار لذا أطلقت الرصاص عليهم.

سألته: هل أصبت أحد؟..

أجاب: أنه ضَرْب ليل لكنني حرصت على أن أصطاد أحدهم حيث جعلت جمرة سيجارته في رأس شاهد البندقية ثم أطلقت الرصاصة الأولى بدقة وأتبعتها بطلقات متفرقة إلى نفس المكان، لكن للاسف يا "ابن فاضل" لم أتوفق هذه المرة، الله كتب لهذا المرتزق ومن معه السلامة.

- سألته: كيف عرفت بأنه مرتزق، وأن الله قد كتب له السلامه؟.

- أجابني: مرتزق لأنه قادم من وراء الحدود ومتسلل في الظلام، أما كيف تأكدت من سلامته فمع بزوق فجر هذا اليوم كان أول ما قمت به أن ذهبت إلى المكان فلم أجد آثار دماء تدل على أنني توفقت في إصابة أي منهم، ثم اقتفيت آثارهم وتتبعتها فعرفت أنهم كانوا ستة أشخاص ثلاثة منهم ينتعلون أحذية يبدو من آثارها بأنها عسكرية وثلاثة حفاة الأقدام.

كانت نباهته في دقة وصفه للعدد وفراسته في اقتفاء آثارهم مثار إعجابي وأثلجت صدري، فقد كُنَّا فعلاً ستة أشخاص أنا ومرافقيني وهم:محمد حسين شوبة - حسن محمد عبدالصفي -عبدالله احمد الشيوحي -صالح علي المخنقي - علي صالح الحبيشي، الله يرحمهم جميعاً.

واصل العم حسين حديثة قائلاً:" أوعدك في المرة القادمة إن عادوا فلن يفلتوا من عمك حسين".. عندها أخبرته بأن من عبر الحدود ليلة البارحة هو أنا ورفاقي وأنني ذلك الشخص الذي أشعل السجارة وجعلته هدفا لرصاصاتك.

ارتبك وتغير لون وجهه وظن بأنه سيكون عرضةً للمساءلة والعقاب أو السّجن وأقسم بأنه لم يكن يعرف بأننا نحن من قدم في جنح الظلام من المناطق الشمالية، ثم اختتم كلامة بأن سألني كيف لي أن أميز في الظلام بين العدو والصديق؟.

مِنْ جانبي طمّنته بأنني أقدر عالياً يقظته، وأن ما قام به من عمل لم يكن الا بدافع وطني وكنت وما زلت وسأظل مقتنعاً بأن أي أرض لن يحل فيها الأمن والاستقرار الاّ متى ما حرص أبناؤها على نبذ خلافاتهم وتعزيز وحدتهم وحراسة حدود منطقتهم من عبث العابثين وتشجيع أبناء المنطقة في العمل على إرساء دعائم الأمن والاستقرار بغض النظر عن قناعاتهم وانتمائاتهم السياسية، وأخبرتة بأنني ما طلبته للحضور الاّ لتكريمة على تلك الطلقات التي كادت ان تصيب رأسي، ثم سألته:"أي سلاح تملك ؟". أجاب: "بندقية قديمة صنع تشيكي". ووصفها بأنها بعيدة المدى مثلها مثل (العيلمان) فأخبرته بأننا للأسف لا نملك ذخيرة لهذا النوع من السلاح القديم ولكنك جدير أن تُكافأ ببندقية جديدة نوع "فلنطة" مع الذخيرة الكافية وبراتب شهري وكل ما عليك عمله هو حماية الحدود المتاخمة لقريتك ورصد أي تحركات مشبوهه والتأكد من هوية العابرين قبل إطلاق النار.

ومن حينها طلبت ترشيح حراسات من أبناء القرى ليقومون بنفس الدور، ومقابل ذلك يحصلوا على السلاح والذخيرة، وأخبرتهم بأنني سأوكل إليهم تلك المهمة وسأستمر أنا ورفاقي في ملاحقة أعداء الثورة المدعومين من نظام صنعاء هناك خلف الحدود في المناطق التي ينطلقون منها حتى نحد أو نمنع وصولهم إلى هنا وتأديب من ثبت بالأدلة تورطهم في التخريب في أرض الجنوب.. ثم وجهت الكلام للجنود والضباط الحاضرين هناك قائلاً:سنبحث أيها الرفاق عن منافذ حدودية أخرى أثناء العوده من هناك فرأس بن فاضل "المدوُوش" برصاصة العقيلي قد تعلم بأن لا يعبر في جنح الظلام في أرض يسهر أبناؤها على حراستها ويحرصون على أمن واستقرار أهلها.

- ضحك الشيخ علي احمد عطبوش وقال:"فليحفظك رب السماء لقد وصلت الفكرة".

المناضل صالح فاضل الصلاحي(عمران)

يكتب عن فرحته بنجاح حفيديه الطبيبين عمران وعمار

ما أجمل أن يفرح الإنسان حينما يجد أبناءه وأحفاده وأبناء وطنه يتفوقون في دراستهم العلمية ويحصدون الدرجات العليا والشهادات المشرفة في تخصصات طبية مرموقة.

لقد حقق هؤلاء الشباب المجتهدون النجاح تلو النجاح، سواءً في الحياة العامة، أو في مقاعد الدراسة، منذ سنوات الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية بل والكليات وما أعقبها من الدراسات الجامعية العليا.

إنهم هنا يزاحمون الأقوياء في بلد الأقوياء وأقصد هنا بلد (العم سام) والتي عُرفتْ تاريخياً بأنها ساحة المنافسة القوية والشريفة.

نعم هنا يتنافس المتنافسون في كل المجالات ولكنهم لا يستخدمون الاّ سلاح العلم والمعرفة.

اليوم كان بالنسبة لي يوماً تاريخياً تم فيه إعلان نتائج قبول البرامج الطبية التخصصية الأمريكية، لمن وجدوا فيهم الكفاءات التي تشترطها تلك البرامج، سواء في تخصصات الأمراض الباطنية أو الجراحة أو غيرها من التخصصات الطبية.. واليوم يحق لنا نحن، وجاليتنا أن نفخر باثنين من أحفادنا وأبنائنا الذين تم اختيارهم في برامج جراحية تخصصية شهيرة.

الأول: حفيدي الأكبر عمران محمد الصلاحي، نجل الدكتور المتميز محمد صالح الصلاحي، تم قبوله في برنامج الجراحة في واحدة من أعرق الجامعات في أمريكا، وهي جامعة فرجينيا University of Virginia وفي مركز جراحة متميز. ووفقاً لبيانات موثقة يعتبر هذا البرنامج من أفضل البرامج الجراحية في امريكا.

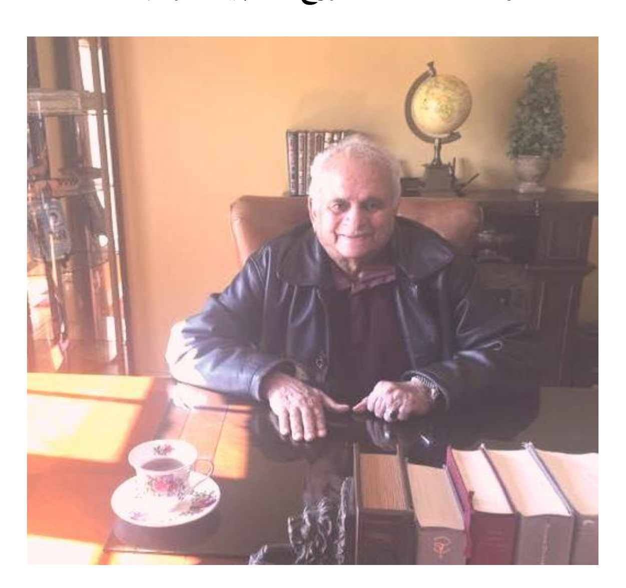
أمام هذا الإنجاز، وبمراجعتي لسيرة الحفيد عمران، أستطيع القول أنها قصة من قصص الإصرار والكفاح الانساني لهذا الشاب الطموح، الذي لم لم يَأْلُ جَهْداً، ولم يدخر وقتاً، من أجل تحقيق الهدف، وأتمنى على كل أحفادنا وأبنائنا دراسة تفاصيلها وأخذ الدروس منها، حتى يقتفي أثرها كل الشباب التواق الى النجاح.

اما حفيدي الثاني -عمّار محمد الصلاحي - الذي يرفع دائماً شعار "هدفي هو القمر حتى وان لم أصل سأكون هناك بين النجوم"، ففي سيرته تتزاحم النجاحات والتفوق العلمي، حتى أن جهوده تلك قد سهلت له الطريق ومكنته من هدفه المنشود، حيث تم قبوله في جامعة ولاية مشجن (Michigan State University) في برنامج جراحة المخ والأعصاب. ولكي أختصر الحديث عن تاريخ عمار،أقدم الحقيقة التالية:

إن عمار قد نافس أفضل خريجي كليات الطب الامريكية وتم اختياره في واحد من أصعب البرامج الطبية الجراحية على الإطلاق (Neurosurgery) وفي أرقى بلد في مجال الطب في العالم، وهنا علينا أن ندرك جميعاً مستوى الكفاءة والقدرات العلمية لهذا الشاب المتحمس الذي لا يرضى بما دون القمر.

من الأعماق أسوق أحر التبريكات والتهاني لأحفادي، نجوم عامنا هذا، كطَبِيبَيْن مَرْمُوقَيْن في المستقبل القريب إن شاء الله.

إن المستقبل يشرع أبوابه للشابين عمران وعمار على تلك النجاحات، ونتمنى لهما دوام التوفيق والنجاح في سنوات الإقامة في البرامج الجراحية، التي اختاراها بعناية، ونجحا في أن تختارهما تلك الصروح الطبية المرموقة.



لحظات إنسانية لن أنساها

الجنرال صالح فاضل الصلاحي
شيكاغو ٢٠١٩/٥/١٨

لم يمر الاّ اسبوع من يوم فرحنا الكبير في مشاركتنا حفل تخرج عمّار محمد الصلاحي، من كلية الطب، جامعة جنوب فلوريدا (تامبا)حتى تم إعلان حفل تخرج أطباء دفعة ٢٠١٩م. اختلف المكان والزمان والإنسان، فاليوم نحن في قاعة احتفال كلية طب شرق فرجينيا، وهدف حضورنا مشاركة حفيدي الأكبر عمران محمد الصلاحي في حفل تخرجه من كلية الطب ومنحه لقب (الدكتور).

كانت الفرحة الأولى هي تلك التي عشنا تفاصيلها وأحداثها الجميلة وأدخلت السرور إلى قلوبنا، والتي أخذت مكانها وزمانها اثناء تكريم حفيدي الثاني عمّار محمد، شقيق عمران، في الأسبوع الماضي من جامعة جنوب فلوريدا.

واليوم وإن اختلف الزمان والمكان نعيش أحداث الفرحة الثانية، ولكن في ولاية فرجينيا، ومعها نعيش تفاصيل وطقوس مشابهة للحدث الأول، هنا تكررت وتضاعفت في وجداننا مشاعر الفرح، فما أشبه فرحة الليلة بالبارحة.

في لحظات التكريم بالنجاح وعند تزيين المكرمين بوضع وشاح التخرج على أعناقهم وصدورهم، وأمام عدسات كاميرات المصورين وتصفيق الجمهور، استوطنت مشاعر الافتخار كل ذرة في جوارحنا في فوز أبنائنا في هذه المنافسة الصعبة والشريفة في بلد العم سام، وتفوقهم اليوم وهم يحصدون الشهادات العلمية ويحققون النجاحات التي نفتخر بها، بل ويفتخر بها أبناء وطننا الأول.

لقد تملكنا شعور الشكر والامتنان الكبيرين بما وفقنا به رب العرش الكريم، حيث سنحت الفرص أن نعيش خلال هذا الشهر الكريم ، شهر الصيام والقيام، ذات الفرحة مرتين. وفي مراسيم هذا الحفل تكرر ما شاهدناه في حفل تخرج عمّار، اذ تم فيه قراءة وترديد قسم أبقراط الطبي (Hippocrates Oath)، وهو تقليد جميل ومتوارث، وعادة ما يقسم به الأطباء، قبل مزاولتهم لمهنة الطب، وفيه إحياء ذكرى الطبيب "أبقراط" صاحب فكرة هذا القسم الشهير، والذي يعد من أعظم أطباء عصر اليونان القديم، بل أن كتب التاريخ تقدمه لنا بوصفه "أبو الطب".

خلال هذا الحفل تحدث رئيس الجامعة وعميد كلية الطب عن قيم وأخلاق مهنة الطبية الإنسانية الراقية، وعن الفخر بنجاح وتفوق تلك الدفعة من الأطباء المتخرجين، مع تقديم البيانات والإحصائيات التي تؤكّد النسبة العالية لنجاحات طلابهم في الحصول على مقاعد التخصصات الطبية منها والجراحية في المستشفيات التعليمية في الجامعات الأمريكية، لأن ذلك يعد أحد المعايير الرئيسية التي تتميز بها كلية طب عن أخرى.

كم هو إنساني وجميل في أن يحصل الطبيب الأب (الدكتور محمد صالح الصلاحي) على دعوة كريمة للصعود إلى المنصة، لمشاركة أساتذة الجامعة في وضع وشاح التخرج على أعناق أبنائه كرمز التحول من طالب طب، إلى طبيب جدير في تشخيص ومعالجة أمراض البشر وتخفيف آلامهم ومعاناتهم، أينما وجدوا في عالمنا هذا دون انتقاء أو تحيز أو تمييز.

ستظل لحظات التكريم وما رافقها من مشاعر منحوته في ذاكرتي، وخاصة لحظات مشاركة الأب الطبيب (محمد) لعَمَيْدَي كلِّيَتي الطب في وضع وشاح التخرج على أعناق أبنائه عمّار وعمران.. جميل أن ذلك التكريم لم يقتصر فقط على الحفيد، بل أنه قد شمل الأب الذي أحسن توجيه وتصويب مسار أبنائه، ولقد أحسست لحظتها بأنني أنا الآخر قد شملني دفء وكرم ذلك التكريم. حينها رفعت يدي شاكراً الله في أنه قد أمد بعمري حتى أعيش تلك اللحظات الإنسانية الموحية والمؤثرة.

إنني لشديد الثقة بل والإيمان بأن في نجاحهم الحالي والمستقبلي خدمة لوطني الأول، الوطن الجريح، والذي ستنتصر حتماً إرادة شعبه وقضيته العادلة، في إعادة بناء الدولة الوطنية المستقلة. وحتماً سيعودون هم وامثالهم من الكوادر المهاجرة ذوي الكفاءآت العلمية العالية للمشاركة في بناء مؤسساتها وصروحها العلمية.

سيودع الدكتور عمّار جامعة جنوب فلوريدا ليلتحق في جامعة ولاية ميتشجن للإقامة سبع سنوات، في برنامج جراحة المخ والأعصاب، واليوم سيودع الدكتور عمران كلية طب شرق فرجينيا ليلتحق في برنامج الجراحة العامة ثم التخصصية في جامعة فرجينيا. وسنتابع مسيرتهم ونجاحاتهم في الأعوام القادمة، وندعوا الله مخلصين في هذا الشهر الكريم ان يسدد خطاهم ويأخذ بأيديهم ويوفقهم في تخصصاتهم الجراحية وتطلعاتهم في الحياة.

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذُ الدنيا غلابا

الوطن بين مخاوف الآباء وحماس الأبناء

الدكتور محمد صالح فاضل الصلاحي

روتشستر- نيويورك

(رأس ما يحمأ احسبه دبية من دِبَيْ الماء)...هكذا قال لي أبي.(والدّبية وعاء من القرعيات الجافة).

احتدم الخلاف بيني وبين أبنائي عمران وعمار.. كلاهما طلاب في كليات الطب البشري.. علت أصواتنا.. فمحنة وطننا عدن قد غيرت نفوسنا ودرجة تحملنا لحجج بعضنا البعض وغيرت أحوالنا ونمط حياتنا وتطلعاتنا..فقبل اكتساح حَمَلَة معاول الهدم وقَتَلَة الإنسان أعداء الحضارة وطامسي الهوية والتاريخ لمدينتنا عدن، كان ولدَاي يوزعان وقتهما بين التحضير العلمي ومتابعة الجديد في الأبحاث العلمية والطبية والمشاركة في وسائل التواصل الاجتماعي، ولكن باللغة الإنجليزية..وإذا استلم أحدهما رسالة بالعربية فتجده يعرض شاشة تلفونه ويطلب مني أن أترجم له معنى الكلمة أو العبارة فيقول لي بلغة مكسرة:"ممكن أن (تترمج) لي هذه الكلمة أو هذه العبارة".. كنت أبتسم و أستمتع لسماعي طريقة لفظهم، فهما ببراءة يكسران العبارات ويهشمان الكلمات العربية ويقدمان ويؤخران في لفظ أحرفها..

وبسبب هذه الحرب اللعينة فقد أخذا يكرّسان جهداً كبيراً في تعلم اللغة العربية ويقرآن تاريخ الجنوب العربي، بل ويترجمان بمساعدتي أحيانا من العربية إلى الإنجليزية، وبهذا أحرمتني هذه الحرب ماكنت أستمتع بسماعه... فهما الآن يجيدان الحديث وبدون أية مطبات عند قراءتهما للجمل العربية حتى أنهما أجادا كلمة (تترجم) دون خلط أحرفها كما كان يحدث معهما..لقد تغيرت حتى برامجهما الإعلامية المفضلة فتجدهما الآن يتابعان وبشغف مقابلات وتصريحات

وكتابات هامات الجنوب العربي الإعلامية مثل:د.عيدروس النقيب، احمد العولقي، الإعلامي عادل اليافعي د.علي صالح الخلاقي، صلاح بن لغبر، عبدالسلام عاطف، وأحمد عمر بن فريد وصلاح الطفي..الخ.

كان والدي حاضراً يستمع لحجج وتبريرات كل منا دون أن يتدخل أو يفض الخلاف.. وكنت شبه جازم بأنه سيقف في صفي.. قد تكون ثقتي بحقيقة هذا التكهن بحكم أنني أفصح منهما لسانا بالعربية وبالتالي أقدم الحجج بأسلوب لغوي أقوى في زمن يكون فيه للخطاب الإعلامي القوة الأكبر في قلب الحقائق وفي التأثير. فعلى الرغم من قناعتي بأن ما يحصل في عدن هو فاجعة بل كارثة إنسانية، فأهداف صانعي هذه الحرب هو مصادرة حق أبناء الجنوب في الاستمرار في الحياة والتطور، لذا علينا ان لا نحقق هدف حَمَلَة معاول الهدم بل نستمر في الحياة والبناء والعلم.. وبسبب اشتداد درجة الخلاف ارتفع صوتي على أبنائي متهما إياهم بالتقصير في الدراسة، عند ذلك تدخل والدي يسألني بصوت فيه نبرة الغضب..أيش مشكلتك مع الأولاد ؟!.

أجبته بأن عمران وعمار قد كَبَرَا ولم يعد بوسعي السيطرة على تصرفاتهما أو تغيير قناعاتهما أو توجيه تطلعاتهما.. لقد قلَّ لديهما التركيز على الدراسة والبحث الطبي وانصرفا مع أحمد العولقي والمكلاني والعبادي وبلعيد وملتقى شباب الجنوب في أمريكا ينظمان ويشاركان في المسيرات أمام مبنى الأمم المتحدة والبيت الأبيض ويصرفان وقتاً أكبر أمام الكمبيوتر يترجمان التقارير التي يمدهما بها رئيس اللجنة الطبية الشعبية العليا في عدن د. عبدالناصر الوالي، والتي يوثقها في صفحة اللجنة الطبية الشعبية العليا -عدن The Higher Medical Public Committee ويتواصلان مع لجان ومؤسسات الإغاثة الإنسانية والطبية في الأمم المتحدة، وهذا من شأنه أن يحرف مسار تطلعاتهما وسيؤثر على نجاحاتهما في مجال الطب. كنت أتوقع بأن هدوء والدي وإصغاءه لي وأنا أنثر الحجج يعني أنه يوافقني، لكنه كان الهدوء الذي سبق العاصفة، كما يقال.

يبدو أنه لم يهضم طريقة وأسلوب تسويقي للحجج ولم يقتنع بحقيقتها لذا ما أن أنهيت كلامي حتى انتفض من مقعده قائلاً بصوت مرتفع وغاضب: يا ابني عليك أن تعرف بأن "رأس ما يحمأ ..احسبه دبية من دبي الماء".. ثم أضاف: كنت أخشى قبل هذه اللحظة أن أحفادي مواليد أمريكا قد كبس وضغط على قلوبهم الشحم بسبب سهولة ونعومة وترف الحياة فانحسرت عواطفهم تجاه عدن وأهلها،

وأنهم يحملون رؤوساً لن تَحمى على وطن جدهم ولن تتفاعل مع هموم ناسي وأهلي.. لكن حماسة أحفادي وغيرتهم قد أثلجت صدري وعرفت جسامة ظلمي لهم وخطأ تقديري، لكن ما بدأت أخشاه اليوم وأخافه هو أن أبنائي مواليد عدن قد بردت رؤوسهم وأن رأس كبيرهم ليس إلا...

لم أدعه يواصل حديثه وتعمدت مقاطعته حتى لا يكمل العبارة أو يُفصّل هذا المثل على مقاس رأسي فيزيد من نشوة انتصار أبنائي الذي لاحظته بسبب تشجيعه ومؤازرته لهما بأنهما قد انتفشا كالطواويس.. لذا حاولت تغيير مسار الحديث وحرف تفكيره باتجاه التاريخ الذي يحب أن يسمعه فقلت له: أنني أتذكر يا أبي بأنك قلت لي ذات يوم بأنه بعد ان استولى الكابتن ستافورد هنس قائد الحملة الاستعمارية البريطانية على مدينة عدن الباسلة في ١٩ يناير ١٨٣٩ كتب بأن استيلائه على عدن قد أضاف جوهرة نادرةٍ يتزين بها التاجٍ البريطاني لكن عشت يا أبي وشفت، فالمستعمر الأول كان حضارياً وكان منصفاً في وصفه لها وكان وفياً في صيانتها..ومع هذا ففي ١٤أكتوبر ١٩٦٣ أعلنتم الثورة عليه فأخطأت مثل غيرك عندما حملت السلاح لتقاتله فعجلتم برحيل الاستعمار الحضاري..

كنت بذلك أحاول أن أستفز مشاعر أبي وأعيد إلى ذاكرته يوم قابل في التسعينات من القرن الماضي وزير الدفاع اليمني بسبب قطعهم لراتبه ومستحقاته.. فأخذ ذلك الوزير يسأله بشيء من التعالي وأمام عدد من كبار الضباط الذين كانوا متواجدين في مكتبه قائلاً:" لقد عرفت بأنك أحد أبطال أكتوبر، فبالله عليك ! كيف سمح لك قلبك أن تقاتل بريطانيا العظمى ؟!". فأجابه والدي بتلقائية وبصوت جريء فيه نبرة قهر الرجال:" والله لو أعرف بأنكم ستحكموننا اليوم لما قاتلتهم". فعاد أبي دون أن يحصل على أمر صرف الراتب والمستحقات.. فانتقدت أنا أسلوب رده على الوزير، لكنه ردّ عليَّ بالمثل الشعبي(ذَهَبْ يخْدُر أذني، خُرْص النِّحَاس أحْسَن منَّه) ويضرب المثل لتفضيل ما لا يضر رغم نوعيته، على ما يضر حتى وأن كان ذهباً.

وبالعودة لحديثنا أخبرته بأن المستعمر الثاني وصف عدن بأنها العاصمة الاقتصادية لكنه أفقرها وخلخلها ودمرها والآن يقتل أبناءها وبناتها حتى يضمن بأنه وثعابينه سيرثون الأرض وما بقي عليها. أنهم لا يفقهون يا أبي بأن عدن رغم نزيف جروحها إلا أنها تستمد الحياة من قلوب محبيها وهم كثيرون ثابتون وموزعون في الجنوب العربي وفي كل أصقاع الأرض فهي تسكن في قلب كل جنوبي

عربي وفي قلبك وفي قلب أبنائك وأحفادك.. ثق يا أبي حتى وإن عشنا بعيدا عنها فهي ستظل عشقنا الأبدي وسنعود يوما لبنائها وإعادة البسمة إلى ثغرها الجميل وسنرتمي في حضنها الدافئ.

لكني رغم تلك المحاولة لم أوفق في تشويش أو حرف سير أفكاره فهو يعرف فهلوات ابنه الأكبر، لذا قال لي وبصوت فيه نبرة تهديد من حزم الجنرالات: إذا تريد أن تثبت لي بأن ما تحمله بين كتفيك ليس(دبية من دِبَيْ الماء)فعليك أن تعجِّل بطباعة وتوزيع ما كتبته عن تجربتي مع الحياة والكفاح والبناء.. فصدوره في هذه الأزمة التاريخية سينّور جيلكم وجيل أبناءكم ويتعلم أبطال عدن من تاريخنا المعاصر إن وحدة القيادة والتزام كل القواعد والخلايا السرية بالتنفيذ الصرف لكل التوجيهات المركزية والالتزام بسرية العمل الفدائي المُنظم والمُتقن من أهم عوامل وأسباب نجاح مرحلة الكفاح المسلح الذي أدى الى التعجيل برحيل الاستعمار البريطاني من عدن.

وما أريده منك هو أن يوظف مردود بيع هذا الكتاب لصالح أسر الشهداء وعلاج جرحى حرب ميادين الكرامة والشرف. وبصدور هذا الكتاب في هذا الوقت سيعرف همج التاريخ بأننا لن نتخلى عن تاريخنا وهويتنا، وأننا لن نسمح لهم بطمس التاريخ والهوية..سيعرفون بأن فدائيي أكتوبر القرن العشرين ومن ساهم في حماية حدود الوطن من عبثهم وتطاولهم وهمجيتهم يكتب التاريخ في القرن الواحد والعشرين.. وسأقول لهم: قاتلنا الاستعمار البريطاني رغم حضاريته لأنه استعمار..وسنقاتلكم لسببين فأنتم استعمار ومتخلف في آن واحد، وتلك صفتان يمقتهما الإنسان الجنوبي ولن يقبلهما بكبريائه وكرامته.. سنواجه كل جبهاتكم بقوة واقتدار وسنواجه محاولة طمسكم للتاريخ والهوية الجنوبية بتعليم أبنائنا وأحفادنا التاريخ المُشرِّف، إذ أننا لم نكن يوماً غزاة أو طامعين أو مستعمرين وها أنا أصدر كتاباً فيه شيء من التاريخ المعاصر والهوية الجنوبية.. أن ما يسعدني الآن هو أن الصف الجنوبي بفضل حربكم الظالمة قد توحد مرة أخرى، لذا أرجو أن تتذكروا بأننا في السبعينيات من القرن الماضي كُنّا موحدين في الجنوب..حينها حاولت جيوشكم الغازية المساس بسيادة أرض الجنوب.. لن أتكلم هنا كثيرا كيف فررتم كالجرذانٍ لكن سأكتفي بأن أطلب منكم أن تسألوا جنرالاتكم فهم يذكرونني جيداً ويذكرون كيف أن أبطال أكتوبر في كل الجبهات.

علموهم دروساً لن ينسوها عن عزة الجنوب وكبريائه وبسالة شعبه.

سأقول لأبنائي وأحفادي (أبناء الجنوب العربي) أن يتعلموا أن انتصارنا من أجل الحق والحياة لن يأتي إلاّ بوحدة القيادة وبتوحيد الصفوف والمتارس، فالحقيقة المؤلمة بأننا ما قبل الوحدة المشوهة كنا في الجنوب قد تناسينا في غفلة من الزمن بأنه بوحدة صفنا صنعنا قوة الجنوب وأبرزنا كبرياءه وجسدنا هويته الوطنية وبنينا دولته، دولة النظام والقانون، أما بالتآمر فأضعفنا الجنوب ومزقناه ودخلنا بعدها الوحدة ونحن متفرقين ومتناحرين وضعيفين لأننا نحمل تاريخاً مخجلاً من التآمر على بعضنا وعلى أفضلنا، وهذا ما أغرى الطامعين وقياصرة الفساد ليتمادوا في أطماعهم بل وليستبيحوا الأرض والكرامة والهوية والتاريخ الجنوبي.

ثم اختتم كلامه الحماسي بخطاب هادئ قائلاً: سأكون راضيا عنك إذا عجلت في إصدار الكتاب وبيعه لصالح شهداء وجرحى الحرب.. عندها سأشعر بأنه رغم الحروب التي شاركت فيها والصراعات المسلحة الداخلية والخارجية لم أنل الشهادة في سبيل الوطن، فالرحمن قد حفظني وأطال عمري حتى أخدم ناسي ووطني في محنته التي لم أكن أحب أن أعيش أحداثها وأكون شاهدا عليها.. أشعر بحزن أبدي في أننا في مرحلة تآمر الرفاق على الرفاق قد تسببنا بضعفنا وتشرذمنا والآن وبسبب أخطاء الصراع على السلطة يدفع الوطن ومعه أبناؤنا وأحفادنا ثمن تلك الأخطاء. لكن ذلك لا يعني نهاية العالم ما عليكم الآن هو فقط أن تدرسوا التاريخ فتأخذوا بإيجابيات تجاربنا وتلفظون كل جوانب السلب وأسباب الضعف..فالمجتمع الذي يجهل ماضيه لن يستطع صناعة حاضره ومستقبله. والمجتمع الذي لا يستفيد من خبرات وتجارب ماضيه ويعود لممارسة وتكرار نفس أخطاء الماضي، هو مجتمع ظلامي سيظل أفراده أسرى الماضي وحتما ستهشمه وتلفظه عجلة تاريخ التطور الإنساني.

كان كلامه قد أحزنني لأن فيه تعبيراً صادقاً لحب أزلي للأرض التي ولد وعاش فيها وساعد في بنائها وحمايتها والدفاع عن المظلومين بسبب أخطاء النظام أو شطحات البشر.. لهذا بدأت أفكر بصمت كيف يمكنني أن أحقق رغبة أبي في ان يخدم الجنوب وشعب الجنوب.. فكتابه " ذكريات عمران.. الفدائي والإنسان" قد أكملنا تدوينه وأعدت صياغته وأرسلته قبل شهرين للدكتور والمؤلف الشهير علي صالح الخلاقي حتى يراجعه ويقدمه ويخرجه ويطبعه، ورغم ظروف الحرب علمت منه إن الكتاب يطبع الآن خارج عدن، وتحديداً في المكلا، وسيصدر قريباً.

إن أعداء الإنسانية والحضارة والعلم والثقافة الذين يقودون هذه الحرب الهمجية لم يكتفوا بحرق مكاتب عدن ومدارس وجامعات ودور الطباعة والصحافة والنشر لكنهم حتى أحرقوا مكتبتي وشهاداتي العلمية التي كانت تزين مجلس أبي، بالإضافة إلى صور رفيقيه سالمين ومطيع.

طال صمتي فاستفزني ابني عمار بقوله: الحمد لله في أن جَدِّي قد عرف من منا يحمل رأس (دبية من دِبَيْ الماء). كان بذلك يريد أن يخرج والدي من حالة الغضب والحزن.. لكني لم أتقبلها منه فطلبت منه أن لا يتدخل بيني وبين أبي. بيد أن عمران أضاف الى ما قاله أخوه: لا تزعل يا أبي عليك أن تعترف بأنك قد خسرت المبارزة وبالضربة القاضية. أجبته: لقد أخطأت فأنا كما ترى رغم أنني تلقيت ضربة غير متوقعة، لكن لا زلت واقفاً على قدَمَيَّ وعليك أن تتذكر بأننا ما زلنا في الجولة الأولى.. سأطبع كتاب أبي وسنوظف أفكار ودروس وعبر الكتاب ومردوده المالي لخدمة عدن وأبطال عدن وأهل عدن. وسنحقق أنا (ابن عدن) ومدينة عدن انتصاراً حتمياً فإبن عدن البركان (Crater Aden) لن يحمل رأساً بارداً أبداً.





صالح فاضل بجانب الرئيس علي ناصر محمد في احتفال جماهيري في يافع - لبعوس



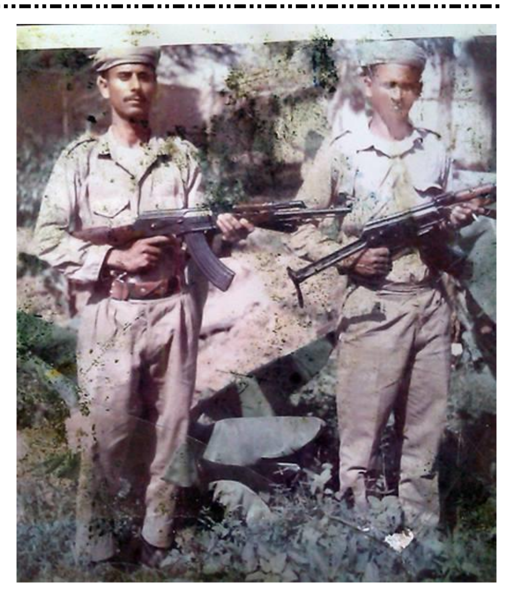
صالح فاضل مع صديقه الصدوق حسين عبدالحبيب (الجالسان)
ومحمد صالح الصلاحي ومحمد سالم شهاب (الواقفان) – نوفمبر ١٩٩٢م



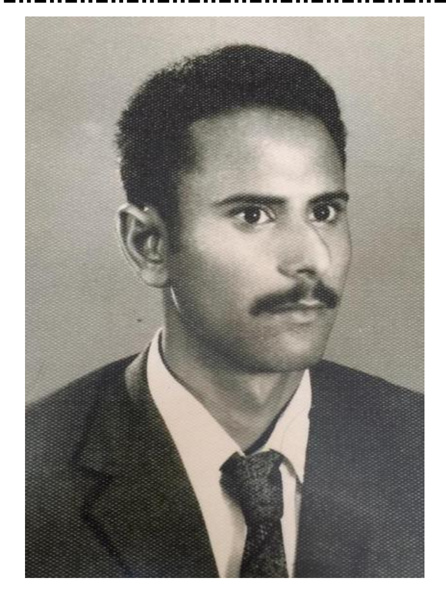
صالح فاضل في أحد المهرجانات ويظهر خلف المناضل جاعم صالح



صالح فاضل الثاني من يمين الصور مع بعض زملائه في السلطة المحلية –يافع



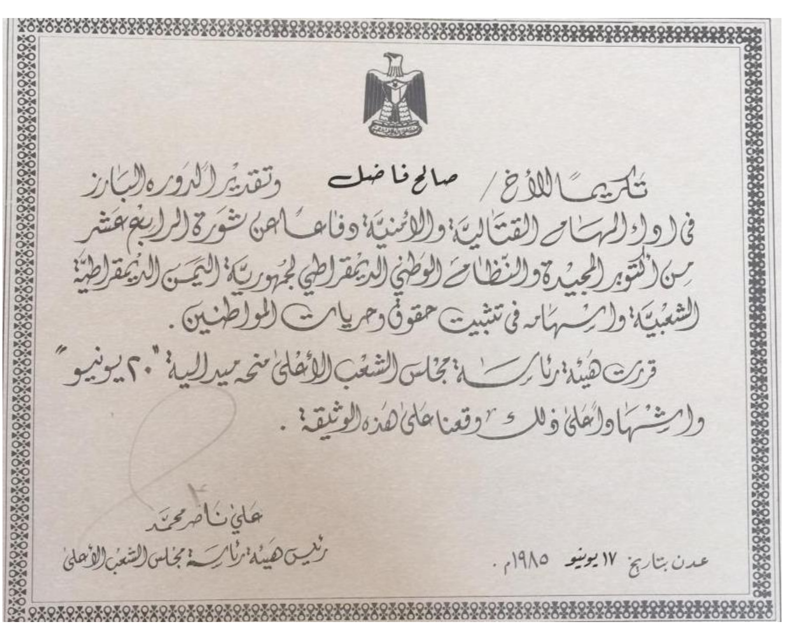
صالح فاضل وأخيه قاسم فاضل ١٩٦٦م



قاسم فاضل (الشقيق الأصغر)



في زيارة شبام – حضرموت



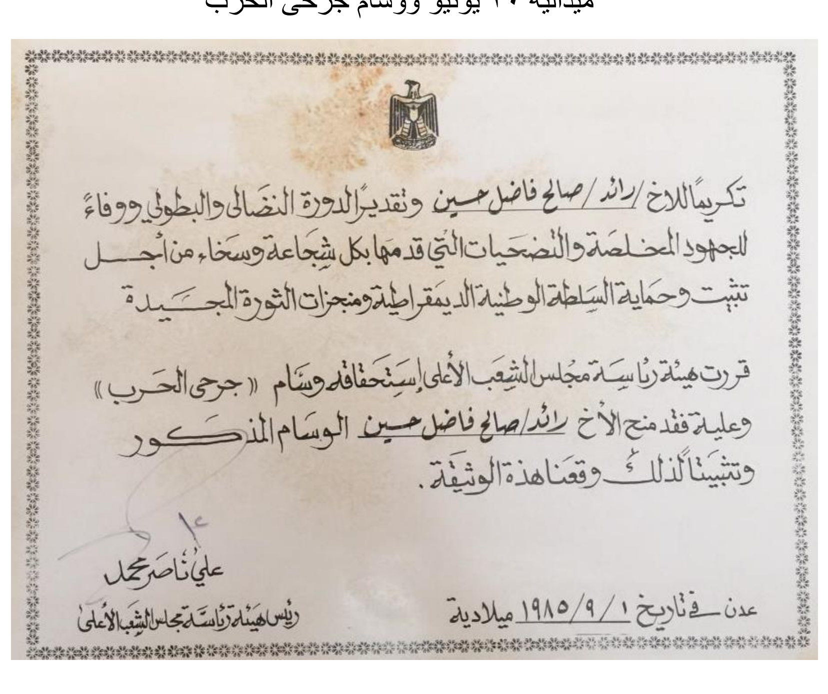
تكريماً للأخ / صالح فاضل وتقدير الدوره البارز
في اداء المهام القتالية والأمنية دفاعاً عن ثورة الرابع عشر
من أكتوبر المجيدة والنظام الوطني الديمقراطي لجمهورية اليمن الديمقراطية
الشعبية واسهامه في تثبيت حقوق وحريات المواطنين .

قررت هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى منحه ميدالية "٢٠ يونيو"
واشهاداً على ذلك وقعنا على هذه الوثيقة .

علي ناصر محمد
رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى

عدن بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٨٥م .

ميدالية ٢٠ يونيو ووسام جرحى الحرب



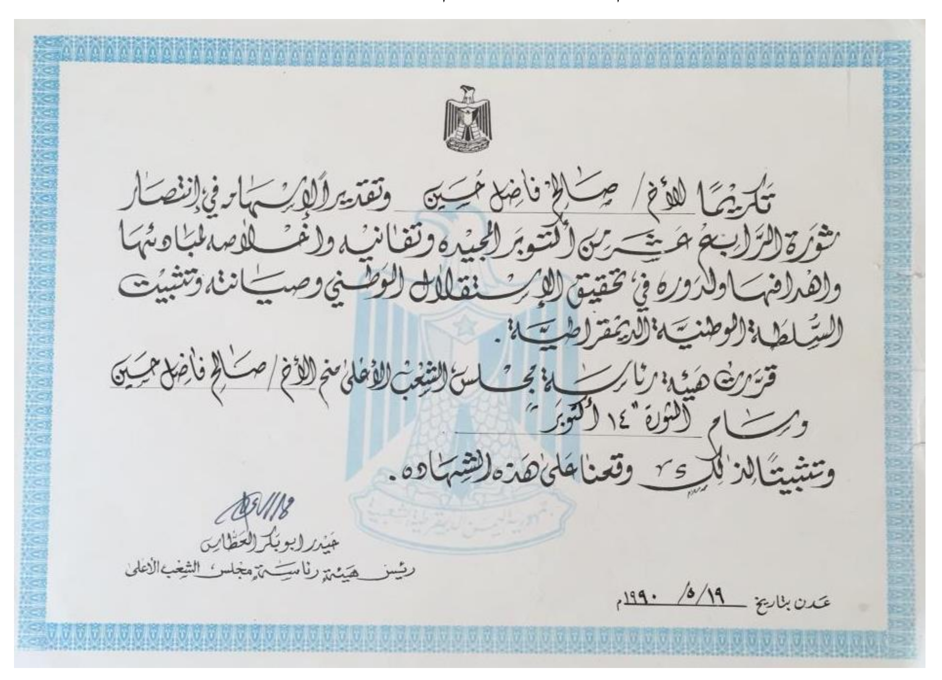
تكريماً للأخ / رائد / صالح فاضل حسين وتقديراً للدورة النضالي والبطولي ووفاءً
للجهود المخلصة والتضحيات التي قدمها بكل شجاعة وسخاء من أجل
تثبيت وحماية السلطة الوطنية الديمقراطية ومنجزات الثورة المجيدة

قررت هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى إستحقاقه وسام « جرحى الحرب »
وعليه فقد منح الأخ رائد/ صالح فاضل حسين الوسام المذكور
وتثبيتاً لذلك وقعنا هذه الوثيقة .

علي ناصر محمد
رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى

عدن في تاريخ ١ / ٩ / ١٩٨٥ ميلادية

وسام الإخلاص ووسام ثورة ١٤ أكتوبر



تكريماً للأخ/ صالح فاضل حسين وتقديراً لإسهامه في إنتصار ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدة وتفانيه وإخلاصه لمبادئها وأهدافها والدوره في تحقيق الإستقلال الوطني وصيانته وتثبيت السلطة الوطنية الديمقراطية.

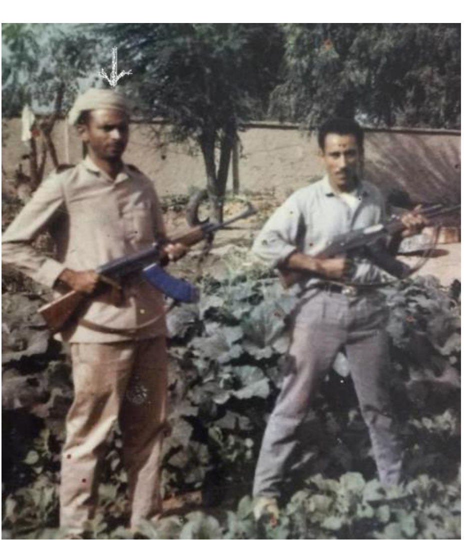
قررت هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى منح الأخ/ صالح فاضل حسين

وسام الثورة "١٤ أكتوبر"

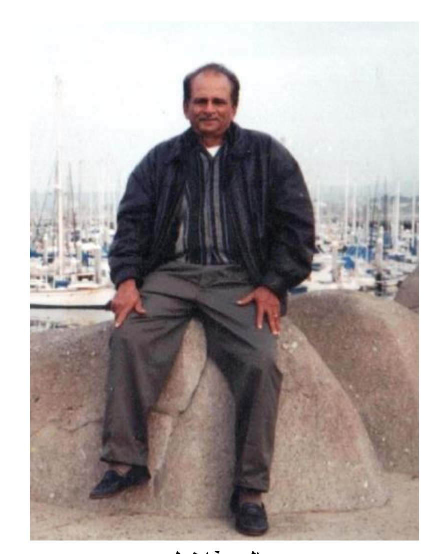
وتثبيتاً لذلك وقعنا على هذه الشهادة.

حيدر ابوبكر العطاس
رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى

عدن بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٩٩٠م



قاسم علي السلفي وصالح فاضل



صالح فاضل







صالح فاضل في رتبة رائد.. ثم عقيد



مع المستشرق الروسي فيتالي ناؤمكين ومحمد العبادي وحسين عوض ١٩٧٣م



مع احمد بن احمد الخلوة



صالح فاضل في ساحه الحريه



صالح فاضل مع صديقه المناضل محمد صالح المصلي ٢٠١٣م



في مهرجان يافع ١٩٨٧م مع سالم صالح محمد وعدد من المسئولين





العميد صالح فاضل مع نجله النقيب د.محمد الطبيب في مستشفى باصهيب ١٩٩١م



المناضلان الصديقان: سالم عبدالله عبدربه وصالح فاضل الصلاحي



مع ابن عمه وصديقه الوفي رجل الأعمال عبدربه أحمد الصلاحي الكويت- ١٩٨٣



من اليمين حسين ناجي، حسين صالح، صالح فاضل،الشيخ علي أحمد عطبوش (ابن صديقه ورفيقه الشيخ أحمد عطبوش) – في زيارة وفاء –ريشان، الحد ٢٠١٣



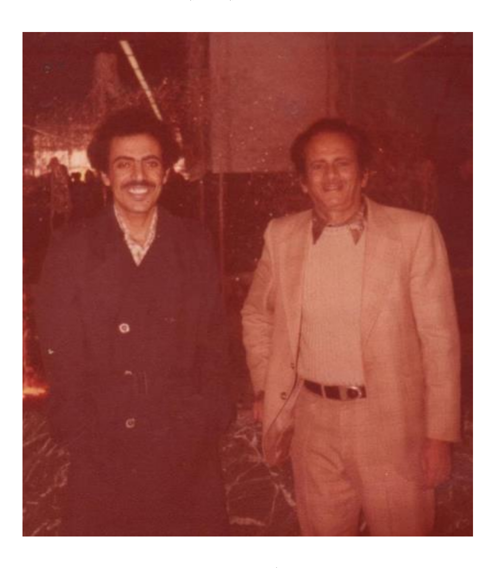
من اليمين عبدالحافظ العبادي، د.احمد حسين عبدالحبيب، د.محمد صالح فاضل،
العميد صالح محمد السلفي، صالح فاضل ـ شيكاغو ٢٠١٠



د. محمد ونجله عمار (الجالسان). والواقفون من اليمين: السفير محمد العبادي، صالح فاضل،خلدون
صالح، الشيخ عبد القادر هرهرة،د.فضل جبران أمام البيت الأبيض واشنطن ٢٠٠٣



من اليمين: حسين صالح، الشيخ قاسم يحيى المفلحي، صالح فاضل، علوي عبدالرب منصر، يحي قاسم المفلحي- في زياراته للقاء بالجاليه في ديترويت ميتشجن ١٩٩٢م



مع د.علي حسين عاطف الصلاحي، لندن ١٩٨٤م.



في موسم الثلج- نيويورك ٢٠١٥م



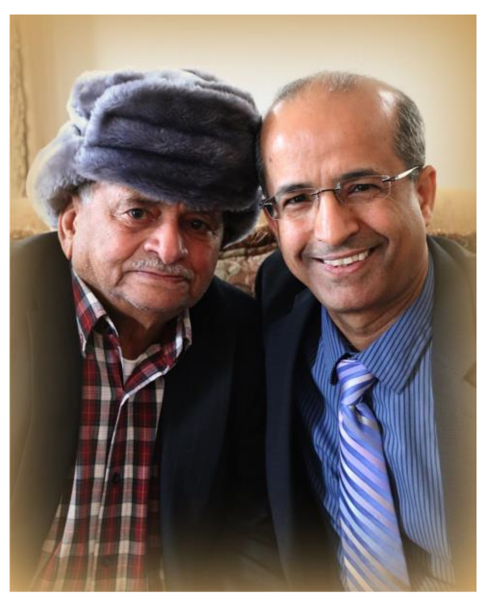
مع مذيع قناة العربية الإعلامي المعروف عادل اليافعي



مع الكاتب والباحث د.علي صالح الخلاقي



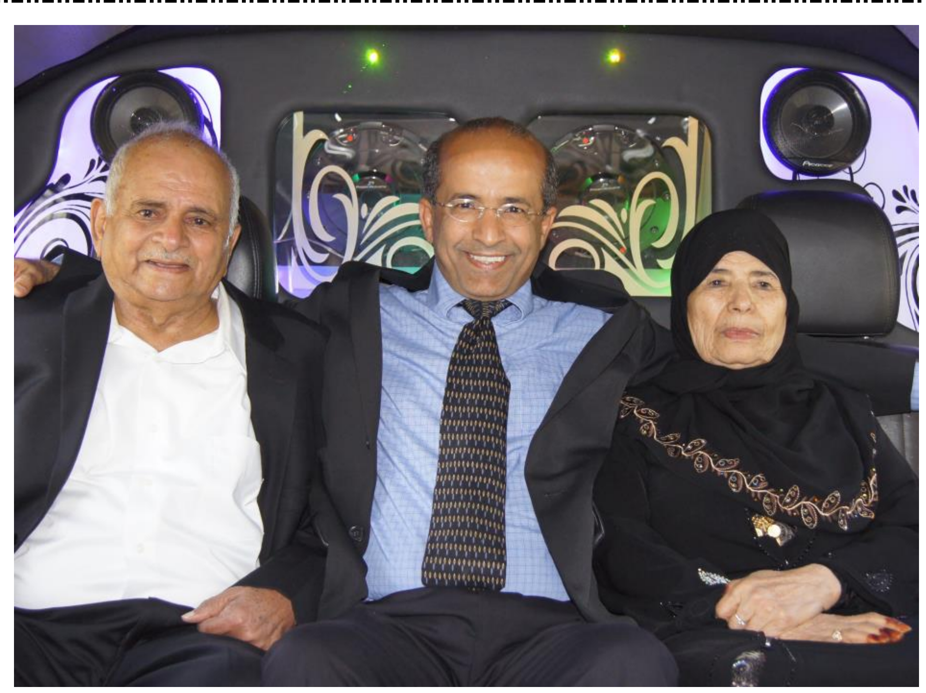
مع نجله عبدالفتاح



ومع نجله د. محمد



صالح فاضل مع شريكة حياته الوفية



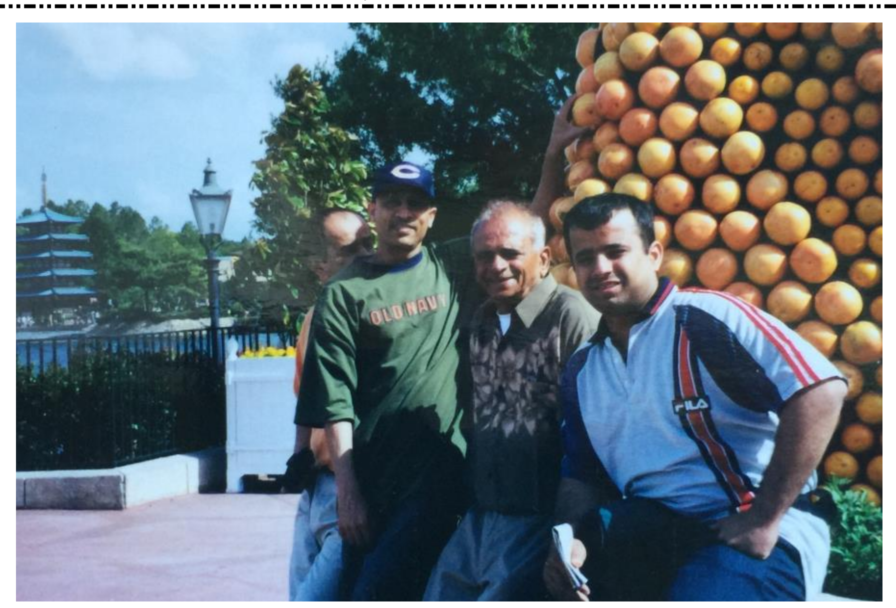
د.محمد يتوسط والده ووالدته



من اليمين: محمد سالمين، سالمين صالح، الوالد صالح، حسين سالمين
والقاعد أمام الصوره عادل سالمين



صالح فاضل محاطاً بأبنائه خلدون وحسين وعبدالفتاح و(١٣)من الأحفاد



يتوسط نجله خلدون (اليمين) وصهره خالد محمد زوج ابنته(اليسار)



مع ابنه حسين وابناء حسين : علي وصالح والطفل آدم حسين



مع نجله رجل الأعمال حسين صالح فاضل



ومع الطبيب الأديب نجله د.محمد صالح فاضل



أثناء تدوين أحاديث الذكريات مع نجله الدكتور محمد في سطح منزله- يافع





من اليمين عبدالفتاح، الوالد صالح، خلدون، حسين



في الصف الأول: عادل سالمين، الوالد صالح، عمران وفاضل خلدون.
وفي الصف الخلفي: حسين سالمين، خلدون صالح فاضل، محمد سالمين



محاطا بابنيه سالمين وخلدون



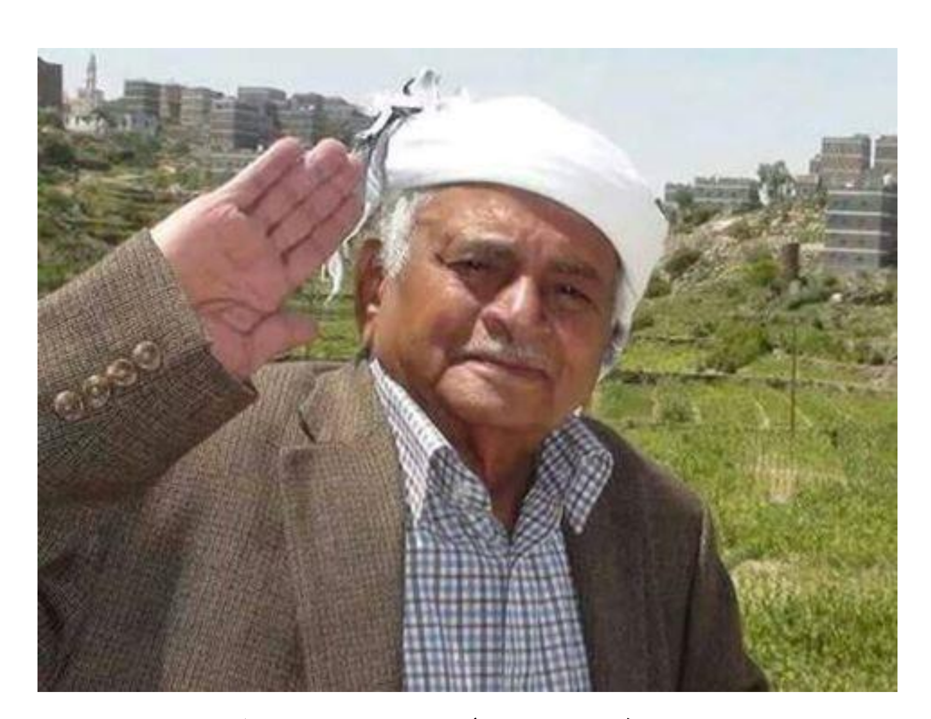
من اليمين: عمار محمد صالح، صالح فاضل، د.محمد صالح فاضل، عمران محمد صالح



الجالسون: د.محمد مع والده ونجله الأصغر يوسف. والقائمون: ابناء د.محمد: عمران النجل الأكبر يتوسط شقيقيه عمار(يسار الصورة) وعلاء(يمين الصورة).



الدكتور عادل صالح فاضل الصلاحي- اختصاصي أنف وأذن وحنجرة



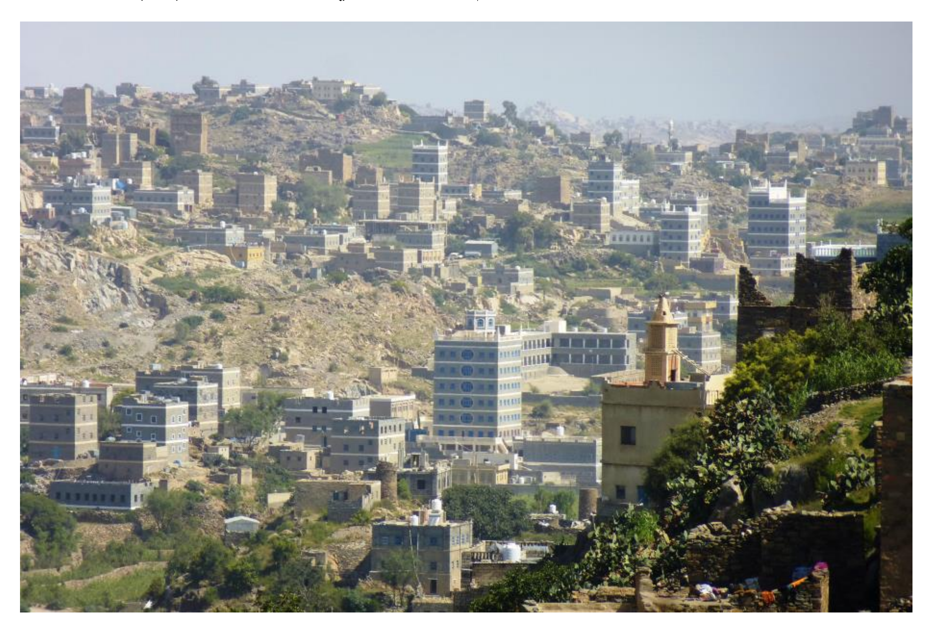
تحية من مسقط الرأس – آل بن صلاح -يافع



وابتسامة من أمام منزله وأولاده في الولايات المتحدة الأمريكية

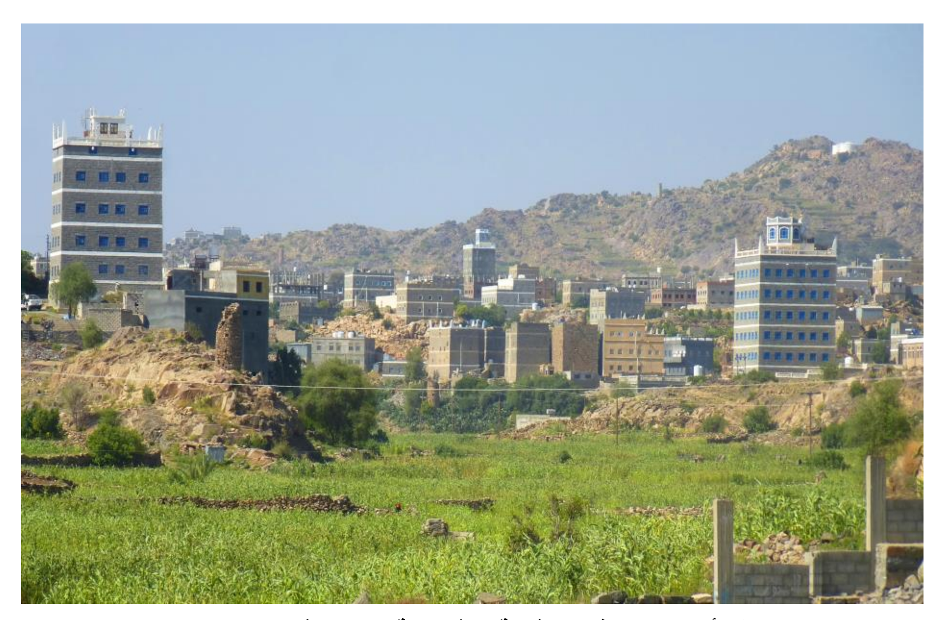


قصر صالح فاضل وتبدو إلى يساره المدرسة التي أسهم في بنائها
وكان هو من أطلق عليها اسم رفيقه الفدائي البطل الشهيد (بدر)





قصر صالح فاضل الحديث بنمطه المعماري اليافعي وبجانبه مدرسة الشهيد "بدر "



جزء من مسقط رأس صالح فاضل قرية (البُعلسية) ويبدو قصره الحديث يمين الصورة

المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

ملحق خاص